



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



ارشد
علیه
اصحاب
السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحُ مَنَاجِزِ الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِينِ

الْعَلَّامِ الْمُحَرَّرِ الرَّحِيمِ زَيْدِ بْنِ جَبْرِ الْهَادِي

الْمَكِّيِّ الْمَدِينِيِّ

الجزء الخامس

من منشورات

الكتاب الإسلامي

طرابلس - ليبيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

آيت الله العظمى سيد ابوالقاسم خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست	۵
منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ۵	۱۳
مشخصات كتاب	۱۳
تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره	۱۴
و من خطبه له عليه السلام و هى الرابعه و الستون من المختار فى باب الخطب	۱۴
اشاره	۱۴
اللغه	۱۶
الاعراب	۱۶
المعنى	۱۷
الترجمه	۳۴
و من كلام له عليه السلام و هو الخامس و الستون	۳۵
اشاره	۳۵
اللغه	۳۶
الاعراب	۳۷
المعنى	۳۸
اشاره	۳۸
تكملة	۴۱
تذييل	۴۳
الترجمه	۹۴
و من كلام له عليه السلام فى معنى الانصار و هو السادس	۹۵
اشاره	۹۵
اللغه	۹۵
الاعراب	۹۶
المعنى	۹۶

٩٦	اشاره
٩٨	تنبيهان
٩٨	الاول
١٠٧	الثانى
١١٥	الترجمه
١١٥	و من كلام له عليه السلام و هو السابع و الستون
١١٥	اشاره
١١٦	اللغه
١١٦	الاعراب
١١٦	المعنى
١١٦	اشاره
١١٦	تنبيهان
١١٦	الاول
١١٨	الثانى
١٣٣	الترجمه
١٣٣	و من كلام له عليه السلام و هو الثامن
١٣٣	اشاره
١٣٤	اللغه
١٣٥	الاعراب
١٣٥	المعنى
١٣٧	الترجمه
١٣٨	و قال عليه السلام فى سحره اليوم الذى ضرب
١٣٨	اشاره
١٣٨	اللغه
١٣٨	الاعراب
١٣٨	المعنى

١٣٨		اشاره
١٤٠		تذييلات
١٤٠		الاول
١٧٩		تسلى هم و تسكين فؤاد فى أحوال قاتله و كيفيه قتله
١٨٢		التذييل الثانى فى موضع قبره الشريف و الاشاره الى من بناه
١٨٥		التذييل الثالث فى ذكر نبذ من المعجزات الظاهره منه و من قبره الشريف
١٩٥		الترجمه
١٩٥		و من كلام له عليه السلام فى ذم اهل العراق
١٩٥		اشاره
١٩٦		اللغه
١٩٦		الاعراب
١٩٨		المعنى
٢٠٠		الترجمه
٢٠٢		و من خطبه له عليه السلام علم فيها الناس الصلاه
٢٠٢		اشاره
٢٠٣		اللغه
٢٠٥		الاعراب
٢٠٥		المعنى
٢٠٥		اشاره
٢٠٦		اما الاول
٢٠٧		و اما الثانى
٢١٥		الفصل الثالث
٢١٧		تنبيهات
٢١٧		الاول
٢١٨		فوايد
٢١٨		الاولى

الثانيه - ٢١٩

الثالثه - ٢١٩

الرابعه - ٢٢٠

الخامسه - ٢٢٠

السادسه - ٢٢٢

السابعه - ٢٢٢

الثاني - ٢٢٢

الثالث - ٢٢٤

الرابع - ٢٢٧

الترجمه - ٢٣١

و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم - ٢٣٢

اشاره - ٢٣٢

اللغه - ٢٣٣

الاعراب - ٢٣٣

المعنى - ٢٣٣

اشاره - ٢٣٣

تكملة - ٢٣٤

الترجمه - ٢٣٥

و من كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعه عثمان - ٢٣٦

اشاره - ٢٣٦

اللغه - ٢٣٦

الاعراب - ٢٣٦

المعنى - ٢٣٧

الترجمه - ٢٣٩

و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بنى اميه - ٢٤٠

اشاره - ٢٤٠

٢٤٠ اللغة

٢٤٠ الاعراب

٢٤١ المعنى

٢٤٤ الترجمة

٢٤٤ و من خطبه له عليه السلام و هي الخامسة و السبعون

٢٤٤ اشاره

٢٤٥ اللغة

٢٤٥ الاعراب

٢٤٦ المعنى

٢٥٥ الترجمة

٢٥٦ و من كلام له عليه السلام و هو السادس

٢٥٦ اشاره

٢٥٦ اللغة

٢٥٦ الاعراب

٢٥٦ المعنى

٢٥٦ اشاره

٢٥٨ تذييل

٢٥٨ الاول

٢٥٨ الثاني

٢٦٣ الترجمة

٢٦٣ و من كلمات له عليه السلام كان يدعو بها و هي السابعة

٢٦٣ اشاره

٢٦٣ اللغة

٢٦٤ الاعراب

٢٦٤ المعنى

٢٦٨ الترجمة

٢٦٩	و من كلام له عليه السلام و هو الثامن و السبعون
٢٦٩	اشاره
٢٧٠	اللغه
٢٧٠	الاعراب
٢٧٢	المعنى
٢٧٢	اشاره
٢٧٨	تذييل المقام بامور مهمه
٢٧٨	الأول
٢٨١	الثانى
٢٨٤	الثالث
٢٨٨	الرابع
٢٨٩	المقام الاول
٢٩١	الثانى
٣١١	الامر الخامس
٣١٥	الترجمه
٣١٦	و من كلام له عليه السلام و هو التاسع
٣١٦	اشاره
٣١٦	اللغه
٣١٦	الاعراب
٣١٧	المعنى
٣١٧	اشاره
٣٢٢	تنبيه طريف
٣٢٩	تنبيه و تحقيق
٣٣٨	الترجمه
٣٣٨	و من خطبه له عليه السلام و هى الثمانون من المختار
٣٣٨	اشاره

٣٣٨	اللغة
٣٣٩	الاعراب
٣٤٠	المعنى
٣٤٠	اشاره
٣٤١	تبصره
٣٤٦	الترجمه
٣٤٧	و من كلام له عليه السلام فى صفه الدنيا
٣٤٧	اشاره
٣٤٧	اللغة
٣٤٨	الاعراب
٣٤٨	المعنى
٣٤٨	اشاره
٣٥٥	تكملة
٣٥٥	الترجمه
٣٥٦	و من خطبه له عليه السلام عجيبه و هى الثانيه
٣٥٦	اشاره
٣٥٦	الفصل الاول
٣٥٦	اشاره
٣٥٦	اللغة
٣٥٦	الاعراب
٣٥٧	المعنى
٣٦١	الترجمه
٣٦١	الفصل الثانى
٣٦١	اشاره
٣٦٢	اللغة
٣٦٤	الاعراب

المعنى	٣٦٦
الترجمه	٣٧٢
الفصل الثالث	٣٧٣
اشاره	٣٧٣
اللغه	٣٧٤
الاعراب	٣٧٥
المعنى	٣٧٥
اشاره	٣٧٥
تنبيه و تحقيق	٣٧٩
هدايه و ارشاد	٣٨٦
الترجمه	٣٩٣
الفصل الرابع	٣٩٤
اشاره	٣٩٤
اللغه	٣٩٥
الاعراب	٣٩٦
المعنى	٣٩٨
الترجمه	٤٠٣
الفصل الخامس	٤٠٤
اشاره	٤٠٤
اللغه	٤٠٦
الاعراب	٤٠٧
المعنى	٤٠٩
اشاره	٤٠٩
تبصره	٤٢٧
الترجمه	٤٣١
درباره مركز	٤٣٣

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبیب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم،

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲/خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

و من خطبه له عليه السلام و هي الرابعه و الستون من المختار فى باب الخطب

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، و يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً، كلّ مسمّى بالوحده
غيره قليل و كلّ عزيز غيره ذليل، و كلّ قوى غيره ضعيف، و كلّ مالك غيره مملوك، و كلّ عالم غيره متعلّم، و كلّ قادر غيره
يقدر و يعجز، و كلّ سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات، و يصمّه كبيرها، و يذهب عنه ما بعد منها، و كلّ بصير غيره يعمى
عن خفيّ الألوان و لطيف الأجسام، و كلّ ظاهر غيره غير باطن، و كلّ باطن غيره غير ظاهر، لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، و
لا تخوّف من عواقب

ص: ٢

زمان، و لا- استعانه على ندّ مشاور، و لا- شريك مكاشر، و لا ضدّ منافر، و لكن خلايق مربوبون، و عباد داخرون، لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن، و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن، لم يؤده خلق ما ابتداء، و لا تدبير ما ذرء، و لا وقف به عجز عمّا خلق، و لا ولجت عليه شبهه فيما قضا و قدّر، بل قضاء متقن، و علم محكم، و أمر مبرم، المأمول مع النّقم، المرهوب مع النّعم.

اللغة

(صمت) الاذن صمما من باب تعب بطل سمعها و يسند الفعل إلى الشخص أيضا فيقال صمّ يصمّ صمما و يتعدّى بالهمزه فيقال أصمّه الله و لا يستعمل الثلاثي متعدّيا و (الند) المثل و (المثاور) من الثوران و هو الوثب و الهيجان يقال ثاوره مثاوره و ثوارا و اثبه و (المكاشر) في أكثر النسخ بالثاء المثلثة و في نسخه الشارح المعتزلي بالموحّده و معناهما قريب، يقال كاثروهم فكثروهم غالبوهم في الكثرة فغلبوهم و يقال كابرته مكابره غالبته مغالبه و عاندته و (الدّاخر) الدّليل و (اده) الامر يؤده اثقله و (ذرء) خلق و (المبرم) كالمحكم لفظا و معنا

الاعراب

لفظه غير في الموارد الثمانية إمّا بالرفع كما في أكثر النسخ على أنّها صفة لكلّ، و إمّا بالنصب كما في بعض النسخ على الاستثناء أو على أنّها حال ممّا اضيف إليه كلّ، و العامل معنى الاضافه كما هو مذهب البعض في غير المغضوب حيث قال بكونه حالا من الذين و أنّه عمل فيه معنى الاضافه، و لكن خلايق اه بتخفيف لكن و الغائه عن العمل و رفع ما بعدها على كونه خبرا لمبتدأ محذوف، قالوا: و حقّ لكن أن تقع بين كلامين متغايرين معنى بالنفي و الاثبات، و لا يلزم التغاير اللفظي

إذ يقال جاء زيد و لكن عمرو لم يجىء، و قد يقال زيد حاضر و لكن عمرو غايب، و لا يلزم أيضا أن يكون بينهما تضادٌ حقيقى بل التنافى بوجه ما قال تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» فَإِنَّ عَدَمَ الشُّكْرِ لَا يَنَاسِبُ الْإِفْضَالَ، بَلِ اللَّائِقُ بِهِ أَنْ يَشْكُرَ، وَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، قَوْلُهُ فَيَقَالُ: فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِنَصْبِ الْمَضَارِعِ وَ انْتِصَابِهِ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ مَعَ تَقَدُّمِ النَّفْيِ قَاعِدَهُ كُلِّيَّةً، وَ قَضَاءِ مَتَقْنِ خَبَرٍ لِمَبْتَدَأٍ وَ هَكَذَا مَا بَعْدَهُ، وَ قَوْلُهُ الْمَأْمُولُ مَعَ التَّقْمِ أَيْضًا خَبَرُ أَيْ هُوَ الْمَأْمُولُ وَ الْمَرْهُوبُ.

المعنى

اعلم أنَّ هذه الخطبة الشريفة مشتملة على نكات لطيفة من العلوم الإلهية متضمنة لجمله من الصفات الكمالية.

الاولى ما اشار إليه بقوله (الحمد لله الذى لم يسبق له حال حالا فيكون أوْلا قبل أن يكون آخرا، و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا) و المستفاد منه شيان الاول أنه سبحانه متَّصف بالأُولِيَّةِ و الآخِرِيَّةِ و الظَاهِرِيَّةِ و الْبَاطِنِيَّةِ الثَّانِي أَنَّ اتِّصَافَهُ تَعَالَى بِهَا لَيْسَ عَلَى نَحْوِ السَّبْقِ وَ اللَّحُوقِ وَ الْقَبْلِيَّةِ وَ الْبَعْدِيَّةِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ قَالَ سُبْحَانَهُ «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» وَ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى هَذِهِ الصِّفَاتِ فَقَالَ الصَّدُوقُ فِي التَّوْحِيدِ: هُوَ الْأَوَّلُ بَغَيْرِ ابْتِدَاءٍ، وَ الْآخِرُ بَغَيْرِ انْتِهَاءٍ، وَ الظَّاهِرُ بِآيَاتِهِ الَّتِي أَظْهَرَهَا مِنْ شَوَاهِدِ قُدْرَتِهِ وَ آثَارِ حِكْمَتِهِ وَ بَيِّنَاتِ حُجَّتِهِ الَّتِي عَجَزَ الْخَلْقُ جَمِيعًا عَنْ إِبْدَاعِ أَصْغَرِهَا وَ إِنْشَاءِ أَيْسَرِهَا وَ أَحْقَرِهَا عِنْدَهُمْ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

«إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ» فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا وَ هُوَ شَاهِدٌ لَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَ أَعْرَضَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَنْ وَصْفِ ذَاتِهِ وَ هُوَ ظَاهِرُ بَيِّنَاتِهِ مُحْتَجِبٌ بِذَاتِهِ

و معنى ثان أنه ظاهر غالب قادر على ما يشاء و منه قوله عزّ و جلّ: «فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ»، أى غالبين لهم و الباطن معناه أنه قد بطن عن الأوهام و هو باطن لا- يحيط به محيط لأنه قدم أى تقدم الفكر فجنب عنه، و سبق العلوم فلم يحط به، وفات الأوهام فلم يكتنّه، و حارت عنه الأبصار فلم تدركه، فهو باطن كلّ باطن، و محتجب كلّ محتجب، بطن بالذات و ظهر بالآيات، فهو الباطن بلا حجاب و الظاهر بلا اقتراب.

و معنى ثان أنه باطن كلّ شيء أى خبير بصير بما يسرّون و ما يعلنون و لكلّ ما ذرء، و بطانه الرّجل و ليتجه من القوم الذين يداخلهم و يداخلونه فى دخله أمره، و المعنى أنه عالم بسرّائيرهم لا أنه عزّ و جلّ يبطن فى شيء يواريه و فى مجمع البيان: هو الأوّل أى أوّل الموجودات، و تحقيقه أنه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات، لأنه قديم و ما عداه محدث و القديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من الاوقات، و الآخر بعد فناء كلّ شيء لأنه يفنى الأجسام كلّها و ما فيها من الأعراض و يبقى وحده.

و قيل الأوّل قبل كلّ شيء بلا ابتداء، و الآخر بعد كلّ شيء بلا انتهاء، و الظاهر هو العالى الغالب على كلّ شيء، فكلّ شيء دونّه، و الباطن العالم بما بطن فلا أحد أعلم منه عن ابن عباس و قيل: الظاهر بالأدله و الشواهد، و الباطن الخبير بكلّ شيء و قيل: معنى الظاهر و الباطن إنّه العالم بما ظهر، و العالم بما بطن و قيل: الظاهر بأدلته و الباطن من احساس خلقه و قيل الأوّل بلا ابتداء، و الآخر بلا انتهاء، و الظاهر بلا اقتراب، و الباطن بلا احتجاب و قيل الأوّل ببرّه إذ هداك، و الآخر بعفوه إذ قبل توبتك، و الظاهر باحسانه و توفيقه إذا أطعته، و الباطن بستره إذا عصيته عن السدى و قيل الأوّل بالخلق، و الآخر بالرزق، و الظاهر بالاحياء، و الباطن بالاماته عن ابن عمر و قيل: هو الذى أوّل الأوّل و آخر الآخر و أظهر الظاهر و أبطن الباطن عن الضّحّاك و قيل الأوّل بالأزليّه، و الآخر بالأبدية، و الظاهر بالأحدية،

والباطن بالصَّمدية عن أبى بكر الوراق و قيل إنّ الواوات مفتَّحة و المعنى هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن، لأنّ من كان منّا أولاً-لا- يكون آخرًا، و من كان ظاهرًا لا يكون باطنًا، عن عبد العزيز بن يحيى و قيل هو الأوّل القديم، و الآخر الرّحيم و الظاهر الحكيم، و الباطن العليم عن يمان و أمّا الثانى فتحقيقه ما ذكره الشّارح البحرانى و هو أنّه لمّا ثبت أنّ السّبق و المقارنه و القبليه و البعديّه امور تلحق الزّمان لذاته و تلحق الزّمانيات به و ثبت أنّه تعالى منزّه عن الزّمان إذ كان من لواحق الحركه المتأخّره عن وجود الجسم المتأخّر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك فى موضعه، لا- جرم لم تلحق ذاته المقدّسه و مالها من صفات الكمال و نعوت الجلال شىء من لواحق الزّمان، فلم يجز إذن أن يقال مثلاً كونه عالمًا قبل كونه قادرًا أو كونه قادرًا قبل كونه مريدًا أو كونه حيًّا قبل كونه عالمًا و لا كونه أوّلًا للعالم قبل كونه آخرًا له قبله و سبقًا زمانيا بقى أن يقال إنّ القبليه و البعديّه قد يطلق بمعان آخر كالقبليه بالشّرف و الذات و الفضيله و العليه، و قد بينّا أنّ كلّ ما يلحق ذاته المقدّسه من الصّيفات فاعتبارات ذهبيّه تحدّثها العقول عند مقايسته إلى مخلوقاته و شىء من تلك الاعتبارات لا تفاوت أيضا بالقبليه و البعديّه بأحد المعانى المذكوره بالنّظر إلى ذاته المقدسه فلا يقال مثلاً: هو المستحقّ لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده و إلّا لكان كمال ذاته قابلاً للزياده و النقصان، بل استحقاقه بالنّظر إلى ذاته لما يصحّ أن يعتبر لها استحقاق وجه بالنّظر إلى جميعها دائماً فلا حال يفرض إلّا و هو يستحق فيه أن يعتبر له الأوّليه و الآخريّه معاً استحقاقاً أوّلياً ذاتياً، لا على وجه التّرتيب و إن تفاوت الاعتبارات بالنّظر إلى اعتبارنا، و هذا بخلاف غيره من الامور الزّمانية، فإنّ الجوهر مثلاً يصدق عليه كونه أوّلاً من العرض و لا يصدق عليه مع ذلك أنّه آخر له حتّى لو فرضنا عدم جميع الاعراض و بقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معاً بل استحقاقه لاعتبار الأوّليه متقدّم.

وقال الصدر الشيرازي في شرح الكافي: هو الأول والآخر لأنه مبدء كل شيء و غايته، و الظاهر و الباطن لأن غايه ظهوره منشأ بطونه بل حيثيه ظهوره بعينها حيثيه بطونه، فهو الظاهر من حيث هو الباطن، و الباطن من حيث هو الظاهر و الثانيه أن (كل مسمى بالوحده غيره قليل) و المراد بذلك أنه سبحانه مع اتصافه بالوحده لا يتصف بالقله كما يتصف بها غيره من المتصفين بالوحده بيان ذلك أن الوحده قد يطلق و يراد بها الوحده التي هي مبدء الكثره و هي العاد و المكيال لها سواء كانت في المتصل كالذراع الواحد و الفرسخ الواحد يعدان بوحدتيهما الأذرع و الفراسخ الكثيره، أو في المنفصل كالعشره الواحد و المئه الواحد يعدان العشرات الكثيره و المآت الكثيره، و هي أشهر أقسام الوحده، و قد يطلق و يراد بها الوحده النوعيه و الوحده الجنسيه، و هي الوحده المبهمه التي يوصف بها الأنواع و الأجناس و الابهام في الجنس أشد و هي غير الوحده بالنوع و الوحده بالجنس لأن معروض هاتين الكثير من الأشخاص و الأنواع و معروض الوحده الجنسيه و النوعيه المعنى الواحد المبهم.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنَّ الوحده بالمعاني المذكوره لا يجوز اتصافه تعالى بها اما الاول فلأنَّ الوحده بالمعنى المذكور قليل بالنسبه إلى الكثره التي هي عاد لها و القله و الكثره من أوصاف الممكن و اما الاخران فلأنَّ الواجب سبحانه لا يكون نوعا و لا جنسا و لا- يندرج تحت نوع و لا- جنس، لأنَّ ذلك كله من خصايص الامكان، و لما كان أكثر الناس لا يتصور من الوحده إلاَّ المعنى الأول بل لا يفهمون من كونه تعالى واحدا إلاَّ هذا المعنى لا جرم جعل نفيها عنه مخصوصا بالذكر دفعا لما يتوهمون و إبطالا لما يزعمون.

روى الصيّدوق في التوحيد باسناده عن شريح بن هاني، عن أبيه قال: إنَّ اعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين أ تقول إنَّ الله واحد؟ فحمل الناس عليه و قالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: دعوه فإنّ الذي يريده الاعرابي هو الذي نريده من

القوم، ثم قال: يا أعرابي إنّ القول فى أنّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ ووجهان يثبتان فيه.

فأمّا اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الاعداد، أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثة، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيهه و جلّ ربّنا عن ذلك و تعالى.

و أمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلك ربّنا، وقول القائل إنّّه أحدى المعنى يعنى به أنّه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم و كذلك ربّنا عزّ وجلّ.

(و) الثالثة أنّ (كل عزيز غيره ذليل) قد يفسّر العزيز الذى هو من أسمائه سبحانه بأنّه الذى لا يعاد له شىء أو الغالب غير المغلوب و قال فى التوحيد العزيز معناه أنّه لا يعجزه شىء و لا يمتنع عليه شىء، فهو قاهر الأشياء غالب غير مغلوب، و قد يقال فى المثل من عزّز أى من غلب سلب، وقوله عزّ وجلّ حكاية عن الخصمين و عزّنى فى الخطاب، أى غلبنى، و معنى ثان أنّه الملك و يقال للملك عزيز كما قال اخوه يوسف ليوسف: يا أيّها العزيز، و المراد يا أيّها الملك.

أقول: و الظاهر أنّ المعنى الثّانى أيضا مأخوذ من الأوّل، و عليه فالعزيز فى اللغة هو مطلق الغالب، فاذا استعمل فى الله سبحانه، و وصفناه به يراد به الغالب المطلق أعنى الغالب غير المغلوب، و إذا وصف به أحد من الخلق فالمراد به الغالب بالنسبة إلى من دونه و إن كان مغلوبا بالنسبة إلى من فوقه و ذليلا بالقياس إليه و يوضح ذلك أنّ السّحرة قالوا:

«بِعِزِّهِ فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ» فوصفوا فرعون بالعزّه و قد صار مغلوبا لموسى و ذليلا عند إله موسى مقهورا تحت قدرته.

(و) الرابعه أن (كلّ قوىّ غيره ضعيف) القوه هى مبدء الأفعال الشّاقه و إذا وصف الله بها فتعود إلى تمام القدره و إذا نسبت إلى غيره فالمراد بها القوه الجسمانيه كقوّه البطش المعروف من المخلوقات و لا يصحّ نسبتها بهذا المعنى إليه سبحانه إذ البرهان قائم على أنّ كلّ قوّه جسمانيه متناهيه محتمله للزياده و النقصان فيحتاج إلى محدّد يحدّدها فيقوى عليها و يقهرها على الحدّ الذى لها، و تلك القوه الاخرى أيضا إن كانت متناهيه كان حكمها كذلك إلى أن ينتهى إلى قوّه غير جسمانيه و لا متناهيه دفعا للتسلسل أو الدّور، و أيضا ما يحتمل الزّيادة كالأعداد و الأجسام و المقادير و الحركات و الأزمنه و ما يتعلّق بها كالقوى و الكيفيات فهى ناقصه أبدا غير تامّه، و كلّ ناقص محتاج إلى إكمال و مكمل فلا يكون قديما واجبا لذاته.

و إلى ذلك أشار أبو جعفر الثّانى عليه السّلام فى روايه الكافى بقوله: و كذا سمّينا ربّنا قويّا لا-بقوّه البطش المعروف من المخلوق، و لو كانت قوّته قوّه البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه و لاحتمل الزّيادة، و ما احتمل الزّيادة احتمل النقصان، و ما كان ناقصا كان غير قديم، و ما كان غير قديم كان عاجزا.

(و) الخامسه أن (كلّ مالِك غير مملوك) إذ كلّ ما سواه مستند إلى وجوده و فى تصريف قدرته و مشيئته نافذ فيه أمره، جار فيه حكمه، فهو المالك للكلّ بالاستحقاق و على الاطلاق و الكلّ مملوك له و إن صدق عليه فى العرف أنّه مالِك بالقياس إلى من دونه و ما فى يده.

(و) السادسه أن (كلّ عالم غيره متعلّم) إذ علمه عين ذاته و علم غيره محتاج إلى التّعلّم من الغير و الاستفاده منه، ثمّ الغير من الغير إلى أن ينتهى إلى علمه سبحانه.

(و) السابعه أن (كلّ قادر غيره يقدر و يعجز) لأنّ قدرته عين ذاته فيستحيل عليه العجز و أمّا قدره غيره و هى القوّه الجسمانيه المنبثّه فى الأعضاء المحركه لها نحو الأفاعيل الاختياريه المقابله للعجز تقابل العدم و الملكة فهى خارجه عن ذات

القادر قابله للوجود و العدم، فاذا القادر المطلق هو مستند كلّ مخترع اختراعا ينفرد به و يستغنى فيه عن معاونه الغير و ليس هو إلاّ- الله سبحانه، و أمّا غيره من المتصفين بالقدره فهو و إن كان فى الجملة صاحب قدره إلاّ أنّ قدرتها ناقصه لتنا و لها بعض الممكنات و قصورها عن البعض الآخر، لأنّه بالذات مستحقّ بالعجز و عدم القدره و إنّما استحقاقه لها من وجوده تعالى فهو الفاعل المطلق الذى لا يعجزه شىء عن شىء و لا يستعصى على قدرته شىء فان قلت: فهل يقدر أن يدخل الدّنيا كلها فى بيضه لا تصغر الدّنيا و لا يكبر البيضه؟ قلت: لا، و لا يلزم منه نقص على عموم القدره، بيان ذلك على ما حقّقه بعض علمائنا المحقّقين أنّ معنى كونه قادرا على كلّ شىء أنّ كلّما له مهية إمكانيه أو شيتيه تصويريه فيصحّ تعلّق القدره به، و أمّا الممتنعات فلا مهية لها و لا شيتيه حتّى يصحّ كونها مقدوره له تعالى، و ليس فى نفى مقدوريته نقص على عموم القدره بل القدره عامّه و الفيض شامل و الممتنع لا- ذات له و إنّما يخترع العقل فى وهمه مفهوما يجعله عنوانا لأمر باطل الذات كشريك البارى و اللا شىء و اجتماع النقيضين أو يركب بين معانى ممكنه آحادها تركيبا ممتنعا، فإنّ كلّا من المتناقضين كالحركه و السّكون أمر ممكن خارجا و عقلا، و كذا معنى التركيب و الاجتماع أمر ممكن عينا و ذهنا و أمّا اجتماع المتناقضين فلا ذات له لا فى الخارج و لا فى العقل، لكن العقل يتصوّر مفهوم اجتماع النقيضين على وجه التلّفيق و يجعله عنوانا ليحكم على افراده المقدّره بامتناع الوجود و كون الكبير مع كبره فى الصّغير من هذا القبيل.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ إدخال الدّنيا على كبرها فى البيضه مع بقاء البيضه على صغرها أمر محال، و المحال غير مقدور إذ لا ذات له و لا شيتيه.

و إلى ذلك وقعت الاشاره فيما رواه الصّيدوق فى كتاب التّوحيد باسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قيل لأمر المؤمنين عليه السّلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدّنيا فى

بيضه من غير أن يصغر الدنيا أو تكبر البيضه؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى لا ينسب إلى العجز و الذى ذكرت لا يكون.

فإن مقصوده عليه السلام إن ما سأله الرجل أمر ممتنع بالذات محال و المحال غير مقدور عليه و أن الله على كل شىء قدير.

و مثله ما رواه أيضا مسندا عن أبى عبد الله عليه السلام أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أ يقدر الله أن يدخل الأرض فى بيضه و لا يصغر الأرض و لا يكبر البيضه؟ فقال: و يلک إن الله لا يوصف بالعجز و من أقدر ممن يطف الأرض و يعظم البيضه.

فإن هذه الروايه داله على أن إدخال الكبير فى الصغير غير ممكن إلاّ- بأن يصغر الكبير بنحو التكائف و التخلل و نحوهما، أو يعظم الصغير، و أن تصغير الأرض إلى حدّ تدخل فى بيضه أو تعظيم البيضه إلى حدّ يدخل فيه الأرض غايه قدره.

(و) الثامنه أن (كلّ سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات و يصمّه كبيرها و يذهب عنه ما بعد منها) بيان ذلك أن السميع عباره عن قوّه مودعه فى العصبتيين المفروشتين على سطح باطن الصّماخين كجلد الطبل النافذتين من الدّماغ إليهما بهما يدرك الأصوات، و الصّوت عباره عن هيئه فى الهواء حاصله من تمّوجه النّاشى من حركه شديده مسببه عن قرع أحد الجسمين فى الآخر الذى هو امساس عنيف، و عن قلع أحدهما عن الآخر الذى هو تفريق عنيف بشرط مقاومه المقروع للقارع و المقلوع للقالع.

ففى الأوّل ينفلت الهواء من بين الجسمين بشدّه، و فى الثّانى يلج بينهما بشدّه و يحصل من انفلاته و ولوجه تمّوج و حركه على هيئه مستديره نحو ما يتصوّر عند وقوع الحجر فى الماء فاذا انتهى ذلك التّمّوج إلى الهواء الذى فى الأذن يحرك ذلك الهواء الراكد حركه مخصوصه بهيئه مخصوصه، فتتفعل العصبه المفروشه على الصّماخ عن هذه الحركه و تدركها القوّه السّامعه و يسمّى هذا الادراك سمعا

إذا عرفت ذلك فنقول: إن إدراك هذه القوّة للأصوات مشروط بأن يكون الصّوت قريباً لا بعيداً جدّاً، وأن يكون مع قربه على حدّ الاعتدال أى لا يكون قويا كثيرا ولا ضعيفا كذلك، لأنّه إذا كان ضعيفا لا يحصل بسببه تموّج الهواء كما أنّه لو كان بعيدا لا يصل الهواء المتموّج إلى الصّيماخ، وعند قربه وقوّته ربّما يحدث الصّيمم لشدّه قرعه للصّيماخ و تفرّق اتّصال الرّوح الحامل لقوّه السّمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتاديه القوّه إلى الصّماخ.

و إلى الأوّل أشار عليه السيّلام بقوله: يصم عن لطيف الأصوات، تشبيها لعجز السامعه عن إدراك الصّوت بخفائها و ضعفه بالصّمم و الى الثّانى بقوله: و يذهب عنه ما بعد منها و إلى الثّالث بقوله و يصمّه كبيرها.

و لما كان الله سبحانه و جلّت عظمتة منزّها عن الجسميّة و آلايت الجسم و كان سمعه عباره عن علمه بالمسموعات على ما حقّقناه فى شرح الفصل السّادس من فصول الخطبه الاولى لا جرم اختصّ الأوصاف المذكوره أعنى العجز عن إدراك الضّعيف و الصّمم بسمع القوى و عدم التّمكن من إدراك البعيد بمن كان له هذه الآلات و استحالت فى حقّه سبحانه إذ العلم لا يتفاوت بالنّسبه إلى القريب و البعيد و الضّعيف و الشّديد:

«لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ».

(و) التاسعه أنّ (كلّ بصير غيره يعمى عن خفىّ الألوان و لطيف الأجسام).

و الظاهر أنّ المراد بالألوان الخفيّة الألوان الغير المدركه بالابصار لانتفاء شرط الادراك و هو الضّوء، و يقابلها الألوان الظاهره و هى التى يدركها الباصره، و على هذا فيكون كلامه عليه السّلام دليلا على بطلان القول بعدم وجود اللّون فى الظلم.

توضيح ذلك أنّ الشّيخ الرّئيس و أتباعه ذهبوا إلى أنّ الألوان غير موجوده

بالفعل فى حال كونها مظلّمه معلّلا- بأنّنا لانراها فى الظلمه فهو إمّا لعدمها أو لوجود عائق عن الابصار و الثّانى باطل لأنّ الظلمه عدميّة و الهواء نفسه غير مانع من الرّؤيه كما إذا كنت فى غاره مظلّم و فيه هواء كله على تلك الصّيفه فاذا صار المرئى مستنيرا رأيتّه و لا يمنعك الهواء الواقف بينه و بينك.

و ردّه المتأخرون بأنّه لا شك أن اللّون له مهّيّه فى نفسه و أنّه يصحّ كونه مرئيا فلعل الموقوف على وجود الضّوء هو هذا الحكم، و بالجمله للجسم مراتب ثلاث استعداد أن يكون له لون معيّن، و وجود ذلك اللون بالفعل، و كونه بحيث يصحّ أن يرى فلم لا يجوز أن يكون الموقوف على وجود الضّوء هذا الحكم الثالث لا أصل اللّون.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ معنى قوله: هو أنّ كلّ بصير غيره تعالى لا يمكن له إدراك الألوان الخفيّه أى الألوان فى حال كونها مظلّمه لانتفاء شرط الادراك الذى هو الضّوء كما أنّ الأعمى لا يمكن له إدراكها لانتفاء قوه الابصار له، فكنتى عن عدم إدراك البصير لها بالأعمى لشبهه بالأعمى فى مشاركتها فى عدم التّمكن من الادراك، و إن كان عدم التّمكن فى حقّ الأوّل من جهه انتفاء الشّروط و فى الثّانى من جهه انتفاء الآله أعنى البصر هذا.

و لعلّ المراد من لطيف الأجسام الأجسام الرّقيقه القوام كالبعوضه و الذّره و نحوهما، و لما كان بصيريّته سبحانه عباره عن علمه بالمبصرات حسبما حقّقنا أيضا فى شرح الفضل السّادس من فصول الخطبه الاولى، اختصّ العجز عن إدراك الألوان الخفيّه و الأجسام اللطيفه بغيره سبحانه و أما هو سبحانه فلا تفاوت فى علمه بين الخفيّ و الجليّ و اللّطيف و الكثيف.

«و يَعْلَمُ مَا فِى الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَشِقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٌ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ».

هذا و يشهد بما ذكرته فى تفسير معنى السّميع و البصير و الجسم اللطيف ما رواه

فى الكافى عن محمّد بن أبى عبد الله، رفعه إلى أبى هاشم الجعفرى، قال: كنت عند أبى جعفر الثانى عليه السّلام فسأله رجل فقال: أخبرنى عن الرّب تبارك و تعالى له أسماء و صفات فى كتابه إلى أن قال: فقال الرّجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعا؟ فقال:

لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع و لم نصفه بالسّمع المعقول فى الرّأس، و كذلك سمّيناه بصيرا لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالابصار من لون أو شخص أو غير ذلك و لم نصفه بصر لحظه العين، و كذلك سمّيناه لطيفا لعلمه بالشّئ اللطيف مثل البعوضه و أخفى من ذلك و موضع الشّوش منها و العقل و الشّهوه للسّفاد و الجذب على نسلها و اقام بعضها على بعض و نقلها الطعام و الشّراب إلى أولادها فى الجبال و المفاوز و الأودية و القفار.

قال بعض شارحى الحديث يعنى أنّه يعلم أعضاء البعوضه كالجنّاح و الرّجل و العين، و قواها كالسّمع و البصر، و أحوالها كالادراك و الاراده و الشّهوه و المحبّه و الشّفقه و الالفه و الغضب و النّفرة و العداوه، و أفعالها كالحركه و السّكون و السّفاد و نقل الطعام و الشّراب إلى الاولاد و غير ذلك من أمورها كموتها و حياتها و نفعها و ضرّها و آجالها و مقادير أعمارها، و أرزاقها و غيرها من لطايف صنعه و دقائق خلقه، فهو تعالى لطيف لعلمه بلطايف الامور.

(و) العاشره أنّ (كلّ ظاهر غيره غير باطن و كلّ باطن غيره غير ظاهر) يعنى أنّ من الممكنات ما هو ظاهر جلّى لا يتّصف بالبطون و الخفاء كالشّمس و القمر و نحوهما و منها ما هو باطن خفى لا يتّصف بالظهور و الجلاء كالهوى و العدم و ما تحت الثرى، و أمّا الله الحىّ القيوم العظيم الشّأن فهو متّصف بالظهور و البطون معا، فهو فى كمال ظهوره باطن و فى غايه بطونه ظاهر، بل هو أجلى الأشياء و أظهرها، و منتهى ظهوره صار سببا لخفائه.

و تحقيق ذلك على ما حقّقه صدر المتألّهين و أو ضحه بالمثال تقريبا للأفهام و تشحيذا للأذهان هو: إنّنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخطّ كان كونه حيّا عالما قادرا مريدا عندنا من أظهر الأشياء، و هذه الصّفات أجلى عندنا من سائر صفاته

الظاهره و الباطنه إذ لا نعرف بعضها كشهوته و غضبه و خلقه و صحته و مرضه، و نشك في بعضها كمقدار طوله و عرضه و لون بشرته و غير ذلك، و أمّا حياته و علمه و قدرته و إرادته فأنّه جلّيّ عندنا من غير أن يتعلّق الحسّ الظاهر بها لأنها غير محسوسه بشيء من الحواس الظاهره و ليس عليها مع هذا الوضوح و الجلاء إلّا دليل واحد و هو الكتابه أو الخياطه.

و أمّا وجود الله تبارك و تعالى و قدرته و علمه و إرادته و حياته فيشهد له جميع ما في الكون، و كلّما نشاهده أو ندركه بالحواسّ الظاهره و الباطنه من حجر و مدر و نبات و شجر و حيوان و أرض و سماء و كوكب و بحر و برّ و نار و هواء بل أوّل شاهد عليه أنفسنا و أوصافنا و تقلب أحوالنا من الصّغير و الكبّر و القوّه و الضّعف و الصّحه و السّقم و الرّضا و الغضب و الفرح و الحزن و الحبّ و البغض و الشّهوه و الكراهه و الاناه و الاراده و الرّغبه و الرّهبه و الرّجاء و اليأس إلى غير هذه.

و أظهر الأشياء في علمنا أنفسنا، ثمّ أحوالنا و محسوساتنا باحدى الحواسّ ثمّ مدركاتنا بالعقل و البصيره، و كلّ واحد من هذه المدركات له دليل واحد و شاهد واحد، و جميع ما في العالم شواهد ناطقه و أدلّه شاهده بوجود خالقها و مدبرها و دالّه على علمه و قدرته و لطفه و حكمته، فأنّه كانت حياه الكاتب ظاهره عندنا و ليس لها شاهد إلّا حرّكه يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصوّر شيء داخل نفوسنا و خارجها إلّا- و هو شاهد عليه، و ما من ذرّه إلّا تنادى بلسان حالها أنّه ليس وجودها و لا حرّكتها بذاتها و أنّها تحتاج إلى موجد و محرّك.

فاذا علمت هذا فنقول: لما لم يبق في الوجود مدرّك و لا- محسوس و لا- معقول و لا- حاضر و لا غايب إلّا و هو شاهد على وجوده معروف لعظم ظهوره فانبهرت العقول و دهشت عن إدراكه فإنّ ما يعجز عنه فهم عقولنا له علتان احدهما خفائه في نفسه كالهولي و العدم و الزّمان و الحرّكه و العدد و النّسبه و غيرها و الثانيه غايه جلّائه و وضوحه و قصور القوّه الادراكيه كمثال نور الشّمس و بصر الخفّاش، فإنّ بصره

ضعيف يبهره نور الشمس في النهار إذا أشرقت و لهذا إذا امتزج الضوء بالظلام و ضعف ظهوره أبصر بالليل.

فكذلك عقول البشر ضعيفه و جمال الحضرة الالهيه في غايه الاشرار و نهايه الشمول و الاستغراق حتى لم يشد عن ظهوره ذره من السماوات و الأرض، فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بشده ظهوره و اختفى عن البصائر باشرار نوره.

و أيضا الأشياء قد يستبان بأضدادها و ما عم وجوده و شموله حتى لا ضد له كأصل الوجود عسر إدراكه، فلو لا غروب لنور الشمس و لا احتجاب له عن بعض مواضع الارض لكننا ظننا أن لا- هيئه في الاجسام إلا سطوحها و ألوانها، و لكن لما غابت الشمس و اظلمت بعض المواضع أدركنا تفرقه بين الحالين، و عرفنا وجود النور بعدمه عند الغروب، و لو لا عدمه ما كنا نطلع عليه إلا بعسر شديد هذا.

مع أن النور أظهر المحسوسات و الله سبحانه أظهر الأشياء و به ظهرت الانوار كلها، و لو كان له عدم أو غيبه أو تغير لانهدمت الأرض و السماء و لا نعدمت الأشياء كلها و بطل الملك و الملكوت، و لادركت به الفرق بين الحاليتين، و لو كان بعض الأشياء موجودا به و بعضها موجودا بغيره لادركت التفرقه في الدلالة، و لكن وجوده دائم في الأحوال و دلالة عامه على نسق واحد في الأشياء، فلا جرم أورث شدة الظهور خفائه.

(و) الحادي عشر أنه تعالى (لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان و لا تخوف من عواقب زمان و لا استعانه) منه (على ند) و نظير (مثار) أي موائب (و لا شريك) و مثل (مكاثر) أي متعرض للغلبة (و لا ضد منافر) أي مسارع إليه بالمعادات، و المراد بذلك كله بيان أن الله سبحانه ليس لفعله داع و غرض غير ذاته، و أشار إليه بنفي أقسام الدواعي و الأغراض و ما يلحقها من العوارض و الحالات.

و البرهان على ذلك أنه تعالى لو فعل لغرض لا- يخلو إما أن يكون وجود ذلك الغرض و عدمه بالنسبه إليه على سواء أولا يكون كذلك، و الأول باطل و إلا لكان

حصول الغرض له دون عدمه ترجيحاً من غير مرجح، والثاني أيضاً باطل لأنهما إذا لم يستويا في حقه تعالى كان حصول الغرض أولى به من لا حصوله فحينئذ يكون ذاته يستفيد من فعله غرضاً معتبراً في كماله و يكون بدونه فاقد كمال و عادم مقصد فيكون ناقصاً في ذاته تعالى عن النقصان علواً كبيراً.

كيف و كلّ كمال للمعلول فائماً حصل له من جهة علّه الموجه فلا يمكن أن يرجع المعطى للكمال إلى أن يستفيد من مستفيدة شيئاً من الكمال الذى أفاده له، فقد علم علماً كلياً أنّ العلّه الفاعله ليس لها غرض و لا مقصود صحيح فى مفعوله، بل إن كان غرض و مقصد للعالى فلا بدّ أن يكون ذلك له فيما هو أعلى و أجلّ منه، فلا التفات للعالى إلى السافل بل إلى ما هو أعلى منه و إذ ليس للأوّل تعالى ما هو أعلى منه لأنّه أعلى العوالى و مبدء المبادئ فليس لفعله غايه غير ذاته، و لاله محبّه و ابتهاج بالقصد الأوّل إلّا لذاته الذى هو منبع كلّ خير و كمال، و بتوسط ابتهاجه يحبّ و يريد ما يصدر عن ذاته بالقصد الثانى لأنّ كلّ ما يصدر عن المحبوب محبوب بالتبع.

فان قيل: ليست أولويه الغرض بالنسبه إلى ذاته تعالى، بل بالنسبه إلى مخلوقاته و عبادته، فيكون غرضه تعالى فى فعله الاحسان إلى الغير و إيصال المنفعه إليه.

قيل: حصول الاحسان إلى الغير أو المنفعه أو أى شىء كان و لا حصوله إن كانا بالنسبه إلى ذاته على سواء عاد حديث الرجحان بلا مرجح، و إن كان أحدهما أولى به عاد حديث الاستكمال بغيره و النقصان فى ذاته و لكن فيه تأمل تعرف وجهه فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين فى التنبيه الذى فى ذيله، و تمام التحقيق فى كون أفعاله تعالى معلّله بالاغراض يأتى إن شاء الله هناك هذا.

و إذا عرفت أنّه سبحانه لا يفعل لغرض ظهر لك أنّ خلقه الخلق لم يكن لتشديد سلطان، و لا خوف من عواقب زمان، و لا غير ذلك ممّا ذكره عليه السّلام و ما لم يذكره، إذ كلّ ذلك اغراض زائده على ذاته مضافاً إلى قيام الدليل القاطع على نفى هذه الأغراض المخصوصه المذكوره و راء الدليل العام الذى ذكرنا و هو:

أنّ تشديد السلطان إنما يحتاج إليه ذو النقصان فى ملكه و الضّعف فى

سلطنته، و لَمَّا كَانَ تَعَالَى شَأْنُهُ هُوَ الْغَنَى الْمَطْلَق فِي كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ كَانَ كُلُّ مَا عَدَاهُ مَقْهُورًا تَحْتَ قُدْرَتِهِ نَافِذًا فِيهِ حُكْمُهُ بِالْإِجَادِ وَالْإِبْقَاءِ وَالْإِفْنَاءِ، لَمْ يَحْتَاجْ فِي سُلْطَانِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَمَّا التَّخَوُّفُ مِنْ عَوَاقِبِ الزَّمَانِ فَلَأَنَّ الضَّرَرَ وَالْإِنْتِفَاعَ وَ مَا يَلْحَقُهُمَا مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَ غَيْرَهُمَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ لَوَاحِقِ الْمُمَكِّنَاتِ الْقَابِلَةِ لِلنَّقْصَانِ وَالْكَمَالِ وَ مَا هُوَ فِي مَعْرِضِ التَّغْيِيرِ وَالزَّوَالِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَةِ وَالْفِعْلِ، وَ وَاجِبُ الْوُجُودِ بِحَسَبِ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَجُوبَ بَلَا-إِمْكَانٍ وَ وَجُودَ بَلَا-عَدَمٍ وَ تَمَامَ بَلَا-نَقْصٍ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَرَضُهُ مِنَ الْإِجَادِ دَفْعَ ذَلِكَ الْخَوْفِ عَنْ نَفْسِهِ.

وَأَمَّا الْإِسْتِعَانَةُ عَلَى الضَّدِّ وَ النَّدِّ وَ الشَّرِيكِ فَلَأَنَّ الْإِسْتِعَانَةَ هُوَ طَلِبُ الْعَوْنِ مِنَ الْغَيْرِ وَ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الضَّعْفِ وَ الْعِجْزِ وَ هُمَا مِنْ تَنَاهَى الْقُوَّةِ وَ الْقُدْرَةِ، وَ إِذْ لَا ضَعْفَ وَ لَا عِجْزَ لِكَمَالِهِ سُبْحَانَهُ قُوَّةً وَ قُدْرَةً فَلَا يَتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ الْإِسْتِعَانَةُ: وَ أَيْضًا لَا ضَدَّ لَهُ وَ لَا نَدَّ وَ لَا شَرِيكَ حَتَّى يَحْتَاجَ فِي دَفْعِهِمْ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ، وَ الْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ ضِدًّا لِخَالِقِهِ وَ لَا نَدًّا وَ لَا شَرِيكًا، بَلِ الْمَخْلُوقَاتُ يَكُونُ بَعْضُهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى بَعْضٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَ خَوَاصِّ الْمَحْدُوثِينَ.

وَ إِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ (وَ لَكِنْ خَلَائِقٌ مَرْبُوبُونَ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ) يَعْنِي وَ لَكِنَّهُمْ خَلَائِقٌ مَرْبُوبُونَ لَهُمْ رَبٌّ قَاهِرٌ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ لَهُمْ مَعْبُودٌ غَالِبٌ فَهُمْ مَقْهُورُونَ مَمْلُوكُونَ مُحْتَاجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَ لَا ضَرًّا وَ لَا مَوْتَ وَ لَا حَيَاةً وَ لَا نَشُورًا.

وَ الثَّانِيهِ عَشَرَ أَنَّهُ تَعَالَى (لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيَقَالَ هُوَ فِيهَا كَايْنٌ، وَ لَمْ يَأْنِ عَنْهَا فَيَقَالَ هُوَ مِنْهَا بَايْنٌ) يَعْنِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ وَ لَكِنْ لَا يَحْلُلُ فِيهَا، وَ أَبْعَدُ مِنْهَا مِنْ كُلِّ بَعِيدٍ وَ لَكِنْ لَا بِمُبَايْنَةٍ عَنْهَا، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا مُحَدُودًا وَ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ وَ نِهَايَةٌ فَلَا يَكُونُ حَالًا فِي مَوْضِعٍ أَوْ مَحَلٍّ وَ إِلَّا لَكَانَ وَجُودُهُ فِيهِ وَ اخْتِصَاصُهُ بِهِ كَاخْتِصَاصِ الْحَالِ بِالْمَحَلِّ وَ الْمَتَمَكِّنِ بِالْمَكَانِ، وَ ذَلِكَ

محال في حقّه إذ هو خالق المحل و المكان فيلزم افتقاره إلى ما يفتقر إليه و هو محال.

و أمّا أنّه ليس بناء عن الأشياء أى بعيد فلائنه لو كان بعيدا لزم أن يكون مباينا منها زايلا عنها، و ذلك أيضا ممتنع. لأنّ قوام الأشياء بوجوده سبحانه و ما يتقوّم به وجود الشيء لا يكون بعيدا عنه، و قد مضى تحقيق الكلام على ذلك ممّا لا مزيد عليه في شرح الفصل الخامس و السادس من فصول الخطبه الاولى عند بيان معنى قوله: و من قال فيم فقد ضمنه، و قوله: مع كلّ شيء لا بمقارنه و غير كلّ شيء لا بمزايله، فتذكّر.

و الثالثه عشر أنّه (لم يؤده) اى لم له و لم يعيه (خلق ما ابتداء) و اخترع (و لا) يكله (تدبير ما ذرء) و برء (و لا وقف به عجز عمّا خلق) حتّى اكتفى بما خلق و لم يخلق أزيد من ذلك (و لا ولجت) أى دخلت (عليه شبهه فيما قضا و قدر بل) ايجاده ما أوجد باقتضاء تامّ و حكمه بالغه و قضاؤه (قضاء متقن) خال عن التزلزل و الاضطراب (و علم محكم) برىء من فساد الشكّ و عروض الشبهه و الغلط (و امر مبرم) موثق لا- يحتمل الزيادة و النقصان و المقصود بذلك كلّ تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين و توضيح ذلك محتاج إلى تحقيق الكلام فى معنى الجملات الثلاث أمّا الأولى فالمقصود بها أنّه تعالى لا يلحقه فى خلقه ثقل و إعياء و تعب و كلل كما قال تعالى:

«أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

و قال: «وَلَا يُؤْدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ».

و إنّما لم يلحقه الامور المذكوره لأنّ خلقه سبحانه و ايجاده و تدبيره ليس بتوسط آله جسمانيه و لا استعمال رويّه نفسانيه حتّى يطرئه التعب و الانفعال و الثقل و الكلال، بل فعله الافاضه و صناعه الابداع الناشى عن محض علمه و إرادته، و نحن لو كنّا بحيث لو وجد من نفس علمنا و إرادتنا لعلنا لم يلحقنا من وجوده تعب و انفعال

لكننا نحتاج في أفعالنا إلى حركة و استعمال آله، على أن علمنا و إرادتنا زائده على ذواتنا، فالله تعالى أولى بأن لا يلحقه تغير من صنعه و إنما قال: خلق ما ابتداء ليكون سلب الاعياء عنه أبلغ إذ ما ابتداء من الأفعال يكون المشقه فيها أتم إذ الأفعال ربما يكون بسبب اعتياد الفاعل أقل اتعابا و إعياء، و تدبيره تعالى لما ذرء يعود إلى تصريفه لجميع الذوات و الأفعال و الصفات تصريفا كليا و جزئيا على وفق حكمته و عنايته من غير مباشره.

و أما الثانيه فالمراد بها أن وقوفه عما خلق و اكتفائه بما أوجد ليس بعجزه عن الزايد و فتوره بسبب ما خلق من خلق ما سواه، لأن العجز و الفتور من جهه تناهى القوه الجسمانيه و انفعالها و تأثرها مميما يمانعها في التأثير و هو منزّه عن جميع ذلك و أما الثالثه فاشاره إلى كمال علمه و امتناع طريان الشبهه عليه في مقضياته و مقدراته، و ذلك لأن الشبهه إنما تعرض العقل في الامور المعقوله الصيرفه الغير الضروريه بصحبه الوهم، لأن الوهم لا يصدق حكم العقل إلا في المحسوسات لا في المعقولات فيعارضه و يدخل الشبهه عليه في المعقولات المحضه و لا يصدق، فالعقل حال استصفاله وجه الحق فيها يكون معارضا بالأحكام الوهميه، فاذا كان المطلوب غامضا فربما كان في الاحكام الوهميه ما يشبه بعض أسباب المطلوب فيتصور النفس بصورته و يعتقد لما ليس بمبدء مبدء، فينتج الباطل في صورته المطلوب و ليس به.

و لئلا كان البارى جلّ شأنه منزّها عن صحبه القوى المتعلقه بالأبدان التي رئيسها الوهم و كان عامه لذاته لم يجز أن يعرض لقضائه و لا لقدره و صمه شبهه أو يدخل عليه شكّ و ريب، لكونها من عوارض العقل المقترنه بها، و لهذا قال:

قضاء متقن، و علم محكم، و أمر مبرم، اى ليس في قضائه تزلزل و تلعثم، و لا في علمه إمكان شبهه و تردد، و ليس لأمره رادّ و مانع.

الرابعه عشر انه تعالى هو (المأمول مع النقم المرهوب مع النعم) يعنى أن العبد لما كان حال نزول البليّه و حلول النقمه يستغفره سبحانه و يدعوه و يأمله و يفزع

إليه لدفع البليّة و رفع الرّزّيّه، كان هو المأمول له مع التّقم كما أنّه حال إفاضه النّعمه و العطيه يستعدّ بالغفله للاعراض عن شكرها، فيكون عند ذلك أهلاً- لأن ينزل عليه بواذر التّقمه من الله سبحانه كان هو المرهوب منه مع النّعم فهو المأمول و المرهوب معاً، و ما عداه فحلّول نقمته غير مجامع لامل رحمته، و قيام نعمته معاند لشمول رهبتّه، فلا مأمول و لا مرهوب في كلا الحالين سواء، و لا ملجأ و لا منجأ إلّا هو، و إلى هذا المعنى ينظر شعر الشّارح المعتزلي:

و حقّ فضلك ما استيأست من نعم تسرى إلّي و إن حلت بي التّقم

و لا أمنت نكالا منك أرهبه و إن ترادفت الآلاء و النعم

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است در بیان صفات کمال، و نعوت جلال الهی می فرماید که: حمد و ثنا خداوند معبود بحقی را سزااست که پیشی نگرفته است مر او را حالی بر حالی تا این که باشد اول پیش از آنکه باشد آخر و باشد ظاهر پیش از آنکه باشد باطن، هر نامیده شده بوحدت که غیر اوست متّصف است بصفت قلّت، و هر عزیزی که غیر اوست موصوفست بصفت ذلت، و هر صاحب قوتی که غیر اوست ضعیف است و حقیر، و هر مالکی که غیر اوست مملوکست و عبد، و هر عالمی که غیر اوست متعلمست و آموزنده، و هر قادری که غیر اوست گاهی قادر می شود و گاهی عاجز، و هر صاحب سمعی که غیر اوست عاجز است از ادراک آوازه‌های آهسته و کر میکند او را آوازه‌های بزرگ، و می رود از او آوازه‌های دور، و هر صاحب بصری که غیر اوست کور است از رنگهای خفی و پنهان و از جسمهای لطیف و رقیق القوام، و هر ظاهری که غیر اوست غیر باطن است، و هر باطنی که غیر اوست غیر ظاهر است، بلکه اوست ظاهر و باطن و آشکار و نهان

از همه گان بی نیاز و بر همه مشفقاز همه عالم نهان و بر همه پیدا

نیافرید آنچه که آفرید آنرا بجهه تقویت سلطنت و نه از برای خوف از عاقبت زمانه و نه بواسطه یاری خواستن بر دفع همتای بر جهنده و نه بر دفع شریک غلبه کننده و نه

بر دفع ضد مفاخرت نماینده، و لکن آنچه که خلق شده اند خلقانی هستند پرورش یافتگان، و بندگانی هستند خوار شدگان، حلول نکرده است خدا در چیزها تا گفته شود که حاصل است در آنها، و دور نشده است از اشیا تا گفته شود که از آنهاست جدا، عاجز و سنگین نگردانید او را آفریدن آنچه که ابتدا کرده او را در ایجاد و نه تدبیر و اصلاح حال آنچه که آفریده او را، و باز نداشت او را عجز و ناتوانی از آنچه که خلق فرمود، و داخل نشد بر او شبهه در آنچه که حکم کرده و تقدیر نمود بلکه حکم او حکمی است محکم و استوار، و علم او علمی است بغایت پایدار و امر او امریست مستحکم و باقرار، امید گرفته شده است او در حال نعمت و بلیّه، و ترسیده شده است از او در حال نعمه و رفاهیت

و من کلام له علیه السلام و هو الخامس و الستون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

كان يقول لأصحابه فی بعض أيام صفین و هو الیوم المذی كانت عشیته ليله الهیر علی ما نسبه الشارح المعتزلی إلی کثیر من الروایات أو الیوم السابع من الحرب، و كان یوم الخمیس سبع شهر صفر علی ما ستطلع علیه فی روایه نصر بن مزاحم بسنده الآتی عن أبی عمر قال: إنّه خطب هذا الیوم فقال:

معاشر الناس استشعروا الخشیه، و تجلبیوا السکینه، و عضّوا علی التّواجذ، فإنّه أنبی للسیوف عن الهام، و أكملوا اللّامه، و قلقلوا السیوف فی أعمادها قبل سلّها، و الحظوا الخزر، و اطعنوا الشّزر، و نافحوا بالظّبّا، و صلوا السیوف بالخطا، و اعلموا أنّکم بعین الله و مع ابن عمّ رسول الله صلّی الله علیه و آله، فعاودوا الکّر، و استحيوا من الفرّ، فإنّه عار فی الأعقاب،

و نار يوم الحساب، و طيوا عن أنفسكم نفسا، و امشوا إلى الموت مشيا سحجا، و عليكم بهذا السواد الأعظم، و الرّواق المطنّب، فاضربوا ثبجه فإنّ الشيطان كامن في كسره، قد قدّم للوثبه يدا، و آخر للنكوص رجلا، فصمدا صمدا حتّى يتجلّى لكم عمود الحقّ «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ».

اللغة

(المعشر) الجماعة و (الشّعار) من اللباس ما يلي شعر الجسد و (تجلببوا) مثل تدرجوا مأخوذ من الجلباب بالكسر و هو القميص أو ثوب واسع للمرأه دون المخلقه أو المخلقه(1) أو الخمار أو ثوب كالمقنعه تغطى به المرأه رأسها و ظهرها و صدرها، و فى المصباح أنّه ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء، و قال ابن فارس ما يغطى به من ثوب و غيره و الجمع الجلابيب و (السكينه) الوقار فى الحركة و التأتى فى السّير و (عضضت) اللقمة و بها و عليها أمسكتها بالانسان و (التّواجذ) جمع ناجذ و هى أواخر الأضراس تنبت بعد البلوغ و الحلم و كمال العقل، و قيل الاضراس كلّها نواجذ، و قيل هى الضواحك التى تبد و عند الضحك، و عن البارع التّواجذ للانسان و الحافر و هى من ذوات الخفّ الانياب و (نبا) السّيف عن الضّريه بتقديم النّون على الباء نبوا من باب قتل رجع من غير قطع فهو ناب و نبا السّهم عن الهدف لم يصبه و (الهام) جمع هامه و هى رأس كلّشئ.

و (اللامه) باللام و الهمزه الساكنه على وزن تمره الدّرع و قيل جمع آلات الحرب و (القلقله) التحريك و (الغمد) بالكسر جفن السّيف و (سلّ) السّيف اخراجه من الغمد و (لحظته) بالعين و لحظت إليه لحظا من باب نفع راقبته، و يقال

ص: ٢٣

نظرت إليه بمؤخر العين عن يمين و يسار و هو أشد التفاتا من الشّرر و (الخزر) بفتح الخاء و الزاء المعجمتين مصد خزرت العين خزرا من باب تعب صغرت و ضاقت، و الموجود فى النسخ الخزر بسكون الزاء و لعله لملاحظه السجعه الثانيه و (اطعنوا) بضم العين من باب قتل و بالفتح من باب نفع.

و (الشّرر) بالفتح فالسكون الطعن عن اليمين و اليسار و لا يستعمل الطعن تجاه الانسان شزرا قيل أكثر ما يستعمل فى الطعن عن اليمين خاصّه و (المنافحه) المضاربه و المدافعه و (الظبا) جمع ظبه بالتخفيف و بضمّ الظاء فيهما حدّ السيف و (صلوا) أمر من وصل الشىء بالشىء جعله متّصلا به و (الخطا) جمع خطوه بالضمّ فيهما و (الكرّ) الرّجوع و (الاعقاب) إمّا جمع عقب بالضمّ و بضمّتين أى العاقبه أو جمع عقب ككتف أو عقب بالفتح أى الولد، و ولد الولد و (السّيج) بضمّتين السّهل و (سواد) النّاس عامتهم.

و (الزّواق) ككتاب الفسطاط و الفئه و قيل هو ما بين يدى البيت و (المطنب) المشدود بالأطناب و (ثبج) الشىء بالتحريك وسطه و (كمن) من باب نصر و سمع استخفى و (كسر) الخباء بالكسر الشّقه السفلى ترفع احيانا و ترخى اخرى و (الوثبه) الطفره و (النكوص) الرجوع و (الصّمد) القصد و (انجلى) الشىء و تجلّى أى انكشف و ظهر و (و ترت) زيدا حقه و اتره من باب وعد نقصته

الاعراب

معاشر النّاس منصوب على النداء، و الخزر و الشّرر صفتان لمصدرين محذوفين اى الحظو الحظا خزر او اطعنوا طعنا شزرا، و اللام للعهد و طيبوا عن أنفسكم نفسا يقال طاب نفسى بالشىء و طبّ به نفسا إذا لم يكرهك عليه أحد و تعديته بعن لتضمين معنى التّجافى و التّجاوز، و نفسا منصوب على التّميز و لذلك وحيده لأنّ حقّ التّميز أن يكون مفردا مع الأمن من اللبس، قال البحرانى: و المراد بالنّفس الاولى الرّايه بالقتل و بالثّانيه النفس المدبره لهذا البدن، و صمدا صمدا منصوبان على المصدريه و العامل محذوف و التّكرار للتّأكيد و التّحريض، و الواو فى قوله:

المعنى

إشارة

اعلم أنّ المراد بهذه الخطبة تعليم رسوم الحرب و آدابها و الارشاد إلى كيفيته المحاربه و القتال، إذ فى مراعاتها و الملازمه عليها رجاء الفتح و الظفر من الله المتعال فقولہ (معاشر الناس استشعروا الخشيہ) أى اجعلوا الخوف و الخشيہ من الله سبحانه شعارا لكم لازما على أنفسكم لزوم الشعار على الجسد (و تجلبوا السكينه) أى اتخذوا الوقار و الطمأنينه فى السير و الحرکه غطاء لكم محيطا بكم إحاطه الجلباب بالبدن.

(و عَصُوا عَلَى التَّوَجُّدِ) و هذا الأمر إمّا محمول على الحقيقه لأنّ العَصَ يورث تصلّب الأعضاء و العضلات فتكون على مقاومه السيّيف أقدر و يكون تأثيره فيه أقلّ، و يشهد به ظاهر التعليل بقوله (فأنّه) أى العَصَ (أنبا للسيّوف عن الهام) و إمّا كناية عن شدّه الاهتمام بأمر الحرب أو الصّبر و تسكين القلب و ترك الاضطراب فأنّه أشدّ ابعادا لسيّيف العدوّ عن الرأس و أقرب إلى التّصر (و أكملوا اللأيمه) و المراد باكمالها على التفسير الأوّل أعنى كونها بمعنى الدّرع هو أن يراد عليها البيضه و السّواعد و نحوهما، و على التفسير الثانى اتخاذاها كامله شامله للجسد (و قلقلوا السيّوف فى اغمادها قبل سلّها) ليسهل السّئل وقت الحاجه، فإنّ طول مكثها فى الاغماد ربّما يوجب الصّيداء فيصعب السّئل وقت الاحتياج (و الحظوا الخزر) لأنّ النّظر بمؤخّر العين أماره الغضب كما أنّ النّظر بتمام العين إلى العدوّ علامه الفشل (و اطعنوا الشّزر) لأنّ الطعن عن اليمين و الشّمال يوسع المجال على الطاعن و أكثر المناوشه للخصم فى الحرب يكون عن يمينه و شماله، و يمكن أن تكون الفايده أنّ احتراز العدوّ عن الطعن حذاء الوجه أسهل و الغفله عنه أقلّ (و نافحوا بالظبا) قيل: المعنى قاتلوا بالسيّوف و أصله أن يقرب أحد المتقابلين إلى الآخر بحيث يصل نفح كلّ منهما أى ريحه و نفسه إلى صاحبه، و قيل: أى ضاربوا بأطراف السيّوف و فايدته أنّ مخالطه العدوّ و القرب الكثير منه يشغل عن

التَّمَكَّن من حربه، و أيضا لا يُوَثِّر الضَّرْب مع القرب المفرط كما ينبغي (و صلوا السيوف بالخطا) يعنى إذا قصرت السيوف عن الضَّريبه فتقدّموا تلحقوا و لا- تصبروا حتّى يلحقكم العدو، و هذا التّقدم يورث الرّعب فى قلب العدو، و إلى ذلك ينظر قول حميد بن ثور الهلالي:

و وصل الخطا بالسيف و السيف بالخطا إذا ظنَّ أنّ المرء ذا السيف قاصر

و قال آخر:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما و نلحقها إذا لم تلحق

و قال آخر:

و إذا السيوف قصرن طولها لنا حتّى تناول ما نريد خطانا

و قال رابع:

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فتضارب

و روى عنه عليه السّلام أنّه قيل له فى بعض الغزوات: ما أقصر سيفك؟ قال عليه السّلام:

اطوله بخطوه (و اعلّموا أنّكم بعين الله) يراكم و يسمع كلامكم و يعلم أعمالكم و يشهد أفعالكم، و هذا تمهيد للنّهى عن الفرار و تنبيه على أنّ الله سبحانه ينصرهم و يحفظهم (و) أنّه يجب عليهم الثّبت و الثّبات (مع ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم) الذى طاعته كطاعته و حربه كحربه (فاعودوا الكثر) أى الحمله و الرّجوع عند التّحرف للقتال أو التّحيز إلى فئه أو عند الفرار جبنا لو اتّفق و المراد لا تقصروا على حمله واحده لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا و احمّلوا كثره بعد اخرى (و استحيوا من الفرّ فأنّه) أى الفرار قبيح من جهتين:

إحداهما أنّه (عارفى الأعقاب) يعنى أنّه عار فى عاقبه الأمر و يتحدّث النّاس به فى مستقبل الزّمان، هذا على كون الاعقاب جمع عقب بالضّم، و أمّا على كونها جمع عقب بفتح العين فالمعنى أنّه عار فى أولادكم يعيرون به بعدكم و من هنا روى أنّ أعرايتنا رأى رجلا من أولاد أبى موسى الأشعرى يمشى و يتبختر فى مشيه، قال:

ما له كان أباه غلب عمرو بن العاص فى التّحكيم (١)

ص: ٢٦

(و) الجبهه الثانيه أنه (نار يوم الحساب) أى يوجب استحقاق النار لكونه من المعاصى الكبيره كما يشير إليه قوله سبحانه: «وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بُئْسَ الْمَصِيرُ » (و طيبوا عن أنفسكم نفسا) أى طيبوا أنفسكم متجاوزين عن نفوسكم الزايله و وطنوا قلوبكم على بذلها فى سبيل الله و ارضوا به للحياه الباقيه و اللذات الدائمه (و امشوا إلى الموت مشيا سحجا) سهلا بدون تكلف.

(و عليكم بهذا السواد الأ-عظم) أى معظم القوم المجتمعين على معاويه (و الزواق المطنب) اراد به مضرب معاويه و كان فى قبه عاليه بأطناى عظيمه، و حوله من أهل الشام و صناديدهم مأته ألف كانوا تعاهدوا أن لا ينفرجوا عنه أو يقتلوا (فاضربوا ثبجه) أى وسطه (فإن الشيطان كامن فى كسره) المراد بالشيطان إمّا معاويه أو عمرو بن العاص، و إطلاق الشيطان عليهما لشباهتهما بالشيطان فى الاضلال عن سبيل الله سبحانه، و الاظهر أن المراد به معناه الحقيقى لأنّ المعاويه كان بارزا فى الصدر لا كامنا فى الكسر إلاّ أن يكون ذلك لبيان جنبه و لا- ينافى إرادته الحقيقه قوله (قد قدّم للوثبه يدا و آخر للنكوص رجلا) لأنّ إبليس كان من رفقاء معاويه و أصحابه كان يشب لوثوبهم و يرجع برجوعهم، و يمكن أن يراد بوثبته طمعه فى غلبه أصحاب معاويه و تحريصه لهم على القتال، و بالنكوص ما يقابله (فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق) أى اقصدوهم قصدا و اصبروا على الجهاد إلى أن يظهر لكم نور الحق.

قال المجلسى: عمود الحق لعلّه للتشبيه بالفجر الأوّل، و فيه اشعار بعدم الظهور لأ-كثر القوم كما ينبغى (و أنتم الأ-علون) أى الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحقّ (و الله معكم) لأنكم أنصاره (و لن يترككم أعمالكم) أى لا ينقصكم الله جزاء أعمالكم و هذه اللفظه اقتباس من الآية الشريفه فى سوره محمّد و هو قوله سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ»

«فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ».

تكملة

هذه الخطبة مروية في البحار من كتاب بشاره المصطفى عن إبراهيم بن الحسين البصري، عن محمد بن الحسين بن عتبة، عن محمد بن أحمد بن مخلد، عن أبي المفضل الشيباني، عن محمد بن محمد بن معقل، عن محمد بن أبي الصباحي، عن البنظلي، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمه مولى عبد الله بن العباس رضى الله عنه قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما كشفت النساء ذلولهن عن مثله، لا والله ما رأيت فارسا محدثا يوزن به لرأيته يوما ونحن معه بصفين و على رأسه عمامه سوداء و كأن عينيه سراجا سليط يتوقدان من تحتها يقف على شردمه يخصمهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم و طلعت خيل لمعاويه تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب، فاقشعر الناس لها لما رأوها و انحاز بعضهم إلى بعض فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

فيم النخع و الخنع يا أهل العراق هل هي إلا- أشخاص ماثله فيها قلوب طائره لو مسها قلوب أهل الحق لرأيتموها كجراد بقيعه سفته الريح في يوم عاصف، ألا- فاستشعروا الخشية فتجلببوا السكينة و ادرعوا الصبر و خضوا الأصوات و قلقوا الأسياف في الاغمداد قبل السلّة و انظروا الشزر و اطعنوا الوجر و كافحوا بالظبا و صلوا السيوف بالخطا، و النبال بالزماح، و عاودوا الكرّ و استحيوا من الفرّ فانه عار في الأعقاب، و نار يوم الحساب، و طيبوا عن أنفسكم نفسا، و امشوا إلى الموت مشيه سحجا، فانكم بعين الله عزّ و جلّ و مع أخى رسول الله.

و عليكم بهذا السرادق الأولم، و الرواق المظلم، فاضربوا ثبجه فانّ الشيطان راقد في كسره نافش حضيئه مفترش ذراعيه، قد قدّم للوثبه يدا و آخر للنكوص رجلا، فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحقّ و أنتم الأعلون و الله معكم و لن

يتركهم أعمالكم، ها أنا شاد فشدوا بسم الله حم لا ينصرون.

ثم حمل عليهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ذريته حملة و تبعه خويله لم تبلغ الماء فارس فأجالهم فيها جولان الرّحى المسرحه بنفالهها، فارتفعت عجاجه منعنى النظر، ثم انجلت فأثبت النظر فلم نر إلا رأسا نادرا و يدا طايحه، فما كان بأسرع أن ولوا مدبرين كأنهم حمر مستنفره فرّت من قسوره، فاذا أمير المؤمنين عليه السّلام قد أقبل و سيفه ينطف و وجهه كشق القمر و هو يقول:

«فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ».

و رواها فى البحار أيضا من تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن ابن عباس نحوه، و لا- بأس بتفسير بعض ألفاظها الغريبه فأقول «السليط» الزّيت «و النخع و الخنع» الدّلّ و الخضوع «و المائله» القائمه أو المتمثله بالمشبهه بالانسان و فى بعض النسخ مائله من الميل أى عادله عن الحقّ فيها «قلوب طائره» أى من الخوف و «سفت» الرّيح التراب بالتخفيف ذرته و «القيعه» الأرض المستوى و «الوجر» بالجيم و الرّاء المهمله قال فى القاموس أو جره الرّمح طعنه به فى فيه و «المكافحه» المضاربه و المدافعه تلقاء الوجه و «النبال بالرّماح» أى ارموهم بالنبال فاذا قربتم فاستعملوا الرّماح و العكس أظهر أى إذا لم تصلوا الرّماح فاستعملوا النبال كأنكم و صلتموها بها فيكون النسب بالفقره السّابقه و «الاولم» الأسود صوره أو معنا كالمظلم «نافش» حضنيه فى بعض النسخ نافج و هو الأظهر لأنّ الأوّل غير مناسب للمقام يقال نفجت الشىء رفعته و كنى به عن التعظم و التكبر و «شدّ» فى الحرب يشدّ بالكسر حمل على العدو «و حم لا ينصرون» عن ابن الأثير فى النهايه فى حديث الجهاد إذ أبيتم فقولوا حم لا ينصرون، قيل معناه اللهم لا ينصرون و يريد به الخبر لا الدّعاء و إلا لقال لا ينصروا مجزوما، فكأنه قال و الله لا ينصرون، و قيل إنّ السور التى أولها حم سور لها شأن فنبه أنّ ذكرها لشرف شأنها مما يستظهر به على استئزال

النصر من الله، وقوله لا ينصرون كلام مستأنف كأنه حين قال قولوا حم قيل ما ذا يكون إذا قلناها قال لا ينصرون و «الخويله» إما تصغير الخيل على غير قياس أو تصغير الخول بمعنى الخدم والحشم و «الثفال» جلده تبسط تحت رحي اليد ليقع عليها الدقيق و يسمى الحجر الأسفل ثقالا بها و «العجاجة» الغبار و «ندر» الرأس سقط و «طاح» يطوح و يطيح هلك و أشرف على الهلاك و ذهب و سقط و «القسوره» الاسد و «سيفه ينطف» أى يقطر دما و «الشقه» بالكسر القطعه المشقوقه و نصف الشئ إذا شق.

تذييل

قد مضى طرف من وقائع صفين فى شرح بعض الخطب السابقه، فذكرنا فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السادسه و العشرين كيفيه ارسال أمير المؤمنين جرير ابن عبد الله البجلي إلى معاويه بالرساله و كيفيه بيعه عمرو بن العاص لمعاويه، و فى شرح كلامه الثالث و الأربعين تفصيل قصه جرير و مكالماته مع معاويه و يأسه من بيعته حتى رجع إلى العراق و انجر الأمر إلى حرب صفين، و فى شرح الخطبه الثامنه و الأربعين كيفيه خروج أمير المؤمنين عليه السلام من كوفه متوجها إلى صفين، و فى شرح الخطبه الاحدى و الخمسين نزوله عليه السلام بصفين و غلبه أصحاب معاويه على الشريعه و فتح الفرات، و فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين قصه ليله الهرير و كيفيه التحكيم إلى آخر الحرب.

فأحببت أن أورد هنا بقيه تلك الوقعه و هى من فتح الشريعه إلى ليله الهرير لاقتضاء المقام ذلك و ليكون شرحنا ذلك مشتملا على تمام تلك الوقعه و لو اجمالا و يستغنى الناظر به عن الرجوع الى غيره و لا يشذ عنه جمل تلك الوقعه.

فأقول: روى المحدث العلامة المجلسى فى البحار و الشارح المعتزلى جميعا من كتاب صفين لنصر بن مزاحم أنه وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنه سبع و ثلاثين.

قال نصر: و لما ملك أمير المؤمنين الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركه

فيه و المساهمه رجاء أن يعطفوا إليه و استماله لقلوبهم و إظهارا للمعدله و حسن السيره فيهم، مكث أيًا ما لا يرسل إلى معاويه و لا يأتيه من عند معاويه أحد و استبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال و قالوا: يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا و نساتنا بالكوفه و جننا إلى أطراف الشام لتتخذها وطنًا، ائذن لنا في القتال فإنّ الناس قد قالوا قال عليه السّلام ما قالوا؟ فقال قائل منهم إنّ الناس يظنون أنّك تكره الحرب كراهيّه للموت و أنّ من الناس من يظنّ أنّك في شكّ من قتال أهل الشام.

أقول: فأجابهم بجواب مرّ ذكره فيما سبق و هو الكلام الرابع و الخمسون.

قال نصر: فقال عليه السّلام و متى كنت كارها للحرب قط إنّ من العجب حبّي لها غلاما و يفعأ و كراحتى لها شيخا بعد نفاذ العمر و قرب الوقت و أمّا شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصره فو الله لقد ضربت هذا الامر ظهرا و بطنا فما وجدت أن يسعني إلّا القتال أو أن أعصى الله و رسوله و لكنني استأني(١) بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدى فيهم طايفه فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لي يوم خيبر:

لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك ممّا طلعت عليه الشمس.

قال نصر: فبعث عليّ إلى معاويه بشر بن عمرو و سعيد بن قيس و شيث بن ربيع فقال اتتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعه و الجماعه و إلى اتباع أمر الله سبحانه، فقال شيث يا أمير المؤمنين ألانطمعه في سلطان توليه اياه و منزله يكون له بها اثره عندك إن هو بايعك؟ قال: اتتوه الآن و القوه و احتجّوا عليه و انظروا ما رأيه في هذا، فدخلوا عليه فابتدأ بشر بن عمرو بن محصن فحمد الله و أثني عليه و قال:

أمّا بعد يا معاويه فإنّ الدّنيا عنك زايله و انك راجع إلى الآخره و أنّ الله مجازيك لعملك و محاسبك بما قدمت يداك، و إنّني انشدك الله أن تفرّق جماعه هذه الامه و أن تسفك دماؤها بينها.

فقطع معاويه عليه الكلام فقال: فهلاّ أوصيت صاحبك؟ فقال: سبحان الله إنّ صاحبي ليس مثلك صاحبي أحقّ الناس بهذا الأمر في الفضل و الدّين و السّابقه في

ص: ٣١

الاسلام و القرابه من الرسول، قال معاويه فتقول ما ذا! قال: أدعوك إلى تقوى ربك و إجابته ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك و خير لك في عاقبه أمرك قال و بطل دم عثمان لا و الرحمن لا أفعل ذلك ابدا.

فذهب سعيد بن قيس ليتكلم فبدره شبت بن ربيع فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

يا معاويه قد فهمت ما رددت على ابن محصن أنه لا يخفى علينا ما تطلب إنك لا تجد شيئا تستغوى به الناس و لا شيئا تستميل به أهوائهم إلا- أن قلت لهم قتل امامكم مظلوما فهلّموا نطلب بدمه فاستجاب لك سفله طغام رذال، و قد علمنا أنك بطأت عنه بالنصر و أحببت له القتل لهذه المنزله التي تطلب، و ربّ مبتغ أمرا و طالب له يحول الله دونه و ربّما أوتى المتمنى امنيته و ربّما لم يؤتها، و و الله مالك في واحده منهما خير، و الله إن أخطاك ما ترجو أنك لشّر العرب حالا و لئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحقّ صلى النار، فاتق الله يا معاويه ودع ما أنت عليه و لا تنازع الأمر أهله.

فحمد معاويه الله و أثنى عليه و قال: أمّا بعد، فإنّ أوّل ما عرفت به سفهك و خفه علمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقه ثم عتبت بعد فيما لا- علم لك به، و لقد كذبت و لؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافى فى كلّ ما وصفت، انصرفوا من عندى فإنه ليس بينى و بينكم إلا السيف و غضب.

فخرج القوم و شبت يقول: أعلينا تهوّل بالسيف أما و الله لنعجلنه إليك، قال نصر: خرج قراء أهل العراق و قراء أهل الشام فعسكروا فى ناحيه صفيين فى ثلاثين ألفا.

قال: و عسكر على السلام على الماء و عسكر معاويه فوقه على الماء و مشى القراء بين على و معاويه، منهم عبيده السلماني، و علقمه بن قيس النخعي، و عبد الله بن عتبه، و عمار بن عبد القيس فدخلوا على معاويه فقالوا: يا معاويه ما

الذى تطلب؟ قال: اطلب بدم عثمان، قالوا: مَن تطلب بدم عثمان؟ قال: أطلبه من على، قالوا أو على قتله؟ قال: نعم هو قتله و آوى قتلته، فانصرفوا من عنده فدخلوا على على و قالوا: إن معاوية زعم أنك قتلت عثمان، قال: اللهم لكذب على لم أقتله.

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال: إن لم يكن قتله فقد أمر و مالا، فرجعوا إليه و قالوا: يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت و ما لئت على قتل عثمان فقال: اللهم لكذب فيما قال، فرجعوا إلى معاوية فقالوا: إن علينا يزعم أنه لم يفعل، فقال معاوية: إن كان صادقا فليقدنا من قتله عثمان فأنهم فى عسكره و جنده و أصحابه و عضده فرجعوا إلى على فقالوا: إن معاوية يقول لك إن كنت صادقا فادفع إلينا قتله عثمان أو مكنا منهم، فقال لهم: إن القوم تأولوا عليه القرآن و وقعت الفرقة و قتلوه فى سلطانه و ليس على ضربهم قود فخصم على معاوية.

فقال لهم معاوية: إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتز الأمر دوننا على غير مشوره منا و مَن ههنا معنا، فقال: على عليه السلام إن الناس تبع المهاجرين و الأنصار و هم شهود للمسلمين فى البلاد على ولاتهم و امراء دينهم، فرضوا بى و بايعونى و لست استحل أن أدع ضرب معاوية يحكم على هذه الامه و يزيهم و يشق عصاهم، فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال: ليس كما يقول فما بال من هو منا من المهاجرين و الأنصار لم يدخلوا فى هذا الأمر، فانصرفوا إليه عليه السلام فأخبروه بقوله، فقال: و يحكم هذا للبدرين دون الصّحابه و ليس فى الأرض بدرى إلا و قد بايعنى و هو معى او قد أقام و رضى فلا يعزكم من أنفسكم و دينكم قال نصر: فراسلوا بذلك ثلاثه أشهر ربيع الآخر و جماديين و هم مع ذلك يفرغون الفرغه فيما بينهما و يرجف بعضهم إلى بعض و يحجز القراء بينهم.

قال: فرغوا فى ثلاثه أشهر خمسا و ثمانين فرغه كل فرغه يرجف بعضهم الى بعض و يحجز القراء بينهم لا يكون بينهم قتال.

قال نصر: خرج أبو امامه الباهلى و أبو الدرداء فدخلا على معاوية فقالا: يا

معاويه على م تقاتل هذا الرجل فو الله لهو أقدم منك سلما و أحقّ منك بهذا الأمر و أقرب من رسول الله فعلى م تقاتله؟ اقاتله على دم عثمان و أنّه آوى قتلته فقولوا له فليقدنا من قتلته و أنا أوّل من بايعه من أهل الشّام.

فانطلقوا إلى على فأخبروه بقول معاويه فقال عليه السّلام: إنّما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفا و أكثر متسربلين الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق فقالوا: كلّنا قتله فان شاءوا فليروموا ذلك منّا، فرجع أبو امامه و أبو الدرداء فلم يشهدا شيئا فى القتال حتّى إذا كان رجب و خشى معاويه أن يتابع القراء عليا أخذ فى المكر و أخذ يحتال للقراء.

قال: فكتب فى سهم من عبد الله النّاصح أنّى اخبركم أنّ معاويه يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذرکم، ثم رمى بالسّهم فى عسكر علىّ فوق السّهم فى يد رجل فقراه ثم أقرئه صاحبه فلما قرأه و قرأه النّاس و قرأه من أقبل و أدبر قالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاويه فلم يزل السهم يقرأ و يرتفع حتّى رفع إلى علىّ عليه السّلام.

و قد بعث معاويه مأتى رجل من العمله إلى عاقول من النهر بأيديهم المزور و الزمل يحفرون فيها بحيال عسكر علىّ، فقال علىّ: و يحكم إنّ الذى يعالج معاويه لا يستقيم له و لا عليه إنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتھوا عن ذلك و دعوه، فقالوا له و الله يحفرون و الله لنرتحلن و إن شئت فأقم، فارتحلوا و صعدوا بعسكرهم مليّا و ارتحل علىّ فى اخريات النّاس و هو يقول:

فلو أنّى أطعت عصمت (١) قومى إلى ركن اليمامة (٢) أو شام

و لكنّى متى ابرمت امرا منيت بخلف آراء الطغام (٣)

قال فارتحل معاويه و نزل بمعسكر علىّ الذى كان فيه، فدعا علىّ عليه السّلام الأشتر

ص: ٣٤

١- (١) و روى عصبت بدله منه.

٢- (٢) اليمامة ناحيه من الحجاز و اليمن و الشام على فعال الشامى كاليمان، بحار.

٣- (٣) الطغام بالغين المعجمه - اوغاد الناس.

فقال: ألم تغلبنى على رأيي أنت والأشعث برأيكما، فقال الأشعث أنا أكفيك يا أمير المؤمنين سأداوى ما افسدت اليوم من ذلك، فجمع كنده فقال لهم: يا معشر كنده لا تفضحوني اليوم ولا تخزوني فأنما أنا قارع بكم أهل الشام، فخرجوا معه رجاله يمشون وبيده رمح له يلقيه على الأرض ويقول، امشوا قيس رمحي هذا، فيمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه و يمشون معه حتى أتى معاويه وسط بنى سليم واقفا على الماء، وقد جاءه أداني عسكره.

فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء ساعه و انتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، و أقبل الأشتر في جنده من أهل العراق فحمل إلى معاويه و الأشعث يحارب في ناحيه اخرى فانحاز معاويه في بنى سليم فردّو اوجوه إبله قدر ثلاث فراسخ، ثم نزل و وضع أهل الشام أثقالهم و الأشعث يهدر و يقول ارضيتك يا أمير المؤمنين و قال الأشتر يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء.

قال نصر: و كان كلّ واحد من عليّ و معاويه يخرج الرّجل الشريف في جماعه و يقاتل مثله و كانوا يكرهون أن يزاحفوا بجميع الفيلق مخافه الاستيصال و الهلاك، فاقتتل الناس ذا الحجه كلّهم فلما انقضى تداعوا إلى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضى المحرم لعل الله أن يجرى صلحا او اجتماعا، فكفّ الناس في المحرم بعضهم عن بعض.

قال نصر: حدّثنا عمر بن سعد عن أبي المجاهد عن المحل بن خليفه، قال: لما توادعوا في المحرم اختلفت الرّسل فيما بين الرّجلين رجاء الصّلاح، فأرسل عليّ إلى معاويه عدى بن حاتم، و شيث بن ربيع، و يزيد بن قيس، و زياد بن حفصه فلمّا دخلوا عليه حمد الله تعالى عدى بن حاتم و أثني عليه و قال أمّا بعد:

فقد اتيناك لدعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا و امّتنا و يحقن دماء المسلمين ندعوك إلى أفضل النّاس سابقه و أحسنهم في الاسلام آثارا، و قد اجتمع له النّاس و قد أرشدهم الله بالذى رأوا و اوتوا فلم يبق أحد غيرك و غير من معك، فانت يا معاويه من قبل أن يصيبك الله و أصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصلحاً هيئات يا عدو أنى لابن حرب ما يقعقع (١) لى بالشنآن، أما والله إنك من المجلبين على عثمان وإنك لمن قتلته وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله فقال له شيث بن ربيع وزياد بن حفصه و تنازعا كلاماً واحداً: أتيناك فيما يصلحنا وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال، دع ما لا ينفع من القول والفعل وأجينا فيما يعمننا وإياك نفعه.

و تكلم يزيد بن قيس فقال: إنا لم نأتك إلا لنبلغك الذى بعثنا به إليك ولنؤدى عنك ما سمعناه منك ولم ندع أن ننصح لك وأن نذكر ما ظننا أن لنا فيه عليك حجه أو أنه راجع بك إلى الالفه والجماعه، إن صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ولا- أظنه يخفى عليك أن أهل الدين والفضل لا- يعدلونك بعلى ولا- يساوون بينك وبينه، فأتق الله يا معاوية ولا تخالف علياً فأن الله ما رأينا رجلاً قط أعلم بالتقوى ولا أزهى فى الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها منه فحمد الله معاوية وأثنى عليه وقال: أما بعد فأتكم دعوتكم إلى الجماعه والطاعه فأما التى دعوتكم إليها فنعماهى وأما الطاعه لصاحبكم فأن لا ترضى به إن صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وأوى ثارنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن لا نرد ذلك عليه أرايتم قتله صاحبنا أستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعه والجماعه فقال له شيث: ايسرك بالله يا معاوية إن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته؟ قال:

و ما يمنعنى من ذلك، والله لو أمكننى صاحبكم من ابن سمية ما أقتله بعثمان، ولكن كنت أقتله بنائله مولى عثمان، فقال شيث: وإله السيماء ما عدلت معدلاً ولا الذى لا إله إلا هو لا يصل إليك قتل ابن ياسر حتى يندر الهام عن كواهل الرجال، وتضييق الأرض الفضاء

ص: ٣٦

١- (١) الققععه تحريك الشىء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره والشنان جمع الشن وهى القربه اليابسه وهم يحركونها اذا ارادوا حث الابل على السير لتفزع فتسرع، بحار

عليك بما رحبت.

فقال معاوية: إذا كان ذلك كانت عليك أضييق ثم رجع القوم عن معاوية فبعث معاوية إلى زياد بن حفصه من بينهم فأدخله عليه فحمد معاوية الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أخا ربيعه فإن علياً قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قتلته وإننى أسألك النصرة عليه باسرتك وعشيرتك، ولك على عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أولئك أى المصرين أحببت.

قال زياد: فلمّا قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: أما بعد فأنى لعلى بينه من ربى وبما أنعم الله على فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ثم قمت فقال معاوية لعمر بن العاص وكان إلى جانبه: ما لهم غضبهم الله ما فى قلوبهم ما قلبهم إلا قلب رجل واحد قال نصر: وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى على وشرجيل بن السمط ومعن بن يزيد فدخلوا عليه، فتكلم حبيب وحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفه مهدياً يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمر الله فاستثقلت حياته واستبطأت وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتله عثمان لنقتلهم به، فان قلت إنك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم هذا شورى بينهم يول الناس أمرهم من أجمع رأيهم عليه.

فقال له على عليه السلام: ومن أنت لا أم لك والولايه والعزل والدخول فى هذا الأمر اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل لذاك، فقام حبيب بن مسلمة وقال والله لترانى حيث تكره، فقال على وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوب و صعد ما بدا لك فلا أبقي الله لك إن أبقيت، فقال شرجيل بن السمط إن كلمتك فلعمري ما كلامى لك إلا نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذى أجبتة؟ قال: نعم، قال فقله، فحمد على الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله فانقذ به من الضلاله ونعش به من الهلكه وجمع به بعد الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه فاستخلف الناس ابا بكر ثم

استخلف أبو بكر عمر، فأحسننا السيرة و عدلا في الامّة و قد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا و نحن آل الرسول و أحقّ بالأمر فغفرنا ذلك لهما، ثمّ ولى أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فساء إليه ناس فقتلوه ثمّ أتانى الناس و أنا معتزل أمرهم فقالوا لى: بايع فأبيت عليهم، فقالوا لى:

بايع فإنّ الامّة لا ترضى إلّا بك و إنّنا نخاف إن لم تفعل تفرّق الناس، فبايعتهم فلم يرعنى إلّا شقاق رجلين قد بايعا و خلاف معاويه إيّاى الذى لم يجعل الله له سابقه فى الدّين و لا سلف صدق فى الاسلام، طليق بن طليق، و حزب من الأحزاب، لم يزل لله و لرسوله عدوّا هو و أبوه حتّى دخلا- فى الاسلام كارهين مكرهين فيا عجباً لكم و لانقيادكم تدعون إلى «اهل» بيت نبيكم الذين لا ينبغى شقاقهم و لا خلافهم و لا أن تعدلوا به أحدا من الناس إنّى أدعوكم إلى كتاب الله عزّ و جلّ و سنّه نبيكم و إماته الباطل و إحياء معالم الدّين، أقول قولى هذا و أستغفر الله لنا و لكلّ مؤمن و مؤمنة و مسلم و مسلمة.

فقال له شرجيل و معن بن يزيد: أشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فقال: لا أقول ذلك، قالوا: فمن لا يشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء، ثمّ قاما فانصرفا فقال عليّ:

«إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَ مَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ».

ثمّ أقبل على أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء فى ضلالتهم بأولى بالجدّ منكم فى حقكم و طاعة إمامكم ثمّ مكث الناس إلى انسلخ المحرّم فلما انسلخ و استقبل الناس صفرا من سنه سبع و ثلاثين بعث عليّ نفرا من أصحابه حتّى إذا كانوا فى عسكر معاويه بحيث يسمعونهم الصّوت قام مرثدين الحرث (يزيد بن الحارث خ) الخثيمى(1)

ص: ٣٨

فنادى عند غروب الشمس: يا أهل الشام إن أمير المؤمنين عليا و أصحاب رسول الله يقولون لكم: إنا و الله لم نكف عنكم شكافى أمركم و لا إبقاء عليكم و إنما كففنا عنكم لخروج المحرم، و قد انسلخ، و إنا قد نبذنا إليكم على سواء فإن الله لا يحب كيد الخائنين، قال فसार الناس إلى رؤسائهم و امرائهم.

قال نصر: و أما روايه عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي الزبير أن نداء ابن مرثد الخثعمى كانت صورته: يا أهل الشام ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم. إني قد استأنيت لكم لتراجعوا إلى الحق و تنبوا إليه احتججت عليكم بكتاب الله و دعوتكم إليه، فلم تتناها عن طغيان، و لم تجيوا إلى حق، فأنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين قال: فसार الناس إلى رؤسائهم و خرج معاويه و عمرو بن العاص يكتبان الكتائب و يعبان العسكر، و أوقدوا النيران و جاءوا بالشموع و بات على ليلته تلك كلها يعبى الناس و يكتب الكتائب و يدور فى الناس و يحرضهم قال نصر: فخرجوا أول يوم من صفر سنة سبع و ثلاثين و هو يوم الأربعاء فاقتتلوا، و على من خرج يومئذ من أهل الكوفة الاشر، و على أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالا شديدا جل النهار، ثم تراجعوا و قد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج فى اليوم الثانى هاشم بن عتبة فى خيل و رجال حسن عددها و عدتها، فخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمى، فاقتتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل و الرجال على الرجال ثم انصرفوا و قد صبر القوم بعضهم لبعض و خرج فى اليوم الثالث عمار بن ياسر و خرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشد قتال كان، و جعل عمار يقول: يا أهل الاسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عاد الله و رسوله و جاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه و ينصر رسوله أتى إلى النبى فأسلم و هو و الله فيما يرى ذاهب غير راغب، ثم قبض الله رسوله، و إنا و الله لنعرفه بعداوه المسلم و موّده المجرم، ألا و إنه معاويه فقاتلوه و العنوه، فأنه ممن يطفى نور الله و يظهر أعداء الله

قال: و كان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل فى الخيل فحمل فصبروا له، و شدّ عمار فى الرّجاله فأزال عمرو بن العاص عن موقفه و رجع الناس يومهم ذلك.

قال نصر: و حدّثنى أبو عبد الرحمن المسعودى، عن يونس الأرقم، عن حدّثه من شيوخ بكر بن وائل، قال: كنّا مع علىّ بصفين فرفع عمرو بن العاص شقه خميصه سوداء فى رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله، فلم يزالوا يتحدّثون حتّى وصل ذلك إلى علىّ فقال: أ تدرّون ما هذا اللّواء إنّ عمرا أخرج له رسول الله هذه الشّقه فقال: من يأخذها بما فيها، فقال عمرو ما فيها يا رسول الله؟ فقال: لا تقاتل بها مسلما و لا تقرّ بها من كافر، فأخذها فقد و الله قربها من المشركين و قاتل بها اليوم المسلمين، و الذى فلق الحبه و برء النّسمه ما أسلموا و لكنّهم استسلموا و أسروا الكفر، فلما وجدوا أعوانا أظهره قال نصر: فأمّا اليوم الرّابع فإنّ محمّد بن الحنفية خرج فى جمع من أهل العراق فاخرج إليه معاويه عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى جمع من أهل الشام، فاقتتلوا، ثمّ إنّ عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمّد بن الحنفية أن اخرج إلى ابارزك، فقال: نعم ثمّ خرج إليه فبصر بهما علىّ عليه السّلام فقال: من هذان المتبارزان؟ قيل: محمّد بن الحنفية و عبيد الله بن عمر فحرّك دابته ثمّ دعا محمدا إلى فجاءه فقال أمسك و ابى فأمسكها فمشى راجلا بيده سيفه نحو عبيد الله و قال له: ابارزك فهلّم إلىّ قال: لا ابارزك، ثمّ رجع إلى صفه فرجع علىّ عليه السّلام فقال ابن الحنفية: يا أبت لم تمنعنى من مبارزته فو الله لو تركتنى لرجوت أن أقتله، قال: يا بنى لو بارزته أنا لقتلته و لو بارزته أنت لرجوت لك أن تقتله و ما كنت آمن أن يقتلك، فقال: يا أبت أتبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللّيم عدوّ الله، و الله لو أبوه يسألك المبارزه لرغبت بك عنه قال نصر: و أمّا اليوم الخامس فانه خرج فيه عبيد الله بن العباس فخرج إليه الوليد بن عقبه فأكثر من سب بنى عبد المطلب و قال: يا بن عباس قطعتم أرحامكم و قتلتم إمامكم فكيف رأيتم صنع الله بكم لم تعطوا ما طلبتم و لم تدرّكوا ما أملتكم، فأرسل

إليه ابن عباس ابرز إلى فابى أن يفعل، وقاتل ابن عباس ذلك اليوم قتالا شديدا ثم انصرفوا وكل غير غالب و خرج ذلك اليوم سمره بن أبرهه بن الصباح الحميرى فلهق بعللى عليه السلام فى ناس من قراء أهل الشام ففت (١) ذلك فى عضد معاويه و عمرو بن العاص و قال عمرو: يا معاويه إنك تريد أن تقتل بأهل الشام رجلا من محمد صلى الله عليه و آله قرابه قريبه و رحم ماسه و قدم فى الاسلام ليس لأحد مثله و قد سار إليك بأصحاب محمد المعد و دين و فرسانهم و قرائهم و أشرافهم و قدمائهم فى الاسلام، و لهم فى النفوس مهابه و مهما نسيت فلا تنس فانك على الباطل و إن عليا على الحق فبادر الأمر قبل اضطرأ به عليك، فقام معاويه فى أهل الشام خطيبا و حثهم على القتال فخطب على عليه السلام أصحابه.

قال نصر: قال أبو (ابن خ) سنان الأسلمى كأنى أنظر إليه متكئا على قوسه و قد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و هم يلونه كأنه أحب أن يعلم الناس أن أصحابه متوافرون معه فقال بعد حمد الله و الثناء عليه أما بعد:

فإن الخيلاء من التجبر و إن النخوه من التكبر و إن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل، الا إن المسلم أخ المسلم فلا تنابدوا و لا تجادلوا ألا إن شرايع الدين واحده و سبله قاصده، من أخذ بها لحق و من فارقها محق و من تركها مرق، ليس المسلم بالخائن إذا او من، و لا بالمخلف إذا وعد، و لا الكاذب إذا نطق، نحن أهل بيت الرحمه، و قولنا الصدق، و فعلنا القصد، و منا خاتم النبيين، و فينا قاده الاسلام، و فينا حملة الكتاب، أدعوكم إلى الله و إلى رسوله و إلى جهاد عدوه و الشده فى أمره و ابتغاء مرضاته و إقام الصلاة، و ايتاء الزكاه، و حج البيت و صيام شهر رمضان، و توفير الفىء على أهله

ص: ٤١

ألا- وإن من أعجب العجايب ان معاويه بن أبى سفيان الاموى و عمرو بن العاص السهمى أصبحا يحرضان على طلب الدين بزعمهما، و لقد علمتم أنى لم أخالف رسول الله صلى الله عليه و آله قط، و لم أعصه فى أمر قط، أقيه بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال، و ترعد منها الفرائض بنجده أكرمنى الله سبحانه بها و له الحمد.

و لقد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و إن رأسه لفى حجرى، و لقد و لیت غسله بيدي و حدى يقبله الملائكة المقربون معى، و أيم الله ما اختلف أمه بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله.

قال أبو سنان. فاشهد لقد سمعت عمار بن ياسر يقول: أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم إن الامه لم تستقم عليه أولا، و لن تستقيم عليه آخرا.

قال نصر: قال زيد بن وهب: إن عليا عليه السلام قال فى هذه الليلة: حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا، فقام فى الناس عشية الثلاثاء بعد العصر فقال:

الحمد لله الذى لا يبرم ما نقض، و لا ينقض ما أبرم، و لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الامه، و لا من خلقه، و لا تنازع البشر فى شىء من أمره، و لا جحد المفضول ذا الفضل فضله، و لقد ساقتنا و هولاء القوم الأقدار حتى لفت بيننا فى هذا الموضع و نحن من ربنا بمرئى و مسمع، و لو شاء لعجل النقمه و لكان منه التغير حتى يكذب الله الظالم و يعلم الحق أين مصيره، و لكنه جعل الدنيا دار الأعمال، و جعل الآخرة دار الجزاء و القرار، ليجزى الذين أساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

ألا- إنكم لا تقوا العدو غدا إنشاء الله فأطيلوا الليلة القيام، و أكثروا تلاوه القرآن، و اسألوا الله الصبر و النصر، و القوهم بالجد و الحزم، و كونوا صادقين.

قال: فوثب الناس إلى رماحهم و سيوفهم و نبالهم يصلحونها، و خرج عليه السلام فعبى الناس ليلته تلك كلها حتى أصبح، و عقد الألويه و أمر الامراء و بعث إلى أهل الشام مناديا ينادى اغدوا على مصافكم، فضج أهل الشام فى معسكرهم و اجتمعوا إلى معاويه فعبى خيله و عقد ألويته و أمر امرائه و كتب كتائبه، و كان أهل الشام

أكثر من أهل العراق بالضَّعْف، و نصب لمعاويه منبر فقعد عليه في قُبّه ضربها ألقى عليها الثياب و الارائك و أحاط به أهل اليمن، و قال لا تقرّبَن هذا المنبر أحد لا تعرفونه إلّا قتلتموه كائنًا من كان.

ثمّ تناهض القوم سادس صفروا قتلوا إلى آخر نهارهم و انصرفوا عند المساء و كلّ غير غالب، فأما اليوم السّابع فكان القتال فيه شديداً و الخطب عظيمًا، و كان عبد الله بن بديل الخزاعي على ميمنه العراق، فزحف نحو حبيب بن مسلمة و هو على مسيره أهل الشّام حتّى اضطرهم إلى قُبّه معاويه وقت الظهر.

قال نصر: و حدّثنا عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي عمرو عن أبيه أنّ عليًا خطب هذا اليوم فقال: معاشر النّاس استشعروا الخشيّة و تجلببوا السّكينة إلى آخر ما مر في المتن.

و روى نصر باسناده المذكور أيضًا أنّه خطب ذا اليوم و قال: أيّها النّاس إنّ الله تعالى ذكره قد دلّكم على تجاره تنجيكم من العذاب، و تشفى بكم على الخير، إيمان بالله و رسوله و جهاد في سبيله، و جعل ثوابه مغفره الذّنوب و مساكن طيِّبه في جنات و رضوان من الله أكبر و أخبركم بالذي يحبّ فقال: إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص و قدموا الدراع و أخروا الحاسر(١) و عضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسّيوف عن الهام، و أربط للجاش و أسكن للقلوب و أميتوا الأصوات فإنّه أطرّد للفشل و اولى بالوقار و التّوفا في أطراف الرّماح فإنّه أمور للاستّ و رايتكم فلا- تميلوها و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم المانعى الدّمار(٢) و الصّبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفون برايتكم و يكتنفونها، يضربون خلفها و أمامها و لا تضيّعوها.

و هلاّ أجزء كلّ أمره مسلم منكم قرنه و واسا أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى

ص: ٤٣

١- (١) الحاسر من لا مغفر له و لا درع له و لا جنه له، ق

٢- (٢) الدمار بالكسر ما يلزمك حفظه و حمايته، ق

أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فكسب بذلك اللاتمه و يأتي به دنائه أنى هذا و كيف يكون هكذا، هذا يقابل اثنين، و هذا ممسك يده قد خلّى قرنه إلى أخيه هاربا منه أو قائما ينظر إليه، من يفعل هذا مقتته الله فلا تعرضوا لمقت الله فأنما مردكم إلى الله قال الله تعالى لقوم عابهم:

«لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا».

و أيم الله إن فررتم من سيف «الله خ ل» العاجله لا تسلمون من سيف الآخره فاستعينوا بالصّيدق و الصّبر فأنه بعد الصّبر ينزل النصر.

قال نصر: ثمّ قام قيس بن سعد و خطب خطبه بليغه حث الناس فيها على الجهاد، ثمّ قام الاشر رضى الله عنه بمثل ذلك، و كذا يزيد بن قيس الأرحبى و غيرهم.

و روى عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام، و زيد بن الحسن قالـ طلب معاويه إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل السّام، فقال: يا معشر أهل السّام سوّوا صفوفكم قص السّارب، و أعيرونا جماجمكم ساعه، فانه قد بلغ الحقّ مقطعه فلم يبق إلّا ظالم أو مظلوم.

قال نصر: و أقبل أبو الهيثم بن التّيهان و كان من أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله بدرّيّا عقبيّا يسوى صفوف أهل العراق و هو يقول: يا معشر أهل العراق إنّه ليس بينكم و بين الفتح العاجل إلّا ساعه من النّهار، فارسوا أقدامكم و سوّوا صفوفكم و أعيروا ربّكم جماجمكم و استعينوا بالله ربّكم، و اصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبه للمتقين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبى أنّ أوّل فارسين التقيا فى هذا اليوم و هو اليوم السّابع و كان من الأيام العظيمه ذا أهوال شديده حجر بن عدى من أصحاب على عليه السّلام و ابن عمّ حجر المسمّى بحجر أيضا من أصحاب معاويه كليهما

من كنده، فأطعنا برمحهم، و خرج خزيمة الأسدى من عسكر معاوية فضرب حجر ابن عدى ضربه برمح فحمل أصحاب على عليه السلام فقتلوا خزيمة و نجى ابن عم حجر هاربا فالتحق بصف معاوية، ثم برز ثانيه فبرز إليه الحكم بن أذهر من أهل العراق فقتله.

ثم إن عليا دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان فى يده إلى أهل الشام، فقال عليه السلام: من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما فى هذا المصحف؟ فسكت الناس و أقبل فتى اسمه سعيد فقال: أنا صاحبه، و قال ثانيا: فلم يجبه إلا الفتى، فسلمه إليه، ثم أتاهم و ناشدهم و دعاهم إلى ما فيه فقتلوه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن بديل: احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنه و عليه يومئذ سيفان و درعان، فجعل يضرب قدما و يرتجز فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية و الذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمد و العبد الله بن بديل، و بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهرى و هو فى الميسره أن يحمل عليه بجميع أصحابه و اختلط الناس و اصطدم(١) الصّفان ميمنه أهل العراق و ميسره أهل الشام.

و أقبل ابن بديل يضرب الناس بسيفه حتى أزال معاوية عن موقفه، و جعل ينادى يا ثارات عثمان و إنما يعنى اخا له قتل و ظنّ معاوية و أصحابه أنّه يعنى عثمان بن عفّان و تراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيرا و أشفق على نفسه و أرسل إلى حبيب بن مسلمة ثانيه و ثالثه يستنجده و يستصرخه و يحمل حبيب حملة شديدة بميسره معاوية على ميمنه عراق، فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائه انسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم.

و لجج ابن بديل فى الناس و صمّم على قتل معاوية و جعل يطلب موقفه حتى انتهى إليه فنادى معاوية فى الناس و يلکم الصّخره و الحجاره إذا عجزتم عن السّلاح، فرضخه الناس بالحجاره حتى أثخنوه، فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه

ص: ٤٥

١- (١) الصدم ضرب الصلب بمثله و اصطدم الصّفان و تصادموا تراحموا، ق

فجاء معاويه و عبد الله بن عامر حتّى وقفّا عليه فالقى عبد الله عمامته على وجهه و ترخّم عليه و كان له أخا و صديقا من قبل، فقال معاويه: اكشف عن وجهه فقال: لا و الله لا يمثل به و فى روح، فقال معاويه: قد وهبناه لك فكشف عن وجهه فقال معاويه: هذا كبش القويم و ربّ الكعبة اللهمّ أظفرنى بالاشتر النخعى و الأشعث الكندى.

قال نصر فاستعلا أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ و انكشف أهل العراق من قبل الميمنه و اجفلوا اجفالا(1) شديدا فأمر على عليه السّلام سهل بن حنيف فاستقدم ممن كان معه ليرفد الميمنه و يعضدها، فاستقبلهم جموع أهل الشام فى خيل عظيمه فحملت عليهم فالحقتهم بالميمنه، و كانت ميمنه أهل العراق متّصله بموقف على فى القلب فى أهل اليمن، فلما انكشفوا انتهت الهزيمه إلى على فانصرف يمشى نحو الميسره.

روى نصر عن زيد بن وهب قال: لقد مرّ على عليه السّلام يومئذ و معه بنوه و إنّى لأرى النبل يمرّ بين عاتقه و منكبه و ما من بنيه إلّا- من يقيه بنفسه فيكره علىّ ذلك فيتقدّم عليه و يحول بينه و بين أهل الشام و يأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه من ورائه، و بصره أحمر مولى بنى أميه و كان شجاعا، فقال على «لعلى ظ» و ربّ الكعبة قتلتى الله إن لم اقتلك، فاقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى علىّ فاختلفا ضربتين فقتله أحمر و خالط عليّا ليضربه بالسّيف فمدّ يده عليه السّلام إلى جيب درعه فجذبه عن فرسه، و حمّله على عاتقه و الله لكأنّى أنظر إلى رجلى أحمر يختلفان على عنق علىّ عليه السّلام ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبه و عضديه و شدّ ابنا علىّ عليه السّلام حسين و محمّد، فضرباه بأسيا فهما حتّى برد فكأنّى أنظر إلى علىّ قائما و شبلاه يضربان الرّجل حتى إذا أتيا عليه أقبالا- على أبيهما و الحسن قائم معه فقال له علىّ: يا بنى ما منعك أن تفعل كما فعل أخوك فقال كفيانى يا أمير المؤمنين.

قال ثمّ إنّ أهل الشام دنوا منه يريدونه و الله ما يزيده قربهم منه و دنوّهم سرعه فى مشيه، فقال له الحسن: ما أضرك لو أسرعت حتّى تنتهى إلى الذين صبروا

ص: ٤٦

لعدوك من أصحابك، قال يعنى ربيعه الميسره فقال على: يا بنى إن لأبيك يوما لا يبطل به عنه السعى ولا يقربه إليه الوقوف إن أباك لا يبالى وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

قال نصر: و روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبى إسحاق قال: خرج على يوما من أيام صفين و فى يده عترة، فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتا لك أحد و أنت قريب عدوك، فقال على عليه السلام إنه ليس من أحد إلا و عليه حفظه من الله يحفظونه من أن يتردى فى قلب أو يخرب عليه حائط أو تصيبه آفه، فاذا جاء القدر خلوا بينه و بينه.

قال: و حدثنا عمرو، عن فضيل بن خديج، قال لما انهزمت ميمنه العراق يومئذ أقبل على نحو الميسره يركض ليستلب الناس و يسوقهم و يأمرهم بالرجوع نحو الفرغ، فمر بالأشتر فقال: يا مالک قال: ليک يا أمير المؤمنين، قال: انت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم عن الموت الذى لن تعجزوه إلى الحياه التى لا تبقى لكم، فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم: الكلمات، فناداهم أيها الناس أنا مالک بن الحرث، فلم يلتفت أحد منهم إليه فقال: أيها الناس أنا الأشتر، فأقبلت إليه طائفه و ذهبت عنه طائفه فقال: عضضتم بهن أبيكم، ما أقبح ما قاتلتم اليوم.

أيها الناس غصوا الأبصار و عضوا على التواجد، فاستقبلوا الناس بهامكم و شدوا عليهم شدة قوم موتورين بآبائهم و أبنائهم و إخوانهم حفاء على عدوهم، قد و طنوا على الموت أنفسهم كيلا يسبقوا بثار إن هؤلاء القوم و الله لن يقاتلوكم إلا عن دينكم ليطفؤوا السینه و يحيوا البدعه و يدخلوكم فى أمركم قد أخرجكم الله منه بحسن البصيره، فطيبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم، فإن الفرار فيه سلب العز و الغلبه على الفیء، و ذل المحيا و الممات و عار الدنيا و الآخرة و سخط الله و أليم عقابه ثم قال:

أَيُّهَا النَّاسُ ااخْلَصُوا إِلَيَّ مَذْحِجًا فَاجْتَمَعْتُ إِلَيْهِ مَذْحِجٌ فَقَالَ عَضَضْتُمْ بِصَمِّ (١) الْجَنْدَلِ وَاللَّهُ مَا أَرْضَيْتُمْ الْيَوْمَ رَبِّكُمْ وَلَا نَصَحْتُمْ لَهُ فِي عِدْوَةٍ وَكَيْفَ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْحَرْبِ وَأَصْحَابُ الْغَارَاتِ وَفِرْسَانُ الطَّرَادِ وَحَتُوفُ الْأَقْرَانِ، وَمَذْحِجُ الطَّعَانِ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا سَبَقُوا بَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَطْلُ دِمَاؤُهُمْ وَلَمْ يَعْرِفُوا فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَحِينَ وَأَنْتُمْ سَادَةٌ مُصْرَكُمُ وَعَرَجِي فِي قَوْمِكُمْ، وَمَا تَفْعَلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ فَهُوَ مَا ثَوَّرَ بَعْدَ الْيَوْمِ فَاثَوَّرَ الْحَدِيثُ فِي غَدٍ، وَاصْدُقُوا عِدْوَكُمْ اللَّقَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ هَوْلَاءُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ رَجُلٌ فِي مِثْلِ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقِرَاعَ أَجْلُوا سُودًا وَجَهَى يَرْجِعُ فِي وَجَهَى ذِمِّي «احْبِسُوا سُودًا وَجَهَى رَجَعَ فِيهِ ذِمِّي خ ل» عَلَيْكُمْ بِهَذَا السُّودِ الْأَعْظَمِ فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ قَدْ فَضَّهَ تَبِعَهُ مِنْ بَجَانِيهِ كَمَا يَتَّبِعُ السَّيْلُ مَقْدَمَهُ، فَقَالُوا: خَذْ بِنَا حَيْثُ احْبَبْتَ فَصَمَدٌ بِهِمْ نَحْوُ عَظْمِهِمْ وَاسْتَقْبَلَهُ سَنَامٌ مِنْ هَمْدَانَ وَهُمْ نَحْوُ ثَمَانِمَائِهِ مَقَاتِلٌ قَدْ انْهَزَمُوا آخِرَ النَّاسِ وَكَانُوا قَدْ صَبَرُوا فِي مَيْمَنِهِ عَلَى حَتَّى قَتَلَ مَائَتَهُ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَاصِيبٌ مِنْهُمْ أَحَدُ عَشَرَ رَئِيسًا كُلَّمَا قَتَلَ مِنْهُمْ رَئِيسًا أَخَذَ الرِّايَةَ آخِرُهُمْ بَنُو شَرِيحِ الْهَمْدَانِيِّينَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَشِيرَةِ.

فَقَالَ لَهُمُ الْأَشْتَرُ إِنِّي أَحَالِفُكُمْ وَأَعَاقِدُكُمْ عَلَى أَنْ لَا نَرْجِعَ أَبَدًا حَتَّى نَنْظُرَ أَوْ نَهْلِكَ، فَوَقَفُوا مَعَهُ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ وَالْعَزِيمَةِ وَزَحَفَ نَحْوَ الْمَيْمَنَةِ وَنَابَ إِلَيْهِ أَنْاسٌ تَرَاوَعُوا مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْحَيَاءِ فَأَخَذَ لَا يَصْمَدُ لِكِتَابِهِ إِلَّا كَشَفَهَا، وَلَا بِجَمْعِ الْإِجَازَةِ وَرَدَّهُ.

قَالَ نَصْرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ الْحَرِثِ بْنِ الصَّيَّاحِ، قَالَ: كَانَ بَيْدُ الْأَشْتَرِ يَوْمَئِذٍ صَحِيفَةً لَهُ يَمَانِيَةً إِذَا طَاطَأَهَا خَلَّتْ فِيهَا مَا يَنْصَبُ، وَإِذَا رَفَعَهَا يَكَادُ يَغْشَى الْبَصَرَ شِعَاعُهَا، وَهُوَ يَضْرِبُ بِهَا النَّاسَ قَدْ مَا وَيَقُولُ: الْغَمَرَاتُ ثُمَّ يَنْجَلِينَا.

قَالَ: فَبَصَرَ بِهِ الْحَرِثُ بْنُ جَمْهَانَ الْجَعْفَى وَالْأَشْتَرُ مَقْنَعٌ فِي الْحَدِيدِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ

ص: ٤٨

فدنا منه، و قال له: جزاك الله منذ اليوم عن أمير المؤمنين و جماعه المسلمين خيرا، فعرفه الأشر فقال: يا ابن جمهان أمثلك يتخلف اليوم عن مثل موطنى هذا؟ فتأمله ابن جمهان فعرفه و كان الأشتر من أطول الرجال و أعظمهم إلا أن فى لحمه خفه قليله، فقال له جعلت فداك، و الله ما علمت مكانك حتى الساعة لا افارقك حتى أموت.

قال نصر: و حدثنا عمر عن فضيل بن خديج، قال: لما اجتمع إلى الأشتر معظم من كان انهزم من الميمنه حمل على صفوف أهل الشام حتى كشفهم فألحقهم بمضارب معاويه، و ذلك بين العصر و المغرب.

و عن زيد بن وهب أن عليا لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها و مصافها و كشف من بازائها حتى ضاربوهم فى مواقفهم و مراكزهم، أقبل حتى انتهى اليهم فقال إننى قد رأيت جولتكم و انحيازكم من صفوفكم يحوزكم الجفاه الطغاه «الطعام خ ل» و اعراب أهل الشام و أنتم لهاميم العرب و السّنام الأعظم و اعمار الليل بتلاوه القرآن و أهل دعوه الحق إذ ضل الخاطئون فلو لا إقبالكم بعد إدباركم و كركم بعد انحيازكم و جب عليكم ما و جب على المولى يوم الزحف دبره و كنتم فيما أرى من الهالكين.

و لقد هون على بعض و جدى و شفا بعض و جع نفسى أنى رأيتم باخره حزنتموه كما حازوكم و أزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تحسونهم(١) بالسيف يركب أولهم و آخرهم كالابل المطروده الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السّكينة و ثبتكم الله باليقين و ليعلم المنهزم أنه يسخط ربه و يوبق نفسه و فى الفرار موجهه الله عليه و الذل اللّازم له و فساد العيش، و أنّ الفار لا يزيد الفرار فى عمره و لا يرضى ربه، فموت الرجل محققا قبل اتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها و الاصرار عليها.

قال نصر: فحمل أبو الكعب الخثعمى رأس خثعم العراق على خثعم الشام

ص: ٤٩

و اقتتلوا قتالا شديدا، فجعل أبو كعب يقول لأصحابه يا معشر خثعم خدموا أى اضربوا موضع الخدمة و هى الخلخال، يعنى اضربوهم فى سوقهم فناداه عبد الله بن حنش رأس خثعم الشّام يا با كعب الكلّ قومك فانصف، قال أى و الله و أعظم و اشتدّ قتالهم فحمل شمر «شمس خ ل» بن عبد الله الخثعمى على أبى كعب فطعنه فقتله.

ثم انصرف يبكى و يقول: يرحمك الله أبا كعب لقد قتلتك فى طاعه قوم أنت أمس بى رحما منهم و أحبّ إلى منهم نفسا و لكنى و الله ما أدرى ما أقول و لا أرى الشيطان إلّا قد فتننا، و لا أرى قريشا إلّا و قد لعبت بنا، فوثب كعب بن أبى كعب إلى رايه أبيه فأخذها ففقت عينه و صرع، ثم أخذها شريح بن مالك الخثعمى فقاتل القوم تحتها حتّى صرع منهم حول رايته ثمانيون رجلا و أصيب من خثعم الشّام مثلهم ثم ردّها شريح بن مالك إلى كعب بن أبى كعب.

قال نصر: إنّ رايه بحيله فى صفين مع أهل العراق كانت فى أخمس مع أبى شداد قيس بن المكسوخ، قالت البحيلة لأبى شداد: خذ رايتنا، فقال: غيرى خير لكم منى قالوا: لا نريد غيرك، قال: فو الله لئن اعطيتمونيها لانتهى بكم دون صاحب الترس المذهب.

قالوا: و كان على رأس معاويه رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشّمس فقالوا اصنع ما شئت فأخذها ثم زحف بها و هم حوله يضربون الناس بأسياف حتى انتهى إلى صاحب الترس المذهب و هو فى خيل عظيمه من أصحاب معاويه، و كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فاقتل الناس هناك قتالا شديدا و شدّ أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له رومى من دونه لمعاويه فضرب قدم أبى شداد فقطعها، و ضرب أبو شداد ذلك الرومى فقتله، و أسرع إلى الأسنه، فقتل، فاخذ الرايه عبد الله بن قلع الأخمس و قاتل حتّى قتل، فأخذها بعده أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتّى قتل، ثم أخذها عفيف بن أياس الأخمس، فلم تزل بيده حتّى تحاجز الناس.

قال نصر: و قال رجل من أصحاب علىّ أما و الله لأحملن على معاويه حتّى

أَقْتَلَهُ. فَرَكَبَ فَرَسًا ثُمَّ ضَرَبَهُ حَتَّى قَامَ عَلَى سَنَابِكِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ فَلَمْ يَنْهَنْهُ شَيْءٌ عَنِ الْوُقُوفِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ مَعَاوِيَةَ، فَهَرَبَ مَعَاوِيَةُ وَدَخَلَ خَبَائِثَهُ فَتَزَلَّ الرَّجُلُ عَنْ فَرَسِهِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ فَخَرَجَ مَعَاوِيَةُ مِنْ جَانِبِ الْخَبَاءِ الْآخِرِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ فِي اثَرِهِ فَاسْتَصْرَخَ مَعَاوِيَةَ بِالنَّاسِ فَأَحَاطُوا بِهِ وَحَالُوا بَيْنَهُمَا فَقَالَ مَعَاوِيَةُ وَيَحْكُمُ أَنَّ السَّيْفَ لَمْ يُوْذَنْ لَهَا فِي هَذَا وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ تَصِلْ إِلَيْكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْحِجَارَةِ فَرَضَخُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى هَمَدَ (١) ثُمَّ عَادَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَجْلِسِهِ.

قَالَ: وَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعَى أَبَا أَيُّوبَ، وَلَيْسَ بِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ عَلَى صَفِّ أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ رَجَعَ فَوَافَقَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ صَادِرًا قَدْ حَمَلَ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ رَجَعَ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَنَفَحَهُ أَبُو أَيُّوبَ بِالسَّيْفِ فَأَبَانَ عَنْقَهُ فَثَبَّتَ رَأْسَهُ عَلَى جَسَدِهِ كَمَا هُوَ، وَكَذَّبَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ هُوَ ضَرَبَهُ فَارَى بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا أَدْخَلَتْهُ فَرَسُهُ فِي صَفِّ أَهْلِ الشَّامِ بَدَرَ رَأْسَهُ فَوَقَعَ مَيِّتًا.

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهِ لَأَنَا مِنْ ثَبَاتِ رَأْسِ الرَّجُلِ أَشَدَّ تَعْجَبًا مِنَ الضَّرْبَةِ وَانْكَانَ إِلَيْهَا يَنْتَهَى وَصَفِ الْوَاصِفِينَ، وَجَاءَ أَبُو أَيُّوبَ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَعَلَّمْنَا الضَّرْبَ آبَاؤُنَا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَيْضًا بَنِينَا

قَالَ نَصْرٌ: فَلَمَّا انْقَضَى هَذَا الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ صَفَرٍ وَفِيهِ لِقَانِ مَتَقَابِلَانِ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَسَأَلَ الْمُبَارِزَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَاقْتَتَلَا بَيْنَ الصَّفِّينِ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ إِنَّ الْعِرَاقِيَّ اعْتَنَقَهُ فَوْقًا جَمِيعًا وَغَارَ الْفَرَسَانِ ثُمَّ إِنَّ الْعِرَاقِيَّ قَهَرَهُ فَجَلَسَ صَدْرُهُ وَكَشَفَ الْمَغْفَرَ عَنْهُ يَرِيدُ ذَبْحَهُ فَإِذَا هُوَ أَخُوهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَصَاحَ بِهِ أَصْحَابُ عَلِيٍّ وَيَحْكُمُ أَجْهَزَ عَلَيْهِ، قَالَ إِنَّهُ أَخِي، قَالُوا: فَاتْرَكْهُ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَأْذَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَخَبَرَ عَلِيٌّ بِذَلِكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ دَعِهِ فَتَرَكَهُ فَقَامَ فَعَادَ إِلَى صَفِّ مَعَاوِيَةَ.

قَالَ نَصْرٌ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ عَنِ الْجَرَجَانِيِّ قَالَ: كَانَ فَارِسُ مَعَاوِيَةَ الَّذِي

ص: ٥١

يعدّه لكلّ مبارز و لكلّ عظيم حريث مولاہ، و كان يلبس سلاح معاويه متشبّها به فاذا قاتل قال النَّاس ذاك معاويه و إنّ معاويه دعاه فقال له: يا حريث اتّق عليّا وضع رمحك حيث شئت، فأتاه عمرو بن العاص فقال: يا حريث و اللّٰه لو كنت قرشيا لأحبّ لك معاويه أن تقتل عليّا، و لكن كره أن يكون لك حظها فان رأيت فرصه فاقتحم و خرج عليّ في هذا اليوم أمام الخيل فحمل عليه حريث.

قال نصر: فحدّثنى عمرو بن شمر عن جابر قال: بل برز حريث هذا اليوم و كان شديدا ايدا ذا بأس لا يرام فصاح يا على هل لك في المبارزه فاقدام أبا حسن ان شئت، فأقبل عليّ عليه السّلام و هو يقول:

أنا عليّ و ابن عبد المطلب نحن لعمر اللّٰه اولى بالكتب

منا النّبي المصطفى غير كذب اهل اللواء و المقام و الحجب

نحن نصرناه على كلّ العرب

ثمّ خالطه فما أمهله أن ضربه ضربه فقطعه نصفين فجزع معاويه عليه جزعا شديدا و عاتب عمرا في إغرائه إيّاه بعليّ و قال في ذلك شعرا:

حريث أ لم تعلم و جهلك ضاير بأنّ عليّا للفوارس قاهر

و أنّ عليا لم يبارزه فارس من النَّاس الّا أقصدته الأظافر

أمرتك أمرا حازما فعصيتني فحدّك اذ لم تقبل النّصح حائر

و ولاك عمرو و الحوادث جمه غرورا و ما جرّت عليك المقادر

و ظنّ حريث أنّ عمرا نصيحه و قد يهلك الانسان من لا يحاذر

قال نصر فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكى فنادى يا أبا حسن هلمّ إلى المبارزه فأوماً عليّ إلى سعيد بن قيس الهمدانى فبارزه فضربه بالسيف فقتله.

قال نصر: و كان لهمدان بلاء عظيم في نصره عليّ عليه السّلام في صفين و من الشّعر الذی لا يشكّ أنّه قاله لكثّره الرّواه له:

دعوت فلبّاني من القوم عصبه فوارس من همدان غير لثام

فوارس من همدان ليسوا بمعزل غداه الوغا من يشكر و شام

بكل رويني(١) و غضب تخاله اذا اختلف الاقوام شعل ضرام

لهمدان اخلاق كرام تزينهم و باس اذا لاقوا و حدّ خضام(٢)

و جدّ و صدق فى الحروب و نجده و قول اذا قالوا بغير اثم

متى تاتهم فى دارهم تستضيفهم تبت ناعما فى خدمه و طعام

جزى الله همدان الجنان فانها سهام العدى فى كلّ يوم زحام

و لو كنت بوابا على باب جنّه لقلت لهمدان ادخلوا بسلام(٣)

ص: ٥٣

١- (١) الروينى الرمح المنسوب الى روينه اسم امرئه و العضب الضرب و الطعن.

٢- (٢) السيف القاطع

٣- (٣) الاشعار فى الديوان هكذا و لما رايت الخيل تفرع بالقنا فوارسها حمر العيون دواميو اقبل رهج فى السماء كانه غمامه و جن ملبس بقتامو نادى ابن هند ذا الكلاع و يحصباو كنده فى لخم و حى جذامتي تمت همدان الذين هم هم اذا ناب امر جنتى و سهاميو ناديت فيهم دعوه فاجابني فوارس من همدان غير لثام فوارس من همدان ليسوا بعزل غداه الوغا من يشكر و شبامو من ارحب الشم المطاعين بالقناو رهم و احياء السبيع و يامو من كل حى قد اتنتى فوارس ذو و نجدات فى اللقاء كرام بكل روينى و غضب تخالها اذا اختلف الاقوام شعل ضرام يقودهم حامى الحقيقه منهم سعيد بن قيس و الكريم محاميفخاضوا لظاها و اصطلوا بشراها و كانوا لدى الهيجا كشرب مدام جزى الله همدان الجنان فانهم سهام العدى فى كلّ يوم خصام لهمدان اخلاق و دين يزينهمو لين اذا لاقوا و حسن كلامتى تاتهم فى دارهم لضيافه تبت عندهم فى غبطه و طعاماناس يحبون النبى و رهطه سراع الى الهيجا غير كهاما اذا كنت بوابا على باب جنه لقلت لهمدان ادخلوا بسلام «٤- الدوامى الملطخ بالدم. ٥- الغبار الاسود. ٦- يحصب و لخم و جذام قبايل. ٧- اى قصدت. ٨- العزل جمع الاعزل الذى لا سلاح معه ٩- يشكر بضم الكاف و شبام بالكسر»

قال نصر: فحدّثني عمرو بن شمر قال: ثمّ قام عليّ بين الصّفين و نادى يا معاويه يكرّرها، فقال معاويه اسألوه ما شأنه، قال: أحبّ أن يظهر لي فأكلّمه كلمه واحده، فبرز معاويه و معه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو و قال لمعاويه: و يحكك على م تقتل النّاس بيني و بينك و يضرب بعضهم بعضا ابرز إلىّ فأيتنا قتل صاحبه فالأمر له فالتفت معاويه إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله؟ قال: قد أنصفك الرّجل و اعلم أنّك إن نكلت عنه لم تزل مسبته عليك و على عقبك ما بقى على ظهر الأرض عربّي فقال معاويه: يا بن العاص ليس مثلي يخدع عن نفسه و الله ما بارز ابن أبي طالب شجاع قط إلّا و سقى الارض من دمه، ثمّ انصرف معاويه راجعا حتى انتهى إلى آخر الصّفوف و عمرو معه، فلمّا رأى عليّ ذلك ضحك و أعاد إلى موقفه قال نصر: و في حديث الجرجاني أنّ معاويه قال لعمرو: و يحكك ما أحققك تدعوني إلى مبارزته و دوني عكّ و خدام و الأشعرون، قال: و حقّدها معاويه على عمرو باطنا و قال له ظاهرا ما أظنّك يا أبا عبد الله قلت ما قلت إلّا مازحا، فلمّا جلس معاويه عليه اللعنه و العذاب مجلسه أقبل عمرو يمشى حتّى جلس إلى جانبه، فقال معاويه:

و لقد ظننتك قلت مزحه مازح و الهزل يحمله مقال الهازي

ما ذا الذي منتك نفسك خاليا قتلى جزيت بما نويت الجازي

فقال: عمرو: أيّها الرّجل أتجبن عن خصمك و تتهم نصيحتك و قال مجيبا له:

معاوي ما اجترمت عليك ذنبا و لا أنا في الذي حدّث خازي

و ما ذنبي بأن نادى عليّ و كبش القوم يدعى للبراز

و لو بارزته بارزت ليثا حديد النَّاب يخطب كلّ باز

و تزعم أنّي أضمرت غشا جزاني بالذي أضمرت جازي

و فى البحار من تفسير العياشى عن أبى الأعرّ التميمي قال: بينا أنا واقف بصفّين إذ مرّ بى العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب شاك فى السّلاح على رأسه مغفر و بيده صحيفه يمانيه يقلّبها و هو على فرس له أدهم و كان عينيه عينا أفعى، فبينما هو يروض فرسه و يلين عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشّام يقال له عرار بن أدهم: يا عباس هلمّ إلى البراز، قال: فالتّزول اذن فأنّه اياس من الغفول، قال فنزل الشّامى و وجد و هو يقول:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فأنّا معشر نزل

قال و ثنى عباس رجله و هو يقول:

و يصدّ عنك مخيله(١) الرّجل العريض موضحه عن العظم

بحسام سيفك أو لسانك و الكلم الاصيل كارعب الكلم

ثمّ عصب(٢) فضلات درعه فى حجزته و دفع فرسه إلى غلام له اسلم كائن انظر إلى قلاقل(٣) شعره و دلف(٤) كلّ واحد منهما إلى صاحبه قال فذكرت قول أبى ذؤيب:

فتنازلا و توافقت خيلاهما و كلاهما بطل اللقاء مجدع

قال ثمّ تكافحا(٥) بسيفهما ملتا(٦) من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته

ص: ٥٥

-
- ١- (١) المخيله الظن و الكبر و العريض كسكيت من يتعرض للناس بالشّراى يمنع عنك ظنّ المتعرّض للشّرّ و كبره و خيلاءه ضربه او شجه موضحه عن العظم او كلام بلسانك فان الكلام الاصيل فى التأثير كارغب الكلم اى الجرح، بحار
 - ٢- (٢) العصب الطى الشديد
 - ٣- (٣) القلاقل بالضم السريع التحرك
 - ٤- (٤) الدلف المشى بثاقل
 - ٥- (٥) التكافح هو الاستقبال فى الحرب بالوجه ليس دونه ترس
 - ٦- (٦) اى ساعه طويله

إلى أن لحظ العباس و هنا فى درع الشّامى فأهوى إليه بالسّيف فانتظم فى درع الشّامى فأهوى إليه بيده فهتكه إلى ثنودته (١) ثم عاد لمجادلته و قد اصحر له (٢) مفتق الدّرع فضربه العباس ضربه انتظم به جوانح صدره و خرّ الشّامى صريعا بخده و سمي العباس فى الناس و كبر الناس تكبيره ارتجت لها الأرض فسمعت قائلا يقول من ورائى.

«قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِيهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَ يُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» فالتفت فاذا هو أمير المؤمنين على فقال: يا أبا الأعزّ من المبارز لعدونا؟ قلت:

هذا ابن (شيخكم خ ل) العباس بن ربيعه فقال و إنّه لهو يا عباس، قال: لئيك قال: ألم انهك و حسنا و حسينا و عبد الله بن جعفر أن تخلوا بمركز أو تباشروا حدثا؟ قال: إن ذلك لكذلك قال: فما عدا ممّا بدا، قال: أ فأدعى إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيب جعلت فداك؟ قال: نعم طاعه إمامك أولى من اجابه عدوك، ودّ معاويه أنّه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضرمة (٣) إلّا طعن فى نيّطته (٤) إطفاء لنور الله «وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

أما و الله ليهلكنهم منّا رجال و رجال يسومونهم الخسف (٥) حتّى يكفّفوا (٦) بأيديهم

ص: ٥٦

١- (١) الثنودو كسنبله لحم الندى

٢- (٢) اى اتسع

٣- (٣) الضرمة بالتحريك النار و هذا يقال عند المبالغة فى الهلاك لأنّ النار ينفخها الصغير و الكبير و الذكر و الانثى اى ما بقى احد منهم

٤- (٤) النيّطه نياط القلب و هو العرق الذى بالقلب متعلق به، بحار

٥- (٥) الخسف اى الذل منه

٦- (٦) استكف و تكفف بمعنى و هو ان يمد كفّه يسأل الناس.

و يحفروا الآبار إن عادوا لك فعدلى، قال: و نمت الخبر إلى معاوية فقال: الله دم عرار ألا رجل يطلب بدم العرار؟ قال: فانتدب له رجلا من لحم فقالا- نحن له قال: اذهبا فأيكما قتل العباس برازا فله كذا و كذا، فأتياه فدعوا إلى البراز فقال: إن لي سيّدا أوامره قال: فاتى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره فقال: ناقلنى سلاحك بسلاحى، فناقله قال:

و ركب أمير المؤمنين عليه السلام على فرس العباس، و دفع فرسه إلى العباس و برز إلى الشاميين فلم يشكّا أنّه العباس، فقالا له: أذن لك سيّدك فتحرّج أن يقول نعم فقال «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ».

قال: فبرز إليه أحدهما فكأنما اختطفه، ثم برز إليه الثانى فألحقه بالأوّل و انصرف و هو يقول:

«الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ».

ثم قال: يا عباس خذ سلاحك و هات سلاحى قال: و نمت الخبر إلى معاوية فقال:

قَبِّحَ اللَّهُ اللِّجَاجَ إِنَّهُ لَقَعُودٌ مَا رَكِبْتَهُ قَطُّ إِلَّا خَذَلْتُ، فقال عمرو بن العاص، المخذول و الله اللخميان لا أنت، قال: اسكت أيها الشيخ فليس هذه من ساعاتك قال: فان لم يكن فرحم الله اللخميّين و ما أراه يفعل قال: ذلك(١) و الله أضيق لحجرك و أخسر لصفقتك قال: أجل و لو لا مصر لقد كانت المنجاة منها، فقال: هى و الله أعمتك لولاها لا ألفت نصيرا.

و رواه فى شرح المعتزلى من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة بأدنى تغيير قال نصر: ثم التقى الناس فاقتتلوا قتالا شديدا و حاربت طي مع أمير المؤمنين حربا عظيما و تداعت و ارتجزت فقتل منها أبطال كثيرون، و قاتلت النخع معه أيضا ذلك اليوم قتالا شديدا و قطعت رجل علقمه بن قيس النخعى و قتل اخوه أبى بن قيس فكان علقمه يقول بعد ما احبّ أنّ رجلى أصحّ ما كانت لما أرجو بها من حسن الثواب

ص: ٥٧

و كان يقول أحب أن ابصراخي في نومي فرأيتة فقلت له: يا أخى ما الذى قدمتم عليه؟ فقال: التقينا و أهل الشام بين يدي الله سبحانه فاحتججنا عنده فحججناهم، فما سررت بشيء منذ عقلت سرورى بتلك الرؤيا و روى نصر عن الحصين بن المنذر الرقاشى قال: لما تصاف الناس فى هذا اليوم و حمل بعضهم على بعض تضعضعت ميمنه أهل العراق فجاءنا على و معه بنوه حتى انتهى الينا، فنادى بصوت عال جهير لمن هذه الرايات؟ فقلنا: رايات ربيعه، و قال: بل هى رايات الله عصم الله أهلها و صبرهم و ثبت أقدامهم، ثم قال لى و أنا حامل رايه ربيعه يومئذ: يافتى ألا تدنى رايتك هذه ذراعا؟ فقلت بلى: و الله و عشره أذرع فأدنيتهما فقال لى: حسبك مكانك قال نصر: و حدثنا عمرو بن شمر قال: لما أقبل الحصين بن المنذر يومئذ و هو غلام يزحف برايه ربيعه و كانت حمراء فأعجب عليا زحفه و ثباته فقال:

لمن رايه حمراء يخفق ظلها إذا قيل قدّمها حصين تقدّما

و يدنو بها فى الصّفّ حتى يديرها جمام المنايا تقطر الموت و الدّما

تراه إذا ما كان يوم عظيمه أبى فيه إلّا عزّه و تكرّما

جزى الله قوما صابروا فى لقائهم لدى الناس خيرا ما أعزّ و أكرما

و أحزم صبيرا يوم يدعى إلى الوغا إذا كان أصوات الكماه تغمغما

ربيعه أعنى أنّهم أهل نجده و بأس اذا لا قوا خميسا غمرما

و قد صبرت عكّ و لحم و حمير لمذحج حتى لم يفارق دم دما

و نادت جذام يا لمذحج ويحكم جزى الله شرا أيّنا كان أظلما

أما تتّقون الله فى حرما تكم و ما قرّب الرّحمن منها و عظّما

أذقنا ابن حرب طعننا و ضرابنا بأسيا فنا حتى تولّى و أحجما

و فرّ ينادى زبرقان بن أظلم و نادى كلاعا و الكريث و الغما

و عمرا و سفيانا وجهما و مالكا و حوشب و الغازى شريحا و اظلما

و كرز بن تيهان و عمرو بن جحد و صباحا القيني يدعو و أسلما

(١) قال نصر: و أقبل ذو الكلاع في حمير و من لف لفها و معهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من قراء أهل الشام ذو الكلاع في حمير في الميمنه، و عبيد الله في القراء في الميسره، فحملوا على ربيعه و هم في ميسره أهل العراق و فيهم عبد الله ابن العباس حمله شديده فتضعضت رايات ربيعه ثم إن أهل الشام انصرفوا فلم يملكوا إلا قليلا حتى كزوا ثانيه و عبيد الله بن عمر في أوائلهم يقول: يا أهل الشام هذا الحي من العراق قتله عثمان و أنصار على فان هزمت هذه القبيله أدركتم ثاركم في عثمان فشدوا على الناس شدة عظيمه فثبت لهم ربيعه و صبرت صبرا حسنا إلا قليلا من الضعفاء و اشتد القتال بين ربيعه و حمير و عبيد الله بن عمرو كثرت القتلى ثم خرج خمسمائه فارس أو أكثر من أصحاب على رءوسهم البيض، و هم

ص: ٥٩

١- (١) الايات في الديوان هكذا لنا الرايه السوداء يخفق ظلها اذا قيل قدّمها حصين تقدّمافيوردها في الصف حتى يزبرها حياض المنايا تقطر الموت و الدما تيره اذا ما كان يوم كريههالى فيه الا عزّه و تكزّما و اجمل صبرا حين يدعى الى الوغا اذا كان اصوات الرجال تغمغما و قد صبرت عكّ و لحم و حمير لمذحج حتى أورثوها التندما و نادت جذام بالمذحج و يحكمجزى الله شرا اينا كان اظلما اما تتقون الله في حرماننا و ما قرب الرحمن منا و عظّما جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم لدى الموت قدما ما اعزّ و اكرم ربيعه اعنى انهم أهل نجدهو بأس اذا لاقوا خميسا عرمرما ذقنا ابن هند طعننا و ضرابنا باسيافنا حتى تولّى و احجموا و لى ينادى زبرقان بن ظالمو ذا كلع يدعو كريبا و انعموا عمرا و نعمانا و بسرا و مالكا و حوشب و الداعى معاد و اظلموا كرز بن تيهان و ابني محرقو حرثا و قينيا عبيدا و ظلما

غائصون فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و خرج اليهم من أهل الشام نحوهم فى العده فاقتتلوا بين الصفيين و الناس وقوف تحت راياتهم، فلم يرجع من هؤلاء مخبر لا عراقى و لا شامى قتلوا جميعا بين الصفيين، و كان بصفيين تلّ يلقى عليه الجماجم من الرجال يدعى تلّ الجماجم قال نصر: ثم ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا من اليوم التاسع من صفر، و قد خطب معاويه أهل الشام و حرّضهم فقال: إنه قد نزل من الأمر ما ترون و حضركم ما حضركم فاذا نهدتُم اليهم انشاء الله فقدّموا الدّارع و أخروا الحاسر و صفّوا الخيل و أجنّبوها و كونوا كقصّ الشّارب و أعيرونا جماجمكم ساعه فإنّما هو ظالم أو مظلوم و قد بلغ الحقّ مقطعه قال: و كانت التّعبيه فى هذا اليوم كالتّعبيه فى الذى قبله، فحمل عبيد الله بن عمر فى قراء أهل الشام و معه ذو الكلاع فى حمير على ربيعة و هى ميسره علىّ عليه السّلام فقاتلوا قتالا شديدا فاتى زياد بن حفصه الى عبد القيس فقال لهم: لا يكوننّ وائل بعد اليوم إنّ ذا الكلاع و عبيد الله أباد ربيعة فانهضوا لهم و الّا هلكوا، فركبت عبد القيس و جاءت كأنّها غمامه سوداء فشدّت ازار الميسره فعظم القتال فقتل ذو الكلاع الحميرى قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خندف، و تضعضعت أركان حمير و ثبتت بعد قتل ذى الكلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر و أرسل عبيد الله إلى الحسن بن علىّ عليه السّلام أنّ لى إليك حاجه فألقنى فلقاه الحسن عليه السّلام فقال عبيد الله: إنّ أباك قد وتر قريشا أولا و آخرا و قد شنّه الناس فهل لك فى خلعه و ان تتولى أنت هذا الأمر: فقال: كالاّ و الله لا يكون ذلك، ثمّ قال. يابن الخطاب و الله لكأنّى أنظر إليك مقتولا فى يومك أو غدك أما إنّ الشيطان قد زين لك و خدعك حتّى أخرجك مخلقا بالخلق ترى نساء أهل الشام موقفك و سيصرعك الله و يبطحك لوجهك قتيلا.

قال نصر: فو الله ما كان إلاّ بياض ذلك اليوم حتّى قتل عبيد الله و هو فى كتيبه

رقطاع(١) و كانت تدعى الخضرية و كانوا أربعة الف عليهم ثياب خضر، فمرّ الحسن فاذا رجل متوسد رجل قتيل قد ركز رمحه فى عينه و ربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه: انظروا من هذا فاذا رجل من همدان و إذا القتل عبيد الله بن عمر قد قتله الهمداني فى أول الليل و بات عليه حتى أصبح.

قال نصر: و قد اختلفت الرواه فى قاتل عبيد الله فقالت الهمدان: نحن قتلناه قتله هانى بن الخطاب الهمداني، و قالت حضر موت: نحن قتلناه قتله محرز بن الصّحّاح، و روى أنّ قاتله حريث بن جابر الحنفى و كان رئيس بنى حنيفه يوم صفين.

قال نصر: فأتى ذا الكلاع فقد ذكرنا مقتله و أنّ قاتله خندف البكرى، و روى عمرو بن شمر عن جابر قال حمل ذا الكلاع ذلك اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صفوف العراق، ناداهم أبو شجاع الحميرى و كان من ذوى البصاير مع على عليه السلام فقال: يا معشر حمير تبت أيديكم أترون معاويه خيرا من على أضلّ الله سعيكم، ثم أنت يا ذا الكلاع قد كنّا نرى لأنّ لك نيه فى الدّين فقال ذا الكلاع ايها يابا شجاع و الله إنّى لأعلم ما معاويه بأفضل من على، و لكننى اقاتل على دم عثمان، قال فاصيب ذو الكلاع حينئذ قتله خندف فى المعركة. قال معاويه لما قتل ذو الكلاع: لانا أشدّ فرحا بقتل ذى الكلاع منى بفتح مصر لو فتحها، لأنّ ذا الكلاع كان يحجز على معاويه فى أشياء كان يأمر بها.

قال نصر: فلما قتل ذو الكلاع اشتدّت الحرب و شدّعك و لحم و خدام «جذام» و الأشعريون من أهل الشام على مذحج من أهل العراق جعلهم معاويه بازائهم فنادى منادى مذحج بالمذحج خدموا أى اضربوا مواضع الخدمه(٢) و هى السّوق فاعترضت مذحج سوق القوم فكان فيه بوار عامتهم.

قال نصر: حدّثنى عمرو بن الزبير قال: سمعت الحصين المنذر يقول أعطانى على ذلك اليوم رايه ربيعه و قال: بسم الله سرىا حصين و اعلم أنّك لا تخفق على رأسك

ص: ٦١

١- (١) الرقطه سواد يشوبه بياض او بالعكس.

٢- (٢) اى الخلخال.

رايه مثلها أبدا، هذه رايه رسول الله فجاء أبو عرفا. جبله بن عطيه الذهللى إلى الحصين و قال: هل لك أن تعطينى الرّايه أحملها لك ذكرها ولى أجرها؟ فقال الحصين: و ما غنا يا عم مع ذكرها. عن أجرها قال: إنّ لا غنى بك عن ذلك و لكن أعرها ساعه فما أسرع ما ترجع إليك، قال الحصين: فقلت أنّه قد استقبل و أنّه يريد أن يموت مجاهدا فقلت له: خذها فأخذها ثم قال لأصحابه:

إنّ عمل الجنّه كره كلّ و ثقيل، و إنّ عمل النّار خفّ كلّ و خيىث إنّ الجنّه لا يدخلها إلّا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله و أو امره و ليس شىء ممّا فرض الله على العباد أشدّ من الجهاد هو أفضل الأعمال ثوبا عند الله، فاذا رأيتمنى قد شددت فشّدوا و يحكمّ أما تشاقون إلى الجنّه أما تحبون أن يغفر الله لكم فشّدوا معه و قاتلوا قتالا شديدا فقتل أبو عرفاء و شدّت ربيعه بعده شدّه عظيمه على صفوف أهل الشّام فنقضها.

قال نصر: فاضطرب النّاس يومئذ بالسّيوف حتّى تقطعت و تكشّرت و صارت كالمناجل و تطاعنوا بالرّماح حتّى تقصفت و تناثرت أنابيبها، ثمّ جثوا على الرّكب فتحاثوا بالتراب يحثو بعضهم التّراب فى وجه بعض ثمّ تعانقوا و تكاوموا بالأفواه ثمّ تراموا بالصّخر و الحجاره ثمّ تحاجزوا فكان الرّجل من أهل العراق يمرّ على أهل الشّام فيقول كيف اجز إلى رايات بنى فلان فيقولون ههنا لا هداك الله و يمرّ الرّجل من أهل الشّام على أهل العراق فيقول كيف أمضى إلى رايات بنى فلان فيقولون ههنا لا هداك الله و لا عافاك.

قال نصر: و قال معاويه لعمر بن العاص أما ترى يا أبا عبد الله إلى ما قد وقعنا كيف ترى أهل الشّام غدا صانعين إنّنا لبعرض خطر عظيم فقال له إنّ أصبحت غدا ربيعه و هم متعطّفون حول علىّ تعطف الابل حول فحلها لقيت منهم جلادا صادقا و باسا شديدا و كانت التى لا سوى لها فقال معاويه أ يجوز إنك تخوفنا يا با عبد الله، قال:

إنك سألتنى فأجبتك فلمّا أصبحوا فى اليوم العاشر أصبحوا و ربيعه محدقه بعلىّ إحداق بياض العين بسوادها.

قال نصر: حدّثني عمرو بن شمر قال لما أصبح عليّ هذا اليوم جاء فوقف بين رايات ربيعه فقال عتاب بن لقيط البكري من بني قيس بن ثعلبه: يا معشر ربيعه حاموا من عليّ منذ اليوم فان اصيب فيكم افتضحتم ألا ترونه قائما تحت راياتكم و قال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعه ليس لكم عذر عند العرب إن وصل إلى عليّ و فيكم رجل حيّ، فامنعوه اليوم و اصدقوا عدوكم اللقاء فإنّه حمد الحياه تكسبونه فتعاهدت ربيعه و تحالفت بالايمان العظيمه و تباع منهم سبعة آلاف على أن لا ينظر رجل خلفه حتّى يردوا سرادق معاويه، فقاتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا لم يكن قبله مثله و أقبلوا نحو سرادق معاويه فلمّا نظر إليهم قد أقبلوا قال:

إذا قلت قد ولّت ربيعه اقبلت كتائب منها كالجبال تجالد

ثمّ قال لعمرو: يا عمرو ما ترى؟ قال: أرى أن لا- تحنث اخو الى اليوم، فقام معاويه و خلاّ لهم سرادقه و رحله و خرج فارّا عنه لائذا ببعض مضارب العسكر فى اخريات الناس، و انتهبت ربيعه سرادقه و رحله و بعث إلى خالد بن المعمر أنّك قد ظفرت و لك أماره خراسان إن لم تتمّ، فقطع خالد القتال، و لم يتمّه، و قال لربيعه:

قد برت أيمانكم فحسبكم، فلما كان عام الجماعة و بايع النّاس معاويه أمره معاويه على خراسان و بعثه اليها فمات قبل أن يبلغها.

قال نصر فى حديث عمر بن سعد: إنّ عليّا صلّى بهم يومئذ صلاه الغداه ثمّ زحف بهم، فلمّا بصروه قد خرج استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالا شديدا، ثمّ إنّ خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب عليّ ألف رجل أو أكثر، فأحاطوا بهم و حالوا بينهم و بين أصحابهم فلم يروهم، فنادى عليّ ألا رجل يشرى نفسه لله و يبيع دنيا بآخرته فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحرث على فرس أدهم كأنه غراب مقنّع فى الحديد لا يرى منه إلّا عيناه فقال: يا أمير المؤمنين مرني بأمرك فوالله لا تأمرني بشيء إلّا صنعته فقال عليّ عليه السّلام:

سمحت بأمر لا يطاق حفيظه و صدقا و اخوان الوفاء قليل

جزاك إله الناس خيرا فإنّه لعمرك فضل ما هناك جزيل

أبا الحرث شد الله ركنك احمل على أهل الشام حتى تأتي أصحابك فتقول لهم إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام و يقول لكم هَلُّوا و كبروا من ناحيتكم، و نهَلِّ و نكبر من ههنا و احمِلوا من جانبكم و نحمل من جانبنا على أهل الشام فضرب الجعفي فرسه حتى اذا أقامه على أطراف سنانكه حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب علي عليه السلام فطاعنهم ساعه و قاتلهم فافرجوا له حتى خلص إلى أصحابه.

فلما رأوه استبشروا به و فرحوا و قالوا: ما فعل أمير المؤمنين عليه السلام قال صالح يقرئكم السلام و يقول لكم: هَلُّوا و كبروا و احمِلوا حملة رجل واحد من جانبكم و نهَلِّ نحن من جانبنا ففعلوا ما أمرهم به و هَلُّوا و كبروا و هَلَّل علي و كبر هو و أصحابه و حمل على أهل الشام و حملوهم من وسط أهل الشام فانفرج عنهم و خرجوا و ما اصاب منهم رجل واحد، و لقد قتل من فرسان الشام يومئذ زهاء سبعمائة إنسان و قال علي عليه السلام من أعظم الناس اليوم عناء؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال: كلا و لكنه الجعفي.

قال نصر: و كان علي عليه السلام لا يعدل بريعه أحدا من الناس، فشق ذلك على مضر و أظهر والهم «له خ ل» القبيح و أبدوا ذات أنفسهم، فقام أبو الطفيل عامر بن وائل الكنانى و عمير بن عطار التميمي و قبيصة بن جابر الأسدي و عبد الله بن الطفيل العامري فى وجوه قبائلهم، فأتوا عليا فتكلم أبو الطفيل فقال: يا أمير المؤمنين انا و الله ما نحسدقو ما خصهم الله منك بخير و إن هذا الحى من ربيعه قد ظنوا أنهم أولى بك منك فاعفهم عن القتال أياما و اجعل لكل امرئ منا يوما نقاتل فيه فانا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا، فقال علي عليه السلام: نعم اعطيكم ما طلبتم، و أمر ربيعه أن تكف عن القتال و كانت بازاء اليمن من صفوف أهل الشام.

فغدا أبو الطفيل عامر بن وائل فى قومه من كنانه و هم جماعه عظيمه فتقدم أمام الخيل و اقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرف إلى علي فأثنى عليه السلام عليه خيرا.

ثم غدا فى اليوم الثانى عمير بن عطار بجماعه من بنى تميم و هو يومئذ سيد

مضر الكوفه فقال: يا قوم إني اتبع آثار أبي الطفيل فاتبعوا آثار كنانه و قاتل أصحابه قتالا شديدا حتى امسوا و انصرف عمير إلى عليّ عليه السّلام و عليه سلاحه.

ثمّ غدا في اليوم الثالث قيصره بن جابر الأسدي في بني أسد و قال لأصحابه:

يا بني أسد اما أنا فلا أقصر دون صاحبي و أمّا أنتم فذاك اليكم، ثمّ تقدّم فقاتل القوم إلى أن دخل الليل.

ثمّ غدا في اليوم الرابع عبد الله بن الطفيل العامري في جماعه هوازن فحارب بهم حتى الليل ثمّ انصرفوا.

قال نصر: كتب عقبه بن مسعود عامل عليّ عليه السّلام على الكوفه إلى سليمان بن صرد الخزاعي و هو مع عليّ: أمّا بعد فإنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم و لن تفلحوا إذا أبدا، فعليك بالجهاد و الصّبر مع أمير المؤمنين و السّلام.

قال و حدّثنا عمر بن سعد و عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال:

قام عليّ عليه السّلام فخطب النّاس بصفين فقال:

الحمد لله على نعمه الفاضله على جميع من خلق من البرّ و الفاجر، و على حججه البالغه على خلقه من أطاعه فيهم و من عصاه، إن يرحم فبفضله و منّه، و إن عذب فبما كسبت أيديهم و أنّ الله ليس بظلام للعبيد، أحمده على حسن البلاء و تظاهر النّعماء، و أستعينه على ما بنا من أمر الدّنيا و الآخرة، و أتوكّل عليه و كفى بالله وكيلا.

ثمّ إنني أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ارسله بالهدى و دين الحقّ و ارتضاه لذلك، و كان أهله و اصطفاه لتبليغ رسالته و جعله رحمه منه على خلقه، فكان لعلمه منه «كعلمه فيه خ ل»، رءوفا رحيمًا و أفضلهم علما و أثقلهم حلما و أوفاهم بعهد و آمنهم على عقد، لم يتعلّق عليه مسلم و لا كافر بمظلمه قط، بل كان يظلم فيغفر و يقدر فيصفح حتّى مضى مطيعا لله صابرا على ما اصابه مجاهدا في الله حق جهاده حتّى أتاه اليقين، فكان ذهابه أعظم المصيبه

ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعه الله وينهاكم عن معصيته، وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عهدا فلست أحمده عنه وقد حضرتم عدوكم و علمتم أن رئيسهم منافق ابن منافق يدعوهم إلى النار، وابن عمّ نبيكم معكم وبين أظهركم و يدعوكم إلى الجّنة و إلى طاعه ربكم و العمل بسنّه نبيكم، و لا سوى من صلى قبل كلّ ذكر لا يسبقني بصلاه مع رسول الله أحد و أنا من أهل بدر و معاويه طليق ابن طليق، و الله إنّنا على الحقّ و إنّهم على الباطل فلا تجتمعن عليه و تتفرّقوا عن حقكم حتّى يغلب باطلهم على حقكم، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، فان لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم.

فقام أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين انهض بنا إلى عدوّنا و عدوّك إذا شئت فوالله لا نريد بك بدلا بل نموت معك و نحيا معك، فقال لهم:

و الذى نفسى بيده لنظر إلى النّبي أضرب بين يديه بسيفى هذا فقال: لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا علىّ، فقال لى: يا علىّ أنت منى بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى و موتك و حياتك يا علىّ معى، و الله ما كذب و لا كذبت و لا ضللت و لا نسيت ما عهد إلىّ و إنّى على بينه من ربّى و على الطريق الواضح ألفظه لفظا ثم نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتّى غاب الشّفق الأحمر و ما كانت صلاه القوم فى ذلك اليوم إلّا تكبيرا.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشّعبي عن صعصعه بن صوحان قال برز فى أيام صفّين رجل اشتهر بالبأس و النّجده اسمه كريث بن الوضاح، فنادى من يبارز، فخرج إليه المرتفع بن وضاح الزّبيدى فقتله، ثم - نادى من يبارز فخرج اليه الحارث بن الحلاج فقتله، ثم نادى من يبارز فخرج إليه عائد بن مسروق الهمدانى فقتله، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض و نادى من يبارز.

فخرج إليه علىّ عليه السّلام و ناداه ويحك يا كريث إنّى احذرك الله و بأسه و نقمته و أدعوك إلى سنّه الله و سنّه رسوله ويحك لا يدخلنك معاويه النار، فكان جوابه أن

قال: أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة ولا حاجة لنا فيها، اقدم إذا شئت من يشتري سيفي و هذا أثره فقال علي عليه السلام لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم مشى إليه فلم يمهل أن ضربه ضربه خرّ منها قتيلا يشحط في دمه ثم نادى من يبرز فبرز إليه الحرث بن وداعة (الحرث بن وداعة خ ل) الحميري فقتله، ثم نادى من يبرز فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتل مطاعا، ثم نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحد فنادى «الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين» يا معاوية هلم إلي فبارزني و لا يقتلن الناس فيما بيننا، فقال عمرو بن العاص اغتنمه متهزأ قد قتل ثلاثة أبطال العرب و إنني أطمع أن يظفرك الله به، فقال معاوية و الله لن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدى اذهب إليه فليس مثلى يخدع قال نصر: و خطب عبد الله بن العباس يومئذ فقال:

الحمد لله رب العالمين الذي دحى تحتنا سبعا و سمك فوقنا سبعا و خلق فيما بينهنّ خلقا و أنزل لنا منهنّ رزقا، جعل كلّ شيء يبلى و يفنى غير وجهه الحي القيوم الذي يحيى و يبقى، إنّ الله تعالى بعث أنبياء و رسلا فجعلهم حججا على عباده عذرا و نذرا لا يطاع إلا بعلمه و اذنه بالطاعة على من يشاء من عباده، ثم يثيب عليها و يعصى فيعفو و يغفر بحلمه لا يقدر قدره و لا يبلغ شيء مكانه، أحصى كلّ شيء عددا و أحاط بكلّ شيء علما.

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله امام الهدى و النبي المصطفى، و قد ساقنا قدر الله إلى ما ترون حتّى كان ممّا اضطرب من جعل هذه الامه و انتشر من امرها أنّ معاوية بن أبي سفيان وجد من طغام الناس أعوانا على ابن عمّ رسول الله و صهره و أول ذكر صلّى معه بدرى، قد شهد مع رسول الله كلّ مشاهده التي فيها الفضل و معاوية مشرك يعبد الاصنام و الذي ملك الملك وحده و بان به لقد قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله

و هو يقول: صدق الله و رسوله و معاويه يقول كذب الله و رسوله، فعليكم بتقوى الله و الجدّ و الحزم و الصبر و الله إنكم لعلّى حقّ، و إنّ القوم لعلّى باطل، فلا يكونن أولى بالجدّ على باطلهم منكم فى حقّكم، و إنّنا لنعلم أنّ الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم، اللهم أعنا و لا تخذلنا و انصرنا على عدونا و لا تحل عنا، و افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو عن عبد الرحمن بن جندب عن جندب بن عبد الله قال: قام عمّار يوم صفيين فقال:

انهضوا معى عباد الله إلى قوم يزعمون أنّهم يطلبون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالعدل و الاحسان، فقالوا هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدّين: لم قتلتموه؟ قلنا: لاحدائه، فقالوا: إنّّه لم يحدث شيئا و ذلك لأنّه مكنهم من الدّنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهدمت الجبال، و الله ما أظنّهم يطلبون بدم إنّهم ليعلمون أنّه لظالم و لكنّ القوم و افوا للدّنيا فاستحبّوها و استمروها و علموا أنّ صاحب الحقّ لو ولاهم لحال بينهم و بين ما يأكلون و يرعون منها إنّ القوم لم تكن لهم سابقه فى الاسلام يستحقّون بها الطاعة و الولايه فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل امامنا مظلوما ليكونوا بذلك جبابره و ملوكا، تلك مكيدته قد بلغوا بها ما ترون، و لولاها ما بايعهم من النّاس رجل اللهم ان تنصرنا فطال ما نصرت و ان تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الاليم ثم مضى و مضى معه أصحابه، فدنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعث دينك بمصر فتبا لك فطال ما بغيت للاسلام عوجا، ثم نادى عبيد الله بن عمر و ذلك قبل مقتله و قال: يا بن عمر صرّعك الله بعث دينك بالدّنيا من عدوّ الله و عدوّ الاسلام، قال: كلّا و لكنّى اطلب بدم عثمان الشّهيد المظلوم، قال: كلّا اشهد على علمى فيك أنّك أصبحت لا تطلب فى شىء من فعلك وجه الله و أنّك ان لم تقتل اليوم فستموت فانظر اذا أعطى الله على نيّاتهم مايتّتك ثم قال:

اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في ان اقدف بنفسى هذا البحر لفعلت اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبيه سيفى فى بطنى ثم أنحنى عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم إننى أعلم ممّا علمتني أنني لا أعمل عملا اليوم هذا هو أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين، و لو أعلم اليوم عملا هو أرضى لك منه لفعلت و فى البحار روى نصر عن عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد الجهنى أنّ عمار بن ياسر نادى يومئذ أين من يبغى رضوان ربّه و لا يؤب إلى مال و لا ولد؟ قال:

فأنته عصابه من الناس فقال: يا أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان و يزعمون أنّه قتل مظلوما، و الله إن كان إلّا ظالما لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله.

فدفع على عليه السلام الزايه الى هاشم بن عتبّه و كان عليه درعان فقال له على كهيئّه المازح: أبا هاشم أما تخشى على نفسك أن تكون أعورا جباناً؟ قال: ستعلم يا أمير المؤمنين و الله لا- لفنّ بين جماجم القوم لفّ رجل ينوى الآخره، فأخذ محافهزه فانكسر، ثم أخذ آخر فوجده جاسيا فألقاه، ثم دعا برمح لّين فشدّ به لوائه و لما دفع على عليه السلام الزايه إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: اقدم مالك يا هاشم قد انتفخ سحر كعورا و جنبنا، قال: من هذا؟ قالوا: فلان قال: أهلها و خير منها إذا رأيتنى صرعت فخذها ثم قال لأصحابه شدوا شسوع نعالكم و شدّوا ازركم فاذا رأيتموني قد هزرت الزايه ثلاثا فاعلموا أنّ أحدا منكم لا يسبقني إلى الحمله.

ثم نظر هاشم إلى عسكر معاويه فرأى جمعا عظيما، فقال: من أولئك؟ قالوا أصحاب ذى الكلاع ثم نظر فرأى جندا آخر فقال: من أولئك؟ قالوا: جند أهل المدينه قريش، قال: قومي لا حاجه لى فى قتالهم، قال من عند هذه القبّه البيضاء؟ قيل معاويه و جنده، فحمل حينئذ يرقل ارقالا(1)

ص: ٦٩

١- (١) ارقل اسرع و المفازه قطعها و ناقه مرقال و مرقل كمحسن و محسنه مسرعه و المرقال هاشم ابن عتبّه لأنّ عليا عليه السلام اعطاء الرايه يوم صفين فكان يرقل بها، ق

و عن عبد العزيز بن سِيَّاح عن حبيب بن أبي ثابت قال: لَمَّا كان قتال صَفَّين و الزَّايه مع هاشم بن عتبة جعل عَمَّار بن ياسر يتناوله بالرَّمح و يقول: اقدم يا أعور لا- خير في أعور لا- يأتى الفزع قال: فجعل يستحيى من عَمَّار و كان عالما بالحرب فيتقدّم فيركز الرايه فاذا سامت إليه الصَّيفوف قال عَمَّار: اقدم يا أعور لا خير في أعور لا يأتى الفزع فجعل عمرو بن العاص يقول: إننى لأرى لصاحب الزَّايه السَّوداء عملاً- لئن دام ليفنينَّ العرب اليوم، فاقتتلوا قتالا شديدا و جعل عَمَّار يقول صبرا عباد الله، الجَنَّة فى ظلال البيض قال: و كانت علامه أهل العراق بصفين الصَّوف الأبيض قد جعلوه فى رؤوسهم و على اكتافهم، و شعارهم يا الله يا أحد يا صمد يا رحيم، و كانت علامه أهل الشَّام خرقا بيضا قد جعلوه على رؤوسهم و اكتافهم، و كان شعارهم نحن عباد الله حقًّا يا لثارات عثمان.

قال: فاجتلدوا بالسَّيوف و عمد الحديد، فما تحاجزنا حتَّى حجز بيننا سواد الليل و لا يرى رجل مَنَّا و لا منهم موليا، فلَمَّا أصبحوا و ذلك يوم الثلاثاء خرج النَّاس إلى مصافهم.

فقال أبو نوح، فكنت فى خيل على عليه السَّلام فاذا أنا برجل من أهل الشَّام يقول من يدلّنى على الحميرى إلى نوح، قال: قلت فقد وجدته فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع سر الحى، فقال أبو نوح: معاذ الله أن أسير إليك إلّا فى كتيبه، قال ذو الكلاع سرفلك ذمّه الله و ذمّه رسوله و ذمّه ذى الكلاع حتّى ترجع إلى خيلك فانّما اريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه فسار حتّى التقيا، فقال ذو الكلاع إنّما دعوتك احداثك حديثا حدّثنا عمرو بن العاص فى أماره عمر بن الخطاب قال أبو نوح: و ما هو؟ قال: حدّثنا عمرو بن العاص أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: يلتقى أهل الشَّام و أهل العراق و فى إحدى الكتيبتين الحقّ و امام الهدى و معه عَمَّار بن ياسر، قال أبو نوح: لعمر الله إنّّه لفينا، قال:

أجادّ هو على قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم و ربّ الكعبه فهو أشدّ على قتالكم منّى

فقال ذو الكلاع: هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره عن عمّار و عن جدّه في قتالنا لعلّه يكون صلحا بين هذين الجندين، فقال له أبو نوح إنك رجل غادر و أنت في قوم غدر و إن لم تكن تريد الغدر أغدروك و إنني إن أموت أحبّ إليّ أن أدخل مع معاوية و أدخل في دينه و أمره.

فقال ذو الكلاع: أنا جار لك من ذلك أن لا تقتل و لا تسلب و لا تكره على بيعه و لا تحبس عن جندك، و إنما هي كلمه تبلغها عمرا لعلّ الله يصلح بين هذين الجندين و يضع عنهم الحرب و السّلاح، فسار معه حتى أتى عمرو بن العاص و هو عند معاوية و حوله النّاس و عبيد الله بن عمر يحرض النّاس فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا با عبد الله هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار بن ياسر و لا يكذبك؟ قال عمرو: و من هذا معك؟ قال هذا ابن عمّي و هو من أهل الكوفه، فقال له عمرو: إنني لأرى عليك سيما أبي تراب قال: سيما محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و أصحابه، و عليك سيما أبي جهل و هو سيما فرعون.

فقام أبو الاعور فسلب سيفه ثمّ قال: أرى هذا الكذاب يشاتمنا بين أظهرنا و عليه سيما أبي تراب فقال ذو الكلاع اقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمنّ أنفك بالسيف ابن عمي و جاري عقدت له ذمتي و جئت به إليكم ليخبركم عمّا تماريتم فيه.

فقال له عمرو: اذكرك بالله يا با نوح إلّا ما صدقت أفيكم عمّار بن ياسر؟ فقال له أبو نوح: ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لم تسأل عنه فإنّ معنا من أصحاب رسول الله غيره و كلّهم جادّ على قتالكم.

قال عمرو: سمعت رسول الله يقول: إنّ عمّارا تقتله الفئة الباغية، و إنّّه ليس ينبغي لعمّار أن يفارق الحقّ و لن تأكل النّار منه شيئا، فقال أبو نوح: لا إله إلّا الله و الله أكبر إنّّه لفينا جادّ على قتالكم.

فقال عمرو: والله إنه لجادّ على قتالنا؟ قال: نعم والله الذى لا إله إلا هو لقد حدّثنى يوم الجمل إنا سنظهر عليهم و لقد حدّثنى أمس أن لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر(١) لعلمنا أننا على الحقّ وأنهم على باطل، و لكنت قتالنا فى الجنّة و قتلهم فى النار فقال له عمرو: هل تستطيع أن تجمع بينى و بينه؟ قال: نعم.

فلَمّا أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص و ابنه و عتبه بن أبى سفيان و ذو الكلاع و أبو الأعور السلمى و حوشب و الوليد بن أبى معيط فانطلقوا حتّى أتوا خيولهم و سار أبو نوح و معه شرحبيل بن ذى الكلاع حتّى انتهى إلى أصحابه فذهب أبو نوح إلى عمّار فوجده قاعداً مع أصحابه مع ابنى بديل و الهاشم و الأشر و جاريه بن المثنى و خالد بن المعتمر و عبد الله بن حجل و عبد الله بن العباس.

فقال ابو نوح: إنّه دعانى ذو الكلاع و هو ذو رحم فذكر ما جرى بينه و بينهم و قال: أخبرنى عمرو بن العاص أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: عمّار تقتله الفئة الباغية، فقال عمّار صدق و ليضرب به ما سمع و لا ينفعه، فقال أبو نوح: إنّه يريد أن يلقاك فقال عمّار لأصحابه: اركبوا.

قال و نحن اثنا عشر رجلاً بعمار فسرنا حتّى لقيناهم ثمّ بعثنا إليهم فارساً من عبد القيس يسمّى عوف بن بشر، فذهب حتّى كان قريباً من القوم، ثمّ نادى أين عمرو بن العاص؟ قالوا: ههنا فأخبرهم بمكان عمّار و خيله، فقال عمرو فليسر الينا:

فقال له عوف: إنّى أخاف غدر انك، ثمّ جرى بينهما كلمات تركتها إلى أن قال:

أقبل عمّار مع أصحابه و عمرو مع أصحابه فتوافقا فقال عمرو: يا أبا اليقظان اذكرك الله إلا كففت سلاح أهل هذا العسكر و حقنت دمائهم فعلى م تقاتلنا؟ أو لسنا نعبد إلها واحداً و نصلى قبلتكم و ندعو دعوتكم و نقرأ كتابكم و نؤمن برسولكم؟ فقال عمار: الحمد لله الذى أخرجها من فيك، إنّها لى و لأصحابى القبله و الدّين و عباده الرّحمن و النّبىّ و الكتاب من دونك و دون أصحابك و جعلك

ص: ٧٢

١- (١) هجر بالتحريك بلد ببحرين كثير النخل، لغه.

ضالاً- مضّلاً ولا- تعلم هاد أنت أم ضالّ، وجعلك أعمى و سأخبرك على ما قاتلتك عليه أنت و أصحابك أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم أن أقاتل النّاكثين ففعلت، و أمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم و أما المارقون فما أرى ادركمهم أم لا.

أيّها الابتر(١) تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم قال لعليّ عليه السّلام من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و أنا مولا الله و رسوله و عليّ بعده و ليس لك مولى.

فقال له عمرو: فما ترى فى قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب سوء، قال عمرو فعليّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ عليّ قتله و عليّ معه، قال عمرو: أ كنت فيمن قتله؟ قال: أنا مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معه، قال: فلم قتلتموه؟ قال: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه، قال عمرو: ألا تسمعون قد اعترف بقتل إمامكم قال عمّار: و قد قالها فرعون قبلك: ألا تسمعون.

فقام أهل الشّام و لهم زجل فركبوا خيولهم و رجعوا فبلغ معاويه ما كان بينهم فقال له: هلكت العرب إن أخذتهم خفّه العبد الأسود يعنى عمارا، و خرج إلى القتال و صفت الخيول بعضها لبعض و زحف النّاس، و على عمّار درع و هو يقول أيّها النّاس الرّواح إلى الجنّه، فاقتتل الناس قتالا شديدا لم يسمع النّاس بمثله، و كثرت القتلى حتّى أن كان الرّجل ليشدّ طنبا فسطاطه بيد الرّجل أو برجله.

فقال الأشعث: لقد رأيت أخيه صفّين و أروقتهم و ما منها خباء و لا رواق و لا بناء و لا فسطاط إلّا مربوطا بيد رجل أو رجله و جعل أبو سماك الأسدى يأخذ اداوه من ماء و شفره حديد فيطوف فى القتلى فاذا رأى رجلا جريحا و به رمق قام و سأل أمير المؤمنين عليه السّلام فان قال: على غسل عنه الدّم و سقاه من الماء و إن سكت و جاء بسكين حتّى يموت، قال: فكان يسمّى المخضخض(٢) و عن عمرو بن شمر عن جابر عن الشّعبى عن الأحنف بن قيس قال: و الله

ص: ٧٣

١- (١) ماخوذ من قوله تعالى «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» منه.

٢- (٢) ماخوذ من الخضخضه و هو تحريك الماء و السويق و نحوهما منه.

إني إلى جانب عمّار فتقدّمتنا حتّى إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمار. احمل فداك ابى و أمى و نظر عمّار إلى رقه فى الميمنه فقال له هاشم، رحمك الله يا عمار إنك رجل تأخذك خفه فى الحرب و إننى إنّما أزحف باللواء زحفا و أرجو أن أنال بذلك حاجتى، و إننى إن خففت لم آمن الهلكه.

و قد قال معاويه لعمر و يحك يا عمرو إنّ اللواء مع هاشم كأنه يرقل به إرقالا و أنّه إن زحف به زحفا أنّه ليوم أطول لأهل الشّام، فلم يزل به عمّار حتّى حمل فبصر به معاويه فوجه إليه جملة أصحابه و من برز بالنّاس منهم فى ناحيه و كان فى ذلك الجمع عبد الله بن عمرو و معه سفيان قد تقلد بواحد و هو يضرب بالآخر و أطاقت به خيل علىّ عليه السّلام فقال عمرو: يا الله يا رحمن ابنى ابنى، و كان يقول معاويه: اصبر اصبر فأنّه لا بأس عليه قال عمرو لو كان يزيد اذا لصبرت.

و لم يزل حمّاه أهل الشّام يذبّون عنه حتّى نجا هاربا على فرسه و اصيب هاشم فى المعركه، قال و قال عمار حين نظر الى رايه عمرو بن العاص: إنّ هذه الرّايه قد قاتلتها ثلاث عركات(١) و ما هى بأرشد هنّ ثمّ حمل و هو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ الى سبيله يا ربّ انّى مؤمن بقبله

(٢) ثمّ استسقى و اشتدّ ظمأؤه، فأنته امرئه طويله اليدين ما ادرى اعسّ (٣) معها أم اداوه فيها ضياح(٤) من لبن و قال الجنّه تحت الاسنه اليوم ألقى الأحبّه محمّدا صلّى الله عليه و آله و حزبه، و الله لو ان لبونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنهم

ص: ٧٤

١- (١) اى مرات

٢- (٢) بمعنى القول.

٣- (٣) العسّ بضم العين القدح العظيم الجمع عساس ككتاب قاموس.

٤- (٤) هو بالفتح كالضّيح اللبن الممزوج بالماء، ق.

و حمل عليه ابن جوين السكسكى و ابو العاديه الفزارى، فأما أبو العاديه فطعنه و أما ابن جوين فاجتز رأسه عليهما لعنه الله.

فقال ذو الكلاع لعمره: و يحك ما هذا؟ قال عمرو: إنه سيرجع إلينا و ذلك قبل أن يصاب عمار، فاصيب عمار مع على و اصيب ذو الكلاع مع معاويه فقال عمرو: و الله يا معاويه ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحا، و الله لو بقى ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامه قومه و لأفسد علينا جندنا.

قال: فكان لا يزال رجل يجيء فيقول: أنا قتلت عمارا فيقول عمرو فما سمعتموه يقول فيخلطون حتى أقبل ابن جوين فقال: أنا قتلت عمارا فقال له عمرو: فما كان آخر منطقه؟ قال: سمعته يقول اليوم ألقى الأحبه محمدا و حزبه، قال عمرو: صدقت أنت أما و الله ما ظفرت بذلك و لكن اسخطت ربك.

و فى الاحتجاج روى عن الصادق عليه السلام أنه لما قتل عمار ارتعدت فرايص خلق كثير و قالوا: قد قال رسول الله صلى الله عليه و اله عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو بن العاص على معاويه فقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس و اضطربوا، قال: لما ذا؟ قال: قتل عمار، قال: فما ذا؟ قال: أليس قال رسول الله صلى الله عليه و اله تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاويه دحضت فى قولك أنحن قتلناه إنما قتله على بن أبى طالب لما ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلى بن أبى طالب، فقال: فاذن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم هو الذى قتل حمزه و ألقاه بين رماح المشركين.

و فى البحار من كتاب الكشى باسناده عن اسماعيل بن أبى خالد قال:

سمعت قيس بن أبى حازم قال: قال عمار بن ياسر: ادفنوني فى ثيابى فأنى مخلص.

و من كشف الغمه قال: و نقلت من مناقب الخوارزمى قال: شهد خزيمة بن ثابت الأنصارى الجمل و هو لا يسل سيفاً و شهد صفين و قال: لا أصلى أبدا خلف إمام حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول: يقتله

الفئة الباغية، فلما قتل عمار قال خزيمة: قد حانت لى الصلاه ثم اقترب و قاتل حتى قتل.

و كان الذى قتل عمار أبو عاديه المرى طعنه برمح فسقط و كان يومئذ يقاتل و هو ابن أربع و تسعين سنه، فلما وقع أكب عليه رجل فاجتزأ رأسه فأقبلا يختصمان كلاهما يقول أنا قتلتة.

فقال عمرو بن العاص: و الله ان يختصمان إلا فى النار، فسمعها معاويه فقال لعمرو، ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان فى النار، فقال عمرو: هو و الله ذلك و أنك لتعلمه و لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنه.

و بالاسناد عن أبى سعيد الخدرى قال: كنّا نعمّر مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله و كنّا نحمل لبنة لبنة و عمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى صلّى الله عليه و اله فجعل ينفذ التراب عن رأس عمار و يقول: يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك؟ قال: إني اريد الأجر من الله تعالى، قال: فجعل ينفذ التراب عنه و يقول: و يحك تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة و يدعونك إلى النار، قال عمار: أعوذ بالرحمن أظنه قال من الفتنة.

و من كتاب الكفايه عن أبى المفضل الشيبانى فى حديث طويل مسندا عن النبى صلّى الله عليه و آله قال: يا عمار ستكون بعدى فتنه فاذا كان ذلك فاتبع عليا و حزه فأنه مع الحقّ و الحقّ معه، يا عمار إنك ستقاتل بعدى مع علىّ صنفين: الناكثين و القاسطين، ثم يقتلك الفئة الباغية، قلت: يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله و رضاك؟ قال: نعم، على رضا الله و رضاى و يكون آخر ذلك «زادك» شربه من لبن تشربه.

فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أخا رسول الله أ تأذن لى فى القتال؟ قال: مهلا رحمك الله، فلما كان بعد ساعه أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله، فأعاده ثالثا فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليه عمار

فقال: يا أمير المؤمنين إنه اليوم الذى وصف لى رسول الله.

فنزل أمير المؤمنين عليه السلام عن بغلته و عانق عمارا و ودعه ثم قال: يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله و عن نبيك خيرا فنعم الأخ كنت و نعم الصاحب كنت ثم قال: و الله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلا ببصيره فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: يا عمار ستكون بعدى فتنة فاذا كان ذلك فاتبع عليا و حزه فأنه مع الحق و الحق معه، و ستقاتل بعدى الناكثين و القاسطين، فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الاسلام أفضل الجزاء، فلقد أدت و بلغت و نصحت ثم ركب و ركب أمير المؤمنين عليه السلام، ثم برز إلى القتال ثم دعا بشربه من ماء فقيل ما معنا ماء فقام إليه رجل من الأنصار فاسقاه شربه من لبن، ثم قال: هكذا عهد إلى رسول الله أن يكون آخر زادى من الدنيا شربه من اللبن.

ثم حمل على القوم فقتل ثمانيه عشر نفسا فخرج إليه رجلا من أهل الشام فطعنا فقتل رحمه الله، فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين عليه السلام فى القتلى فوجد عمارا ملقى، فجعل رأسه على فخذة ثم بكى عليه السلام و أنشأ يقول:

ايا موت كم هذا التفرق عنوه فلست تبقى لى خليل

أراك بصيرا بالذين أحبهم كأنك تمضى نحوهم بدليل

قال المجلسى: فى الديوان هكذا:

ألا أيها الموت الذى ليس تاركى أرحنى فقد أفنيت كل خليل

أراك بصيرا بالذين أحبهم كأنك تنحو نحوهم بدليل

قال نصر بن مزاحم: لما حدث عمرو بن العاص فى عمار ما قاله النبى صلى الله عليه و اله خرج عبد الله عمر العيسى و كان من عباد أهل زمانه ليلا فأصبح فى عسكر على عليه السلام فحدث الناس بقول عمرو فى عمار فلما سمع معاويه هذا القول بعث إلى عمرو و قال: أفسدت على أهل الشام، أكل ما سمعته من رسول الله تقوله؟ فقال عمرو: قلتها و لست و الله أعلم الغيب و لا أدرى أن صفين يكون عمار خصمنا، و قد رويت أنت فيه مثل الذى

رويت فاسأل أهل الشام فغضب معاويه و تنمر (١) لعمر و منعه و خيره، و قال عمرو لا خير لى فى جوار معاويه إن تجلت هذه الحرب عنا و كان عمرو حمى الانف فقال فى ذلك:

تعاتبنى ان قلت شيئا سمعته و قد قلت لو أنصفتنى مثله قبلى

و ما كان لى علم بصفين أنها تكون و عمار يحث على قتلى

فلو كان لى بالغيب علم كتمتها و كایدت أقواما مراجلهم تغلى

إلى آخر الأبيات ثم أجابه معاويه بأبيات تشتمل على الاعتذار، فأتاه عمرو و أعتبه و صار أمرهما واحدا ثم إن عليا دعا هاشم بن عتبة و معه لواؤه، و كان أعور، و قال:

حتى متى تأكل الخبز و تشرب الماء، فقال هاشم: لا يجهز ان لا أرجع إليك أبدا.

قال نصر عن عمر بن سعد عن رجل عن أبى سلمه أن هاشم دعا فى الناس عند المساء ألا من كان يريد الله و الدار الآخر فليقبل فأقبل إليه ناس فشد فى عصابه من أصحابه على أهل الشام مرارا، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له و قوتل فيه قتالا شديدا، فقال لأصحابه.

لا يهو لئكم ما ترون من صبرهم فو الله ما ترون منهم إلا حمية العرب و صبرها عند راياتها و عند مراكرها، و إنهم لعلى الضلال و إنكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا و صابروا و اجتمعوا و امشوا بنا إلى عدونا على تئوده (٢) رويدا و اذكروا الله و لا يسلمن رجل أخاه و لا تكثروا الالتفات و اصمد و اصمدهم و جالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين.

فقال أبو سلمه فمضى فى عصابه من القرءاء فقاتل قتالا شديدا هو و أصحابه حتى رأى بعض ما يسرون به إذ خرج عليهم فتى شاب و شد يضرب بسيفه و يلعن و يشتم و يكثر الكلام فقال له هاشم: إن هذا الكلام بعده الخصام و إن هذا القتال بعده الحساب

ص: ٧٨

١- (١) تنمر تشدد فى الصوت عند الوعيد و تشبه النمر و هو السبع ق.

٢- (٢) التئوده التأنى فى المشى م.

فاتق الله فانك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به.

قال: فأتى اقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلى كما ذكر لى و إنكم لا تصلون، و اقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا و أنتم و ازرتموه على قتله.

فقال له هاشم و ما أنت و ابن عفان إنما قتله أصحاب محمد حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب و أصحاب محمد هم أصحاب الدين و أولى بالنظر فى امور المسلمين و ما أظن أن أمر هذه و لا أمر هذا الدين عناك طرفه عين قط.

فقال الفتى: أجل و الله لا الكذب فإن الكذب يضر و لا ينفع و يشين و لا يزين.

فقال له هاشم إن هذا الأمر لا علم لك به فخله و أهل العلم به قال: أظنك و الله قد نصحتنى فقال هاشم: و أما قولك إن صاحبنا لا يصلى فهو أول من صلى لله مع رسول الله، وافقه فى دين و أولى برسول الله، و أما من ترى معه فكلهم قارى الكتاب لا ينام الليل تهجدا فلا يغرك عن دينك الأشقياء المغرورون.

قال الفتى: يا عبد الله إنى لا ظنك امرء صالحا أخبرنى هل تجد لى من توبه؟ قال: نعم تب إلى الله يتب عليك قال فذهب الفتى راجعا، فقال رجل من أهل الشام خدعك العراقى، قال: و لكن نصحنى.

و قاتل هاشم هو و أصحابه قتالا شديدا حتى قتل تسعة نفرا و عشره، و حمل عليه الحرث بن المنذر فطعنه فسقط، و بعث إليه على أن قدم لوائك، فقال للرسول انظر إلى بطنى فاذا هو قد انشق فأخذ الرايه رجل من بكر بن وائل، و رفع هاشم رأسه فاذا هو بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قتيلا إلى جانبه فجثا حتى دنى منه فعص على ثديه حتى تبينت فيه أنيابه ثم مات هاشم و هو على صدر عبيد الله.

و ضرب البكرى فوق فابصر عبيد الله فعص على ثديه الآخر و مات أيضا، فوجدا جميعا ماتا على صدر عبيد الله، و لما قتل هاشم جزع الناس عليه جزعا شديدا و اصاب معه عصابه من أسلم من القراء، فمرّ عليهم على عليه السلام و هم قتلى حوله فقال عليه السلام:

جزى الله خيرا عصبه أسلميه صباح الوجوه صرّعوا حول هاشم

يزيد و عبد الله بشر و معبد و سفيان و ابنا هاشم ذى المكارم

و عروه لا يبعد ثناه و ذكره إذا اخترط البيض الخفاف الصوارم

ثم أخذ الزايه عبد الله بن هاشم، قال نصر: حدثنا عمرو بن شمر قال: لما انقضى أمر صفين و سلم الأمر الحسن إلى معاويه و فدت إليه الوفود و أشخص عبد الله بن هاشم أسيرا فأتى به معاويه، فلما دخل عليه و عنده عمرو بن العاص قال: يا أمير المؤمنين هذا المحتال بن المرقال فدونك الضب اللاحظ فإن العصيا من العصيه (١) و أنما تلد الحيه حيه و جزاء السيئه سيئه مثلها فقال له ابن هاشم: ما أنا بأول رجل خذله قومه و أدركه يومه، قال معاويه تلك ضغائن صفين و ما جنا عليك أبوك، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أمكنى منه فأشخب أو داجه على أثباجه (٢).

فقال له ابن هاشم: أفلا كان هذه الشجاعه منك يا بن العاص أيام صفين حين ندعوك إلى النزال و قد ابتلت أقدام الرجال من نقع (٣) الجربال (٤) و قد تضايقت بك المسالك و أشرفت فيها على المهالك، و ايم الله لو لا مكانك منه لنشبت لك منى خافيه (٥) ارميك من خلالها أحد من وقع الاثافي (٦) فأنك لا تزال

ص: ٨٠

-
- ١- (١) اى العود الكبير ينشأ من الصغير الذى غرس او لا مثل يضرب للشئ الذى يكون فى بدئه حقيرا زمخشري.
 - ٢- (٢) الشج ما بين الكاهل الى الظهر، ق.
 - ٣- (٣) النقع محبس الماء و كذلك ما اجتمع فى البئر منه و المراد هنا الدم.
 - ٤- (٤) صبغ احمر و حمره الذهب.
 - ٥- (٥) لعل المراد بالخافيه السهم المشتمل على الريش قال فى القاموس الخوا فى ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت او هى الاربع اللاتى بعد المناكب او هى السبع ريشات بعد السبع المقدمات انتهى منه.
 - ٦- (٦) لعل المراد بالاثافي هنا السنه التى تكوى بها

تکثر (۱) فی دهشک و تخبط فی مرسک (۲) تخبط العشواء فی اللیلہ الحندس الظلماء فأعجب معاویه ما سمع من کلام ابن هاشم فأمر به إلی السّجن و کفّ عن قتله هذا، و یأتی طرف آخر من بقیة الوقعه فی شرح بعض الکلمات الآتیة إن ساعدنا التوفیق و المجال إنشاء الله.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست که می فرمود بأصحاب خود در بعض روزهای جنگ صفین! ای جماعه مسلمان شعار خود گردانید خوف و خشیه کردگار را، و پوشش اخذ نمائید بجهه خود تمکین و وقار را، و بنهید دندانها را بر دندانها که بدرستی این برمی گرداند شمشیرها را از کاسه سر، و کامل نمائید زره را بسایر آلتهاى جنگ، و حرکت بدهید شمشیرها را در غلافها پیش از کشیدن آنها، و بنگرید بگوشه چشم تنک خشمناک، و بزیند نیزه را بچپ و راست، و دفع کنید دشمن را باطراف شمشیرها و برسانید شمشیرها را بدشمن با قدمها، و بدانید که شما منظور نظر کردگارید، و در خدمت پسر عم پیغمبر مختار می باشید.

پس مکرراً رجوع کنید بر طرف اشرار، و حیا نمائید از گریز و فرار، که فرار موجب عار است در اولاد و اعقاب، و باعث آتش است در روز حساب، و پاکیزه بشوید از حیثیت نفس در حالتی که تجاوز کننده باشید از نفسهای زایل و فانیه خودتان و بروید بسوی مرگ رفتن سهل و آسان، لازم کنید بر خود حمله آوردن بر سواد اعظم اهل عناد، و بر چادر طناب دار معاویه بد بنیاد پس بزیند میان آن خیمه را از جهه این که شیطان پنهان است در جانب آن خیمه که بتحقیق پیش آورده است آن شیطان بجهه برجستن دستی را، و پس کشیده است از برای گریختن پائی را پس قصد نمائید دشمن را قصد کردنی تا این که ظاهر

ص: ۸۱

۱- (۱) ای تکثر الکلام فی تحیرک و خوفک

۲- (۲) المرسه الحبل و الجمع المرس.

شود بشما ستون حق، و حال آنکه شما غالب و بلند مرتبه هستید، و خداوند با شماست و ناصر شماست، و ناقص نمی نماید از شما جزای عملهای شما را

و من کلام له علیه السلام فی معنی الانصار و هو السادس

اشاره

و الستون من المختار فی باب الخطب

قالوا: لَمَّا انتهت إلى أمير المؤمنين أنباء السِّقِيفِ بعد وفات رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال عليه السَّلام ما قالت الانصار؟ قالوا قالت: مَنَّا أمير و منكم أمير قال عليه السَّلام:

فهلَّا احتججتم عليهم بأنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و صِيَّيْ بَأْنِ يحسن إلى محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: و ما في هذا من الحجَّه عليهم؟ قال عليه السَّلام: لو كانت الإمامه فيهم لم تكن الوصِيَّه بهم، ثم قال:

فما ذا قالت قريش؟ قالوا: احتجَّتْ بأنَّها شجره الرُّسول صَلَّى الله عليه و آله فقال عليه السَّلام: احتجُّوا بالشَّجره و أضاعوا الثَّمره.

اللغه

(النَّبأ) كالخبر لفظا و معنا و (السِّقِيفه) الصِّيفه و سقيفه بنى ساعده فعيله بمعنى مفعوله و هي ظلّه كانت مجمع الأنصار و دار ندوتهم لفصل القضايا و (وصيت) الشَّيْءُ بالشَّيْءِ أَصْبِهَ مِنْ بَابِ و عدو وصيته و وصيت إلى فلان توصيه و أوصيته ايضاء و الاسم الوصايه بالكسر و الفتح لغه، و هو وصيَّ فعيل بمعنى مفعول و الجمع الأوصياء و أوصيت له بمال جعلته له، و أوصيته بولده استعطفته عليه، و أوصيته بالصَّلاه أمرته بها قال تعالى:

«ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

هَلَاءٌ من حروف التَّحْصِيصِ، قال نجم الأئمة الرضى: ومعناها إذا دخلت على الماضى التَّوْبِيخُ واللوم على ترك الفعل، و فى المضارع الحَضُّ على الفعل و الطلب له، فهى فى المضارع بمعنى الأمر و لا يكون التَّحْصِيصُ فى الماضى الذى قد فات إلاَّ أنَّها تستعمل كثيرا فى لوم المخاطب على أنه ترك فى الماضى شيئا يمكن تداركه فى المستقبل، فكأنَّها من حيث المعنى للتَّحْصِيصِ على فعل مثل ما فات، قوله: فما ذا قالت، يحتمل أن يكون ذا موصوله و أن تكون زائده كما فى قولهم: ما ذا صنعت و من ذا رأيت.

المعنى

إشارة

اعلم أنَّه (لما انتهت إلى أمير المؤمنين أنباء أهل السقيفة بعد وفات رسول الله صَلَّى الله عليه و اله) و مشاجرات المهاجرين و الأنصار و دعوى كل منهما استحقاق الخلافة لنفسه و احتجاج كلٍّ من الطرفين على الآخر بذكر المناقب و السوابق (قال عليه السَّلام ما قالت الأنصار) المهاجرين (قالوا) أنَّهم (قالت مَنَّا أمير و منكم أمير قال عليه السَّلام فهلا احتججتم عليهم بأنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلَّم وصى بان يحسن إلى محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم) و قد مرَّ تلك الوصية فى المقدمه الثالثه من مقدّمات الخطبه الشَّقْشَقِيه فى روايه الاحتجاج عن الشيبانى و رواها الشَّارح المعتزلى من صحيحى البخارى و مسلم فى مسنديهما عن أنس بن مالك قال:

مرَّ ابو بكر و العباس بمجلس من الأنصار فى مرض رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و هم يبيكون، فقالا: ما يبكيكم؟ قال: ذكرنا محاسن رسول الله صَلَّى الله عليه و اله فدخلا على النبى و أخبراه بذلك فخرج و قد عصب على رأسه حاشيه برده، فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله و أثنى عليه ثمَّ قال:

أوصيكم بالانصار فإنَّهم كرشى (١) و عيتى و قد قضاوا الذى عليهم و بقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم هذا.

وَلَمَّا لَمْ يَفْهَمُوا الْمَخَاطِبُونَ كَيْفِيَّةَ حُجَّتِهِ كَلَامَهُ عَلَى الْأَنْصَارِ وَدَلَالَتَهُ عَلَى بَطْلَانِ دَعْوَاهُمْ اسْتَفْهَمُوا عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ (قَالُوا وَ مَا فِي هَذَا) الْكَلَامِ (مَنْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ كَانَتْ الْأَمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ) لَكِنَّهَا بِهِمْ فَلَيْسَتْ الْأَمَارَةُ لَهُمْ، بَيَانُ الْمَلَاظِمَةِ أَنَّ الْعَرَفَ قَاضٍ بِأَنَّ الْوَصِيَّةَ انَّمَا تَكُونُ إِلَى الرَّئِيسِ فِي حَقِّ الْمَرْءِ وَسَ لَا بِالْعَكْسِ.

(ثُمَّ قَالَ: فَمَاذَا قَالَتْ قَرِيشُ) فِي مَقَامِ الْاِحْتِجَاجِ عَلَى الْأَنْصَارِ (قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ) كَوْنُهُمْ شَجَرَةُ الرَّسُولِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْهُمْ، فَهُوَ وَ إِيَّاهُمْ جَمِيعًا مِنْ أَغْصَانِ أَصْلٍ وَاحِدٍ وَ أَوْلَادِ نَضْرِبِ كِنَانِهِ (فَقَالَ احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَةَ) الظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالثَّمَرَةِ نَفْسَهُ وَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَ أَرَادَ بِاضَاعَتِهَا إِهْمَالَهُمْ لَهُ وَ لِأَوْلَادِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَ الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْكَلَامِ الْاِحْتِجَاجَ عَلَى قَرِيشٍ بِمِثْلِ مَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ.

بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ اسْتَدَلُّوا عَلَى أَوْلَوِيَّتِهِمْ بِأَنَّهُمْ شَجَرَةُ الرَّسُولِ فَيَكُونُونَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ نَحْنُ نَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّا ثَمَرُهُ الرَّسُولِ فَكَوْنُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ إِذْ لِلثَّمَرَةِ اخْتِصَاصٌ بِالثَّمَرِ لَيْسَ لِلْغَيْرِ ذَلِكَ الْاِخْتِصَاصُ، بَلِ الْمُرَادُ بِالشَّجَرِ لَيْسَ إِلَّا الثَّمَرُ فَإِنْ كَانَتْ الشَّجَرَةُ مَعْتَبَرَةً فَبِالْأُولَى اعْتِبَارُ الثَّمَرَةِ وَ إِنْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الثَّمَرَةِ فَلَا تَلَفَاتٌ إِلَى الشَّجَرَةِ، وَ قَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

رَوَى فِي الْبَحَارِ مِنْ تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَلَامِ بْنِ مُسْتَنِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الشَّجَرَةُ رَسُولُ اللَّهِ وَ نَسَبُهُ ثَابِتٌ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَ فَرْعُ الشَّجَرَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَ غُصْنُ الشَّجَرَةِ فَاطِمَةُ وَ ثَمَرَتُهَا الْأَثَمَةُ، مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ، وَ شَيْعَتُهُمْ وَرَقُّهَا وَ إِنْ الْمُؤْمِنُ مِنْ شَيْعَتِنَا لَيَمُوتُ فَيَسْقُطُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَرَقُهُ، وَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُولَدُ فَتُورِقُ الشَّجَرَةُ وَرَقُهُ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ:

«تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا».

قال يعنى بذلك ما يفتون الأئمة شيعتهم فى كل حجّ و عمره من الحلال و الحرام.

تنبيهان

الاول

قد قدّمنا أخبار السقيفه فى المقدّمه الثالثه من مقدّمات شرح الخطبه الشفشقيه، و نزيد هنا على ما سبق ما رواه المحدث المجلسى فى البحار من الشيخ فى تلخيص الشافى عن هشام بن محمّد عن أبى مخنف عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمر الأنصارى.

أنّ النبىّ صلّى الله عليه و اله و سلّم لما قبض اجتمعت الأنصار فى سقيفه بنى ساعده فقالوا: نولّى هذا الأمر من بعد محمّد سعد بن عباد و أخرجوا سعدا إليهم و هو مريض، قال: فلما اجتمعوا قال لابنه أو لبعض بنى عمّه إنّى لا أقدر لشكواى اسمع القوم كلهم كلامى و لكن تلق متّى قولى فأسمعهم: فكان يتكلّم و يحفظ الرّجل قوله فيرفع به صوته و يسمع به أصحابه فقال بعد أن حمد الله و أثنى عليه:

يا معاشر الانصار أنّ لكم سابقه فى الدّين و فضيله فى الاسلام ليست لقبيله من العرب، إنّ محمّدا صلّى الله عليه و اله و سلّم لبث عشر سنه فى قومه يدعوهم إلى عبادته الرّحمن و خلع الأوثان، ما آمن به من قومه إلّا رجال قليل، و الله ما كانوا يقدرّون على أن يمنّوا رسوله و يعزّزوا دينه و لا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما(١) عموا حتّى اذا أراد بكم ربّكم الفضيله و ساق إليكم الكرامه و خصّكم بالنعمه و رزقكم الايمان به و برسوله و المنع له و لأصحابه و الاعزاز له و لدينه و الجهاد لأعدائه.

و كنتم أشدّ الناس على عدوّه منهم و أثقله على عدوّه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا و كرها، و أعطى البعيد المقاده صاغرا و آخر، و حتّى اثنى الله لرسوله بكم فى الأرض و دانت بأسيافكم له العرب و توفاه الله تعالى إليه و هو عنكم راض و بكم قرير عين، استبدّوا بهذا الأمر دون الناس فأنّه لكم دون الناس.

ص: ٨٥

فأجابوه بأجمعهم بأن قد وفقت في الرأى و أصبت في القول و لن نعدو ما رأيت نوليئك هذا الأمر دون الناس فانك فينا مقنع و لصالح المؤمنين رضى.

ثم أنهم تراّدوا الكلام فقالوا فان أبت مهاجره قريش فقالوا نحن المهاجرون و صحابه رسول الله الأولون فعلام تنازعونا الأمر من بعده؟ قالت طائفه منهم: فانا نقول إذن منا أمير و منكم أمير و لن نرضى بدون هذا أبدا، فقال سعد بن عبادہ حين سماعها هذا أول الوهن، و أتى عمر الخبر فأقبل إلى منزل النبي فأرسل إلى أبي بكر و أبو بكر في الدار و علي بن أبي طالب دائب في جهاز النبي.

فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى فأرسل إليه أنى مشغل فأرسل إليه أن قد حدث أمر لا بد لك من حضوره، فخرج إليه فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفه بنى ساعده يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادہ، و أحسنهم مقاله من يقول منا أمير و من قريش أمير، فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيده فتماشوا إليهم فلما هم عاصم بن عدى و عويمر بن ساعده فقالوا لهم: ارجعوا فانه لا يكون إلا ما تحبون، فقالوا: لا نفعل، فجاءوا و هم مجتمعون.

فقال عمر بن الخطاب: أتيناهم و قد كنت زورت (١) كلاما أردت أن أقوم به فيهم فلما اندفعت إليهم ذهب لابتداء المنطق فقال لى أبو بكر: رويدا حتى أتكلّم، ثم انطق بعد بما احببت، فنطق، فقال عمر: فما شىء كنت اريد أن أقول به إلا و قد أتى عليه.

قال عبد الله بن عبد الرحمن: فبدء أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: إنّ الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه و شهيدا على امته ليعبدوا الله و يوحدوه و هم يعبدون من دونه آلهة شتى يزعمون أنّها لمن عبدها شافعه و لهم نفعه و إنما هي من حجر منحوت خشب و منجور ثم قرء:

«وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ

ص: ٨٦

«شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» وَ قَالُوا «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى».

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخصَّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه و الايمان به و المواساه له و الصبر معه على شدّه أذى قومهم لهم و تكذيبهم آياه، و كلّ الناس لهم مخالف و عليهم زار، فلم يستوحشوا لقله عددهم و تشدّب الناس عنهم و اجماع قومهم عليهم، فهم أوّل من عبد الله فى الأرض و آمن بالله و رسوله، و هم أولياؤه و عشيرته و أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، و لا ينازعهم فى ذلك إلّا ظالم.

و أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الدّين و لا سابقتهم العظيمة فى الاسلام رضىكم الله أنصارا لدينه و رسوله و جعل إليكم هجرته و فيكم جلّه ازواجه و أصحابه، و ليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء و أنتم الوزراء لانفتات(١) عليكم بمشوره، و لا نقضى دونكم الامور، فقام المنذر بن الحباب ابن الجموح.

هكذا روى الطبرى و الذى رواه غيره أنّ الحباب بن المنذر قال: يا معشر الأنصار ملكوا على أيديكم، و ساق الحديث نحو ما رواه ابن أبى الحديد عن الطبرى إلى قوله فقاموا إليه فبايعوه.

أقول ما رواه ابن أبى الحديد عنه هكذا: فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الانصار ملكوا عليكم أمركم فإنّ التّياس فى ظلكم و لن يجترى مجترئ على خلافكم، و لا- يصدر أحد إلّا- عن رأيكم، أنتم أهل العزّه و المنعه و اولو العدد و الكثره و ذووا لبأس و التّجده، و إنّما ينظر التّاس ما تصنعون فلا تختلفوا ففسد عليكم اموركم، فان أبى هولاء إلّا ما سمعتم فمنا أمير و منهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا- يجتمع سيفان فى غمد واحد و الله لا ترضى العرب ان تؤمركم و بينها من غيركم، و لا تمنع العرب أن تؤتى أمرها من كانت النبوه معهم، من ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته.

ص: ٨٧

١- (١) فتات على برأيه استبد و فى بعض نسخ التلخيص لا تقاتون بمشوره، منه.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا أيديكم و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فان أبوا عليكم فاجلوا هذه من بلادكم فأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم فأنه بأسيا فكم و ان الناس بهذا الدين أنا جدي لها المحكك و عذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عريسه الأسد، و الله إن شئتم لنعيدها جذعه.

فقال عمر: إذن يقتلك الله، فقال بل إياك يقتل، فقال أبو عبيده: يا معشر الانصار انكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدّل و غير.

فقام بشير بن سعد والد النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار ألا إنّ محمّدا من قريش و قومه أولى به و أيم الله لا يرانى الله انازعهم هذا الأمر، فقال أبو بكر:

هذا عمرو أبو عبيده بايعوا أيّهما شئتم، فقالا: و الله لا نتولّى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و خليفه رسول الله فى الصّلاه و هى أفضل الدين ابسط يدك فلما بسط يده لبياعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه.

فناداه الحباب بن المنذر يا بشير (عفتك خ) عفاه أنفست على ابن عمك الاماره، فقال أسيد بن حصين رئيس الأوس لأصحابه: و الله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيله ابداء، فقاموا فبايعوا أبا بكر فانكسر على سعد بن عباد و الخزرج ما اجتمعوا عليه، و أقبل الناس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب.

قال فى البحار: قال الشّيخ قال هشام: قال أبو مخنف: و حدّثنى أبو بكر بن محمّد الخزاعى إنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتّى تضايقت بهم السكك لبياعوا ابا بكر، فقال عمر: ما هو إلّا أن رايت اسلم فأيقنت.

قال هشام: عن أبى مخنف قال: قال أبو عبد الله بن عبد الرّحمن و أقبل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر و كادوا يطئون سعد بن عباد، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطئوه، فقال عمر: اقتلوا سعدا قتله الله، ثمّ قام على رأسه فقال:

لقد هممت أن أطأك حتى يندر عضوك، فأخذ قيس بن سعد بلحيته ثمّ قال: و الله لئن حصصت «حصفت خ ل» منه شعره ما رجعت و فى فيك واضحه، فقال أبو بكر مهلا يا

عمر الرفق ههنا أبلغ فأعرض عنه.

و قال سعد: و الله لو أرى من قومي ما أقوى على النهوض لسمعتهم متى بأقطارها و سككها زئيرا يحجزك و أصحابك، أما و الله إذن لألحقك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه داره و ترك أيا ما ثم بعث اليه أن اقبل فبايع فقد بايع الناس و بايع قومك، فقال أما و الله حتى أرميكم ما في كنانتي من نبل و اخضب منكم سنان رمحي و أضربكم بسيفي ما ملكته يدي، و اقاتلكم بأهل بيتي و من أطاعني من قومي، و لا أفعل و أيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي و أعلم ما حسابي فلما اتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال بشير بن سعد إنه قد لج و أبي فليس يبايعكم حتى يقتل و ليس بمقتول حتى يقتل معه ولده و أهل بيته و طائفه من عشيرته، فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد فتركوه، و قبلوا مشوره بشير بن سعد و استنصحوه لما بدا لهم منه.

و كان سعد لا يصلّي بصلاتهم و لا يجمع معهم و يحجّ و لا يحجّ معهم، و يفيض فلا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر.

أقول: روى الشّارح المعتزلي خبر السّقيفه من كتاب السّقيفه لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري نحو ما روينا و زاد في آخره بعد قوله فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر، ثم لقي عمر في خلافته و هو على فرس و عمر على بعير فقال له عمر:

هيهات يا سعد فقال سعد: هيهات يا عمر، فقال: أنت صاحب من أنت صاحبه قال: نعم أنا ذاك، ثم قال لعمر و الله ما جاورني أحد هو أبغض إليّ جورا منك و من أصحابك، فلم يلبث سعد بعد ذلك قليلا حتى خرج إلى الشّام فخرج فيها، و لم يبايع لا لأبي بكر و لا لعمر و لا لغيرهما.

ثم قال: قال الرّاوي: و كثر النّاس على أبي بكر فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم، و اجتمعت بنو هاشم إلى عليّ بن أبي طالب و معهم الزّبير و كان يعدّ نفسه رجلا من بني هاشم كان عليّ عليه السّلام يقول، ما زال الزّبير منّا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنّا.

و اجتمعت بنو أميّة إلى عثمان بن عفّان و اجتمعت بنو زهره إلى سعد و عبد الرحمن

فأقبل عمر و أبو عبيده فقال: ما لى أراكم متخلفين، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع الناس و بايعه الأنصار، فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبد الرحمن و من معهما فبايعوا أبا بكر، و ذهب عمر و معه عصابه إلى بيت فاطمه منهم أسيد بن حصين و سلم ابن أسلم فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه.

و خرج الزبير بسيفه فقال عمر، عليكم الكلب فوثب عليه سلم بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب بيده الجدار ثم انطلقوا به و بعلى و معهما بنو هاشم و على عليه السلام يقول: أنا عبد الله و أخو رسول الله حتى انتهوا به إلى أبى بكر فقبل له: بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرايه من رسول الله فاعطوكم و سلموا إليكم الاماره، و أنا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم و اعرفوا للناس الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم و إلا- فبؤوا بالظلم و أنتم تعلمون فقال عمر إنك لست متروكا حتى تباع فقال له على عليه السلام: احلب يا عمر حلبا لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرده عليك غدا، لا و الله لا أقبل قولك و لا ابايعه فقال له أبو بكر: فان لم تباعنى لا- اكرهك فقال له أبو عبيده: يا أبا الحسن إنك حديث السن و هؤلاء مشيخه قريش قومك ليس لك تجربتهم و معرفتهم بالامور و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك و أشد احتمالا له و اضطلاعا به، فسلم له هذا الأمر و ارض به فأنك إن تعيش و يطل عمرك فأنت بهذا الأمر خليك و به حقيق فى فضلك و قرابتك و سابقتك و جهادك.

قال على عليه السلام: يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان محمّد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه فى الناس و حقّه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارى لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعيه، و الله إنّه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعدا

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا، وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع ولم يبيت حتى ماتت فاطمه فبايع.

قال الشارح: قلت: هذا الحديث يدلّ - على بطلان ما يدّعى من النّصّ على أمير المؤمنين وغيره، لأنّه لو كان هناك نصّ صريح لاحتجّ به ولم يجر للنّص ذكر وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبى بكر ومن الأنصار بالسّوابق والفضائل والقرب، فلو كان هناك نصّ صريح على أمير المؤمنين وعلى أبى بكر لاحتجّ به أبو بكر على الأنصار واحتجّ به أمير المؤمنين على أبى بكر.

فإنّ هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضه يدلّ على أنّه قد كان كاشفهم و هتك القناع بينه وبينهم ألا تراه كيف نسبهم إلى التّعدي عليه وظلمه وتمنّع من طاعتهم وأسمعهم من الكلام أشدّه وأغلظه، فلو كان هناك نصّ لذكره أو ذكره من شيعته و حزبه لأنّه لا عطر بعد عروس(١).

و هذا أيضا يدلّ على أنّ الخبر الذى فى أبى بكر فى صحيحى البخارى و مسلم غير صحيح، و هو ما روى من قوله صلّى الله عليه و اله و سلّم لعائشه فى مرضه: ادعى إلى أباك و أخاك حتى اكتب لأبى بكر كتابا، فأنى أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمنى، و يأبى الله

ص: ٩١

١- (١) قولهم لا عطر بعد عروس اسماء بنت عبد الله العذريه اسم زوجها عروس و مات زوجها فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل ذميم، فلما أراد أن يظعن بها قالت لو أذنت لى رثيت ابن عمى فقال افعلى فقالت ابكيك يا عروس الأعراس يا ثعلبا فى أهله و أسدا عند الباس مع أشياء ليس يعلمها الناس قال: و ما تلك الأشياء قالت كان عن الهمه غير فعاس و يعمل السيف صبيحات الباس ثمّ قالت يا عروس الاغر الازهر الطيب الخيم الكريم المحضر مع أشياء له لا تذكر، قال و ما تلك الأشياء قالت كان عيوبا للخنا و المنكر طيب النكهه غير أبخر أيسر غير أعسر فعرف الزوج أنها تعرّض به فلما دخل بها قال ضمى اليك عطر ك و قد نظر الى قشوه عطرها مطروحه فقالت لا عطر بعد عروس، او تزوج رجل امرئه فهديت اليه فوجدها نفله فقال اين عطر ك فقالت خبأتها فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس، قاموس.

و المؤمنون إلّا أبا بكر و هذا هو نصّ مذهب المعتزله.

أقول من نظر إلى هذا الحديث بعين البصيره و الاعتبار و لاحظ الانصاف و جانب حدّ الاعتساف، عرف منه ما فيه للناظرين معتبر و استفاد منه أشياء كلّ منها شاهد صدق على بطلان خلافه الثلاثه، و برهان واضح على فساد دعوى تابعيهم استحقاقهم لها و أهليّتهم للقيام بها.

منها خلّوه من احتجاج قريش على الأنصار جعل النّبى الامامه فيهم، لأنّه تتضمّن من احتجاجهم عليهم ما يخالف ذلك و أنّهم إنّما ادّعوا كونهم أحقّ بالأمر من حيث كون النبوه فيهم و من حيث كونهم أقرب إلى النّبى نسبا و أولاهم له أتباعا.

و منها أنّ الأمر إنّما بنى السّقيفه على المغالبه و المخالسه، و أنّ كلّاً منهم إنّما كان يجذبه لنفسه بما اتّفق له و عن (١) من حقّ و باطل و قوى و ضعيف.

و منها أنّ سبب ضعف الأنصار و قوّه المهاجرين عليهم انحياز (٢) بشير بن سعد حسدا لسعد بن عباد، و انحياز الأوس بانحيازه عن الأنصار.

و منها أنّ خلاف سعد و أهله كان باقيا لم يرجعوا عنه، و إنّما أقعده عن الخلاف بالسّيف قله الناصر.

و منها أنّه لو أراد أبو بكر الاجماع و اتّفاق الكلّ على بيعته حتّى من سعد و أصحابه انجرّ الأمر إلى قتل النفوس و اهراق الدماء و فسدله الأمر.

و منها أن قول عمر في حقّ الزّبير: عليكم الكلب، دليل على بطلان خبر العشره المبشره إذ الكلب لا يكون في الجنّه.

و منها أنّ بيعه عمر لأبى بكر لم يكن لتأسيس أساس الاسلام و رعايه مصلحه الدين و حفظ شرع سيد المرسلين، و إنّما كان نظره في ذلك ليتولى أبو بكر الأمر و يوليه عليه بعده كما هو نصّ قوله عليه السّلام اشدّد له اليوم أمره ليردّ عليك غدا.

ص: ٩٢

١- (١) عن الشّيء عنا اذا ظهر امامك و اعترض، ق.

٢- (٢) انحاز عنه عدل ق.

و منها أنَّ حدّاته السَّنَّ لو كان مانعا عن الخلافه كما قاله أبو عبيده و أخذّه منه أهل السنّه و الجماعة، لكن مانعا عن النبوه بطريق أولى و قد قال سبحانه:

«وَاتَّبَعُوا الْحُكْمَ صَبِيًّا».

فقد أتانا النبوه ليحيى و عيسى عليهما السلام فى حاله الصّباء.

و منها أن تجربه أبى بكر كما زعمه أبو عبيده لو كان أزيد من أمير المؤمنين عليه السلام لم يعز له النبى من البعث بسوره برائه و لم يخلف عليا مقامه و لو كان قوته أشدّ لسبق فى يوم أحد و خيبر و لم يستأثر الفرّ على الكز.

و منها أنَّ قول بشير بن سعد له لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل البيعه لما اختلف عليك اثنان، دليل على أنَّ بيعتهم لأبى بكر لم يكن عن بصيره و إنّما اقتحموا فيها من غير رويه، و إنّما كان اللازم عليهم التروى و التثبيت و ملاحظه الأطراف و الجوانب، و التفكير فى العواقب و الدّقه فى جهات الاستحقاق فكيف يكون بيعه هؤلاء الجهله الغفله الفسقه التابعه لهوى أنفسهم الأماره حجه شرعيّه لأهل الملّه.

و أمّا ما ذكره الشّارح من أنه لو كان هناك نصّ لاحتجّ به أمير المؤمنين و لما لم يحتجّ إلّا بالسّوابق و القرب علم أنّه لم يكن هناك نصّ عليه، ففساده أظهر من الشمس فى رابعه النّهار، إذ قد عرفت أنّ أوّل من حضر فى السقيفه هو الأنصار، و أوّل من ابتداء بالكلام فيها سعد بن عباده، فذكر مناقب الأنصار و مآثرهم و كونهم انصارا لدين الله و ذابّين عن رسول الله، فاحتجّ عليهم قريش بالقرب و النسب و السبق فى التصديق و التّقدم فى الايمان فحجّوهم بذلك، فافتضى المقام بمقتضى آداب المناظره أن يحتجّ أمير المؤمنين عليه السّلام بمثل ما احتجّت به قريش على الأنصار، إذ فى ذلك من الالزام لهم ما ليس فى غيره كما قال عليه السلام فيما يذكره السّيد فى أواخر الكتاب.

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا و المشيرون غيب

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي و أقرب

و كيف يدعى عدم النص بعد حديث المنزله و خبر الغدير و قوله صَلَّى الله عليه و اله و سلم على مع الحق و الحق مع على يدور معه كيف دار إلى غير ذلك من الأخبار و الآيات التى قدّمناها فى المقدمه الثانيه من مقدمات الخطبه الشقشقيه و غيرها، «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا» يستضىء به «فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ»، «وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

الثانى

اعلم أنّ الشّارح المعتزلى قد روى فى شرح هذا الكلام أخبارا من كتاب الجوهرى قدم روايه أكثرها فى شرح الخطبه السادسه و العشرين، و نحن أيضا رويناه بعضها هناك فى شرح الفصل الثانى من فصول الخطبه المذكوره و نروى هنا بعض ما لم يتقدّم ذكره حذرا من التكرار كما وقع فى شرح المعتزلى، و ليس غرضنا من إيرادها مجرّد الاقتصاص و إنّما المقصود بذلك إقامه الحجّه على الطائفه الضالّه من الكلاب الممطوره، و الابانه عن ضلاله الشّارح و غفلته، و أنّه مع روايته لتلك الأخبار و اعترافه بوثاقه راويها كيف لم يتنبّه من نومه الجهاله، و تاه فى أوديه الضلاله.

فأقول: فى الشّرح من كتاب السّقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى:

قال: حدّثنا أبو سعيد عبد الرّحمن بن محمّد، قال: حدّثنا أحمد بن الحكم، قال حدّثنا عبد الله بن وهب، عن الليث بن سعد، قال تخلف علىّ عليه السّلام عن بيعه أبى بكر فاخرج ملبّيا يمضى به رقصا، و هو يقول: معاشر المسلمين على م يضرب عنق رجل من المسلمين، لم يتخلف لخلاف و إنّما تخلف لحاجه فما من مجلس من المجالس إلّا يقال له: اذهب فبايع.

أقول: هذا الحديث نصّ فى أنه لو لم يبايع يضرب عنقه فيدلّ على أنّه عليه السّلام لم يكن فى البيعه مختارا، و هذا المعنى قد تضمّنته أخبار كثيره عاميه و خاصيه بالغه حدّ الاستفاضه بل التواتر قد اورد طائفه منها السّيد (ره) فى الشافى، و روى جمله كثيره منها السّيد المحدّث البحرانى فى كتاب غايه المرام، و قد رويناه فى

شرح الخطبه السادسة والعشرين قول الصادق عليه السلام: و الله ما بايع على حتى رأى الدخان قد دخل عليه بيته، و نقلنا قول السيد هناك من أنه أي اختيار لمن يحرق عليه بابه حتى يبايع.

قال الجوهري: و حدثنا أبو زيد عمرو بن شيبه باسناد رفعه إلى ابن عباس قال: إنني لا ماشى عمر في سكه من سكك المدينه يده في يدي، فقال يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوما فقلت في نفسي و الله ما يسبقني بها، فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته، فانترع يده من يدي ثم مرّ يهيمهم ساعه ثم وقف فلحقته فقال:

يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه، فقلت في نفسي هذه شرّ من الأولى، فقلت و الله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة برائه من أبي بكر.

قال الجوهري: و حدثني أبو زيد، قال حدثني محمد بن عباد، قال حدثني أخى سعيد بن عباد، عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبي بكر أنه قال: ليتني لم اكشف بيت فاطمه و لو اغلق على الحرب.

قال الشارح: الصحيح عندي أنها ماتت و هي واجده على أبي بكر و عمرو أنها أوصت أن لا يصليا عليها، و ذلك عند أصحابنا من الامور المغفوره لهما، و كان الاولى بهما اكرامها و احترام منزلها لكنهما خافا الآفه و أشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما، و كانا من الدين و قوه اليقين بمكان مكين لا شك في ذلك، الامور الماضيه يتعذر الوقوف على عللها و أسبابها و لا يعلم حقايقها إلا من شاهدها و لا بسها بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الأمر، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى، و الله ولي المغفره و العفو، فان هذا لو ثبت خطاء لم يكن كبيره بل كان من باب الصيغائر التي لا يقتضى التبرى و لا يوجب التولى.

أقول: ما صححه من أنها عليها السلام ماتت و هي واجده غضبانه على الرجلين فهو الصحيح الذى لا ريب فيه و يشهد بذلك ملاحظه أخبار غصب فدك و غيرها ممّا مرّ في تضاعيف الشرح و يأتي أيضا

و أما ما اعتذر به من أنّ ذلك من الصّغائر ففاسد جدّا إذ كيف يكون ذلك من الصغائر مع ما روته العامه و الخاصه من قول النّبىّ صلّى الله عليه و اله و سلّم لها: يا فاطمه إنّ الله يغضب بغضبك و يرضى لرضاك، و قوله فيها: يؤذيني ما أذاها.

و ما أخرجه أحمد بن حنبل و الحاكم على الميسور بن مخرمه مرفوعا: فاطمه بضعه منّي يغضبني ما يغضبها و يبسطني ما يبسطها، و أنّ الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي و سببي و صهرى، فاذا انضمّ إلى ذلك قوله تعالى «وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ» و قوله: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يعلم من ذلك أنّ ما فعلاه في حقها من أكبر الكبائر الموجب لكونهما في أسفل الدرك من الجحيم خالدين فيها و ذلك جزاء الظالمين.

و أما ما ذكره من انهما كانا من الدين و قوّه اليقين بمكان مكين ففيه أنّك قد عرفت في شرح الخطبه الشقشقيه و غيرها و ستعرف أيضا بعد ذلك انهما لم يكونا من الدّين في شيء، و كيف يجسر المتدّين أن يدخل من غير إذن بيتا لم يكن يدخل فيها الملائكه إلّا باذن أو يحرق بابه أو يهتك ستره حتّى يطمع فيه من لم يكن يطمع.

و أما قوله: إنّ الامور الماضيه يتعدّر الوقوف على عللها و لا يعلم حقايقها إلّا من قد شاهدّها، ففيه أنّ الوقوف عليها و الاطلاع على حقايقها يحصل بالنقل و السمع و لا حاجه في ذلك إلى الشّهود و الحضور، و قد حصل لنا في حقهما بطريق السمع و البيان ما هو مغن عن الحضور و العيان، و عرفنا أنّ الداعي لأفعالهما في جميع حركاتهما و سكّناتهما لم يكن إلّا اتباع هوى النفس الاماره و إبطال الشريعه و المله و ترويج البدعه و تضييع السنه.

أما قوله: إنّ ذلك لا يقتضى التبرّى و لا يوجب التولى، فيه انهما إذا كانا ممن

غضب الله عليه بمقتضى ما ذكرنا يجب التبري عنهما ولا يجوز التولى لقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ».

و أشدّ ممّا ذكرنا كلّ فظاعه و أظهر شناعه ما رواه الشّارح أيضا عن الجوهري، قال حدّثنا الحسن بن الرّبيع، عن عبد الرّزاق، عن معمر، عن الزّهرى، عن على بن عبد الله بن العباس، عن أبيه قال: لما حضرت رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم الوفات و فى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: رسول الله صلّى الله عليه و اله: إيتونى بدواه و صحيفه اكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى، فقال عمر كلمه معناها: أنّ الوجع قد غلب على رسول الله، ثم قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و من قائل يقول: القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللفظ «اللغظ ظ» و اللغو و الاختلاف غضب رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: قوموا إنّه لا ينبغي لنبى أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم فى ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول: إنّ الرّزية كلّ الرّزية ما حال بيننا و بين رسول الله يعنى الاختلاف و اللفظ «اللغظ ظ».

قال الشّارح قلت: هذا الحديث قد خرّجه الشّيخان محمّد بن إسماعيل و مسلم بن الحجاج القشيري فى صحيحيهما و اتفق المحدثون كافّه على روايته.

أقول: هذه الرّوايه كما ذكره الشّارح ممّا رواها الكلّ و الرّوايه فى الجميع عن ابن عباس، و قوله فقال العمر كلمه معناها أنّ الوجع قد غلب اه، الظاهر أنّ تلك الكلمه فى أكثر تلك الرّوايات من قوله: إنّ الرّجل ليهجر، و فى بعضها ما شأنه يهجر استفهموه، و فى بعض الآخر ما شأنه هجر، و فى غيرها ما يقرب من هذا اللفظ، و قد عدل الرّاوى عن روايه هذه اللفظه لكرهته نقلها إذ الهجر كما صرح به غير واحد من اللغويين هو الهذيان و بذلك فسّر قوله تعالى:

«إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا».

فبدّل الرّأوى هذه الكلمه بغيرها استحياء و استصلاحا لكلام عمر و لن يصلح العطار ما أفسد الدهر.

فمن تأمّل في هذه الرّوايه حقّ التأمّل عرف جفاوه الرّجل و فظاظته و خبث طبيته و سوء سريره و عناده و نفاقه من جهات عديده:

الاولى أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله ما كان ينطق عن الهوى و إنّ كان كلامه لم يكن إلّا وحيًا يوحى، فنسبه مع ذلك عمر إلى الهذيان.

الثانيه أنّ قوله عندنا القرآن حسبنا كتاب الله ردّ على الله فضلا عن رسول الله و قد قال الله:

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» وقال: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

الثالثه أنّ كتاب الله لو كان كافيا عمّا أراد صلوات الله عليه و آله كتابته لم يطلب ما يكتب أتراه يطلب عبثا أم يريد لغوا؟ و نقول لم لم يكف الكتاب و اختلّت أمر الامّه و انفصمت جبل الملّه و تهدّمت أركان الهدى و انطمست أعلام التّقى.

قال السيّد بن طاوس في محكّي كلامه من كتاب الطرايف: من أعظم طرايف المسلمين أنّهم شهدوا جميعا أن نبيهم أراد عند وفاته أن يكتب لهم كتابا لا يضلّون بعده أبدا، و أنّ عمر بن الخطاب كان سبب منعه من ذلك الكتاب و سبب ضلال من ضلّ من أمته و سبب اختلافهم و سفك الدماء بينهم و تلف الأموال و اختلاف الشريعة و هلاك اثنين و سبعين فرقه من أصل فرق الاسلام و سبب خلود من يخلد في النار منهم.

و مع هذا كله فإن أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذي قد شهدوا عليه بهذه الأحوال في الخلافة و عظموه و كفّروا بعد ذلك من يطعن فيه، و هم من جمله الطاعنين، و ضلّلوا من يذمه و هم من جمله الدّامين، و تبرّؤوا ممن يقبح ذكره و هم من جمله المقبحين.

الرّابعة أنّ غيظ رسول الله و غضبه عليه و أمره له بالخروج من البيت و المتنازعين مع خلقه العظيم و عفوه الكريم و ملاحظته في الحفاظه و الغلظة انقضااض الخلق كما قال سبحانه:

«وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ».

لم يكن إلّا- لشده اسائه الأدب و الوقاحه و بلوغه في أذى رسول الله صلّى الله عليه و آله الغايه بحيث لم يتحمّلها صلوات الله عليه و آله و قد قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا».

قال الجوهري: و حدّثنا أحمد بن سيّار عن سعيد بن كثير الأنصاري عن عبد الله بن عبد الله بن الرّحمن أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله في مرض موته أمر اسامه بن زيد ابن حارثه على جيش فيه جلّه المهاجرين و الأنصار منهم أبو بكر و عمرو أبو عبيده بن الجراح و عبد الرّحمن بن عوف و طلحه و الزبير و أمره أن يغير على موته (1) حيث قتل أبوه زيد و أن يغزى و ادى فلسطين، فتناقل اسامه و تناقل الجيش بتناقله و جعل رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم يثقل و يخفّ و يؤكّد القول في تنفيذ ذلك البعث.

حتّى قال له اسامه: بأبى أنت و أمى أ تأذن لى أن أمكث أيّاما حتّى يشفيك الله؟ فقال: اخرج و سر على بركه الله، فقال: يا رسول الله إئنّى إن خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و فى قلبى قرحه منك، فقال صلّى الله عليه و اله و سلّم سر على النّصر و العافيه، فقال:

ص: ٩٩

١- (١) اسم الموضع الذى قتل فيه جعفر بن أبى طالب، منه.

يا رسول الله إني أكره أن أسأل عنك الركبان، فقال صلى الله عليه وآله انفذ لما أمرتك به.

ثم اغمى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قام اسامه فجهّز للخروج، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن اسامه و البعث، فاخبر أنهم يتجهّزون، فجعل يقول انفذوا بعث اسامه لعن الله من تخلف عنه و يكرّر ذلك.

فخرج اسامه و اللواء على رأسه و الصّحابه بين يديه، حتّى إذا كان بالجرف(١) نزل و معه أبو بكر و عمر و أكثر المهاجرين، و من الأنصار أسيد بن حصين و بشير ابن سعد و غيرهم من الوجوه، فجاءه رسول ام أيمن يقول له ادخل فانّ رسول الله يموت، فقام من فوره و دخل المدينة و اللواء معه فجاء به حتّى ركزه باب رسول الله و رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات فى تلك الساعه، قال: فلما «فماظ» كان أبو بكر و عمر يخاطبان اسامه إلى أن ماتا إلّا بالأمر.

أقول و نقل الشّارح بعث جيش اسامه قبل فى شرح الخطبه الشّقشقيه أيضا بتغيير يسير لما أورده هنا من الجوهري، و قال هناك بعد نقله ما هذه عبارته.

و تزعم الشّيعه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم موته و أنّه سير أبا بكر و عمر فى بعث اسامه لتخلو دار الهجره منهما فيصفوا لأمر لعلّى عليه السّلام و يبايعه من تخلف من المسلمين فى مدينه على سكون و طمأنينه، فاذا جاءهما الخبر بموت رسول الله و بيعه النّاس لعلّى بعده كانا عن المنازعه و الخلاف أبعد لأنّ العرب كانت تلتزم باتمام تلك البيعه و تحتاج فى نقضها إلى حروب شديده، فلم يتمّ له ما قدر و ثقّل بالجيش أيّا ما مع شدّه حتّ رسول الله على نفوذه و خروجه بالجيش حتّى مات و هما بالمدينه فسبقا عليا إلى البيعه و جرى ما جرى.

ثمّ قال: و هذا عندى غير منقّح لأنّه إن كان يعلم موته فهو أيضا يعلم أنّ أبا بكر سيلي الخلافه و ما يعلمه لا يحترس منه، و إنّما يتمّ هذا و يصحّ إذا فرضنا أنّه صلى الله عليه وآله كان يظنّ موته و لا يعلمه حقيقه و يظنّ أنّ أبا بكر و عمر يتمالان على ابن عمه و يخاف وقوع ذلك منهما و لا يعلمه حقيقه فيجوز إن كانت الحال

ص: ١٠٠

هكذا أن ينقذ هذا التّوهم و يتطرق هذا الظن.

كالواحد ممّا له ولد ان يخاف من أحدهما أن يتغلب بعد موته على جميع ماله و لا يوصل أخاه إلى شيء من حقّه فإنّه قد يخطر له عند مرضه الذى يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسّفر إلى بلد بعيد فى تجاره يسلمها إليه يجعل ذلك طريقا إلى دفع تغلبه على الولد الآخر.

أقول: ما نسبته إلينا معاشر الشّيعه حقّ لا ريب فيه، و ما أورده علينا فظاهر الفساد إذ علم النّبىّ بموته و بتولّى أبى بكر الخلافه لا ينافى الأمر ببعثه مع اسامه و إلّا لتوجّه هذا الاشكال فى أوامر الله سبحانه، فإنّه قد أمر العصاه بالاطاعه و الكفار بالاسلام مع علمه بأنهم لا يطيعون و أنّهم على كفرهم باقون، نعم هذا يناسب على اصول الأشاعره القائلين بالجبر و الشّارح عدلىّ المذهب لا مساس لما أورده على مذهبه.

و تحقيق الكلام أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله كان يعلم موته و يعلم أنّ أبى بكر يغصب الخلافه و مع علمه بذلك بعثه فى الجيش ليفهم الخلق و يعرفهم أنّه ليس راضيا بخلافته و ينبههم على خلافته و عظم جرمه و جريرته و مخالفته للحكم الاملامى المؤكد الذى كرّره صلوات الله عليه و آله مرّه بعد اخرى.

و ليعلمهم أيضا أنّه يرجوعه إلى المدينه مستحقّ للعن الدائم و العذاب الأليم مضافا إلى ما فى ذلك البعث من نكته اخرى، و هو «هى ظ» التّنبيه على مقام أبى بكر و عمر و الايماء إلى أنّ من كان محكوما عليه بحكم مثل اسامه و مامورا بأمره لا يكون له قابليّه و استعداد لأن يكون أميرا لجميع الامّه و اماما لهم.

و الحاصل أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و اله و سلّم كان عالما بموته و بأنّ ما قدّره و أرادته فى حقّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يتمّ له، و مع ذلك سیر الرّجلين إعلاما للخلق بأنّه لا يرضى بهما خلافه و أنّهما غير قابلين لذلك، و إفهاما لهم بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو القابل له، و أنّه صلّى الله عليه و اله و سلّم أراد قيامه عليه السّلام مقامه صلّى الله عليه و آله، فحاولوا بينه و بينه.

از جمله کلام آن جناب علیه الصّلاه و السّلام است در خصوص أنصار، گفته اند راویان زمانی که رسید بأمیر المؤمنین خبرهای سقیفه بنی ساعده و احتجاجات مهاجرین و انصار در باب خلافه بعد از وفات حضرت رسول مختار، فرمود آن حضرت که چه گفتند انصار بمهاجرین؟ عرض کردند که چنین گفتند که باید از ما امیری باشد و از شما امیری فرمود:

پس چرا احتجاج نکردید بر ایشان باین که رسول خدا وصیت فرمود در حقّ ایشان باین که احسان بشود در حق نیکو کار ایشان و در گذرند از بد کردار ایشان، عرض کردند که چگونه باشد در این گفتار حجه بر انصار پس فرمود آن حضرت که اگر بود خلافت در ایشان نمی بود وصیت پیغمبر بایشان یعنی لازم بود که پیغمبر دیگران را بایشان بسپارد نه این که سفارش ایشان را بدیگران بکند بعد از آن فرمود آن حضرت:

پس قریش در مقام احتجاج چه گفتند بآنصار؟ عرض کردند که حجت آوردند با این که ایشان شجره رسول خدایند، پس فرمود که: حجه آوردند بشجره و ضایع کردند ثمره او را، یعنی بدرخت حجه می آورند و ثمره او را که آل محمّد علیه و علی آله الصّلاه و السّلام هستند مهمل می گذارند، اللهم وفقنا.

و من کلام له علیه السلام و هو السابع و الستون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

لما قلّد محمّد بن أبی بکر مصر فملک علیه و قتل رحمه الله علیه و قد أردت تولیه مصر هاشم بن عتبّه، و لو ولیته إیّاها لما خلّی لهم العرصه، و لا أنهزهم الفرصه، بلا ذمّ لمحمّد، فلقد کان إلیّ حبیباً

ص: ۱۰۲

و لى ريبيا.

اللغة

(العرصة) كلّ بقعه من الدّور واسعه ليس فيها بناء و المراد هنا عرصه مصر و (نهزت الفرصة) و انتهزتها اغتتمتها، و انهزت الفرصة بهمزه التّعديه اى انهزتها غيرى و (الريب) ابن امرأه الرّجل من غيره.

الاعراب

قوله بلا ذمّ، كلمه لا نافية معترضه بين الخافض و المخفوض، و قال الكوفيون إنّها اسم بمعنى غير و الجار داخل عليها نفسها و ما بعدها مجرور باضافتها إليه، و غيرهم يراها حرفا و يسمّونها زائده و ان كانت مفيدة معنى كما يسمّون كان فى نحو زيد كان فاضلا زائدا فهى زائده لفظا من حيث فصول عمل ما قبلها الى ما بعدها غيره زائده معنى لافادتها التّفى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه (لما قلّد محمّد بن أبى بكر مصر) قبل وقعه صفّين أى جعله و اليها كان ولايتها قلاده فى عنقه لكونه مسؤولا عن خيرها و شرّها و انصرف النّاس من صفّين لم يزد معاويه إلّا قوّه فبعث جيشا كثيفا إلى مصر فقاتلوا محمّدا (فملك) مصر (عليه) اى اخذه معاويه منه قهرا و استولى عليه (و قتل) محمّد قتله معاويه بن حديج الكندى حسبما تعرفه فلمّا جاءه صلّى الله عليه و آله نعى محمّد قال (و قد أردت توليه مصر هاشم بن عتب) ابن أبى وقاص (و لو وليته إياها لما خالاهم العرصه و لا انهزهم الفرصه) كما انهزها محمّد إياهم و خلاها لهم و فرّ منها ظانّا أنّه بالفرار ينجو بنفسه فلم ينج و اخذ و قتل (بلا ذمّ لمحمّد) اى لست فى كلامى ذلك ذامّا له لكون ذلك التخليه منه للعدوّ من العجز لا من التقصير و التّوانى (ف) أنّه (لقد كان إلى حبيبا و) كان (لى ريبيا)

تنبيهان

الاول

فى ترجمه محمّد بن أبى بكر و هاشم بن عتبّه أمّا محمّد فهو جليل القدر عظيم المنزله من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام

قال ابن طاوس: ولد في حجه الوداع قتل بمصر سنه ثمان و ثلاثين من الهجره.

و عن رجال الكشي عن الصادق عليه السلام محمد بن أبي بكر أخته النجابه من قبل امه أسماء بنت عميس، و عنه أيضا مسندا عن أبي جعفر عليه السلام أنّ محمد بن أبي بكر بايع عليا على البراءه من أبيه، و في شرح المعترلي امّ محمد أسماء بنت عميس بن التّعمان ابن كعب بن مالك بن قحافه بن خنعم كانت تحت جعفر بن أبي طالب و هاجرت معه إلى الحبشه فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد، ثمّ قتل عنها يوم موته فخلف عليها أبو بكر فأولدها محمّدا، ثمّ مات عنها فخلف عليها عليّ بن أبي طالب عليه السلام و كان محمّد ربيته و خريجه و جاريا عنده مجرى اولاده و رضع الولا و التشيع من زمن الصّبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف أبا غير عليّ عليه السلام و لا يعتقد لأحد فضيله غيره حتّى قال عليّ:

محمّد ابني من صلب أبي بكر، و كان يكنّى أبا القاسم في قول ابن قتيبه، و قال غيره بل يكنّى أبا عبد الرحمن.

و كان محمّد من نسيّاك قريش و كان ممّن أعان يوم الدّار، و اختلف هل باشر قتل عثمان أولا، و من ولد محمّد القاسم بن محمّد فقيه الحجاز و فاضلها، و من ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم كان من فضلاء قريش يكنّى ابا محمّد، و من ولد القاسم أيضا ام فروه تزوّجها الباقر أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام انتهى.

أقول: و قد تقدّم في شرح الخطبه الشّقشقيّه أنّ الصادق عليه السلام تولد من أمّ فروه.

و في مجالس المؤمنين أنّ أهل السّنة يسمّون معاويه بسبب اخته امّ حبيب خال المؤمنين و لا يسمّون محمّدا بذلك مع أنّ عايشه اخته و هي أمّ المؤمنين عندهم و ذلك لنصب معاويه و عداوته لأُمير المؤمنين عليه السلام و كون محمّد رضى الله عنه من خواصّ أصحابه و خلّص تلامذته، و من شعره رضى الله عنه:

يا أبانا قد وجدنا ما صلح خاب من أنت أبوه و افتضح

إنّما أخرجنا منك الذي أخرج الدّرّ من الماء الملح

أنسيت العهد في خمّ و ما قاله المبعوث فيه و شرح

فيك وصّى أحمد في يومها أم لمن أبواب خير قد فتح

أم بارث قد تَقَمَّصت بها بعد ما يحتجّ عجلتك و كشح

و سألك المصطفى عمّا جرى من قضاياكم و من تلك القبح

ثمّ عن فاطمه و ارثها من روى فيه و من فيه فضح

ما ترى عذرك في الحشر غدا يا لك الويل إذ الحقّ اتّضح

فعليك الخزي من ربّ السماء كلّما ناح حمام و صدح

يا بنى الزّهراء أنتم عدّتي و بكم في الحشر ميزاني رجح

و إذا صحّ ولائي بكم لا ابالي أيّ كلب قد نبج

و أما هاشم فهو ابن عتبة بن أبي وقّاص و سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب، و عن الاستيعاب أنه كان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله نزل الكوفة و كان من الفضلاء الخيار، و كان من الأبطال، و فقئت عينه يوم اليرموك؟ و كان خيرا فاضلا شهد مع عليّ عليه السّلام الجمل، و شهد صفين و أبلا بلاء حسنا و بيده كانت رايه عليّ على الرّجاله يوم صفين، و يومئذ قتل و كانت صفين سنه سبع و ثلاثين.

أقول: و قد تقدّم كيفيه قتاله و شجاعته و شهادته رضى الله عنه في شرح الخطبه الخامسه و الستين.

الثاني

في الاشاره إلى بعض الفتن الحادثه بمصر، و شهاده محمّد بن أبي بكر رضى الله عنه فأقول: في شرح المعتزلى و البحار جميعا من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفى قال إبراهيم: باسناده عن الكلبي أنّ محمّد بن حذيفه هو الذى حرّض المصرّيين على قتل عثمان و ندبهم إليه، و كان حينئذ بمصر، فلما ساروا إلى عثمان و حصروه و ثب هو بمصر على عامل عثمان عليها، و هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح فطرده عنها و صلّى بالناس، فخرج ابن أبي سرح من مصر و نزل على تخوم أرض مصر مما يلي فلسطين، و انتظر ما يكون من أمر عثمان، فلما بلغ إليه خبر قتله و بيعه الناس للأمير المؤمنين عليه السّلام لحق بمعاويه.

قال: فلمّا ولي عليّ عليه السّلام الخلافه و كان قيس بن سعد بن عبادہ من شيعته و مناصحيه قال له: سر إلى مصر فقد وليتكها و اخرج إلى ظاهر المدينه و اجمع ثقاتك و من أحببت أن يصحبك حتّى تاتى مصر و معك جند، فإنّ ذلك اربع لعدوّك و أعزّ لوليّك، فاذا قدمتها إنشاء الله فأحسن إلى المحسن و اشدد على المريب، و ارفق بالعامّة و الخاصّه فالرفق يمن.

فقال قيس: يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت، فأمرّا الجند فأنى ادعه لك فاذا احتجت إليهم كانوا قريبا منك، و إن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا لك عدّه و لكنى أسير إلى مصر بنفسى و أهل بيتى، و أمّا ما أوصيتنى به من الرفق و الاحسان فالله هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قيس فى سبعة نفر من أهله حتّى دخل مصر و صعد المنبر و أمر بكتاب معه يقرأ على النّاس فيه:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابى من المسلمين، سلام عليكم فأنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو، أمّا بعد فإنّ الله بحسن صنعه و قدره و تدبيره اختار الاسلام ديناً لنفسه و ملائكته و رسله، و بعث أنبيائه إلى عبادہ، فكان ممّا أكرم الله عزّ و جلّ به هذه الامه و خصّ بهم به من الفضل أن بعث محمّداً صلّى الله عليه و آله إليهم فعلمهم الكتاب و الحكمة و السّنة و الفرائض، و أدبهم لكيما يهتدوا و أجمعهم لكيلا يتفرّقوا، و زكّاهم لكيما يتطهّروا فلمّا قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه، فعليه صلوات الله و سلامه و رحمته و رضوانه.

ثمّ إنّ المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين (١) أحبّوا السّيره و لم يعدوا لسنّه، ثمّ توفيا فولى بعدهما من أحدث أحداتاً فوجدت الامّه عليه مقالا فقالوا ثمّ نعموا عليه فغيّروا ثمّ جاءونى فبايعونى و أنا أستهدى الله للهدى و أستعينه على التقوى، ألا و انّ لكم علينا العمل بكتاب الله و سنّه رسوله و القيام بحقّه و النصّح لكم بالغيب و الله المستعان و حسبنا الله و نعم الوكيل.

و قد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصارى أميراً فواز روه و أعينوه على الحقّ، و قد أمرته بالاحسان إلى محسنكم و الشّدّه على مريبكم و الرفق بعوامكم و خواصكم

ص: ١٠٦

١- (١) أى ظاهراً عند الناس و يحتمل أن يكون من الحاق المخالفين.

و هو مَمَّن ارضى هديه و أرجو صلاحه و نصحه، نسأل الله لنا و لكم عملا زاكيا و ثوابا جزيلا و رحمه الله و بركاته، و كتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست و ثلاثين.

قال: فلَمَّا فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال:

الحمد لله الذي جاء بالحق و أمات الباطل و كبت الظالمين أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فقوموا فبايعوا على كتاب الله و سنه نبيه فان نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله و سنه رسول الله فلا بيعه لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوه و استقامت مصر و أعمالها لقيس و بعث عليها عماله إلا أن قريه فيها قد أعظم أهلها قتل عثمان و بها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحرث فبعث إلى قيس إنا لا نأتيك فابعث عمّا لك فالأرض أرضك و لكن اقربنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس و وثب مسلمة بن مخلد الأنصاري و دعا إلى الطلب بدم عثمان، فأرسل إليه قيس و يحك أعلى تشب و الله ما أحب أن لي ملك الشام و مصر و اني قتلتك فاحقن دمك، فأرسل إليه مسلمة إنني كاف عنك ما دمت والي مصر.

و كان قيس ذا رأي و حزم فبعث إلى الذين اعتزلوا أني لا اكرهكم على البيعه و لكنني أدعكم و اكف عنكم، فهادنهم و هادن مسلمة بن مخلد و جىء الخراج و ليس احد ينازعه.

قال إبراهيم: و خرج عليّ إلى الجمل و قيس على مصر و رجع إلى الكوفة من البصره و هو بمكانه و كان أثقل خلق الله على معاويه لقرب مصر و أعمالها من الشام فكتب معاويه إلى قيس و عليّ عليه السلام يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين.

من معاويه بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد إن كنتم نقيتم على عثمان في اثره «عثره» رأيتموها أو ضربه سوط ضربها أو في شتمه أو تميزه أحدا أو في استعماله الفتیان من أهله فانكم قد

علمتم إن كنتم تعلمون أنّ دمه لا يحلّ لكم بذلك، فقد ركبتم عظيما من الأمر و جئتم شيئا إدا، فتب يا قيس إلى ربك ان كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغنى شيئا.

و أما صاحبك فقد استيقنا أنّه أغرى الناس به و حملهم على قتله حتّى قتلوه و أنّه لم يسلم من دمه عظم قومك، فان استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل و بايعنا على عليّ في أمرنا هذا و لك سلطان العراقيين إن أنا ظفرت ما بقيت و لمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان، و سلنى عن غير هذا مما تحبّ فانك لا تسألنى شيئا إلّا آتيته و اكتب الى رأيك فيما كتبت اليك.

فلما جاء إليه كتاب معاويه أحبّ أن يدفعه و لا يبدي له أمره و لا يجعل له حربه فكتب إليه: أما بعد فقد وصل إلى كتابك و فهمت الّذى ذكرت من أمر عثمان و ذلك أمر لم اقاربه و ذكرت أنّ صاحبي هو الذى أغرى الناس بعثمان و دسّهم إليه حتّى قتلوه، و هذا أمر لم اطلع عليه، و ذكرت لى أنّ عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان فلعمري إنّ أولى الناس كان فى أمره عشيرتى.

و أما ما سألتنى من مبايعتك على الطلب بدمه و ما عرضته عليّ فقد فهمته و هذا أمر لى فيه نظر و فكر و ليس رأس هذا ممّا يجعل إلى مثله و أنا كاف عنك و ليس يأتىك من قبلى شيء تكرهه حتّى ترى و نرى إنشاء الله و السّلام عليك و رحمه الله و برّكاته.

قال إبراهيم: فلما قرء معاويه الكتاب لم يره إلّا مقاربا مباعدا و لم يأمن أن يكون مخادعا مكائدا فكتب إليه:

أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما، و لم أرك تتباعد فأعدك حربا أراك كالجمل الجرور(١) «كخيل الحرون خ» و ليس مثلى يصانع بالخداع و لا يخدع بالمكايد و معه عدد الرّجل و أعنه الخيل، فان قبلت الذى عرضت عليك فلك ما أعطيتك و ان أنت لم تفعل ملئت مصر عليك خيلا و رجلا و السّلام.

ص: ١٠٨

١- (١) جمل جرور يمنع القياد، و بشر بعيدة، ق.

فلما قرء قيس كتابه و علم أنه لا يقبل منه المدافعه و المطاوله أظهر له ما فى نفسه، فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاويه بن أبى سفيان.

أما بعد فالعجب من استسقاطك رأى و الطمع فيما تسومنى(١) لا- أبأ لغيرك من الخروج من طاعه أولى الناس بالأمر و أقولهم بالحقّ و أهداهم سبيلا و أقربهم من رسول الله وسيله أ تأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعه أبعد الناس من هذا الأمر و أقولهم بالزور و أضلّهم سبيلا و اناهم من رسول الله وسيله و لديك قوم ضالّون مضلّون طواغيت إبليس، و أمّا قولك إنك تملأ على مصر خيلا، و رجلا فلئن لم أشغلك من ذلك حتّى يكون منك انك ذو جدّ و السّلام.

فلما أتى معاويه كتاب قيس آيس و ثقل مكانه عليه و كان يحبّ أن يكون مكانه غيره أعجب لما يعلم من قوّته و بأسه و نجدته، فاشتدّ أمره على معاويه فأظهر للناس أنّ قيسا قد بايعكم فادعوا الله له و قرء عليهم كتابه الذى لان فيه و قاربه و اختلق كتابا نسبه إلى قيس فقرأه على الناس للأمير معاويه بن أبى سفيان من قيس ابن سعد:

أما بعد إنّ قتل عثمان حدث فى الاسلام عظيما و قد نظرت لنفسى و دينى فلم أر يسعنى و دينى مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلما، فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا و نسأله العصمه لديننا ألا و إنّى قد القيت إليك بالسّلم و أجبّتك إلى قتال قتله امام الهدى المظلوم فاطلب منّى ما احببت من الامور و الرّجال اعجله إليك إنشاء الله، و السّلام على الامير و رحمه و بر كاته.

قال فشاع فى الشام كلّها أنّ قيسا صالح معاويه و أتت عيون على بن أبى طالب إليه بذلك، فأعظمه و أكبره و تعجّب له و دعا ابنه حسنا و حسينا و ابنه محمّدا و عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك و قال: ما رأيكم؟ فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر، قال على عليه السّلام و الله إنّى غير مصدّق بهذا على قيس، فقال عبد الله: اعزله يا أمير المؤمنين فان كان ما قد قيل حقّا لا يعتزل

ص: ١٠٩

١- (١) سام فلانا الامر كلفه اياه و اكثر ما يستعمل فى العذاب و الشرّ، ق.

لك إن عزلته.

قال: وإنيهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد فيه.

أما بعد فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله وأعزك، إن قبلي رجلا - معتزلين سألوني أن أكف عنهم وأدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس و نرى و يرون، و قدر أيت أن أكف عنهم و لا اعجل بحربهم و ان اتالفهم بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم و يفرقهم عن ضلالتهم إنشاء الله و السلام.

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين إنك إن أطعته في تركهم و اعتزالهم استسرى الأمر و تفاقت الفتنة و قعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها و لكن مره بقتالهم، فكتب إليه:

أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فان دخل فيما دخل فيه المسلمون و إلا فناجزهم و السلام.

فلما أتى هذا الكتاب قيسا فقرأه لم يتمالك ان كتب إلى علي عليه السلام.

أما بعد يا أمير المؤمنين تأمرني بقتل قوم كافين عنك لم يمد و ايدا للفتنة و لا أرسدوا لها فأطعني يا أمير المؤمنين و كف عنهم فإن الرأي تركهم و السلام.

فلما أتاه الكتاب قال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين ابعث محمدا بن أبي بكر إلى مصر يكفيك و اعزل قيسا فو الله ليلغني أن قيسا يقول أن سلطانا لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء و الله ما أحب أن لى سلطان الشام مع سلطان مصر و أننى قتلت ابن مخلد.

و كان عبد الله بن جعفر أخا محمدا بن أبي بكر لأمه و كان يحب أن يكون له امره و سلطان فاستعمل علي محمد بن أبي بكر مصر لمحبة له و لهوى عبد الله بن جعفر أخيه فيه و كتب معه كتابا إلى أهل مصر فسار حتى قدمها فقال له قيس: ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني و بينه؟ قال: لا و هذا السلطان سلطانك و كان بينهما نسب و كان تحت قيس قريه بنت أبي قحافه اخت أبي بكر فكان قيس زوج عمته، فقال قيس: لا و الله لا اقيم معك ساعه واحده فغضب و خرج من مصر

مقبلا إلى المدينة و لم يمض إلى عليّ بالكوفة.

فلما قدم المدينة جاء حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له: نزعك عليّ بن أبي طالب و قد قتلت عثمان فبقى عليك الاثم و لم يحسن عليك الشكر، فزجره قيس و قال: يا أعمى البصر و الله لو لا أن القى بيني و بين رهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده.

ثم إنّ قيسا و سهل بن حنيف خرجا حتّى قدما على عليّ عليه السّلام الكوفة فخبّره قيس الخبر و ما كان بمصر، فصدقه و شهد مع عليّ بصفين هو و سهل بن حنيف و كان قيس طوالا أطول النّاس و أمدهم قامه و كان سبطا أصلع شجاعا مجربا مناصحا لعليّ عليه السّلام و لولده و لم يزل على ذلك إلى أن مات.

و عن هشام بن عروه قال: كان قيس على مقدّمه عليّ بصفين معه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم.

و فى البحار وجدت فى بعض الكتب أنّ عزل قيس من مصر ممّا غلب أمير المؤمنين أصحابه و اضطرّوه إلى ذلك و لم يكن هذا رأيه كالتحكيم و لعلّه أظهر و أصوب.

قال إبراهيم و كان عهد عليّ عليه السّلام إلى محمد بن أبى بكر:

هذا ما عهد عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله فى السرّ و العلانيه و خوف الله فى المغيب و المشهد، و أمره باللين على المسلم و الغلظة على الفاجر، و بالعدل على أهل الذمه و بالانصاف للمظلوم و ما يشده على الظالم، و بالعفو على النّاس و بالاحسان ما استطاع و الله يجزى المحسنين و يعذب المجرمين، و امره ان يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة فإنّ لهم فى ذلك من العافيه و عظم المثوبه ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه.

و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل، و ان تكن لهم حاجه يواسى بينهم فى مجلسه، و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء، و أمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ و أن يقوم بالقسطاس و لا يتبع الهوى و لا يخاف فى الله لومه

لائم فإن الله مع من اتقاه و آثر طاعته على من سواه، و كتب عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله بغزة شهر رمضان سنة ست و ثلاثين.

قال إبراهيم: ثم قام محمد بن أبي بكر خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد فالحمد لله الذى هدانا و إياكم لما اختلف فيه من الحقّ، و بصّيرنا و إياكم كثيرا ممّا عمى عنه الجاهلون ألا و إنّ أمير المؤمنين، و لائى اموركم و عهد إلىّ بما سمعتم و أوصانى بكثير منه مشافهه و لن الوكم جهدا ما استطعت، و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت، و إليه انيب، فان يكن ما ترون من آثارى و أعمالى طاعه لله و تقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادى إليه، و إنّ رأيتم من ذلك عملا- بغير الحقّ فارفعوه إلىّ فانى بذلك أسعد و أنتم بذلك جديرون، وفقنا الله و إياكم لصالح العمل.

أقول: و لأمر المؤمنين عليه السلام كتاب آخر مبسوط إلى محمد و أهل مصر و رواه إبراهيم نرويه إنشاء الله فى باب الكتب إن ساعدنا التوفيق و المجال.

ثم قال إبراهيم: فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتّى بعث إلى أولئك المعتزلون الذين كان قيس بن سعد مواد عالمهم، فقال: يا هؤلاء إمّا أن تدخلوا فى طاعتنا و إمّا أن تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه إنّنا لا نفعل فدعنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر الناس فلا- تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه و أخذوا حذرهم، ثم كانت وقعه صفيين و هم لمحبيد هاييون فلما أتاها خبر معاويه و أهل الشام ثم صار الأمر إلى الحكومه و أنّ عليا و أهل العراق قد غفلوا عن معاويه و الشام إلى عراقهم، اجتروا على محبيد و أظهروا المنابذه له، فلما رأى محمد ذلك بعث إليهم ابن جمهان البلوى و معه يزيد بن الحرث الكناني فقاتلهم فقتلوهما.

ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا، و خرج معاوية بن حديج (١) من السِّكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان، فأجابه القوم و ناس كثير آخرون و فسدت مصر على محمّد بن أبي بكر، فبلغ عليا توثبهم عليه، فقال: مالي أرى لمصر إلاّ و أحد الرّجلين صاحبنا الذي عزلناه بالأمس يعنى قيس بن سعد أو مالك بن الحرث الأشتر و كان عليّ حين رجع عن صفين ردّ الأشتر إلى عمله بالجزيره و قال لقيس بن سعد: أقم أنت معى على شرطتى حتّى نفرغ من أمر هذه الحكومه ثم اخرج إلى اذريجان فكان قيس مقيما على شرطته.

فلما انقضى أمر الحكومه كتب إلى الأشتر و هو يومئذ بنصيبين و طلبه إليه و بعثه إلى مصر و مات قبل الوصول إليه بتفصيل تطلع عليه فى باب الكتب أيضا إنشاء الله قال ابراهيم: فحدث محمّد بن عبد الله عن أبي سيف المدائنى عن أبي جهضم الأزدى أنّ أهل الشام لما انصرفوا عن صفين و أتى بمعاوية خبر الحكمين و بايعه أهل الشام بالخلافه لم يزدوا إلاّ قوّه و لم يكن لهم همّ إلاّ مصر فدعا عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمه و بسر بن أرطاه و الضّحّاك بن قيس و عبد الرحمن بن خالد و شرحبيل بن السمط و أبا الأعور السّلمى و حمزه بن مالك فاستشارهم فى ذلك.

قال عمرو بن العاص: نعم الرّأى رأيت فى افتتاحها عزّك و عزّ أصحابك و ذلّ عدوّك، و قال آخرون نرى ما رأى عمرو، فكتب معاوية إلى مسلمه بن مخلد الانصارى و إلى معاوية بن حديج الكندى و كانا قد خالفا عليّا فدعا هما إلى الطلب بدم عثمان، فأجابا و كتبّا إليه: عجل إلينا بخيلك و رجلك فإنّا ننصررك و يفتح الله عليك.

فبعث معاوية عمر بن العاص فى ستّه آلاف فسار عمرو فى الجيش حتّى دنى من مصر فاجتمعت إليه العثمانيّه فأقام، و كتب إلى محمّد بن أبي بكر.

أما بعد فتخّ عنيّ يابن أبى بكر فاني لا احبّ أن يصيبك منى ظفر و أنّ

ص: ١١٣

١- (١) قال الدميرى فى حياه الحيوان معاوية بن حديج بحاء مهمله مضمومه و دال مهمله مفتوحه و بالجيم فى آخره كذا ضبطه ابن السمعانى فى الانساب و ابن عبد البر و قتيبه و غيرهم، منه

النَّاسَ بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك وهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطانان، فاخرج منها فإني لك من النَّاصحين و السَّلام قال: وبعث عمرو إلى محمَّد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه وهو أمَّا بعد فإنَّ غب الظلم و البغى عظيم الوبال وإنَّ سفك الدَّم الحرام لا يسلم صاحبه من النَّقمه في الدُّنيا و التَّبعه الموبقه في الآخرة، و ما نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا و لا- أسوء له عينا و لا- أشدَّ عليه خلافا منك، سعت عليه في السَّاعين و ساعدت عليه في المساعدين و سفكت دمه مع السَّافكين، ثمَّ تظنَّ أنَّي نائم عنك فتأتى بلده فتأمن فيها و جلَّ أهلها أنصاري يرون رأيي و يرفعون قولك و يرقبون عليك و قد بعثت إليك قوما حناقا عليك يسفكون دمك و يتقرَّبون إلى الله عزَّ و جلَّ بجهادك و قد اعطوا الله عهدا ليقتلنَّك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه، و أنا احذرك و انظر ك فأنَّ الله مقيد منك و مقتص لوليئه و خليفته بظلمك به و بغيك عليه و وقيعتك فيه و عداوتك يوم الدَّار عليه، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه و أو داجه، و مع هذا فإني أكره قتلَكَ و لا احبَّ أن أتولَّى ذلك منك و لن يسلمك الله من النَّقمه اين كنت أبدا فتنَّح و انج بنفسك و السَّلام.

قال: فطوى محمَّد بن أبي بكر كتابيهما و بعث بهما إلى عليَّ عليه السَّلام و كتب إليه:

أمَّا بعد يا أمير المؤمنين فإنَّ العاصي ابن العاص قد نزل أدنى مصر و اجتمع إليه من أهل البلد كلُّ من كان يرى رأيهم و هو في جيش جرَّار و قد رأيت ممَّن قبلي بعض الفشل فان كان لك في أرض مصر حاجه فامدني بالأموال و الرِّجال، و السَّلام عليك و رحمه الله و بركاته.

فكتب عليه السَّلام اليه: فقد أتاني رسولك بكتاب تذكر أنَّ ابن العاص قد نزل أدنى مصر في جيش جرَّار و أنَّ من كان على مثل رأيه قد خرج إليه و خرج من كان على رأيه خير من اقامته عندك، و ذكرت أنَّك قد رأيت ممَّن قبلك فشلا فلا تفشل و ان فشلوا، حصَّين قريتكَ و اضمم إليك شيعتك، و أوَّل الحرس في عسكرك و اندب الى القوم كنانه بن بشر المعروف بالنَّصيحه و التَّجربه و البأس، فانا نادب اليك الناس

على الصَّعب و الدَّلُول فاصبر لعدوك و امض بصيرتك و قاتلهم على نيَّتِكَ و جاهدهم محتسبا منه سبحانه، و إن كان فتتك أقلَّ الفئتين فان الله تعالى يعين القليل و يخذل الكثير.

و قد قرئت كتاب الفاجرين المتحايين (المتحامين خ ل) على المعصيه و المتلائمين على الضلاله و المرتشين فى الحكومه و المنكرين على أهل الدِّين الذين استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلافهم، فلا يضرّك اعدادهما و ابراقهما، واجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله، فإنك تجد مقالا ما شئت و السَّلام.

قال: فكتب محمّد بن أبى بكر إلى معاويه جواب كتابه أمّا بعد فقد أتانى كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه و تأمرنى بالتّحى عنك كأنك لى ناصح و تخوّفنى بالحرب كأنك علىّ شفيق، و أنا أرجو أن تكون الدائره عليك و أن يخذلكم الله فى الواقعه و أن ينزل بكم الدّلّ و أن تولّوا الدّبر، فان يكن لكم الأمر فى الدّنيا فكم و كم لعمرى من ظالم قد نصرتم و كم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به و إلى الله المصير، و إليه تردّ الامور، و هو أرحم الرّاحمين، و الله المستعان على ما تصفون.

و كتب إلى عمرو بن العاص:

أمّا بعد فقد فهمت كتابك و علمت ما ذكرت و زعمت أنّك لا تحبّ أن يصيبنى منك الظفر، فاشهد بالله أنّك لمن المبطلين، و زعمت أنّك لى ناصح و اقسم أنّك عندى ظنين، و زعمت أنّ أهل البلد قد رفضونى و ندموا على اتباعى فأولئك حزبك و حزب الشّيطان الرّجيم، و حسبنا الله ربّ العالمين، و توكلت على الله العزيز الرّحيم، ربّ العرش العظيم.

قال إبراهيم: فحدّثنا محمّد بن عبد الله عن المداينى قال: فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمّد بن أبى بكر فى النّاس فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد يا معاشر المسلمين فانّ القوم الذين كان ينتهكون الحرمه و يغشون أرض الضّلاله و يستطيّلون بالجبريه قد نصبوا لكم العداءه و ساروا إليكم بالجنود، فمن أراد الجنّه و المغفره فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم فى الله، انتدبوا رحمكم الله

مع كنانه بن بشر.

ثم ندب معه ألفى رجل، و تخلف محمد في ألفين و استقبل عمرو بن العاص كنانه و هو على مقدمه محمد فلما دنى عمرو من كنانه سرح إليه الكتائب كتيبه بعد كتيبه، فلم تأت كتيبه من كتائب أهل الشام إلا شدد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو، ففعل ذلك مرارا، فلما رأى عمرو ذلك بعث معاوية بن حديج الكندي فأتاه في مثل الدهم، فلما رأى كنانه ذلك الجيش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه و ضاربهم بسيفه حتى استشهد.

قال: فلما قتل كنانه أقبل ابن العاص نحو محمد و قد تفرق عنه أصحابه، فخرج محمد فمضى في طريق حتى انتهى إلى خربه فأوى إليها، و جاء عمر و بن العاص حتى دخل الفسطاط و خرج ابن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج (١) على قارعه الطريق فسألهم هل مرّ بكم أحد تنكرونه؟ قالوا: لا قال أحدهم: إنني دخلت تلك الخربه فاذا أنا برجل جالس، قال ابن حديج: هو هو و ربّ الكعبه.

فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد فاستخرجوه و قد كاد يموت عطشا، فاقبلوا به نحو الفسطاط فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص و كان في جنده فقال: لا و الله لا يقتل أخي صبرا ابعث إلى معاوية بن حديج فانه، فأرسل عمرو بن العاص أن ائتني بمحمد، فقال معاوية: أقتلت كنانه بن بشر ابن عمي و اخلي عن محمد، هيهات هيهات «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ».

فقال محمد: اسقوني قطره من ماء، فقال له ابن حديج لا سقاني الله إن سقيتك قطره أبدا، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما فسقاه الله من الرحيق المختوم (٢) و الله لأقتلنك يا بن أبي بكر و أنت ظمان و يسقيك الله من الحميم و الغسلين.

ص: ١١٦

١- (١) العليج بالكسر الرجل من كفار العجم و الجمع علوج، ق.

٢- (٢) غير خفي على أهل البصيره أن القضية بالعكس فان الاول شارب من الحميم و الغسلين و الثاني من الرحيق المختوم، منه.

فقال محمّد: يا بن اليهوديه النساجه ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان وإِنّما ذلك إلى الله يسقى أوليائه و يظماً أعداءه و هم أنت و قرناءك و من تولّاك و تولّيته، والله لو كان سيفى بىدى ما بلغت منى ما بلغت، فقال له معاويه بن حديج: أ تدرى ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم احرقه عليك بالنار.

قال: ان فعلتم ذلك بى فطال ما فعلتم ذاك بأولياء الله و أيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التى تخوفنى بها بردا و سلاما كما جعلها الله على إبراهيم خليله و أن يجعلها عليك و على أوليائك كما جعلها على نمرود و على أوليائه و إني لأرجو أن يحرقك الله و إمامك معاويه و هذا، و أشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها الله عليكم سعيرا.

فقال معاويه بن حديج إني لأقتلك ظمّانا إنما أقتلك بعثمان بن عفّان، قال محمّد:

و ما أنت و عثمان رجل عمل بالجور و بدّل حكم الله و القرآن و قد قال الله عزّ و جلّ:

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»، وَ «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

فنقمنا عليه أشياء عملها فأردناه أن يختلع من عملنا فلم يفعل فقتله من قتله من الناس، فغضب معاويه بن حديج فضرب عنقه ثم القاه فى جوف حمار و أحرقه بالنار.

فلما بلغ ذلك عايشه جزعت عليه جزعا شديدا و قتت فى دبر كلّ صلاه تدعو على معاويه بن أبى سفيان و عمرو بن العاص و معاويه بن حديج، و قبضت عيال محمّد أخيها و ولده إليها فكان القاسم بن محمّد فى عيالها، و حلفت عايشه أن لا تأكل شوى أبدا بعد قتل محمّد، فلم تأكل شوى حتى لحقت بالله، و ما عثرت قطّ إلا قالت تعس(١) معاويه بن أبى سفيان و عمرو بن العاص و معاويه بن حديج.

قال إبراهيم: و حدّثنى محمّد بن عبد الله عن المدائنى عن الحرث بن كعب عن حبيب بن عبد الله، قال و الله إني لعند على اذ جاءه عبد الله بن معين من قبل محمّد بن

ص: ١١٧

١- (١) التعس الهلاك و العثار و السقوط و الشرّ و البعد و الانحطاط.

أبى بكر يستصرخه قبل الوقعه، فقام على عليه السلام فنادى فى الناس الصلاه جامعه فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و ذكر رسول الله ثم قال عليه السلام:

أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبى بكر و اخوانكم من أهل مصر قد سار اليهم ابن النابغه عدو الله و عدو من والاه و ولا من عاد الله، فلا- يكونن أهل الضلال إلى باطلهم و الزكون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم منكم على حقكم، و قد بدءوكم و اخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساه و النصر، عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيرا و خير أهلا فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر فى أيديكم عز لكم و كبت لعدوكم اخرجوا إلى الجزعه «و الجزعه بين الحيره و الكوفه» لتتوا فى هناك كلنا غدا إنشاء الله.

قال فلما كان الغد خرج يمشى فأقام حتى انتصب النهار فلم يوافه مأته رجل فرجع فلما كان العشاء بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كئيب حزين فقال عليه السلام:

الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل و ابتلانى بكم أيها الفرقة التى لا تطيع إذا أمرتها، و لا تجيب إذا دعوتها، لا أبا لغيركم ما ذا تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقكم، الموت خير من الدل فى هذه الدنيا لغير الحق، و الله إن جئنى الموت و ليأتينى فليفرق بينى و بينكم لتجدننى لصحبتيكم جد.

قال: ألا دين يجمعكم إلا حميه تغيطكم ألا تسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم و يشن الغاره عليكم أو ليس عجا أن معاويه يدعو الجفاه الظعام الظلمه فيتبعونه على غير عطاء و معونه و يجيئون فى السنه المره و المرتين و الثلاث إلى أى وجه شاء ثم أنا أدعوكم و أنتم أولو النهى و بقيه الناس تختلفون و تفرقون منى و تعصوننى و تخالفون على.

فقام إليه مالك بن كعب الارجبى فقال: يا أمير المؤمنين اندب الناس معى فإنه لا- عطر بعد عروس، و إن الأجر لا يأتى إلا بالكره، ثم التفت إلى الناس، و قال: اتقوا الله و أجيئوا دعوه إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوكم إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين.

فأمر عليّ عليه السّلام سعدا مولاه أن ينادى ألاسيروا مع مالك بن كعب إلى مصر و كان وجهها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر ظاهر الكوفة و خرج معه عليّ عليه السّلام فنظر فاذا جميع الناس نحو من ألفين فقال عليّ عليه السّلام سيروا و الله أنتم ما اخالكم تدركون القوم حتى ينقضى أمركم، فخرج مالك بهم و سار خمس ليال.

و قدم الحجاج بن عريه الأنصارى على عليّ عليه السّلام و قدم عليه عبد الرّحمن بن المسيّب الفرازى من الشّام، فأما الفرازى فكان عينا لعليّ لا ينام و أما الأنصارى فكان مع محمّد بن أبى بكر، فحدّثه الأنصارى بما عاين و شاهد و أخبره بهلاك محمّد و أخبره الفرازى أنّه لم يخرج من الشّام حتّى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص فيتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل محمّد بن أبى بكر و حتّى اذن معاويه بقتله على المنبر و قال: يا أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا مثل ما رأيته بالشّام حين أتاها قتل ابن أبى بكر، فقال عليّ عليه السّلام أما إنّ حزنا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافا.

قال و حزن عليّ عليه السّلام على محمّد حتّى رأى ذلك فيه و تبيّن فى وجهه و قام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

الا و إنّ المصر قد افتتحها الفجره أولياء الجور و الظلم الذين صدّوا عن سبيل الله و بغوا الاسلام عوجا، ألا و إنّ محمّد بن أبى بكر قد استشهد رحمه الله عليه و عند الله نحتسبه، أما و الله لقد كان ما عملت ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و يبغض شكل الفاجر و يحبّ سمت المؤمن، إنّى و الله ما ألوم نفسى على تقصير و لا عجز و إنّى لمقاساه الحرب مجد بصير إنّى لأقدم على الحرب و أعرف وجه الحزم و أقوم بالرّأى المصيب فاستصرخكم و اناديكم مستغيثا فلا تسمعون قولا و لا تطيعون لى أمرا حتّى تصير الامور إلى عواقب المسائه و أنتم القوم لا يدرك بكم الثّار و لا ينقص بكم الأوتار، دعوتكم إلى غياث اخوانكم منذ بضع و خمسين ليلا- فجر جرتم على جرجره الجمل الأشر و تناقلتم إلى الارض تناقل من لا نيّه له فى الجهاد و لا رأى فى الاكتساب للأجر، ثمّ خرج إلى منكم

جنید متدائب ضعیف کانما تساقون إلى الموت و هم ينظرون فافّ لكم، ثم نزل فدخل رحله.

قال المدائنی: إنّ علیّاً علیه السّلام قال: رحم الله محمّداً كان غلاماً حدثاً لقد كنت أردت أن اولى المر قال هاشم بن عتبة مصراً فأنه و الله لو وليها ما خلى لابن العاص و اعوانه العرصه و لا قتل إلاّ و سيفه فی يده بلا ذمّ لمحمد فلقد أحمد نفسه و قضا ما علیه.

قال المدائنی و قيل لعلیّ علیه السّلام لقد جزعت یا امیر المؤمنین علی محمّد بن أبی بکر فقال: و ما یمنعنی إنّ کان لی ربیباً و کان لی أخاً و كنت له والداً أعدّه ولداً.

الترجمه

از جمله کلام آن امام انام است در وقتی که ایالت مصر را بمحمد بن ابی بکر تفویض فرمود:

پس مملوک شد مصر و مقتول گردید محمد یعنی محمد را بامر معاویه ملعون شهید کردند و بمصر مستولی شدند و بتحقیق که می خواستم هاشم بن عتبة را والی مصر نمایم و اگر او را والی مصر کرده بودم هر آینه خالی نمی کرد از برای دشمنان عرصه مصر را و نمی داد بایشان فرصت را در حالتی که مذمت نمی کنم محمد را، پس بتحقیق که بود محمد بسوی من دوست مخلص و بود مرا پسر زن از جهت این که مادر او اسماء بنت عمیس زوجه جعفر بن ابی طالب بود، و بعد از او ابو بکر او را تزویج نمود و محمد از او متولد شد و بعد از وفات ابی بکر امیر المؤمنین علیه السلام آنها را بنکاح خود در آورد.

و من کلام له علیه السلام و هو الثامن

اشاره

و الستون من المختار فی باب الخطب

کم آداریکم کما تداری البکار العمده، و الثیاب المتداعیه، کَلَمّا

ص: ۱۲۰

حيصت من جانب تهتكت من آخر، كلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه، و انحجر انحجار الضَّبه في جحرها و الضَّبع في و جارها، الدليل و الله من نصرتموه، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل، و و الله إنكم لكثير في الباحت، قليل تحت الزايات و إننى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم، و لكننى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى، أضرع الله خدودكم، و أتعس جدودكم، لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، و لا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق.

اللغة

(البكار) بالكسر جمع بكر بالفتح و هو الفتى من الابل و (العمده) بكسر الميم من العمد الورم و الدبر و قيل العمده التى كسرها ثقل حملها، و قيل التى قد انشدخت اسنمتها من داخل و ظاهرها صحيح و (المتداعيه) الخلقه التى تنخرق و إنما سميت متداعيه لأن بعضها يتخرق فيدعوا لباقي إلى الانخراق.

و (الحوص) الخياطه يقال حاص الثوب يحوصه حوصا خاطه و (اطل) عليه بالطاء المهمله أشرف و فى بعض النسخ بالمعجمه أى اقبل اليكم و دنا منكم و (المنسر) كمجلس و كمنبر القطعه من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير و (الجحر) بالضّم كل شىء يحتفره السباع و الهوام لأنفسها و حجر الضَّب كمنع دخله و حجره غيره أدخله فانحجر و تحجرّ و كذلك احجره و (الضَّبه) انثى الضَّباب و هى دابه برّيه.

و (الضَّبع) مؤنثه و (و جارها) بالكسر جحرها و (الافوق) المكسور الفوق و (النَّاصل) المنزوع النَّصل و (الباحه) السياحه و فى بعض النسخ الساحات و (الرايه) العلم و (الاولد) بالتحريك العوج و (ضرع) إليه بالتثليث ضرعا بالتحريك و ضراعه خضع و ذلّ و استكان و اضرعه الله أذله و (التَّعس) الهلاك و الانحطاط.

و (الجدود) بالضم جمع الجد بالفتح كالجدوده و الاجداد و هو البخت و الحظ و فى الكتاب الكريم:

«أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا».

الاعراب

جملة كلما حيصت فى محلّ الرفع صفه للثياب، و جملة كلما اطل استينافيه و تحتمل الاستيناف البيانى فكانه سئل عن سبب المداراه فأشار إلى الجواب بها، و قوله الدليل و الله من اه، جملة القسم معترضه بين الخبر و المبتدأ و تقديم الخبر لقصد الحصر، و جملة اضرع الله حدودكم، و أنعس جدودكم دعائيتان لا محلّ لهما من الاعراب.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام توبيخ أصحابه، و ذمهم بتناقلهم عن الجهاد، و تقاعدهم عن التّهوض إلى حرب أهل الشام، فأشار أولاً إلى كونهم محتاجين إلى المداراه الكثيره البعيده عن شيمه أهل النّجده و الشّجاعه و ذوى الفتوّه و الكياسه و نبّه على ذلك بقوله:

(كم اداريكم كما تدارى البكار العمده و الثياب المتداعيه) اى كما يدارى صاحب البعير بعيره المنشدخ السّنام و لا بس الأثواب ثيابه الخلقه المنخرقه، و وجه تشبيههم بالبكار العمده هو قله صبرهم و شدّه اشفاقهم و عدم تحملهم لمشاق الجهاد و القتال كما يشتدّ جرحه البكر العمده و يقل صبره و لا يتحمل ثقال الأحمال.

و وجه التّشبيه بالثياب المتداعيه أنّ الثياب الموصوفه كما أنّها(كلما حيصت من جانب تهتك من جانب آخر)فكذلك أصحابه كلّما أصلح حال بعضهم و انتظم أمرهم للحرب فسد عليه البعض الآخر (كلما اطل عليكم) و اشرف (منسر من مناسر اهل الشام اغلق كلّ رجل منكم بابه) و لزم بيته من شدّه الجبن و الخوف و (انحجر انحجار الضّبه فى حجرها و الضّبع فى وجارها).

تخصيصهما من بين ساير الحيوانات بالذّكر لا تصاف الاولى بالجهل و العقوق

حتى صار يضرب بها المثل في الجهل، ولذلك لا تحفر جحرها إلا عند صخره لئلا تضلّ عنه إذا خرجت لطلب الطعام و من عقوقها أنّها تأكل حسولها(١) و اتصاف الثانيه بالحق كما عرفت ذلك في شرح سادس المختار في باب الخطب، و خصّ الاناث منهما أيضا لأنهما أولى بالمخافه من الذكر.

انّ (الدليل و الله من نصرتموه) لا تصاف المخاطبين في أنفسهم بالذله فيلزم اتصاف المنتصرين بهم بها أيضا(و من رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل) شبّههم بالسّهم المكسور الفوق المنزوع التّصل لعدم الانتفاع بهم في الحرب كما لا- ينتفع بالسّهم الموصوف و قد مضى مثل هذه العبارة في الخطبه التاسعه و العشرين، و ذكرنا هنالك ما يوجب زياده توضيحها.

(و و الله أنّكم لكثير في المباحات قليل تحت الرايات) و صفهم بالكثرة في الانديه و القلّه تحت الألويه إشاره إلى جنبهم، فإنّ هذين الوصفين من لوازم الجبن و الخوف كما أن مقابلهما من لوازم الفتوّه و الشجاعه و لذلك يهجو الشعراء بالأوّل و يمدحون بالثاني قال الشّاعر:

أما انكم تحت الخوافق و القنا لثكلاء لا زهراء من نسوه زهر

أ لستم أقلّ الناس تحت لوائهم و أكثرهم عند الذّبيحه و القدر

و قال آخر:

ثقال إذا لانوا خفاف إذا دعوا قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا

(و) الله (انّي لعالم بما يصلحكم و يقيم اودكم) و هو اقامه مراسم السّياسه فيهم من القتل و التعذيب و استعمال وجوه الحيل و التّديبر و المخالفه لأمر الله سبحانه، و لذلك استدرك بقوله (و لكنّي لا أرى اصلاحكم بافساد نفسى) يعنى أنّ اصلاحكم بالقتل و السّياسه موجب لفساد نفسى و دينى و لا أرضى به كما يرتضيه ملوك الدّنيا و رؤسائها بلحاظ صلاح ملكهم و انتظام أمر مملكتهم لكون نظرهم مقصورا على زخارف الدّنيا و زهراتها العاجله و غفلتهم بالكلّيه عن الآخره:

و أما هو عليه السّلام فراعى صلاح نفسه و قدّمه على اصلاح حال الغير لانحصار همّته

ص: ١٢٣

١- (١) حsol ولد الضبّ حين يخرج من بيضته و يكنى الضبّ ابو حسيل، ق.

فِي الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعِهِ بِكَلِمَتِهِ عَنِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْتَحِلُّ مِنْهُمْ مَا يَسْتَحِلُّ سَائِرُ الْمُلُوكِ مِنْ رِعْيَتِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّعْذِيبِ الْمَوْجِبِينَ لِلْإِثْمِ وَالمَعْصِيَةِ الْمُسْتَلْزِمِينَ لِفَسَادِ الدِّينِ وَالسَّخَطِ فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ دَعَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ (اضْرِعِ اللَّهُ خُدُودَكُمْ) وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ ذُلِّ النَّفْسِ وَالْإِسْتِكَاانَةِ وَبِقَوْلِهِ (وَإِتَعَسَ جُدُودَكُمْ) وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْخُسْرَانِ وَالْخِيْبَةِ.

ثُمَّ تَبَهَّهْمَ عَلَى عِلَّةِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لِلدَّعَاءِ بِقَوْلِهِ (لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ) أَرَادَ بِهِ جَهْلَهُمْ بِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقِيَامِ بِوُضَائِفِ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ وَاسْتِغْثَالَهُمْ بِالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْبَاطِلَةِ (وَلَا تَبْطُلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقَّ) أَرَادَ بِهِ عَدَمَ إِبْطَالِهِمْ لِلْمُنْكَرِ كَابْطَالِهِمْ لِلْمَعْرُوفِ.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در مذمت اصحاب خود:

چقدر مدارا کنم با شما چنانکه مدارا کنند با شترانی که کوفناک باشد کوهان ایشان، و هم چنانکه مدارا کنند با لباسهای کهنه پاره پاره بمرتبه که هر وقت دوخته شود از جانبی دریده می شود از جانب دیگر هر وقت که مشرف شود بر شما دسته لشکری از لشکرهاى اهل شام می بندد هر مردی از شما در خانه خود از ترس و در آید در سوراخ همچو در آمدن سوسمار در سوراخ خود و همچو در آمدن کفتار در خانه خود.

بخدا سوگند که ذلیل آن کسی است که شما ناصر آن شده باشید، و کسی که تیر اندازد با شما به دشمنان پس بتحقیق که می اندازد بتیر سوفاى شکسته بی پیکان قسم بخدا که بدرستی شما هر آینه بسیارید در عرصها و اندکید در زیر علمها، و بدرستی من دانا هستم بچیزی که اصلاح نماید شما را و راست گرداند کجی شما را و لیکن من بخدا سوگند نمی بینم اصلاح شما را با فساد نفس خود.

خوار گرداند خدا رخسارهای شما را، و تباه گرداند نصیبهای شما را، نمی شناسید شما حق کامل را چنانچه می شناسید باطل را، و باطل نمی گردانید باطل را

همچو باطل گردانیدن شما حق را یعنی شما با مورد دنیویۀ باطله مشغولید و از امور اخرویۀ غافل.

و قال عليه السلام في سحره اليوم الذي ضرب

اشاره

فيه و هو التاسع و الستون من المختار باب الخطب

ملكنتى عينى و أنا جالس فسنح لى رسول الله فقلت: يا رسول الله ما ذا لقيت من أمتك من الأود و اللدد؟ فقال: أدع عليهم، فقلت: أبدلنى الله بهم خيرا لى منهم، و أبدلهم بى شرًا لهم منى. قال السيد (ره): يعنى بالأود الاعوجاج، و اللدد الخصام و هو من أفصح الكلام.

اللغة

(السَّيْحَر) بالتحريك قبيل الصَّيْح و السَّيْحَره بالضَّم السَّيْحَر الاعلى و (سنح) لى رأى كمنع سنوحا و سنحا بالفتح و سنحا بالضَّم عرض و (اود) يأ وداودا من باب فرح.

الاعراب

جملة انا جالس حال من مفعول ملكت، و ما فى قوله ما ذا لقيت استفهاميه استعظاميه كما فى قوله تعالى الحاقه ما الحاقه، و ذا إمّا موصوله أو زائده كما قلناه فى ما سبق، و الباء فى قوله بهم و بى للمقابله.

المعنى

اشاره

قال السَّارح البحرانى: قوله (ملكنتى عينى) استعاره حسنه و تجوَّز فى التركيب أمّا الاستعاره فلفظ الملك للنوم و وجه الاستعاره دخول النائم فى غلبه النوم و قهره و منعه له ان يتصرف فى نفسه كما يمنع المالك المملوك من التصرف فى أمره،

و أمّا التّجوز ففي العين و في الاسناد إليها، أمّا الأوّل فاطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة إذا طباق الجفون من عوارضهما، و أمّا الثاني فاسناد الملك إلى النوم المتجوّز فيه بلفظ لعين.

أقول: حاصله أنّه من باب الاستعارة التّبعية مثل قولهم: نطقت الحال بكذا، و محصّيه أنّ الملك استعاره عن غلبه النوم و العين مجاز عن النّوم بعلاقته المجاوره و اسناد الغلبه إلى النوم مجاز عقليّ فافهم، فالمعنى غلبني نومي (و أنا جالس فسنح لي رسول الله) أي رأيت في المنام أو مرّ بي معترضا (فقلت يا رسول الله ما ذا لقيت من امتك من الاود و اللدد فقال ادع عليهم) شكايته منهم إلى رسول الله صلى الله عليه و اله و سلّم دليل على غايه كربه منهم من جهة تقصيرهم في الاجابه إلى دعائه و التّلبيه لنداءه و توانيهم في القتال و الجهاد، و ترخيص رسول الله في دعائه عليهم دليل على عدم رضائه عنهم.

و قوله:(فقلت أبدلني الله بهم خيرا لي منهم و أبدلهم بي شرّا لهم مني) لا- يدلّ على اتّصافه بالشرّ إذ صيغه افعل لم يرد بها التّفصيل بل المراد مجرّد الوصف أو بناء التّفصيل على اعتقاد القوم فانّهم لما لم يطيعوه حق الطاعة فكأنّهم زعموا فيه شرا، و قد مرّ مزيد تحقيق لهذه الفقرة في شرح الخطبه الخامسه و العشرين فتذكر هذا.

و روى في البحار من الارشاد عن عمّار الدّهني، عن أبي صالح الحنفي قال: سمعت عليّا عليه السّلام يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه و اله و سلّم في مناهي فشكوت إليه ما لقيته من امّته من الاود و اللدد و بكيت، فقال لي: لاتبك يا علي و التفت و إذا رجلان مصفدان(١) و إذا جلاמיד ترضخ بهما رؤوسهما، قال أبو صالح: فغدوت إليه من الغد كما كنت أغد و اليه كلّ يوم حتّى إذا كنت في الجزارين لقيت الناس يقولون قتل أمير المؤمنين.

ص: ١٢٦

١- (١) صفده يصفده شده و اوثقه كاصفده و صفده، و الجلمد الصخر كالجلمو دو رضح الحصا كمنع و ضرب كسرهما و به الارض جلده بها و راضخ فلانا رماه بالحجاره، ق.

فى كيفيه شهادته عليه السلام

و فيها روايات كثيره و ابسطها ما رواه فى المجلد التاسع من البحار قال: رأيت فى بعض الكتب القديمه روايه فى كيفيه شهادته أوردنا منه شيئاً مما يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار.

قال: روى أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن محمد البكرى، عن لوط بن يحيى، عن اشيائه و اسلافه قالوا: لما توفى عثمان و بايع الناس أمير المؤمنين كان رجل يقال له حبيب بن المنتجب واليا على بعض أطراف اليمن من قبل عثمان فأقره عليّ عليه السلام على عمله و كتب كتابا يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب إلى حبيب بن المنتجب سلام عليك، أما بعد فإني أحمد الله الذى لا إله إلا هو، و أصلى على محمد عبده و رسوله، و بعد فإني وليتك ما كنت عليه لمن كان من قبل فامكث على عملك و إني أوصيك بالعدل فى رعيتك و الاحسان إلى أهل مملكتك، و اعلم أنّ من ولى على رقاب عشره من المسلمين و لم يعدل بينهم حشره الله يوم القيامة و يدهاه مغلولتان إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فى دار الدنيا، فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقره على من قبلك من أهل اليمن و خذلى البيعه على من حضرك من المسلمين فاذا بايع القوم مثل بيعه الرضوان فامكث فى عملك و انفذ إلى منهم عشره يكونون من عقلائهم و فصحاءهم و ثقاتهم ممن يكون أشدهم عوناً من أهل الفهم و الشجاعه عارفين بالله عالمين بأديانهم و مالهم و ما عليهم و أجودهم راياء، و عليك و عليهم السلام.

و طوى الكتاب و ختمه و أرسله مع أعرابى، فلما وصله قبله و وضعه على عينيه و رأسه فلما قرأه صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلى على محمد و آله ثم قال:

أيها الناس اعلموا أنّ عثمان قد قضى نجه و قد بايع الناس من بعده العبد الصالح و الامام الناصح أخا رسول الله و خليفته و هو أحق بالخلافه و هو أخو رسول الله و ابن عمه و كاشف الكرب عن وجهه و زوج ابنته و وصيه و أبو سبطيه أمير المؤمنين

علی بن أبی طالب فما تقولون فی بیعته و الدّخول فی طاعته؟ قال: فضجّ النّاس بالبكاء و النّحیب و قالوا: سمعا و طاعه و حبّا و کرامه لله و لرسوله و لأخی رسوله، فأخذ له علیه السّلام البیعه علیهم عامّه، فلمّا بايعوا قال لهم:

ارید عشره منکم من رؤسائکم و شجعانکم انفذهم إلیه كما أمرنی به فقالوا: سمعا و طاعه فاختر منهم مائته، ثمّ من المأه سبعین، ثمّ من السّبعین ثلاثین، ثمّ من الثلاثین عشره فیهم عبد الرّحمن بن ملجم المرادی لعنه الله و خرجوا من ساعتهم.

فلمّا أتوه علیه السّلام سلموا علیه و هتّوه بالخلافه، فردّ علیهم السلام و رحّب بهم، فتقدّم ابن ملجم و قام بین یدیه و قال:

السّلام علیک أيّها الامام العادل و البدر التّمام و اللّیث الهمام و البطل الضّرغام و الفارس القمقام و من فضّله الله علی سائر الأنام صلی الله علیک و علی آلك الکرام، أشهد أنّک امیر المؤمنین صدقا و حقّا و أنّک وصی رسول الله و الخلیفه من بعده و وارث علمه لعن الله من جحد حقّک و مقامک أصبحت أمیرها و عمیدها، لقد اشتهر بین البریّه عدلک، و هطلت (١) شایب فضلك و سحائب رحمتک و رأفتک علیهم، و لقد أنهضنا الأمير إلیک فسررنا بالقدوم علیک فبورکت بهذه الطلعه المرضیّه و هنّت بالخلافه فی الرّعیه.

ففتح أمیر المؤمنین علیه السّلام عینیّه فی وجهه و نظر الى الوفد فقربهم و أدناهم فلمّا جالسوا دفعوا الكتاب ففضّوه و قرأه و سرّ بما فیه فأمر بكلّ واحد منهم بحلّه یمائیّه و رداء عدنیّه و فرس عربیه و أمر أن یفتقدوا و یكرموا، فلما نهضوا قام ابن ملجم و وقف بین یدیه و أنشد:

أنت المهیمن و المهدّب ذو الندی و ابن الضراغم فی الطراز الأوّل

الله خصّک یا وصی محمّد و حباک فضلا فی الكتاب المنزل

و حباک بالزّهراء بنت محمّد حوریّه بنت النبی المرسل

ص: ١٢٨

١- (١) الهطل هو تتابع المطر المتفرق العظیم القطر و الشّبوب الدفعه من المطر، ق.

ثم قال: يا أمير المؤمنين ارم بنا حيث شئت لترى منا ما يسرك فوالله ما فينا إلا كل بطل أبيض (١) و حازم أبيض و شجاع أشوس (٢) و رثنا ذلك عن الآباء و الاجداد و كذلك نورثه صالح الأولاد.

قال: فاستحسن أمير المؤمنين كلامه من بين الوفد فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال:

اسمى عبد الرحمن، قال: ابن من؟ قال: ابن ملجم المرادي، قال: أمرادي أنت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام إنا لله و إنا إليه راجعون و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: و جعل أمير المؤمنين يكرر النظر إليه و يضرب إحدى يديه على الأخرى و يسترجع ثم قال له: و يحك أمرادي أنت؟ قال: نعم فعند ها تمثل بقوله:

أنا أنصحك مني بالوداد مكاشفه و أنت من الأعادي

أريد حياته و يريد قتلي عذيرك (٣) من خليلك من مرادي

قال الأصمعي بن نباته: لما دخل الوفد إلى أمير المؤمنين و بايعوه و بايعه ابن ملجم فلما أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين ثانيا فتوثق منه بالعهود و المواثيق أن لا- يغدر و لا- ينكث ففعل ثم سار عنه، ثم استدعاه ثالثا ثم توثق منه فقال ابن ملجم: يا أمير المؤمنين ما رأيته فعلت هذا بأحد غيري فقال عليه السلام امض لشانك فما أراك تفي بما بايعت عليه.

فقال ابن ملجم: كأنك تكره و فودي عليك لما سمعته من اسمي و أني و الله لأحب الأقامة معك و الجهاد بين يديك و أن قلبي محب لك و أني و الله أوالى وليك

ص: ١٢٩

١- (١) الأبيض الشجاع و من الأبل الجري لا ينقبض عن شيء ق.

٢- (٢) الشوس محرکه النظر بمؤخر العين تكبر او تغيطا، ق.

٣- (٣) العذير امير و زنده عاذر معنائه دركه عذر و بهانه لى قبول ایدن آدمه دينور و منه قول على و هو ينظر الى ابن ملجم عذيرك من خليلك من مراد يقال عذيرك من فلان بالنصب اى هات عذيرك اى من يعذرني و عذير معين و نصيره اطلاق اللونور يقول من عذيري من فلان اى نصيري او قيانوس

قال: فتبسم عليه السلام وقال: بالله يا أبا مراد إن سألتك عن شيء تصدقني فيه؟ قال: أي وعيشك يا أمير المؤمنين، فقال له: هل كان لك دايه يهوديه فكانت إذا بكيت تضربك وتلطم جبينك وتقول لك: اسكت فانك أشقى من عاقر ناقة صالح وإنك ستجنى في كبرك جنايه عظيمه يغضب الله بها عليك، ويكون مصيرك إلى النار؟ فقال قد كان ذلك ولكنك والله يا أمير المؤمنين أحب إلي من كل أحد، فقال أمير المؤمنين والله ما كذبت ولا كذبت ولقد نطق حقًا وقلت صدقا وأنت والله قاتلي لا محاله وستخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه ولقد قرب وقتك و حان زمانك.

فقال ابن ملجم والله يا أمير المؤمنين أنك أحب إلي من كل ما طلعت عليه الشمس، ولكن إذا عرفت ذلك مني غيرني إلى مكان تكون ديارك من ديارى بعيدة فقال: كن مع أصحابك حتى اذن لكم في الرجوع إلى بلادكم.

ثم أمرهم بالتزول في بنى تميم فأقاموا ثلاثة أيام، ثم أمرهم بالرجوع إلى اليمن، فلما عزموا على الخروج مرض ابن ملجم مرضا شديدا فذهبوا وتركوه، فلما برء أتى أمير المؤمنين وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ويسارع في قضاء حوائجه وكان يكرمه ويدعوه إلى منزله ويقربه، وكان مع ذلك يقول له: أنت قاتلي ويكرّر عليه الشعر:

أريد حياته و يريد قتلى عذيرك من خليلك من مرادى

فيقول له: يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك مني فاقتلني، فيقول إنه لا يحل ذلك أن يقتل رجلا قبل أن يفعل بى شيئا، وفي خبر آخر قال: إذا قتلتك فمن يقتلني.

قال: فسمعت الشيعة ذلك فوثب مالك الأشتر والحارث بن الأعور وغيرهما من الشيعة فجرّدوا سيوفهم وقالوا: يا أمير المؤمنين من هذا الكلب الذى تخاطبه بمثل هذا الخطاب مرارا وأنت امامنا ولينا وابن عم نبينا، فمرنا بقتله، فقال لهم: اغمدوا سيوفكم بارك الله فيكم ولا تشقوا عصا هذه الامه أترون أنى أقتل رجلا

لم يصنع بي شيئاً.

فلما انصرف عليه السلام إلى منزله اجتمعت الشيعة و أخبر بعضهم بعضاً بما سمعوا و قالوا: إنّ أمير المؤمنين يجلس إلى الجامع و قد سمعتم خطابه لهذا المرادى و هو ما يقول إلّا حقاً و قد علمتم عدله و إشفاقه علينا و نخاف أن يغتاله هذا المرادى فتعالوا نقترع على أن تحوطه كلّ ليلة منّا قبيله.

فوقعت القرعة فى الليلة الاولى و الثانيه و الثالثه على أهل الكناس، فتقلّدوا سيوفهم و اقبلوا فى ليلتهم إلى الجامع، فلما خرج عليه السلام رآهم على تلك الحاله فقال ما شأنكم؟ فأخبروه فدعا لهم فتبسّم ضاحكاً، و قال: جئتم تحفظونى من أهل السماء أم من أهل الأرض؟ قالوا: من أهل الأرض، قال: ما يكون شىء فى السماء إلّا هو فى الأرض و ما يكون شىء فى الأرض إلّا هو فى السماء ثمّ تلى:

«قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» ثمّ أمرهم أن يأتوا منازلهم و لا يعود و المثلها، ثمّ إنّه صعد المأذنه و كان إذا تنحج يقول السامع ما اشبهه بصوت رسول الله صلى الله عليه و اله و سلّم؟ فتأهب الناس بصلاه الفجر و كان إذا أذن يصل صوته إلى نواحي الكوفه كلّها، ثمّ نزل عليه السلام فصلّى و كانت هذه عادته.

قال: و أقام ابن ملجم بالكوفه إلى أن خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى غزاه النهروان فخرج ابن ملجم معه و قاتل بين يديه قتالاً شديدا فلما رجع إلى الكوفه و قد فتح الله على يديه قال ابن ملجم لعنه الله يا أمير المؤمنين أ تأذن لى أن أتقدّمك إلى المصر لأبشّر أهله بما فتح الله عليك من النصّر؟ فقال: ما ترجو بذلك؟ قال: الثواب من الله و الشكر من الناس و افرح الأولياء و اكمد الأعداء، فقال: شأنك.

ثمّ أمر له بخلعه ستيه و عما متين و فرسين و سيفين و رمحين فسار ابن ملجم و دخل الكوفه و جعل يخترق أزقتها و شوارعها، و هو يبشّر الناس بما فتح الله على أمير المؤمنين و قد دخله العجب فى نفسه فانتهى به الطريق إلى محلّه بنى تميم.

فمرّ على دار تعرف بالقبيله و هى أعلا- دار بها و كانت لقطاع بنت سخينه بن عوف بن تيم اللات، و كانت موصوفه بالحسن و الجمال و الكمال و البهاء، فلما سمعت كلامه بعثت إليه و سألته النزول عندها ساعه لتسأله عن أهلها، فلما قرب من منزلها و أراد النزول عن فرسه خرجت إليه ثم كشفت له عن وجهها و أظهرت له محاسنها.

فلما رآها أعجبت و هواها من وقته فنزل عن فرسه و دخل إليها و جلس فى دهليز الدار و قد أخذت بمجامع قلبه فبسطت له بساطا و وضعت له متكئا و أمرت خادمها أن تنزع أخفافه و أمرت له بماء فغسل وجهه و يديه و قدمت إليه طعاما فاكل و شرب، و أقبلت عليه تروحه من الحرّ فجعل لا- يملّ من النظر إليها و هى مع ذلك متبسّيه فى وجهه سافره له عن نقابها بارزه عن جميع محاسنها ما ظهر منها و ما بطن.

فقال لها أيتها الكريمه لقد فعلت اليوم بى ما وجب به بل ببعضه على مدحك و شكرك دهرى كلّ فهل من حاجه أتشرف بها و أسعى فى قضائها؟ قال: فسألته عن الحرب و من قتل فيه فجعل يخبرها و يقول فلان قتله الحسن و فلان قتله الحسين إلى أن بلغ قومها و عشيرتها، و كانت قطام لعنها الله على رأى الخوارج و قد قتل أمير المؤمنين فى هذا الحرب من قومها جماعه كثيره منهم أبوها و أخوها و عمّها، فلما سمعت منه ذلك صرخت باكيه ثم لطمت خدّها و قامت من عنده و دخلت البيت و هى تندبهم طويلا.

قال: فندم ابن ملجم فلما خرجت إليه قالت: يعزّ علىّ فراقهم من لى بعدهم أفلا ناصر ينصرنى و يأخذ لى بثارى و يكشف عن عارى فكنت أهب له نفسى و أمكنه منها و من مالى و جمالى، فرقّ لها ابن ملجم و قال لها: غصّى صوتك و ارفقى بنفسك فانك تعطين مرادك.

قال: فسكتت من بكائها و طمعت فى قوله، ثم أقبلت عليه بكلامها و هى كاشفه عن صدرها و مسبله شعرها، فلما تمكّن هواها من قبله مال إليها بكلّيته ثم جذبها

إليه و قال لها: كان أبوك صديقا لي و قد خطبتك منه فأنعم لي بذلك فسبق إليه الموت فزوّجيني نفسك لآخذ لك بئارك.

قال: ففرحت بكلامه و قالت قد خطبني الأشراف من قومي و سادات عشيرتي فما انعمت إلا لمن يأخذ لي بئاري و لما سمعت عنك أنك تقاوم الأقران و تقتل الشجعان فأحببت أن تكون لي بعلاو أكون لك أهلا.

فقال لها: فأنا و الله كفو كريم فافرحي على ما شئت من مال و فعال، فقالت له: إن قدمت على العطيه و الشرط فها أنا بين يديك فتحكم كيف شئت، فقال لها: و ما العطيه و الشرط؟ فقالت له: أما العطيه فتلاثة آلاف دينار و عبد و قينه (١) فقال هذا أنا ملىء به، فما الشرط المذكور؟ قالت: نم على فراشك حتى أعود إليك.

ثم إنَّها دخلت خدرها فلبست أفخر ثيابها و لبست قميصا رقيقا يرى صدرها و حليتها و زادت في الحلّى و الطيب و خرجت في معصفرها فجعلت تبشره بمحاسنها ليري حسننها و جمالها، و أرخت عشره ذوايب من شعرها منظومه بالدّرّ و الجواهر.

فلما دخلت إليه أرخت لثامها عن وجهها و رفعت معصفرها (٢) و كشفت عن صدرها و اعكانها و قالت: ان قدمت على الشرط المشروط ظفرت بهذا جميعه و أنت مسرور مغبوط.

قال: فمدّ ابن ملجم عينيه إليها فحار عقله و هوى لحيته مغشّيا عليه ساعه فلما أفاق قال: يا منيه النفس ما شرطك فاذكريه لي فأنّي سأفعله و لو كان دونه قطع القفار و خوض البحار و قطع الرّؤوس و اختلاس النفوس، قالت له الملعونه: شرطي عليك أن تقتل عليّ بن أبي طالب بضربه واحده بهذا السيف في مفرق رأسه يأخذ منه ما يأخذ و يبقى ما يبقى.

ص: ١٣٣

١- (١) القينه الامه المغنيه أو الاعم.

٢- (٢) ثوب صبغ بالعصفر و هو نبت.

فلما سمع ابن ملجم كلامه استرجع و رجع إلى عقله و اغاظه و ألقاه ثم صاح بأعلى صوته: و يحك ما هذا الذى و اجهتني به
بئس ما حدثتك به نفسك من المحال، ثم طأطأ رأسه يسيل عرقا و هو متفكر فى أمره، ثم رفع رأسه إليها و قال:

و يلك من يقدر على قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب المستجاب الدعاء المنصور من السماء، و الأرض ترجف من هيبتة، و
الملائكة تسرع إلى خدمته.

يا و يلك و من يقدر على قتل على بن أبى طالب و هو مؤيد من السماء، و الملائكة تحوطه بكره و عشية، و لقد كان فى أيام
رسول الله إذا قاتل يكون جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملك الموت بين يديه فمن هو هكذا الاطاقة لأحد بقتله و لا
سبيل لمخلوق على اغتياله.

و مع ذلك فإنه قد أعزنى و أكرمنى و أحبنى و رفعنى و آثرنى على غيرى، فلا يكون ذلك جزاؤه منى أبدا، فان كان غيره قتلته
لك شر قتله و لو كان أفرس أهل زمانه، و أما أمير المؤمنين فلا سبيل لى عليه.

قال: فصبرت عنه حتى سكن غيظه و دخلت معه فى المداعبه و الملاعبه و علمت أنه قد نسي ذلك القول، ثم قالت له: يا هذا ما
يمنعك عن قتل على بن أبى طالب و ترغب فى هذا المال و تتنعم هذا الجمال و ما أنت بأعفّ و أزهد من الذين قاتلوه و قتلهم
و كانوا من الصوامين و القوامين، فلما نظروا إليه و قد قتل المسلمين ظلما و عدوانا اعتزلوه و حاربوه، و مع ذلك فإنه قد قتل
المسلمين و حكم بغير حكم الله و خلع نفسه من الخلافة و امره المؤمنين، فلما رأوه قوما على ذلك اعتزلوه فقتلهم بغير حجة له
عليهم.

فقال له ابن ملجم: يا هذه كفى عنى فقد أفسدت على دينى و أدخلت الشك فى قلبى و ما أدري ما أقول لك و قد عزمت على
رأى ثم أنشد:

ثلاثة آلاف و عبد و قينه و ضرب على بالحسام المصمم

فلا مهر أغلا من قطام و ان غلا و لا فتك(١) إلا دون فتك ابن ملجم

فأقسمت بالبيت الحرام و من أتى اليه و لئى من محلّ و محرم

لقد أفسدت عقلى قطام و اننى لمنها على شكّ عظيم مذمم

لقتل علىّ خير من وطأ الثرى أخى العلم الهادى النبىّ المكرّم

ثمّ امسك ساعه و قال:

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحه كمهر قطام من فصيح و أعجم

ثلاثه آلاف و عبد و قينه و ضرب علىّ بالحسام المصمم

فلا مهر أغلا من علىّ و إن غلا و لا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

فأقسمت بالبيت الحرام و من أتى اليه جهارا من محلّ و محرم

لقد خاب من يسعى لقتل إمامه و ويل له من حرّ نار جهنم

إلى آخر ما أنشد من الأبيات ثمّ قال لها: أجلينى ليلتى هذه حتّى أنظر فى أمرى و آتيك غدا بما يقوى عليه عزمى.

فلما همّ بالخروج أقبلت إليه و ضمّته إلى صدرها و قبلت ما بين عينيه و أمرته بالاستعجال فى أمرها و سايرته إلى باب الدار و هى تشجعه و انشدت له أبيات، فخرج الملعون من عنده و قد سلبت فؤاده و أذهبت رقاذه و رشاده، فبات ليلته قلّقا متفكّرا فمرّه يعاتب نفسه و مرّه يفكّر فى دنياه و آخرته.

فلما كانت وقت السحر أتاه طارق فطرق الباب فلما فتحه إذا برجل من بنى عمّه على نجيب و إذا هو رسول من إخوته إليه يعزّونه فى أبيه و عمّه و يعرفونه أنّه خلّف مالا جزيلا و أنّهم دعوه سريعا ليحوز ذلك المال.

فلما سمع ذلك بقى متحيرا فى أمره إذ جاءه ما يشغله عمّا عزم عليه من أمر قطام فلم يزل مفكرا فى أمره حتّى عزم على الخروج، و كان له اخوان لأبيه و امه كانت من زبيد يقال لها عدنيه و هى ابنه علىّ بن ماشوج و كان أبوه مراديا، و كانوا يسكنون عجران صنعا.

ص: ١٣٥

١- (١) الفتك مثلثه ركوب ما هم من الامور و دعت اليه النفس و فتك يفتك فهو فاتك جرىء شجاع و فتك به انتهز منه فرصه فقتله او جرحه مجاهره او اعم، ق.

فلَمَّا وصل إلى النَّجف ذكر قِطام و منزلتها في قلبه و رجع إليها فلَمَّا طرق الباب اطلعت عليه و قالت من الطارق! فعرفته على حاله السَّيفر فنزلت إليه و سلَّمت عليه و سألته عن حاله فأخبرها بخبره و وعدّها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره و تملكها جميع ما يجيء به من المال، فعدلت عنه مغضبه فدنّى منها و قبلها و ودَّعها و حلف لها أنَّه يبلغها مأمولها في جميع ما سألته.

فخرج و جاء إلى أمير المؤمنين و أخبره بما جاءوا إليه لأجله و سأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتاباً ليعينه على استخلاص حقِّه فأمر كاتبه فكتب له ما أراد ثمَّ أعطاه فرسا من جِياد خيله فخرج و سار سيرا حثيثاً حتّى وصل إلى بعض أودية اليمن، فأظلم عليه الليل فبات في بعضها، فلَمَّا مضى من الليل نصفه إذا هو بزقعه عظيمه من صدر الوادى و دخان يفور و نار مضرمة فانزعج لذلك و تغيّر لونه و نظر إلى صدر الوادى و إذا بالدخان قد أقبل كالجبل العظيم و هو واقع عليه و النَّار تخرج من جوانبه، فخرَّ مغشياً عليه فلَمَّا أفاق و إذا بها تف يسمع صوته و لا يرى شخصه و هو يقول:

اسمع و ع القول يا بن ملجم إنَّك في أمر مهول معظم

تضمّر قتل الفارس المكرّم أكرم من طاف و لبّى و احرم

ذاك علىّ ذو التّقاء الأقدم فارجع إلى الله لكيلا تندم

فلما سمع توهم أنَّه من طوارق الجنّ و إذا بالهاتف يقول:

يا شقّى ابن الشَّقَى أمّا ما أضمرت من قتل الزَّاهد العابد العادل الزّاكع السّاجد امام الهدى و علم التّقى و العروه الوثقى فأنا علمنا بما تريد أن تفعله بأمر المؤمنين و نحن من الجنّ الذين أسلمنا على يديه و نحن نازلون بهذا الوادى فأنا لا ندعك تبيت فيه فإنّك ميشوم على نفسك ثمَّ جعلوا يرمونه بقطع الجنادل فصعد فوق شاهق فبات بقتله ليله.

فلَمَّا أصبح سار ليلاً و نهّاراً حتّى وصل إلى اليمن و أقام عندهم شهرين و قلبه على حرّ الجمر من أجل قِطام ثمَّ إنّه أخذ الذى أصابه من المال و المتاع و الأثاث

فبينما هو فى بعض الطريق إذا خرجت عليه حراميه فسايرهم و سايروه فلما قربوا من الكوفه حاربوه و أخذوا جميع ما كان معه و نجى بنفسه و فرسه و قليل من الذهب على وسطه و ما كان تحته، فهرب على وجهه حتى كاد أن يهلك عطشا.

و أقبل سايرا فى الفلاه مهموما جايعا عطشانا فلاح له شبح فقصده، فاذا بيوت من أبيات الحرب فقصد منها بيتا فنزل عندهم و استسقاهاهم شربه ماء فسقوه و طلب لبنا فأتوه به فنام ساعه.

فلما استيقظ أتاه رجلان و قدما إليه طعاما فأكل و أكلا معه و جعلا يسألانه عن الطريق فأخبرهما، ثم قالا له: ممن الرجل؟ قال: من مراد، قالان: اين تقصد؟ قال: الكوفه، قالان: كائنك من أصحاب أبى تراب؟ قال: نعم، فاحمرت أعينهما غيظا و عزموا على قتله ليلا، و أسرا ذلك و نهضا، فتبين له ما عزموا عليه فندم على كلامه.

فبينما هو متحير إذ أقبل كلبهم و نام قريبا منهم، فأقبل اللعين يمسح بيده على الكلب و يشفق عليه و يقول مرحبا بـكلب قوم أكرموني فاستحسننا ذلك و سألاه ما اسمك؟ قال: عبد الرحمن بن ملجم، فقالا له: ما اردت بصنعك هذا فى كلبنا؟ فقال:

أكرمته لأجلكم حيث اكرتموني فوجب على شكركم و كان هذا منه خديعه و مكرا فقالا: الله اكبر الآن و الله و جب حقك علينا و نحن نكشف لك عما فى ضمائرنا.

نحن نرى رأى الخوارج و قد قتل أعمانا و أخوانا و أهالينا كما علمت، فلما أخبرتنا أنك من أصحابه عزمنا على قتلك فى هذه الليله فلما رأينا صنعك هذا بـكلبنا صفحنا عنك و نحن الآن نطلعك على ما قد عزمنا عليه فسألهما عن أسمائهما فقال أحدهما أنا البرك بن عبد الله التميمي، و هذا عبد الله بن عثمان العنبرى صهرى.

و قد نظرنا إلى ما نحن عليه من مذهبنا فرأينا أن فساد الأرض و الأمه كلها من ثلاثه نفر أبو «أبى ظ» تراب، و معاويه و عمرو بن العاص، فأمّا أبو تراب فإنه قتل رجالنا كما رأيت و افترنا أيضا فى الرجلين معاويه و ابن العاص و قد وليا علينا هذا الظالم العشوم بسر بن أرطاه يطرقنا فى كل وقت و يأخذ أموالنا و قد عزمنا على قتل هؤلاء

الثلاثة فاذا قتلناهم توطأت الأرض و اقعد الناس لهم اماما يرضونه.

فلما سمع ابن ملجم كلامهما صفق باحدى يديه على الأخرى و قال: و الذى فلق الحبة و برء النسمه و تردى بالعظمه إني لثالثكما و إني موافقكما على رأيكما و أنا أكفيكما أمر علي بن أبي طالب.

فنظرا إليه متعجبين من كلامه قال و الله ما أقول لكما إلا حقا، ثم ذكر لهما قصته فلما سمعا كلامه عرفا صحته و قالوا إن قطام من قومنا و أهلها كانوا من عشيرتنا فنحن نحمد الله على اتفاننا فهذا لا يتم إلا بالايان المغلظه فركب الآن مطايانا و نأتى الكعبه و نتعاقد عندها على الوفاء فلما أصبحوا و ركبوا حضر عندهم بعض قومهم فأشاروا عليهم و قالوا لا تفعلوا ذلك فما منكم أحد إلا و يندم ندامه عظيمه، فلم يقبلوا و ساروا جميعا حتى أتوا البيت و تعاهدوا عنده.

فقال البرك: أنا لعمر بن العاص، و قال العنبري: أنا لمعاويه، و قال ابن ملجم لعنه الله: أنا لعلي، فتحالفوا على ذلك بالايان المغلظه و دخلوا المدينه و حلفوا عند قبر النبي على ذلك ثم افترقوا و قد عينوا يوما معلوما يقتلون فيه الجميع، ثم سار كل منهم على طريقه.

فاما البرك فأتى المصر و دخل الجامع و أقام فيه أيما، فخرج عمرو بن العاص ذات يوم إلى الجامع و جلس فيه بعد صلاته فجاء البرك إليه و سلم عليه ثم حادثه فى فنون الأخبار و طرف الكلام و الأشعار، فشعف به عمرو بن العاص و قرّبه و أدناه و صار يأكل معه على مائده واحده، فأقام إلى الليله التى تواعدوا فيها فخرج إلى نيل مصر و جلس مفكرا فلما غربت الشمس أتى الجامع و جلس فيه.

فلما كان وقت الافطار افتقده عمرو بن العاص فلم يره فقال لولده: ما فعل صاحبنا و أين مضى فأننى لا أراه فبعث إليه يدعوه فقال له: إن هذه الليله ليست كالليالى و قد أحببت أن أقيم ليلتى هذه فى الجامع رغبه فيما عند الله و احب أن اشرك للأمير فى ذلك.

فلما رجع إليه و أخبره بذلك سرّه سرورا عظيما و بعث إليه مائده فاكل و بات ليلته ينتظر قدوم عمرو، و كان هو الذى يصلّى بهم فلما كان عند طلوع الفجر أقبل المؤذن إلى باب عمرو و أذن و قال: الصلاه يرحمك الله الصلاه.

فانتبه فأتى بالماء و توضأ و تطيب و ذهب ليخرج إلى الصلاه فزلق فوقع على جنبه فاعتوره عرق النساء فاشغلته (فشغلته خ ل) عن الخروج، فقال قدّموا خارجه ابن تميم القاضى يصلّى بالناس، فأتى القاضى و دخل المحراب فى غلس فجاء البرك فوقف خلفه و سيفه تحت ثيابه و هو لا يشك أنّه عمرو فأمهله حتّى سجد و جلس من سجوده فسّل سيفه و نادى.

لا حكم إلاّ الله و لا طاعه لمن عصى الله ثمّ ضربه بالسيف على أمّ رأسه فقضى نحبّه لوقته، فبادر الناس و قبضوا عليه و أخذوا سيفه من يده و أوجعوه ضربا و قالوا له: يا عدوّ الله قتلت رجلا مسلما ساجدا فى محرابه فقال: يا حمير أهل مصر إنّه يستحقّ القتل قالوا: بماذا ويلك؟ قال: لسعيه فى الفتنة لأنّه الداهية الدهماء الذى أثار الفتنة و نبذها و قوّاها و زيّن لمعاويه محاربه على.

فقالوا له: يا ويلك من تعنى؟ قال: الطاغى الباغى الكافر الزنديق عمرو بن العاص الذى شقّ عصا المسلمين و هتك حرمة الدين، قالوا: لقد خاب ظنّك و طاش سهمك إنّ الذى قتلته ما هو إنّما هو خارجه، فقال يا قوم المعذره إلى الله و اليكم فو الله ما أردت خارجه و إنّما أردت قتل عمرو.

فأوثقوه كتافا و أتوا به إلى عمرو، فلمّا رآه قال: أليس هذا هو صاحبنا الحجازى قالوا له: نعم قال: ما باله؟ قالوا: إنّّه قد قتل خارجه فدهش عمرو لذلك و قال:

إنا لله و إنّنا إليه راجعون و لا حول و لا قوّه إلاّ بالله العلىّ العظيم.

ثمّ التفت إليه و قال: يا هذا لم فعلت ذلك؟ فقال له و الله يا فاسق ما طلبت غيرك و لا أردت سواك، قال: و لم ذلك؟ قال: إنّنا ثلاثه تعاهدنا بمكّه على قتلك و قتل علىّ بن أبى طالب و قتل معاويه فى هذه الليله، فان صدق صاحبى فقد قتل علىّ بالكوفه و معاويه بالشام و أمّا أنت فقد سلمت، فقال عمرو: يا غلام احبسه حتّى نكتب إلى معاويه، فحبسه

حتّى أمره معاويه بقتله فقتله.

و أما عبد الله العنبري فقصد دمشق و استخبر عن معاويه فارشد إليه فجعل يتردد إلى داره فلا يتمكّن من الدّخول عليه إلى أن أذن معاويه يوما للنّاس إذنا عاما فدخل إليه مع النّاس و سلّم عليه و حادثه ساعه و ذكر له ملوك قحطان و من له كلام مصيب حتّى ذكر له بنى عمّه و هم أول ملوك قحطان و شيئا من أخبارهم فلمّا تفرّقوا بقي عنده مع خواصّ أصحابه و كان فصيحاً خبيراً بأنساب العرب و أشعارهم.

فأحبّه معاويه حباً شديداً فقال: قد أذنت لك في كلّ وقت نجلس فيه أن تدخل علينا من غير مانع و لا دافع، فكان يتردد إليه إلى ليله تسع عشره و كان قد عرف المكان الذي يصلّي فيه معاويه.

فلمّا أذن المؤذّن للفجر و أتى معاويه المسجد و دخل محرابه ثار إليه بالسّيف و ضربه فراغ عنه، فأراد ضرب عنقه فانصاع عنه فوقع السّيف في إليته و كانت ضربته ضربه جبان، فقال معاويه: لا يفوتنكم الرّجل فاستخلف بعض أصحابه للصّلاه و نهض إلى داره.

و أمّا العنبري فأخذه النّاس و أوثقوه و أتوا به إلى معاويه و كان مغشياً عليه فلمّا أفاق قال له: ويلك يا لكع لقد خاب ظنّي فيك ما الذي حملك على هذا؟ فقال له: دعني من كلامك اعلم أنّنا ثلاثة تحالفنا على قتلك و قتل عمرو بن العاص و عليّ بن أبي طالب فان صدقا صاحباي فقد قتل عليّ و عمرو، و أمّا أنت فقد روغ أجلك كروغك الثعلب.

فقال له معاويه: على رغم أنفك فامر به إلى الحبس فأتاه الساعدي و كان طبيبا فلمّا نظر إليه قال له، اختر إحدى الخصلتين إمّا أن احمى حديدك فأضعها موضع السّيف، و إمّا أن أسقيك شربه تقطع منك الولد و تبرء منها، لأنّ ضربتك مسمومه فقال معاويه أمّا التّار فلا صبر لي عليها، و أمّا انقطاع الولد فإنّ في يزيد

و عبد الله ما تقرّ به عيني، فسقاه الشّربه فبرىء و لم يولد له بعدها.

و أما ابن ملجم لعنه الله فأنّه سار حتّى دخل الكوفه و اجتاز على الجامع و كان أمير المؤمنين جالسا على باب كنده فلم يدخله و لم يسلم عليه، و كان إلى جانبه الحسن و الحسين و معه جماعه من أصحابه فلمّا نظروا إلى ابن ملجم و عبوره قالوا: ألا ترى إلى ابن ملجم عبر و لم يسلم عليك؟ قال عليه السّلام: دعوه فإنّ له شأنًا من الشّأن، و الله ليخضبنّ هذه من هذه و أشار إلى لحيته و هامته ثم قال عليه السّلام.

ما من الموت لانسان نجا كلّ امرء لا بدّ يأتيه الفنا

تبارك الله و سبحانه لكلّ شيء مدّه و انتها

يقدر الانسان في نفسه امرا و يأتيه عليه القضاء

لا تamenّ الدهر في أهله لكلّ شيء آخر و انقضاء

بين ترى الانسان في غبطه يمسي و قد حلّ عليه القضا

ثمّ جعل يطيل النّظر إليه حتّى غاب عن عينه و أطرق الأرض يقول: إنّنا لله و أنّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّه إلّا بالله العليّ العظيم.

قال: و سار ابن ملجم حتّى وصل إلى دار قطام و كانت قد ايست من رجوعه إليها، و عرضت نفسها على بنى عمها و عشيرتها و شرطت عليهم قتل أمير المؤمنين فلم يقدم أحد على ذلك، فلما طرق الباب قالت من الطارق؟ قال: أنا عبد الرّحمن، ففرحت قطام به و خرجت إليه و اعتنقته و ادخلته دارها و فرشت له فرش الدّيباج و احضرت له الطعام و المدام فاكل و شرب حتّى سكر و سأله عن حاله فحدثها بجميع ما جرى له في طريقه.

ثمّ أمرته بالاغتسال و تغيير ثيابه، ففعل ذلك و امرت جاريه لها ففرشت الدّار بأنواع الفرش و حضرت له شرابا و جوارى فشرب مع الجوار و هن يلعبن له بالعيدان و المعازف(١) و الدّفوف فلما أخذ الشّراب منه أقبل عليها و قال: ما بالك لا تجالسيني و لا تحادثيني يا قرّه عيني و لا تمازحيني، فقالت له: بلى سمعا و طاعة

ص: ١٤١

١- (١) المعازف الملاهى كالعود و الطنبور و شبهه الواحد معزف كمنبرق.

ثمَّ انَّها نهضت و دخلت إلى خدرها و لبست أفخر ثيابها و تزينت و تطيبت و خرجت إليه و قد كشفت له عن رأسها و صدرها و نهودها و أبرزت له عن فخذهما و هي في طاق غلاله رومي يبين له منها جميع جسدها و هي تتبختر في مشيتها و الجوار حولها يلعبن.

فقام الملعون و اعتنقها و ترشقها(١) و حملها حتَّى أجلسها مجلسها و قد بهت و تحير و استحوذ عليه الشيطان فضربت بيدها على زرّ قميصها فحلّته و كان في حلقتها عقد جوهر ليست له قيمه فلما أراد مجامعتها لم تمكّنه من ذلك فقال لم تمنعيني عن نفسك و أنا و أنت على العهد الذي عاهدناك عليه من قتل عليّ و لو أحببت لقتلت معه شبليه الحسن و الحسين.

ثمَّ ضرب يده على هميانه فحلّه من وسطه و رماه إليها و قال خذيه فإنّ فيه أكثر من ثلاثة آلاف دينار و عبد و قينه، فقالت له و الله لا- امكنك من نفسي حتَّى تحلف لي بالايمان المغلظه أنّك تقتله فحملته القساوه على ذلك و باع آخرته بدنياه و تحكم الشيطان فيه بالايمان المغلظه أنّه يقتله و لو قطعوه اربا اربا.

فمالت إليه عند ذلك و قبلته و قبلها فأراد وطئها فمانعته و بات عندها تلك الليلة من غير نكاح فلما كان من الغد تزوّج بها سرّاً و طاب قلبه فلما أفاق من سكرته ندم على ما كان منه و عاتب نفسه و لعنها فلم تزل ترادعه في كلّ ليلة و تعدّه بوصالها فلما دنت الليلة الموعوده مديده إليها ليضاجعها و يجامعها فأبت عليه و قالت ما يكون ذلك إلّا أن تفي بوعدك و كان الملعون اعتلّ علّه شديده فبرء منها، و كانت الملعونه لا تمكّنه من نفسها مخافه أن تبرد ناره فيخلّ بقضاء حاجتها.

فقال لها يا قطام: اقتل لك في هذه الليلة عليّ بن أبي طالب فأخذ سيفه و مضى به إلى الصّيقل فأجاد صقاله و جاء به إليها فقالت إنّي اريد أن اعمل فيه سمّا قال: و ما تصنع بالسمّ لو وقع على جبل لهده، فقالت: دعني أعمل فيه السمّ فأنّك لو رأيت عليّا لطاش عقلك و ارتعشت يداك و ربّما ضربته ضربه لا تعمل فيه

ص: ١٤٢

شيئا، فاذا كان مسموما فان لم تعمل الضربه عمل السم.

فقال لها: يا ويلك أ تخوفيني من عليّ فو الله لا أرهب عليا ولا غيره، فقالت له:

دعني من قولك هذا فانّ عليّا ليس كمن لا قيت من الشجعان فاطرت في مدحه و ذكرت شجاعته و كان غرضها أن يحمل الملعون على الغضب و يحرضه على الأمر فأخذت السيف و انفذته إلى الصيقل فسقاه السم و ردّه إلى غمده.

و كان ابن ملجم قد خرج في ذلك اليوم و يمشى في أزقه الكوفة فلقاه صديق له و هو عبد الله بن جابر الحارثي فسلم عليه و هنّا بزواج قطام، ثمّ تحدّثا ساعه فحدّثه بحدِيثه من أوله إلى آخره فسّر بذلك سرورا عظيما، فقال له:

أنا اعاونك.

فقال ابن ملجم: دعني من هذا الحديث فانّ عليّا أروغ من الثعلب و أشدّ من الاسد، ثم مضى ابن ملجم لعنه الله يدور في شوارع الكوفة، فاجتاز على أمير المؤمنين و هو جالس عند ميثم التمار فخطف عنه كيلا يراه ففطن به فبعث خلفه رسولا فلما أتاها وقف بين يديه و سلم عليه و تضرّع لديه.

فقال له: ما تعمل ههنا؟ قال: أطوف في أسواق الكوفة و أنظر إليها، فقال عليك بالمساجد فانّها خير لك من البقاع كلّها و شرّها الاسواق ما لم يذكر اسم الله فيها ثمّ حادثه ساعه و انصرف.

فلما ولى جعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه و يقول يالك من عدوّ لي من مراد ثمّ قال: اريد حياته و يريد قتلي، و يأبى الله إلّا أن يشاء.

ثمّ قال عليه السّلام يا ميثم هذا و الله قاتلي لا محاله أخبرني به حبيبي رسول الله صلّى الله عليه و آله، فقال ميثم: يا أمير المؤمنين فلم لا تقتله أنت قبل ذلك؟ فقال: يا ميثم لا يحلّ القصاص قبل الفعل، فقال ميثم يا مولاي إذا لم تقتله فاطرده، فقال: يا ميثم لو لا آيه في كتاب الله:

«يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ».

و أيضا أنه بعد ما جنا جنايه فيؤخذ بها و لا يجوز أن يعاقب قبل الفعل، فقال ميثم:

جعل يومنا قبل يومك و لا أرانا الله فيك سوء ابدا و متى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن الله تفرد بخمسة أشياء لا يطلع عليها نبي مرسل و لا ملك مقرب فقال عز من قائل:

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» الآية.

يا ميثم هذه خمسة لا يطلع عليها إلا الله و ما اطلع عليها نبي و لا وصي و لا ملك مقرب، يا ميثم لا حذر من قدر، يا ميثم إذا جاء القضاء فلا مفز، فرجع ابن ملجم و دخل على قطام لعنهما الله و كانت تلك الليلة ليله تسع عشر من شهر رمضان.

قالت ام كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام لما كانت ليله تسع عشره من شهر رمضان قدمت إليه عند افطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير و قصعه فيها لبن و ملح جريش، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلما نظر إليه و تأمله حرك رأسه و بكى بكاء شديدا عاليا و قال: يا بنيه ما ظننت أن بنتا تسوء أباهما كما قد أسأت أنت إلي، قالت: و ما ذا يا أبا؟ قال: يا بنيه أتقدمين إلى أبيك ادامين في فرد طبق واحد أ تريد بن أن يطول وقوفى غدا بين يدي الله عز و جل يوم القيامة أنا اريد أن أتبع أخى و ابن عمى رسول الله صلى الله عليه و آله ما قدم إليه طعامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله.

يا بنيه ما من رجل طاب مطعمه و مشربه و ملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز و جل يوم القيامة، يا بنيه ان الدنيا في حلالها حساب و فى حرامها عقاب.

و قد أخبرنى حبيبى رسول الله أن جبرئيل نزل إليه و معه مفاتيح كنوز الأرض و قال: يا محمد الله يقرؤك السلام و يقول لك ان شئت سيّرت معك جبال تهامه ذهبا و فضه و خذ هذه مفاتيح كنوز الأرض و لا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة قال:

يا جبرئيل و ما يكون بعد ذلك؟ قال الموت، فقال: إذن لا حاجة لى فى الدّنيا دعنى أجوع يوما و أشبع يوما، فالיום الذى أجوع فيه أتضرّع إلى ربى و أسأله، و اليوم الذى أشبع فيه أشكر ربّى و أحمده، فقال له جبرئيل: وفّقت لكلّ خير ثم قال:

يا بنيه الدّنيا دار غرور و دار هو ان فمن قدّم شيئا وجده، يا بنيه و الله لا آكل شيئا حتّى ترفعين أحد الادمين، فلما رفعته تقدّم إلى الطّعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش.

ثمّ حمد الله و أثنى عليه ثمّ قام إلى صلاته فصلّى فلم يزل راکعا و ساجدا و مبتهلا و متضرّعا إلى الله سبحانه و يكثر الدّخول و الخروج و هو ينظر إلى السّماء و هو قلق يتملّل، ثمّ قرء سورة يس حتّى ختمها، ثمّ رقد هنيئله و انتبه مرعوبا و جعل يمسح وجهه بثوبه و نهض قائما على قدميه و هو يقول: اللهمّ بارك لنا فى لقائك و يكثر من قول لا حول و لا قوّه إلاّ بالله العلىّ العظيم، ثمّ صلّى حتّى ذهب بعض الليل، ثمّ جلس للتّعقيب، ثمّ نامت عيناه و هو جالس، ثمّ انتبه من نومته مرعوبا.

قالت ام كلثوم كائنّى به و قد جمع أولاده و أهله و قال لهم فى هذا الشّهر تفقدونى إننى رأيت فى هذه الليلة رؤياها لتنى و اريد أن أقصّيها عليكم، قالوا: و ما هى؟ قال: إننى رأيت السّاعه رسول الله فى منامى و هو يقول لى: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجىء اليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك و أنا و الله مشتاق إليك و إنك عندنا فى العشر الآخر من شهر رمضان فهلّم إلينا فما عندنا خير لك و أبقى.

قال: فلما سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء و النحيب و أبدوا العويل فاقسم عليهم بالسّكوت فسكتوا، ثمّ أقبل عليهم يوصيهم و يأمرهم بالخير و ينهيهم عن الشرّ.

قالت أمّ كلثوم فلم يزل تلك الليلة قائما و قاعدا و راکعا و ساجدا، ثمّ يخرج

ساعه بعد ساعه يقلّب طرفه فى السماء و ينظر فى الكواكب و هو يقول و الله ما كذبت و لا كذبت و إنها الليله التى وعدت بها.

ثم يعود إلى مصلاه و يقول. اللهم بارك لى فى الموت و يكثر من قول إنا لله و إنا إليه راجعون و لا- حول و لا- قوه إلا- بالله العلى العظيم و يصلّى على النبى و آله و يستغفر الله كثيرا.

قالت ام كلثوم: فلما رأيته فى تلك الليله فلما متمللا كثير الذكر و الاستغفار أرت مع ليلتى و قلت يا ابتاه مالى أراك هذه الليله لا- تذوق طعم الرقاد، قال: يا بنيه إن أباك قتل الأبطال و خاض الأهوال و ما دخل الجوف له خوف و ما دخل فى قلبى رعب أكثر ممّا دخل فى هذه الليله، ثم قال: إنا لله و إنا إليه راجعون، فقلت: يا أباه مالك تنعى نفسك منذ الليله، قال: يا بنيه قد قرب الأجل و انقطع الأمل قالت أم كلثوم: فبكيت، فقال لى: يا بنيه لا تبكين فأنى لم أقل ذلك إلا بما عهد إلى النبى، ثم أنه عليه السلام نعس و طوى ساعه ثم استيقظ من نومه، و قال يا بنيه اذا قرب وقت الاذان فأعلمينى، ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاه و الدعاء و التضرّع إلى الله سبحانه.

قالت أم كلثوم فجعلت أرقب وقت الأذان فلما لاح الوقت أتته و معى إناء فيه ماء ثم ايقظته اسبغ الوضوء و قام و لبس ثيابه و فتح بابه، ثم نزل إلى الدار و كان فى الدار اوز قد اهدى إلى أخى الحسين فلما نزل خرجن و رائه و رفرن و صحن فى وجهه و كان قبل تلك لم يصحن، فقال: لا إله إلا الله.

صوارخ تتبعها نوايح و فى غداه غد يظهر القضا

فقلت له: يا أبا هكذا تتطير، فقال: يا بنيه ما منّا أهل البيت من يتطير و لا يتطير به و لكن قول جرى على لسانى، ثم قال: يا بنيه بحقى عليك إلا- ما أظلقته فقد حبست ما ليس له لسان و لا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه و اسقيه و إلا خلى سبيله يأكل من حشائش الأرض، فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فأنحل مئزره حتى سقط فأخذه و شدّه و هو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكما و لا تجزع من الموت إذا حلّ بناديكما

و لا تغتر بالدّهر و ان كان يواتيكما كما أضحكك الدّهر كذاك الدهر يبيكيكما

ثمّ قال: اللهمّ بارك لنا فى الموت اللهمّ بارك لى فى لقاءك.

قالت أمّ كلثوم: و كنت أمشى خلفه فلما سمعته يقول ذلك، قلت: و اغوثاه يا أبتاه أراك تنعى نفسك منذ الليلة، قال: يا بنيه ما هو بنعاء و لكنها دلالات و علامات للموت تتبع بعضها بعضا فامسكى عن الجواب، ثمّ فتح الباب و خرج.

قالت أمّ كلثوم: فجئت إلى أخى الحسن فقلت يا أخى قد كان من أمر أبيك الليلة كذا و كذا، و هو قد خرج فى هذا الليل الغلس فالحقه، فقام الحسن بن على عليه السّلام و تبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فقال: يا أباه ما اخرجك فى هذه السّاعه و قد بقى من الليل ثلثه.

فقال: يا حبيبي و يا قره عيني خرجت لرؤيا رأيتها فى هذه الليلة هالتي و أزعجتني و أقلقتنى، فقال له: خيرا رأيت و خيرا يكون فقصّيهما علىّ، فقال: يا بنى رأيت كان جبرئيل قد نزل من السّماء على جبل أبى قبيس فتناول منه حجّرين و مضى بهما إلى الكعبه و تركهما على ظهرها و ضرب أحدهما على الآخر فصار كالزّميم، ثمّ ذراهما (1) فى الرّيح فما بقى بمكّه و لا بالمدينه بيت إلا و دخله من ذلك الرّماد فقال له يا أبت و ما تأويلها؟ فقال: يا بنى إن صدقت رؤياى فإنّ أباك مقتول و لا يبقى بمكّه حينئذ و لا بالمدينه بيت إلا و يدخله من ذلك غمّ و مصيبه من أجلى، فقال الحسن عليه السّلام و هل تدري متى يكون ذلك يا أبت؟ قال: يا بنى إنّ الله يقول:

«وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ».

ص: ١٤٧

و لكن عهد إلى حبيبي رسول الله أنه يكون في العشر الآخـر من شهر رمضان يقتلني ابن ملجم المرادي، فقلت له يا أبتاه إذا علمت ذلك منه فاقتله، قال: يا بني لا يجوز القصاص قبل الجنايه و الجنايه لم تحصل منه، يا بني لو اجتمع الثقلان الانس و الجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا، يا بني ارجع إلى فراشك، فقال الحسن يا أبتاه أريد أمضي معك إلى موضع صلاتك.

فقال له: اقسمت بحقي عليك إلا ما رجعت إلى فراشك لئلا يتنقص عليك نومك و لا تعصني في ذلك، قال فرجع الحسن فوجد اخته أم كلثوم قائمه خلف الباب تنتظره فدخل فأخبرها بذلك و جلسا يتحدثان و هما محزونان حتى غلب عليها النعاس فقاما و دخلا إلى فراشهما و ناما.

قال أبو مخنف و غيره: و سار أمير المؤمنين حتى دخل المسجد و القناديل قد خمد ضوءها فصلّى في المسجد و تم و رده و عقب ساعه ثم إنه قام و صلّى ركعتين ثم علا المأذنه و وضع سبابته في اذنيه و تنحنح، ثم أذن و كان صلوات الله عليه إذا أذن لم يبق في الكوفه بيت إلا اخترقه صوته.

قال الزاوي: و أمّا ابن ملجم فبات في تلك الليله يفكر في نفسه و لا يدري ما يصنع فتاره يعاتب نفسه و يوبّخها و يخاف من عقبي فعله فيهم أن يرجع عن ذلك، و تاره يذكر قظام لعنها الله و حسننها و جمالها و كثره مالها فتميل نفسه اليها، فبقى عامه ليله يتقلب على فراشه و هو يترنم بشعره ذلك إذا أتته الملعونه و نامت معه في فراشه و قالت يا هذا من يكون على هذا العزم يرقد.

فقال لها و الله إنني أقتله لك السيّاعه فقالت اقتله و ارجع إلى قرير العين مسرورا و افعل ما تريد فأنى منتظره لك، فقال لها بل اقتله و ارجع إليك سخين العين منحوسا محسورا، فقالت أعوذ بالله من تطيرك الوحش.

قال فوثب الملعون كأنه الفحل من الابل قال هلمّي اليّ بالسّيف، ثمّ أنّه اتّزر بمئزر و اتّشح (١) بازار و جعل السّيف تحت الازار من بطنه، و قال افتحي لي

ص: ١٤٨

الباب ففي هذه الساعه اقتل لك عليا، فقامت فرحه مسروره و قبلت صدره و بقي يقبلها و يترشقها ساعه ثم راودها عن نفسها فقالت: هذا عليّ أقبل الى الجامع و اذن فقم إليه فاقتله ثم عد إليّ فيها أنا منتظره رجوعك، فخرج من الباب و هي خلفه تحرضه بهذه الايات:

أقول إذا ما حيّه أعيت الرّقا و كان ذعاف(١) الموت منه شرابها

دسنا إليها في الظلام ابن ملجم همام إذا ما الحرب شبّ لها بها

فخذها عليّ فوق رأسك ضربه بكفّ سعيد سوف يلقا ثوابها

قال الزاوي: فالتفت إليها و قال أفسدت و الله الشّعر في هذا البيت الآخر، قالت: و لم ذلك؟ قال لها: هلاّ قلت

بكف شقيّ سوف يلقا عقابها

قال مصنف هذا الكتاب قدّس الله روحه: هذا الخبر غير صحيح بل إنّا كتبناه كما وجدناه، و الروايه الصحيحه أنّه بات في المسجد و معه رجلان أحدهما شبيب ابن بحيره و الآخر وردان بن مجالد يساعده على قتل عليّ، فلمّا أذن نزل من المأذنه و جعل يسبّح الله و يقدّسه و يكبره و يكثر من الصلاه على النّبيّ.

قال الزاوي: و كان من أكرم أخلاقه أن يفتقد النّائمين في المسجد و يقول للنّائم: الصلاه يرحمك الله الصلاه ثم إلى الصلاه المكتوبه ثم يتلو.

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ».

ففعل ذلك كما كان يفعله على جاري عاداته مع النّائمين في المسجد حتى إذا بلغ إلى الملعون فرآه نائما على وجهه قال له: يا هذا قم من نومك هذا فإنّها نومه يمقتها الله و هي نومه الشّيطان و نومه أهل النّار، بل نم على يمينك فإنّها نومه العلما أو على يسارك فإنّها نومه الحكماء أو على ظهرك فإنّها نومه الانبياء.

قال: فتحرّك الملعون كأنّه يريد أن يقوم و هو من مكانه لا- يبرح فقال له أمير المؤمنين: لقد هممت بشيء «تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ»

ص: ١٤٩

١- (١) الذعف السقي دفعه اى اسقاء بالسم الذعاف كغراب السم ق.

«الْجِبَالُ هَيْدًا»، و لو شئت لأنبئك بما تحت ثيابك، ثم تركه و عدل عنه إلى محرابه و قام قائما يصلى و كان يطيل الركوع و السجود فى الصلاه كعادته فى الفرائض و النوافل حاضرا قلبه.

فلما أحس به فنهض الملعون مسرعا و أقبل يمشى حتى وقف بازاء الاسطوانه التى كان الامام يصلى عليها، فأملهه حتى صلى الركعه الاولى و ركع و سجد السجده الاولى منها، و رفع رأسه فعند ذلك أخذ السيف و هزه ثم ضربه على رأسه المكرم الشريف فوقعت الضربه على الضربه التى ضربها عمرو بن عبدود العامرى ثم أخذت الضربه إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود.

فلما أحس الامام بالضرب لم يتأوه و صبر و احتسب و وقع على وجهه و ليس عنده أحد قائلا: بسم الله و بالله و على ملة رسول الله، ثم صاح و قال قتلنى ابن ملجم قتلنى اللعين ابن اليهوديه و رب الكعبه أيها الناس لا يفوتنكم ابن ملجم و سار السم فى رأسه و بدنه و ثار جميع من فى المسجد فى طلب الملعون و ماجوا بالسلاح فما كنت أرى إلا صفق الأيدي على الهامات و علو الصرخات.

و كان ابن ملجم ضربه ضربه خائفا مرعوبا، ثم ولى هاربا و خرج من المسجد و أحاط الناس بأمر المؤمنين و هو فى محرابه يشد الضربه و يأخذ التراب و يضعه عليها ثم تلا قوله تعالى:

«مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» ثم قال: جاء أمر الله و صدق رسول الله ثم إنه لما ضربه الملعون ارتجت الأرض و باحت البحار و السماوات و اصطفت أبواب الجامع.

قال: و ضربه اللعين شبيب بن بحيره، فأخطاه و وقعت الضربه فى الطاق.

قال الراوى: فلما سمع الناس الضجه ثار إليه كل من كان فى المسجد و صاروا يدورون و لا يدرون أين يذهبون من شدة الصدمه و الدهشه، ثم أحاطوا بأمر المؤمنين و هو يشد رأسه بميزره و الدم يجرى على وجهه و لحيته و قد خضبت بدمائه و هو يقول:

هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله.

قال الزاوي. فاصطفقت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السجاء بالدعاء وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة، و نادى جبرئيل بين السجاء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: تهذمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء، وأعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عم محمد المصطفى قتل الوصي المجتبي قتل علي المرتضى، قتل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشرقياء.

قال: فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل فلطمت على وجهها وخدّها وشقت جيبها وصاحت وأبتاه وأبناه وأبناؤه وأبناؤه، ثم أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين عليهما السلام فأيقظتهما وقالت لهما لقد قتل أبوكما، فقاما يبكيان فقال لها الحسن يا اختاه كفي عن البكاء حتى نعرف صحة الخبر كيلا تشمت الأعداء.

فخرجوا فإذا الناس ينوحون وينادون وإماماه وأمر المؤمنين قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم قط كان أشبه الناس برسول الله.

فلما سمع الحسن والحسين صرخات الناس ناديا وأبتاه وأبناه وأبناؤه ليت الموت أعدمنا الحياة، فلما وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعده بن هبيرة ومعه جماعه من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس فلم يطق على النهوض وتأخر عن الصف وتقدم الحسن فصلى بالناس وأمر المؤمنين يصلي إمامهم عن جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمه الشريف يميل تارة ويسكن أخرى والحسن ينادى وانقطاع ظهراء يعزّ والله على أن أراك هكذا.

ففتح عينه وقال: يا بني لا جزع على أبيك بعد اليوم، هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك فاطمة الزهراء والحدور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفسا وقرّ عينا وكفّ عن البكاء فإن الملائكة قد تفتت أصواتهم إلى السماء.

قال: ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدّرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرن إلى أمير المؤمنين، فدخل الناس الجامع

فوجدوا الحسن و رأس أبيه في حجره و قد غسل الدّم عنه و شدّ الضّر به و هي بعدها تشخب دما و وجهه قد زاد بياضا بصفره و هو يرمق السّماء بطرفه و لسانه يسبح الله و يوحدّه و هو يقول:

أسألك يا ربّ الرّفع الأعلى، فأخذ الحسن رأسه في حجره فوجده مغشّيا عليه فعندها بكى بكاء شديدا و جعل يقبل وجه أبيه و ما بين عينيه و موضع سجوده، فسقط من سجوده «دموعه ظ» قطرات على وجه أمير المؤمنين ففتح عينيه فرآه باكيا فقال: يا بنّي يا حسن ما هذا البكاء يا بنّي لاروع على أبيك بعد اليوم هذا جدّك محمّد المصطفى و خديجه و فاطمه و الحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك فطب نفسا و قرّ عينا و اكفف عن البكاء فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السّماء.

يا بنّي أ تجزع على أبيك و غدا تقتل بعدى مسموما مظلوما و أخوك يقتل بالسيف هكذا و تلحقان بجدّكما و أبيكما و أمكما فقال له الحسن: ما تعرفنا من قتلك و من فعل بك هذا، قال: قتلني ابن اليهوديّة عبد الرحمن بن ملجم المرادي، فقال يا أباه من أيّ طريق مضى قال: لا يمضى أحد في طلبه فأنّه سيطلع عليكم من هذا الباب و أشار بيده الشّريفه إلى باب كنده.

قال: و لم يزل السّم يسرى في رأسه و في بدنه، ثمّ اغمى عليه ساعه و النّاس ينتظرون قدوم الملعون من باب كنده، و اشتغل النّاس بالنّظر إلى الباب و يرتقبون قدوم الملعون و قد غصّ المسجد بالعالم ما بين باك و محزون، فما كان إلّا ساعه و إذا بالصّيحة قد ارتفعت و زمره من النّاس و قد جاءوا بعدوّ الله ابن ملجم مكتوبا و هذا يلعنه و هذا يضربه قال: فوقع النّاس بعضهم على بعض ينظرون إليه فأقبلوا باللعين مكتوبا و هذا يلعنه و هذا يضربه و هم ينهشون لحمه بأسنانهم و يقولون له: يا عدوّ الله ما فعلت أهلك أمّه محمّد و قتلت خير النّاس و إنّه لصامت و بين يديه رجل يقال له حذيفه النّخعي بيده سيف مشهور و هو يرّد النّاس عن قتله و هو يقول: هذا قاتل الامام عليّ عليه السّلام حتّى أدخلوه المسجد.

قال الشَّعْبِيُّ: كَانَتْ أَنْظَرُ إِلَيْهِ وَعَيْنَاهُ قَدْ طَارَ فِي أُمِّ رَأْسِهِ كَانَهُمَا قَطَعْتَا عِلْقَ وَ قَدْ وَقَعَتْ فِي وَجْهِهِ ضَرْبُهُ قَدْ هَشَمَتْ وَجْهَهُ وَ أَنْفَهُ وَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى صَدْرِهِ وَ هُوَ يَنْظُرُ يَمِينًا وَ شِمَالًا وَ عَيْنَاهُ قَدْ طَارَتَا فِي أُمِّ رَأْسِهِ وَ هُوَ أَسْمَرُ اللَّوْنِ حَسَنُ الْوَجْهِ وَ فِي وَجْهِهِ أَثَرُ السَّجُودِ وَ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ شَعْرٌ أَسْوَدٌ مَثُورٌ عَلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، فَلَمَّا حَازَانِي سَمِعْتُهُ يَتَرَنَّمُ بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ:

أَقُولُ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا كُنْتُ أَنْهَهَا وَ قَدْ كُنْتُ أَسْنَاهَا وَ كُنْتُ أَكِيدُهَا

أَيَا نَفْسَ كَفَى عَنْ طَلَابِكَ وَ اصْبِرِي وَ لَا تَطْلُبِي هَمًّا عَلَيْكَ يَبِيدُهَا

فَمَا قَبِلْتَ نَصَحِي وَ قَدْ كُنْتُ نَاصِحًا كُنْصَحَ وَلَوْ دَغَابَ عَنْهَا وَلِيدُهَا

فَمَا طَلَبْتَ إِلَّا عَنَائِي وَ شَقَوْتِي فَيَا طُولَ مَكْثِي فِي الْجَحِيمِ بَعِيدُهَا

فَلَمَّا جَاءُوا بِهِ أَوْقَفُوهُ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: يَا وَيْلَكَ يَا لَعِينُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَنْتَ قَاتِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا جَزَاؤُهُ مِنْكَ حَيْثُ آوَاكَ وَ قَرَّبَكَ وَ أَدْنَاكَ وَ أَثْرَكَ عَلَى غَيْرِكَ، وَ هَلْ كَانَ بئْسَ الْإِمَامُ لَكَ حَتَّى جَازَيْتَهُ هَذَا الْجَزَاءَ يَا شَقِيَّ.

قَالَ: فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بَلْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَانْكَبَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَبِيهِ يَقْبَلُهُ وَ قَالَ لَهُ:

هَذَا قَاتِلُكَ يَا أَبَاهُ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ فَلَمْ يَجِبْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ كَانَ نَايِمًا فَكَّرَهُ أَنْ يَوْقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى ابْنِ مَلْجَمٍ وَ قَالَ لَهُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ هَذَا كَانَ جَزَاؤُهُ مِنْكَ بِوَاكِ وَ أَدْنَاكَ وَ قَرَّبَكَ وَ حَبَاكَ وَ فَضْلَكَ عَلَى غَيْرِكَ هَلْ كَانَ بئْسَ الْإِمَامُ حَتَّى جَازَيْتَهُ هَذَا الْجَزَاءَ يَا شَقِيَّ الْأَشْقِيَاءَ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلْعُونُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ «أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ» فَعِنْدَ ذَلِكَ ضَجَّتِ النَّاسُ بِالْبَكَاءِ وَ النَحِيبِ فَأَمَرَهُمُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالسَّكُوتِ.

ثُمَّ التَفَتَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الَّذِي جَاءَ بِهِ حَزِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ:

كَيْفَ ظَفَرْتَ بِعَدُوِّ اللَّهِ وَ أَيْنَ لَقَيْتَهُ: فَقَالَ: يَا مُوَلَايَ إِنَّ حَدِيثِي مَعَهُ لَعَجِيبٌ.

وَ ذَلِكَ إِنِّي كُنْتُ الْبَارِحَةَ نَائِمًا فِي دَارِي وَ زَوْجَتِي إِلَى جَانِبِي وَ هِيَ مِنْ غُطْفَانٍ وَ أَنَا رَاقِدٌ وَ هِيَ مُسْتَيْقِظَةٌ إِذْ سَمِعَتْ هِيَ الرِّعْقَةَ وَ نَاعِيَا يَنْعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ هُوَ يَقُولُ:

تَهَدَّمَتْ وَ اللَّهُ أَرْكَانَ الْهَدْيِ، وَ انْطَمَسَتْ وَ اللَّهُ أَعْلَامَ التَّقَى، قَتَلَ ابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى

قتل علي المرتضى قتله أشقى الأشقياء، فأيقظتني وقالت لي أنت نائم وقد قتل إمامك علي بن أبي طالب.

فانتبهت من كلامها فزعا مرعوبا وقلت لها: يا ويلك ما هذا الكلام رض الله فاك لعل الشيطان قد ألقى في سمعك هذا أو حلم ألقى عليك، يا ويلك إن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله قبله تبعه ولا - ظلامه وإنه لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف، وبعد ذلك فمن الذي يقدر على قتل علي أمير المؤمنين وهو الأسد الضرغام والبطل الهمام والفارس القمقام.

فاكثرت علي وقالت: اني سمعت ما لم تسمع وعلمت ما لم تعلم، فقلت لها و ما سمعت فأخبرتني بالصوت، فقالت سمعت ناديا ينادى بأعلى صوته: تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقى قتل ابن عم محمد المصطفى قتل علي المرتضى قتله أشقى الأشقياء.

ثم قالت و ما أظن بيتا إلا وقد دخله هذا الصوت، قال فبينما أنا و هي في مراجعه الكلام و إذا بصيحه عظيمه و جلبه و ضجه عظيمه و قائل يقول: قتل أمير المؤمنين.

فحس قلبي بالشر فمددت يدي إلى سيفي و سللته من غمده و أخذته و نزلت مسرعا و فتحت باب دارى و خرجت فلما صرت فى وسط الجاده فنظرت يمينا و شمالا و إذا بعدو الله يحول فيها يطلب مهربا فلم يجدوا إذا قد انسدت الطرقات فى وجهه فلما نظرت إليه و هو كذلك رابنى أمره فناديته:

يا ويلك من أنت و ما تريد لا أم لك فى وسط هذا الدرب تمر و تجيء فتسمى بغير اسمه و انتمى بغير كنيته، فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من منزلى قلت: و إلى أين تريد تمضى فى هذا الوقت قال: إلى الحيره، فقلت: و لم لا تقعد حتى تصلى مع أمير المؤمنين صلاه الغداه و تمضى فى حاجتك؟ فقال: اخشى أن أقعد للصلاه فتفوت حاجتى فقلت: يا ويلك اني سمعت صيحه و قائلا يقول قتل أمير المؤمنين فهل عندك من ذلك خبر؟ قال: لا علم لى بذلك فقلت له: فلم لا تمضى معى حتى تحقق الخبر

و تمضى فى حاجتك؟ فقال: أنا ماض فى حاجتى و هى أهم من ذلك.

فلما قال لى مثل ذلك القول قلت يا لكع الرجال حاجتك أحب إليك من التحسس لأمر المؤمنين و إمام المسلمين إذن و الله يا لكع مالك عند الله من خلاق، و حملت عليه بسيفى و هممت أن أعلو به فراغ عنى.

فبينما أنا أخاطبه و هو يخاطبنى إذهبت الريح فكشفت إزاره و إذا بسيفه يلمع تحت الازار كأنه مرآه مصقوله، فلما رأيت بريقه تحت ثيابه قلت: يا ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فانطق الله لسانه بالحق فقال نعم.

فرفعت سيفى و ضربته فرفع هو سيفه و هم أن يعلونى فانحرفت عنه فضربته على ساقيه فأوقفته و وقع لحيته و وقعت عليه و صرخت صرخه شديده و أرددت أخذ سيفه فمانعنى عنه، فخرج أهل الحيره فأعانونى عليه حتى أوثقته كتافا و جئتكم به فها هو بين يديك جعلنى الله فداك فاصنع به ما شئت.

فقال الحسن الحمد لله الذى نصر وليه و خذل عدوه، ثم انكب الحسن على أبيه يقبله و قال له: يا أباه هذا عدو الله و عدوك قد امكن الله منه فلم يجبه و كان نايمًا فكره أن يوقظه من نومه فرقد ساعه ثم فتح عينيه و هو يقول: ارفقوا بى يا ملائكه ربى.

فقال له الحسن عليه السلام هذا عدو الله و عدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه و قد حضر بين يديك قال: ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه و نظر إليه و هو مكتوف و سيفه معلق فى عنقه فقال له بضعف و انكسار صوت و رأفه و رحمه: يا هذا لقد جئت عظيما و ارتكبت أمرا عظيما و خطبا جسيما أبئس الامام كنت لك حتى جازيتنى بهذا الجزاء؟ ألم اكن شقيقا عليك و آثرتك على غيرك و احسنت اليك و زدت فى اعطائك؟ ألم يكن يقال لى فيك كذا و كذا فخليت لك السبيل و منحتك عطائي؟ و قد كنت أعلم أنك قاتلى لا محاله و لكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يا لكع و على أن ترجع عن غيئك فغلبت عليك الشقاوه فقتلتنى يا

قال فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله وقال: يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار، قال له: صدقت، ثم التفت إلى ولده الحسن وقال له: ارفق يا ولدى بأسيرك و ارحمه و أحسن إليه و اشفق عليه ألا ترى إلى عينية قد طارتا في أم رأسه و قلبه يرجف خوفا و رعبا و فزعا.

فقال له الحسن: يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر و أفجعنا فيك و أنت تأمرنا بالرفق به فقال له: نعم يا بنى نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرما و عفوا و الرحمة و الشفقة من شيمتنا لا من شيمه عدونا.

بحقّى عليك فأطعمه يا بنى ممّا تأكل و اسقه ممّا تشرب و لا تقيّد له قدما و لا تغل له يدا فان أنامت فاقصص منه بأن تقتله و تضربه ضربه واحده و تحرقه بالنار و لا تمثّل بالرجل فأنى سمعت جدّك رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم يقول إياكم و المثلّه و لو بالكلب العقور، و إن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه و أنا أعلم بما أفعل به فان عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفوا و كرما.

قال مخنف بن حنيف: إننى و الله ليله تسع عشره فى الجامع فى رجال نصلّى قريبا من السدّه التى يدخل منها أمير المؤمنين فبينما نحن نصلّى إذ دخل أمير المؤمنين من السدّه و هو ينادى الصّلاه ثمّ صعد المأذنه فأذن ثمّ نزل فعبر على قوم نيام فى المسجد فناداهم الصّلاه ثمّ قصد المحراب.

فما أدرى دخل فى الصّلاه ام لا- إذ سمعت قائلا يقول: الحكم لله لا لك يا على، قال: فسمعت عند ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: لا- يفوتنكم الرّجل، قال فشدّ الناس عليه و أنا معهم و إذا هو وردان بن مجالد، و أمّا ابن ملجم لعنه الله فأنّه هرب من ساعته و دخل الكوفه و رأينا أمير المؤمنين مجروحا فى رأسه.

قال محمّد بن الحنفية رضى الله عنه: ثمّ إنّ أبى قال: احملونى الى موضع مصلاى فى منزلى قال فحملناه إليه و هو مدنف و النّاس حوله و هم فى اسر عظيم باكين محزونين قد اشرفوا على الهلاك من شدّه البكاء و النّحيب.

ثم التفت إليه الحسين و هو يبكي فقال له يا أبتاه من لنا بعدك لا كيومك إلا يوم رسول الله من اجلك تعلمت البكاء، يعزّو الله عليّ أن أراك هكذا فناده عليه السّلام و قال: يا حسين يا أبا عبد الله ادن منّي، فدنا منه و قد قرحت أجفان عينيه من البكاء فمسح الدّموع من عينيه و وضع يده على قلبه و قال له: يا بنّي ربط الله قلبك بالصّبر و أجزل لك و لاخوانك عظيم الأجر، فسكن روعتك و اهدىء من بكائك، فإنّ الله قد أجرك على عظيم مصابك ثم ادخل إلى حجرته و جلس في محرابه.

قال الرّاوى: و أقبلت زينب و أمّ كلثوم حتّى جلستا معه على فراشه و أقبلتا تندبانه و تقولان: يا أبتاه من للصّغير حتّى يكبر، و من للكبير بين الملاء، يا أبتاه حزنا عليك طويل و عبرتنا لا ترقى.

قال فضجّ النّاس من وراء الحجرة بالبكاء و التّحيب و فاضت دموع أمير المؤمنين عند ذلك و جعل يقلّب طرفه و ينظر إلى أهل بيته و أولاده، ثم دعا الحسن و الحسين عليهما السّلام و جعل يحضنها و يقبلهما.

ثم اغمى عليه ساعه طويله و أفاق، و كذلك رسول الله يغمى عليه ساعه طويله و يفيق أخرى لأنّه صلّى الله عليه و اله و سلّم كان مسموما فلما أفاق ناوله الحسن قعبا من لبن فشرب منه قليلا ثمّ نحاه عن فيه و قال: احمّلوه إلى أسيركم.

ثمّ قال للحسن: بحقّي عليك يا بنّي إلّا ما طيبتم مطعمه و مشربه و أرفقوا به إلى حين موتي و تطعمه ممّا تأكل و تسقيه ممّا تشرب حتّى تكون أكرم منه، فعند ذلك حملوا إليه اللبن و أخبروه بما قال أمير المؤمنين في حقّه فأخذ اللبن و شربه.

قال: و لما حمل أمير المؤمنين إلى منزله جاءوا باللّعين مكتوفا إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه فقالت له أمّ كلثوم و هى تبكى: يا ويلك أما أبى فأنّه لا بأس عليه و إنّ الله مخزيك في الدّنيا و الآخرة و إنّ مصيرك الى النّار خالدا فيها، فقال لها ابن ملجم لعنه الله: ابكى إن كنت باكيه فوالله لقد اشتريت سيفي هذا بألف و سممته بألف، و لو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد

و فى ذلك يقول الفرزدق:

فلا غرو للأشراف إن ظفرت بها ذئاب الأعادى من فصيح و أعجم

فحربه وحشى سقت حمزه الردى و حتف على من حسام ابن ملجم

قال محمّد بن الحنفية رضى الله عنه: و بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبى و قد نزل السّم إلى قدميه و كان يصلّى تلك الليلة من جلوس و لم يزل يوصينا بوصاياه و يعزينا من نفسه و يخبرنا بأمره و تبيانه إلى حين طلوع الفجر(١).

فلما أصبح استاذن الناس عليه فاذن لهم بالدّخول فدخلوا عليه و أقبلوا يسلمون عليه و هو يردّ عليهم السّلام، ثمّ قال أيّها النّاس اسألونى قبل أن تفقدونى و خفّفوا سؤالكم لمصيبه إمامكم.

قال: فبكى النّاس عند ذلك بكاء شديدا و أشفقوا أن يسألوه تخفيفا عنه، فقام إليه حجر بن عدى الطائى و قال:

فيا أسفا على المولى الثّقّى أبو الأطهار حيدر الزّكّى

قتله كافر حنث زنيم لعين فاسق نغل شقى

فيلعن ربّنا من حاد عنكم و يبرء منكم لعنا وبى

لأنكم بيوم الحشر ذخرى و أنتم عتره الهادى النبى

فلما بصر به و سمع شعره قال له: كيف لى بك اذا دعيت إلى البراءه منى فما عساك أن تقول؟ فقال: و الله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسّيف اربا اربا و اضرم لى النّار و ألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءه منك، فقال: وفّقت لكلّ خير يا حجر جزاك الله خيرا عن أهل بيت نبيك.

ص: ١٥٨

١- (١) قال ابو الفرج الاصبهاني ثمّ جمع له اطباء الكوفه فلم يكن منهم اعلم بجرحه من اثير ابن عمرو بن هانى السلوى و كان متطبب صاحب كرسي يعالج الجراحات و كان من الاربعين غلاما الذين كان ابن الوليد اصابهم فى عين التمر فسباهم فلما نظر اثير الى جرح أمير المؤمنين دعا بريه شاه حاره فاستخرج منها عرقا و ادخله فى الجرح ثمّ نفخه، ثمّ استخرجه و اذا عليه بياض الدماغ فقال يا امير المؤمنين اعهد عهدك فانّ عدوّ الله قد وصلت ضربته الى أم رأسك منه.

ثم قال: هل من شربه من لبن؟ فأتوه بلبن في قعب فأخذه و شربه كله فذكر الملعون ابن ملجم و أنه لم يخلف له شيئا فقال: و كان أمر الله قدرا مقدورا، اعلّموا أنّي شربت الجميع و لم أبق لأسيركم شيئا من هذا ألا و أنّه آخر رزقي من الدنيا فبالله عليك يا بنّي إلّا ما أسقيته مثل ما شربت فحمل إليه ذلك فشربه.

قال محمّد بن الحنفية رضي الله عنه: لما كانت ليلة احدى و عشرين و أظلم الليل و هي الليلة الثانية من الكائنه، جمع أبى أولاده و أهل بيته و ودّعهم، ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم و هو حسبي و نعم الوكيل، و أوصاهم الجميع منهم بلزوم الايمان و الأديان و الأحكام التي أوصاه بها رسول الله صلى الله عليه و آله.

فمن ذلك ما نقل عنه أوصى به الحسن و الحسين عليهما السّلام لما ضربه الملعون ابن ملجم و هي هذه: أوصيكمما بتقوى الله، إلى آخر ما يأتي في الكتاب بروايه السيّد في باب المختار من وصاياه إنشاء الله.

قال: ثم ترايد و لوج السّم في جسده الشريف حتّى نظرنا إلى قدميه و قد احمرتا جميعا، فكبر ذلك علينا و آيسنا منه ثم أصبح فأمرهم و نهاهم و أوصاهم ثم عرضنا عليه المأكول و المشروب فأبى أن يشرب فنظرنا إلى شفّتيه و هما يختلجان بذكر الله تعالى، و جعل جبينه يرشح عرقا و هو يمسحه بيده.

قلت: يا أبت أراك تمسح جبينك، فقال: يا بنّي إنّى سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: إنّ المؤمن إذا نزل به الموت و دنت وفاته عرق جبينه و صار كاللؤلؤ الرطب و سكن أنيه.

ثم قال: يا أبا عبد الله و يا عون، ثم نادى أولاده كلّهم بأسمائهم صغيرا و كبيرا، واحدا بعد واحد و جعل يودّعهم و يقول: الله خليفتي عليكم استودعكم الله، و هم يكون.

فقال الحسن عليه السّلام يا أبه ما دعاك إلى هذا، فقال له: يا بنّي إنّى رأيت جدك رسول الله في منامى قبل هذه الكائنه بليله فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلّل و الأذى من هذه الامه، فقال لى: ادع عليهم فقلت: اللهمّ أبدلهم بى شرّا متّى، و أبدلنى

بهم خيرا منهم، فقال لى قد استجاب الله دعاك سينقلك الينا بعد ثلاث، و قد مضت الثلاث.

يا أبا محمّد أوصيك و يا أبا عبد الله خيرا فأنتما منى و أنا منكما، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمه و أوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمه يعنى الحسن و الحسين.

ثم قال: أحسن الله لكم العزاء ألاوائى منصرف عنكم و راحل فى ليلتى هذه و لا حق بحبيبي محمّد كما و عدنى فاذا أنامت يا أبا محمّد فغسلنى و كفنى و حنطنى ببقية حنوط جدك رسول الله فأنه من كافور الجنه جاء به جبرئيل إليه، ثم ضعنى على سريرى و لا يتقدّم أحد منكم مقدّم السرير و احملوا مؤخره و اتبعوا مقدّمه فأى موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخر فحيث قام سريرى فهو موضع قبرى.

ثم تقدّم يا أبا محمّد و صلّ علىّ يا بنى يا حسن و كبر علىّ سبعا و اعلم أنّه لا يحلّ ذلك على أحد غيرى إلاّ على رجل يخرج فى آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد اخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق.

فاذا أنت صليت يا حسن فتح السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه فترى قبرا محفورا و لحدا مثقوبا و ساجه منقوبه فاضجعنى فيها، فاذا أردت الخروج من قبرى فافتقدنى فأنك لا تجدنى و أنى لاحق بجدك رسول الله.

و اعلم يا بنى ما من نبى يموت و إن كان مدفونا بالشرق و يموت وصيه بالمغرب إلاّ و يجمع الله عزّ و جل بين روجيهما و جسديهما ثم يفترقان فيرجع كلّ واحد منهما إلى موضع قبره و الى موضعه الذى حطّ فيه.

ثم اشرح اللحد باللبن و أهل التراب على ثم غيب قبرى، و كان غرضه بذلك لئلا يعلم بموضع قبره أحد من بنى اميه فأنهم لو علموا بموضع قبره لحفروه و أخرجوه و أحرقوه كما فعلوا يزيد بن علىّ بن الحسين.

ثم يا بنى بعد ذلك إذا أصبح الصّباح أخرجوا تابوتا إلى ظاهر الكوفه على

ناقه و أمر بمن يسيرها بما عليها كأنها تريد المدينة بحيث يخفى على العامه موضع قبرى الذى تضعنى فيه(١) ، و كأتى بكم و قد خرجت عليكم الفتن من ههنا و ههنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبه.

ثم قال: يا أبا محمد و يا أبا عبد الله كأتى بكما و قد خرجت عليكما من بعدى الفتن من ههنا فاصبروا حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين.

ثم قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الامه فعليكم بتقوى الله و الصبر على بلائه، ثم اغمى عليه ساعه و أفاق و قال: هذا رسول الله و عمى حمزه و أخى جعفر و أصحاب رسول الله كلهم يقولون عجل قدومك علينا فانا إليك مشتاقون.

ثم أدار عينيه فى أهل بيته كلهم، و قال: استودعكم الله جميعا سدّكم الله جميعا، حفظكم الله جميعا خليفتى عليكم الله و كفى بالله خليفه، ثم قال و عليكم السلام يا رسل ربى ثم قال:

«لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ»... «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

و عرق جبينه و هو يذكر الله كثيرا و ما زال يذكر الله و يتشهد الشهادتين، ثم استقبل القبلة و غمض عينيه و مدّ رجله و يديه و قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله.

ثم قضى نجه عليه السلام و كانت وفاته فى ليله احدى و عشرين من شهر رمضان و كانت ليله الجمعة سنه أربعين من الهجره.

قال: فعند ذلك صرخت زينب بنت على و امّ كلثوم و جميع نسائه و قد شقوا الجيوب و لطموا الخدود و ارتفعت الصيحه فى القصر فعلم أهل الكوفه أنّ أمير المؤمنين

ص: ١٤١

١- (١) فى البحار من فرحه الغرى من بعض كتب القديمه مسندا أنّ جعفر بن محمد حدّث ان أمير المؤمنين امر ابنه الحسن أن يحفر له اربع قبور فى أربع مواضع فى المسجد و فى الرجه و فى دار جعده بن هبيرة و فى الغرى و انما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره، منه.

قد قبض، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجا أفواجا وصاحوا صيحه عظيمه فارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والتحيب وكثر الضجيج بالكوفة وقبايلها ودورها وجميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله.

فلما أظلم الليل تغير افق السماء وارتجت الأرض وجميع من عليها بكوه وكنا نسمع جلبيه وتسيحها في الهواء فعلمنا أنها أصوات الملائكة، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر ثم ارتفعت الأصوات وسمعنا هاتفا بصوت يسمعه الحاضرون ولا يرون شخصه يقول:

بنفسي ومالي ثم أهلي واسرتي فداء لمن أضحي قتيل ابن ملجم

على رقا فوق الخلايق في الوغا فهتت له أركان بيت المحرم

على أمير المؤمنين ومن بكت لمقتله البطحاء واکناف زمزم

يكاد الصفا والمشعرين كلاهما يهدأ أو بان النقص في ماء زمزم

وأصبحت الشمس المنير ضياؤها لقتل على لونها لون دهلم

وظل له افق السماء كابه كشقه ثوب لونها لون عندم

وناحت عليه الجن إذ فجعت به حيننا كشكلى نوحها يترنم

وأضحى التقى والخير والحلم والنهي وبات العلى في قبره المتهدّم

لفقد على خير من وطأ الحصى أخى العلم الهادى النبى المعظم

قال محمد بن الحنفية رضى الله عنه ثم أخذنا في جهازه ليلا، وكان الحسن عليه السلام يغسله والحسين عليه السلام يصب الماء عليه وكان لا يحتاج إلى من كان يقلبه بل يتقلب كما يريد الغاسل يمينا وشمالا، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثم نادى الحسن باخته زينب وأم كلثوم وقال: يا اختاه هلمى بحنوط جدى رسول الله، فبادرت زينب مسرعه حتى أتته به.

قال الزاوى: فلما فتحت فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشده رائحة ذلك الطيب، ثم لفوه بخمسه أثواب كما أمر عليه السلام ثم وضعوه على السرير وتقدم الحسن والحسين إلى السرير من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يرى حامله، وكان حامله من مقدمه جبرئيل وميكائيل فما مر بشيء على وجه الأرض إلا انحنى

له ساجدا و خرج السرير من مايل باب كنده فحملا مؤخره و سايرا يتبعان مقدّمه.

قال ابن الحنفية رضي الله: و الله لقد نظرت إلى السرير و أنّه ليمرّ بالحيطان و النخل فتحنى له خشوعا و مضى مستقيما إلى النجف إلى موضع قبره الآن.

قال: و ضجّت الكوفة بالبكاء و النّحيب و خرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات فمنعهم «كذا» الحسن عليه السلام و نهاهم «كذا» عن البكاء و العويل و ردّهنّ إلى أماكنهنّ، و الحسين عليه السلام يقول: لا حول و لا قوة إلا بالله العليّ العظيم إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون يا أباه و انقطاع ظهراه من أجلك تعلّمت البكاء إلى الله المشتكى.

فلما انتهيا إلى قبره و إذا مقدّم السرير قد وضع فوضع الحسن مؤخره، ثمّ قام الحسن و صلّى عليه و الجماعة خلفه فكبر سبعا كما أمره به أبوه، ثمّ زحزحا سريره و كشفا التراب و إذا بقبر محفور و لحد مشقوق و ساجه منقوره مكتوب عليها:

هذا ما ادّخره له جدّه نوح النّبى (١).

فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفا يقول: انزلوه إلى التّربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، فدهش النّاس عند ذلك و تحيروا و الحد أمير المؤمنين قبل طلوع الفجر و انصرف النّاس و رجع أولاد أمير المؤمنين و شيعتهم إلى الكوفة و لم يشعر بهم أحد من النّاس.

فلما طلع الصّباح و بزغت الشّمس اخرجوا تابوتا من دار أمير المؤمنين و أتوا به إلى المصلّى بظاهر الكوفة، ثمّ تقدّم الحسن و صلّى عليه و رفعه على ناقه و سيرها مع بعض العبيد.

قال فى البحار: روى البرسى فى مشارق الأنوار عن محدّثى أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين لما حمّله الحسن و الحسين على سريره إلى مكان البئر المختلف فيه إلى نجف الكوفة وجدوا فارسا يتضوّع منه رايحه المسك فسلمّ عليهما.

ص: ١٤٣

١- (١) و فى البحار من فرحه الغرى عن ام كلثوم فى حديث ثمّ اخذ الحسن المعول فضرب ضربه فانشق القبر عن ضريح فاذا هو بساجه مكتوب عليها سطران بالسر يانيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر قبره نوح النّبى لعلّى وصّى محمد قبل الطوفان بسبعماه عام منه..

ثم قال للحسن أنت الحسن بن عليّ رضي الله عنهما والجليل خليفه أمير المؤمنين و سيد الوصيين؟ قال: نعم قال: وهذا الحسين ابن أمير المؤمنين و سيد الوصيين سبط الرحمه و رضي الله عنه و ربيب الحكمة و والد الأئمة؟ قال: نعم، قال: سلّماه إليّ و امضيا في دعه الله.

فقال له الحسن إنّه أوصى إلينا أن لا نسلّمه إلّا إلى أحد رجلين جبرئيل أو الخضر فمن أنت منهما؟ فكشف النقاب فاذا هو أمير المؤمنين، ثم قال: يا أبا محمّد إنّه لا يموت نفس إلّا و يشهداها(١) فما يشهد جسده.

قال البرسي و روى عن الحسن بن علي عليه السّلام أن أمير المؤمنين قال للحسن و الحسين: إذا وضعتما في الصّريح فصلّي ركعتين قبل أن تهبلا على التّراب و انظرا ما يكون، فلما وضعاه في الصّريح المقدس فعلا ما امرأ به و إذا الصّريح مغطى بثوب من سندس فكشف الحسن ممّا يلي وجه أمير المؤمنين فوجد رسول الله و آدم و إبراهيم (صلوات الله عليهم) يتحدّثون مع أمير المؤمنين، و كشف الحسين ممّا يلي رجله فوجد الزهراء و حواء و مريم و آسياه عليهن السّلام ينحن على أمير المؤمنين و يندبونه.

قال المجلسي: و لم أر هذين الخبرين إلّا- من طريق البرسي و لا- أعتمد على ما يتفرّد بنقله و لا أردهما لورود الأخبار الكثيره الدّالة على ظهورهم بعد موتهم في أجسادهم المثلّيه.

و في البحار من ارشاد المفيد: كانت امامه أمير المؤمنين بعد النّبى ثلاثين سنه منها أربع و عشرون سنه و أشهر ممنوعا من التّصرف في أحكامها مستعملا للتّقيه و المداراه و منها خمس سنين و ستّه أشهر ممّتحنا بجهاد المنافقين من النّاكثين و القاسطين و المارقين، و مضطهدا بفتن الضّالين.

كما كان رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم ثلاثه عشر سنه من نبوّته ممنوعا من احكامها خائفا و محبوسا و هاربا و مطرودا ألاّ يتمكّن من جهاد الكافرين و لا يستطيع دفعا عن المؤمنين، ثمّ هاجر و أقام بعد الهجره عشر سنين مجاهدا للمشرّكين ممّتحنا بالمنافقين إلى أن قبضه

ص: ١٦٤

١- (١) أى يحضرها امير المؤمنين (عليه السلام) منه.

اللّٰهُ إِلَيْهِ وَ أَسْكَنَهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

و كان وفات أمير المؤمنين عليه السّلام قبيل الفجر من ليله الجمعة ليله إحدى و عشرين من شهر رمضان سنه أربعين من الهجره، قالت سوده بن « بنت ظ » عماره الهمدانيه و نعم ما قالت:

صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنْهَا قَبْرَ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا

قد حالف الخير لا يبغى به بدلا فصار بالحقّ و الايمان مقرونا

(١) و من أمالى الصّدوق فى حديث فلما كان من الغدو أصبح الحسن قام خطيبا على المنبر فحمد الله و أثنا عليه ثم قال:

أَيُّهَا النَّاسُ فى هذه الليلة نزل القرآن و فى هذه الليلة رفع عيسى بن مريم و فى هذه الليلة قتل يوشع بن نون و فى هذه الليلة مات أبى أمير المؤمنين و الله لا يسبق أبى أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة، و لا من يكون بعده و إن كان رسول الله ليبعثه فى السّريه فيقاتل جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ما ترك صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائه درهم ليشترى بها خادما لأهله.

و من المناقب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلّم: إنّ السّماء و الأرض لتبكى على المؤمن إذا مات أربعين صباحا و إنّها لتبكى على العالم إذا مات أربعين شهرا و إنّ السّماء و الأرض ليبكيان على الرّسول أربعين سنه و إنّ السّماء و الأرض

ص: ١٦٥

١- (١) فى المناقب قال الحسن بن على (عليه السلام) اين من كان لعلم المصطفى فى الناس باباين من كان اذا ما قحط الناس سحاباين من كان اذا نودى فى الحرب أجاباين من كان دعاء مستجابا و مجابا فى المناقب ايضا قال انس بن مالك يسمع صوت هاتف من الجنّ يا من يؤمّ الى المدينه قاصداً الرساله غير ما متوانقتلت شرار بنى اميه سيداخير البريه ما جدا ذا شأنربّ المفضل فى السماء و أرضها سيف النبى و هادم الأوثانبكت المشاعر و المساجد بعد ما بكت الأنام له بكلّ مكان

ليكيان عليك يا على إذا قتلت أربعين سنه.

قال ابن عباس: لقد قتل أمير المؤمنين على الأرض بالكوفه فامطرت السماء ثلاثه أيام دما.

أبو حمزه عن الصادق عليه السلام وقد روى أيضا عن سعيد بن المسيب أنه لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

أربعين الخطيب و تاريخ النسوى أنه سئل عن عبد الملك بن مروان الزهرى ما كانت علامه يوم قتل على عليه السلام قال: ما رفع حصاه من بيت المقدس إلا- كان تحتها دم عبيط، و لما ضرب فى المسجد سمع صوت (١) لله الحكم لا- لك يا على و لا لأصحابك، فلما توفى سمع فى داره:

«أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الآية.

ثم هتف آخر مات رسول الله و مات أبوكم.

و فى أخبار الطالبين أن الروم اسروا قوما من المسلمين فاتى بهم إلى الملك فعرض عليهم الكفر فأبوا فأمر بالقائهم فى الزيت المغلى و اطلق منهم رجلا يخبر بحالهم، فبينما هو يسير إذ سمع وقع حوافر الخيل فوقف فنظر إلى أصحابه الذين القوا فى الزيت فقال لهم فى ذلك فقالوا قد كان ذلك فنادى مناد من السماء فى الشهداء البر و البحر إن على بن أبى طالب قد استشهد فى هذه الليله فصلوا عليه فصلينا عليه و نحن راجعون إلى مصارعنا.

تسلى هم و تسكين فؤاد فى أحوال قاتله و كيفيه قتله

ففى البحار من كتاب قصص الأنبياء عن جابر، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغي، و إن قاتل على صلوات الله ابن بغي و كانت مراد تقول ما نعرف له فينا أبا و لا نسبا و إن قاتل الحسين بن على صلوات الله ابن بغي، و لم

ص: ١٦٦

يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغايا.

و فيه أيضا في ذيل الرواية السالفه التي قدمناها في كيفية شهادته عليه السلام عن لوط بن يحيى:

قال الراوى: ثم أنه لما رجع أولاد أمير المؤمنين و أصحابه إلى الكوفة و اجتمعوا لقتل اللعين عدو الله ابن ملجم فقال عبد الله بن جعفر: اقطعوا يديه و رجله و لسانه و اقتلوه بعد ذلك، و قال محمد بن الحنفية: اجعلوه غرض النشاب و احرقوه بالنار، و قال آخر: اصلبوه حتى يموت فقال الحسن: أنا ممثّل فيه ما أمرنى به أمير المؤمنين أضربه ضربه بالسيف حتى يموت فيها و احرقه بالنار بعد ذلك.

قال الراوى: فأمر الحسن أن يأتوه، فجاءوا به مكتوفا حتى ادخلوه الموضع الذى ضرب فيه الامام و الناس يلعنونه و يوبخونه و هو ساكت لا يتكلّم، فقال الحسن يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين و إمام المسلمين و أعظمت الفساد فى الدين.

فقال لهما: يا حسن و يا حسين ما تريدان أن تصنعا لى؟ قالا نريد أن نقتلك كما قتلت سيدنا و مولانا، فقال لهما اصنعا ما شئتما أن تصنعا و لا تعنفا من استرّله الشيطان فصده عن السبيل، و لقد زجرت نفسى فلم تنزجر و نهيتها فلم تنته فدعها تذوق و بال أمرها و لها عذاب شديد ثم بكى.

فقال له: يا ويلك ما هذه الرقة اين كانت حين وضعت قدمك و ركبت خطيئتك، فقال ابن ملجم:

«اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

و لقد انقضى التوبيخ و المعايير و إنما قتلت أباك و حصلت بين يديك فاصنع ما شئت و خذ بحقك منى كيف شئت ثم برك على ركبتيه و قال: يا بن رسول الله الحمد لله أجرى قتلى على يدك، ففرّق له الحسن لأنّ قلبه كان رحيمًا صلّى الله عليه، فقام الحسن فأخذ السيف بيده و جرّده من غمده و ندّبه «و نرّته خ ل» حتى لاح الموت

فِي حَدِّهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَرَادَ بِهَا عُنُقَهُ فَاشْتَدَّ زَحَامُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَعَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ فَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ فَتْحِ بَاعِهِ فَارْتَفَعَ السَّيْفُ إِلَى بَاعِهِ «رَأْسَهُ» فَأَبْرَاهُ فَاِنْقَلَبَ عَدُوُّ اللَّهِ عَلَى قَفَاهُ يَخُورُ فِي دَمِهِ.

فَقَامَ الْحُسَيْنُ إِلَى أَخِيهِ وَقَالَ: يَا أَخِي أَلَيْسَ الْأَبُ وَاحِدًا وَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ وَلِي نَصِيبٌ فِي هَذِهِ الضَّرْبَةِ وَلِي حَقٌّ فِي قَتْلِهِ فَدَعْنِي أَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَشْفَى بِهَا بَعْضُ مَا أَجَدُهُ، فَنَاوِلْهُ الْحَسَنَ السَّيْفَ فَأَخَذَهُ وَهَزَّهُ وَضَرَبَهُ عَلَى الضَّرْبَةِ الَّتِي ضَرَبَهَا الْحَسَنُ فَبَلَغَ إِلَى طَرَفِ أَنْفِهِ وَقَطَعَ جَانِبَهُ الْآخَرَ وَابْتَدَرَهُ النَّاسُ بِأَسْيَافِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَطَعُوهُ أَرْبَا أَرْبَا، فَعَجَلَ اللَّهُ بَرُوحَهُ إِلَى النَّارِ وَبُسَّ الْقَرَارَ ثُمَّ جَمَعُوا جَسَدَهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَجَمَعُوا لَهُ حَطْبًا وَأَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ.

وَفِي الْمَنَاقِبِ اسْتَوْهَبَتْ أُمُّ الْهَشِيمِ بِنْتُ الْأَسْوَدِ النَّخَعِيَّةُ جِيفَتَهُ لَتَتَوَلَّى إِحْرَاقَهَا فَوَهَبَهَا لَهَا فَأَحْرَقَتْهَا بِالنَّارِ.

وَقِيلَ: طَرَحُوهُ فِي حَفْرِهِ وَطَمُّوهُ بِالتُّرَابِ فَهُوَ يَعْوَى كَعَوَى الْكَلَابِ فِي حَفْرَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَاقْبَلُوا إِلَى قِطَامِ الْمَلْعُونَةِ وَأَخَذُوا فَقَطَعُوهَا بِالسَّيْفِ أَرْبَا أَرْبَا وَنَهَبُوا دَارَهَا ثُمَّ أَخَذُوهَا وَأَخْرَجُوهَا إِلَى ظَاهِرِ الْكُوفَةِ وَأَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ وَعَجَلَ اللَّهُ بَرُوحَهَا إِلَى النَّارِ وَغَضِبَ الْجَبَّارُ.

وَأَمَّا الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ تَحَالَفَا مَعَهُ فَأَحَدُهُمَا قَتَلَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ بِالشَّامِ وَالْآخَرُ قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِمِصْرَ لَا رَضَى اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَمَّا الرَّجُلَانِ (١) اللَّذَانِ كَانَا مَعَ ابْنِ مِلْجَمٍ بِالْجَامِعِ يُسَاعِدَانِهِ عَلَى قَتْلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَتَلَا مِنْ لَيْلَتِهِمَا لِعَنْهُمَا اللَّهُ وَحَشَرَهُمَا مَحْشَرُ الْمُنَافِقِينَ الظَّالِمِينَ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ مَعَ السَّالِفِينَ.

وَفِي الْبَحَارِ مِنَ الْخَرَائِجِ مَسْنَدًا عَنْ عَمْرُو بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الرَّفَاءِ، قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ: كُنْتُ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَرَأَيْتُ

ص: ١٦٨

النّاس مجتمعين حول مقام إبراهيم فقلت ما هذا؟ قالوا: راهب أسلم فأشرفت عليه فاذا بشيخ كبير عليه جبّه صوف و قلنسوه صوف عظيم الخلقه و هو قاعد بحذاء مقام إبراهيم فسمعتة يقول:

كنت قاعدا في صومعه فأشرفت منها و إذا طائر كالتسر قد سقط على صخره على شاطئ البحر فتقيأ فرمى بربع إنسان، ثم طار فتفقدته فعاد فتقيأ فرمى بربع إنسان، ثم طار فجاء فتقيأ بربع إنسان، ثم طار فجدت الأربع فقام رجلا فهو قائم و أنا أتعجب منه.

ثم انحدر الطير فضربه و أخذ ربعه فطار، ثم رجع فأخذ ربعه فطار، ثم انحدر الطير فأخذ الربع الآخر فطار، فبقيت أتفكر و تحسّرت ألا أكون لحقته و سألته من هو فبقيت أتفقد الصّخره حتّى رأيت الطير قد أقبل فتقيأ بربع إنسان فنزلت فقممت بازائه، فلم أزل حتّى تقيأ بالربع الرابع، ثم طارفا لتأم رجلا فقام قائما.

فدنوت منه فسألت فقلت: من أنت؟ فسكت عني فقلت بحق من خلقك من أنت؟ قال: أنا ابن ملجم، فقلت له و أيّ شيء عملت قال: قتلت عليّ بن أبي طالب فوكل بي هذا الطير يقتلني كلّ يوم قتله فهو بينا يخبرني إذا انقض الطائر فأخذ ربعه فطار فسألت عن عليّ عليه السّلام فقالوا: هو ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم فأسلمت.

التذييل الثاني في موضع قبره الشريف و الاشارة الى من بناه

فنقول إنّّه كان في بعض الأزمان بين المخالفين اختلاف في موضع قبره صلوات الله عليه، فذهب جماعة منهم إلى أنّه دفن في رحبه مسجد الكوفة و قيل: إنّّه دفن في قصر الاماره، و قيل: إنّّه أخرجه الحسن معه إلى المدينه و دفنه بالبقيع و كان بعض جهله الشيعة يزورونه بمشهد في الكرخ.

و قد اجتمعت الشيعة على أنّه مدفون بالغري في الموضع المعروف عند الخاص و العام، و هو عندهم من المتواترات رويه خلفا عن سلف إلى أئمة الدّين صلوات الله عليهم أجمعين و كان السّبب في هذا الاختلاف إخفاء قبره خوفا من الخوارج

و المنافقين و كان لا يعرف ذلك إلا خاص الخاص من الشيعة إلى أن ورد الصادق عليه السلام الحيره في زمن السيفاح فأظهره لشيعة.

و من هذا اليوم يزوره كافه الشيعة في هذا المكان، و لا- حجه لنا إلى ذكر ما ورد في تعيين موضع القبر الشريف من الأخبار المرويّه عن الأئمة الأطهار، و أنّما الأنسب ذكر كيفيّة بناء المرقد الشريف و القبّه المباركه زادها الله شرفاً، فأقول: روى عن الصّادق عليه السلام إذا ركب نوح في السفينه أتت إلى مكان البيت و طاف له اسبوعاً، فأوحى الله إليه ان انزل عن السفينه و اخرج عظام آدم و جسده و ادخله في السفينه، فنزل نوح و كان الماء إلى ركبته فاخرج تابوتا فيه جسد آدم فأوقعه في السفينه، و لما وصلت السفينه إلى مسجد الكوفه فاستقرّ هناك فانزل نوح جسده من السفينه فدفنه في النّجف و جعل نوح لنفسه قبراً في امامه و صيّر صندوقاً لعلّى يدفن فيه في أمام صدره.

و في كتاب رياض الجنّه تأليف بعض أصحابنا قدّس الله روحه: مشهد النّجف على ساكنه ألف تحيه و تحف واقع على طرف القبلة من الكوفه بنصف فرسخ.

و أوّل من بنا القبر الشريف هارون العباسى على ما ستطلع عليه، ثمّ بعد مائه و ثمانين سنه و تيفاً بنا عضد الدّوله الديلمى القبّه الشريفه، ثمّ زاد الملوك على ذلك يوماً فيوماً إلى أن صار بلده صغيره جاور النّاس فيها.

و لما وصل دوره السّيلطنه إلى السّيلطان نادر أمر بتذهيب القبّه المباركه و بناء الأيوان و المنارتين و تذهيبها و صرف على ذلك خمسين ألف تومان نادريّ و صرفت زوجته گوهرشاد امّ ابنه امام قلى ميرزا و نصر الله ميرزا مائه ألف ربعيه على تعمير الصّحن المقدّس و بناء جدرانها بالكاشى و صرفت امّ سلطان و ساير زوجاته عشرين ألف تومان نادريّ على بناء المسجد الواقع في ظهر الرّأس الشريف و أرسلن إلى الرّوضات المطهره عشرين حمل بعير من الفرش و البساط، و كان الفراغ من جميع ذلك في سنه سبع و خمسين و مائه بعد الألف، و قيل في تاريخ تمام المناره السّماليّه.

«تعالى شأنه الله أكبر» و فى تمام المناره الجنوبيه.

«تكرر اربعا الله اكبر» أراد أربعه الله أكبر ثم لما صار نوبه السلطنه إلى السلطان على مراد خان زند فى سنه سبع و تسعين و مائه و ألف بعث جمعا من حذقه المهندسين بواحد من ثقاته إلى تعمير ما خرب من جدران البقعه الشريفه و تجديد كواشى الجدران و الطاقات و تنقيه بئر الصيحن المقدس و ساير آبار المشهد و اصلاح مجرى مياهها و أهدي إلى المشاهد المشرفه و لا سيما مشهد أمير المؤمنين بالفرش النفيسه و القناديل المرصيه بالدرر و الجواهر و أعطى الخدام و المجاورين هناك عطايا عظيمه و صلات جزيله.

ثم أمر بصنعه صندوق من الخاتم يوضع فوق القبر الشريف و توفى قبل تمامه ثم اشتغل به حذقه الصانعين بأمر جعفر خان، و توفى و لم يتم، و أتمه لطفعلی خان ابن جعفر خان و كان مدّه الاشتغال بصنعتة ستّ سنين.

ثم بنا الضريح المقدس المفضّض السلطان آقا محمد خان قدس الله روحه، و كان آصف الدوله الهندي أراد أن يجرى نهرا إلى المشهد من الفرات من جنب جسر المسيب على أربعه و عشرين فرسخا فلم يتيسر.

ثم عزم الحاج محمد على البغدادى إلى نهر من سمت ذى الكفل و صرف مصارف كثيره عليه و لم يمكن.

أقول: و لله الحمد و المنه فقد جرى النهر فى زمان اشتغالنا بالتحصيل فى المشهد بسعى السيد الفاضل الجليل العالم علامه الزاهد الورع الحاج سيد أسد الله الاصفهاني قدس الله سرّه و نور ضريحه من تحت الأرض منتها إلى البحر، و أرخ بعضهم جريان الماء بقوله: جاء ماء الغرى شكر الله مساعى المتصدّين لبناء المشاهد المشرفه و الساعين فى تعمير البقاع المتبرّكه و حشرهم مع مواليتهم الطاهرين.

و عن سيد السند نعمه الله الجزائري فى مقامات النجاه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مدفون بالغرى و يقال له الغريان أيضا و هما قبرا مالك و عقيل نديمى حذيمه الأبرش

سمّبا غريين لأنّ النّعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم بأسه (١).

و قيل: كان ينادم النّعمان رجلا من العرب خالد بن مفضل و عمرو بن مسعود الأسديّان، فشرب معهما ليله فرجفاه الكلام فغضب و أمر بأن يجعل في تابوتين و يدفنا بظهر الكوفة، فلمّا أصبح سأل عنهما فأخبره بصنيعه فندم و ركب حتّى وقف عليهما و أمر ببناء الغريين و جعل لنفسه كلّ سنه يوم نعم و يوم بؤس و كان يضع سريره بينهما.

فاذا كان يوم نعمه فأول من يطلع عليه يؤتيه مأث من الابل، و إذا كان يوم بؤسه فأول من يطلع يؤتيه رأس طربال و هي دويبه منتنه الرّيح و أمر بقتله فقتل و يغرى به الغريان و بقى هذا حاله إلى وقوع قضيه الطائي و شريك نديم النّعمان، و قد مضى ذكر تلك القضيه ممّا في شرح الخطبه الحاديه و الأربعين فتذكّر

التذييل الثالث في ذكر نبذ من المعجزات الظاهره منه و من قبره الشريف

بعد وفاته

فمن هذه ما عن ارشاد الديلمي عند الاستدلال على كونه مدفونا بالغري قال:

و الدليل الواضح و البرهان اللايح على ذلك من وجوه.

الأول تواتر أخبار الأئمه يرويه خلف عن سلف.

الثاني اجماع الشيعة و الاجماع حجّه.

الثالث ما حصل عنده من الاسرار و الآيات و ظهور المعجزات كقيام الزّمن و ردّ بصر الأعمى و غيرها.

فمنها ما روى عن عبد الله بن حازم قال خرجنا يوما مع الرشيد من الكوفة فصرنا إلى ناحيه الغريين فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصّقور و الكلاب فجادلتها ساعه ثمّ لجأت الظباء إلى اكمه (٢) فراجعت الصّقور و الكلاب عنها، فتعجب الرّشيد من

ص: ١٧٢

١- (١) و تسميه المشهد بالغري من باب مجاز المجاوره لوقوعه قرب الغري، منه.

٢- (٢) الاكمه كقصبه التلّ الصغير.

ذلك، ثم إنَّ الظباء هبطت من الأكـمه فسقطت الطيور و الكلاب عنها فرجعت الظباء إلى الأكـمه فتراجعت الصيـقور و الكلاب عنها مرّه ثانيه، ثم فعلت ذلك مرّه اخرى.

فقال الرّشيد: اركضوا إلى الكوفه فأتوني بأكبرها سنّا، فأتى بشيخ من بنى أسد فقال الرّشيد: أخبرني ما هذه الاكـمه؟ فقال: حدّثني أبى عن آبائه أنّهم كانوا يقولون: إنّ هذه الاكـمه قبر على بن أبى طالب جعله الله تعالى حرماً لا يأوى إليه شيء إلا أمن.

فزل هارون و دعا بماء و توضّأ و صلّى عند الأكـمه و جعل يدعو و يبكي و يتمرّغ عليها يوجهه و أمر أن يبنى قبه بأربعة أبواب فبنى، و بقى إلى أيّام السّـلطان عضد الدّوله فجاء فأقام فى ذلك الطريق قريباً من سنه هو و عسكره فبعث فأتى بالصّـناع و الاستاديه من الأطراف و خرب تلك العماره و صرف أموالاً كثيره جزيـله و عمر عماره جليله حسنه و هى العماره التى كانت قبل عماره اليوم.

و منها ما حكى عن جماعه خرجوا لبـلـل مختفين إلى الغرى لزياره أمير المؤمنين عليه السّلام قالوا: فلمّا وصلنا إلى القبر الشّريف و كان يومئذ قبراً حوله حجاره و لا بناء عنده، و ذلك بعد أن أظهره الرّشيد و قبل أن يعمره، فبينما نحن عنده بعضنا يقرأ و بعضنا يصلّى و بعضنا يزور و إذا نحن بأسد مقبل نحونا، فلمّا قرب منّا قدر رمح قال بعضنا لبعض: ابعادوا عن القبر لننظر ما يصنع، فتباعدنا عن القبر الشّريف فجاء الأسد و جعل يمرّغ ذراعيه على القبر، فمضى رجل منّا فشاهده فعاد فأعلمنا فزال الرّعـب عنّا فجئنا بأجمعنا فشاهدناه يمرّغ ذراعيه على القبر و فيه جراح فلم يزل يمرّغه ساعه، ثم نزع عن القبر فمضى، فعدنا إلى ما كنّا عليه من الزّياره و الصّلاه و القرآن.

و عن مزار البحار قال: و قد شاع فى زماننا من شفاء المرضى و معافاه أصحاب البلوى و صحه العميان و الزّمن أكثر من أن يحصى.

و لقد أخبرنى جماعه كثيره من الثّقات أنّ عند محاصره الرّوم لعنهم الله المشهد

الشَّريف فى سنه أربع و ثلاثين و ألف من الهجره تحصَّن أهله بالبلد و إغلاق الأبواب عليهم و التعرَّض لدفعهم مع قلَّه عددهم و عدَّتهم و كثره المحاصرين لهم و قوَّتهم و شوكتهم، و جلسوا زمانا طويلا- و لم يظفروا بهم و كانوا يرمون بالبنادق الصَّيغار و الكبار عليهم شبه الأمطار و لم يقع على أحد منهم، و كانت الصَّبيان فى السَّكك ينتظرون وقوعها ليلعبوا بها حتَّى أنَّهم يروون أنَّ يروون أنَّ بندقا كبيرا دخل فى كمَّ جاريه رفعت يدها لحاجه على بعض السَّطوح و سقط من ذيلها و لم يصبها و يروى عن بعض الصَّالحاء الأفاضل من أهل المشهد أنَّه رأى فى تلك الأيام أمير المؤمنين عليه السَّلام فى المنام و فى يده سواد فسأله عن ذلك فقال: لكثرة دفع الرِّصاص عنكم، و الغرايب التى ينقلونها فى تلك الوقعه كثيره.

فأما التى اشتهرت بين أهل المشهد بحيث لا ينكره أحد منهم.

فمنها قصه الدَّهن و هو أنَّ خازن الرُّوضه المقدَّسه المولى الصَّالح البارع التَّقوى مولانا محمود قدس الله روحه كان هو المتوجَّه لاصلاح العسكر الذى كانوا فى البلد، و كانوا محتاجين إلى مشاعل كثيره لمحافظه أطراف الحصار فلمَّا ضاق الأمر و لم يبق فى السُّوق و لا فى البيوت شىء من الدَّهن أعطاهم من الحياض التى كانوا يصبُّون فيها الدَّهن لا سراج الرُّوضه و حواليتها، فبعد إتمام جميع ما فى الحياض و يأسهم من حصوله من مكان آخر رجعوا إليها فوجدوها مترعه من الدَّهن فأخذوا منها و كفاهم إلى انقضاء و طرهم.

و منها أنَّهم كانوا يرون فى الليالى فى رءوس الجدران و أطراف العمارات و المنارات نورا ساطعا يبيِّن حتَّى أنَّ النَّاس إذا كان يرفع يده إلى السَّماء كان يرى أنامله كالشَّموع المشتعله.

و لقد سمعت من بعض أشراف الثَّقَات من غير أهل المشهد أنَّه قال: كنت ذات ليله نائما فى بعض سطوح المشهد الشَّريف فانتبهت فرأيت النُّور ساطعا من الرُّوضه المقدَّسه و من أطراف جميع جدران البلد فعجبت من ذلك و مسحت يدى على عيني فنظرت فرأيت مثل ذلك فأيقظت رجلا كان نائما بجنبى فأخبرنى

بمثل ما رأيت و بقى هكذا زمانا طويلا ثم ارتفع.

و سمعت أيضا من بعض الثقات قال: كنت نائما فى بعض الليالى على بعض سطوح البلد الشريف فانتبهت فرأيت كوكبا نزل من السماء بحذاء القبة السامية حتى وصل إليها و طاف حولها مرارا بحيث أراه يغيب من جانب و يطلع من آخر ثم صعد إلى السماء.

و من الامور المشهورة التى وقعت قريبا من زماننا أن جماعة من صلحاء أهل البحرين أتوا لزياره الحسين عليه السلام لادراك بعض الزيارات المخصوصه فأبطأوا و لم يصلوا إليه و وصلوا ذلك اليوم إلى الغرى و كان يوم مطر و طين و كان مولانا محمود أغلق أبواب الروضه و قالوا قد حرمننا من زياره ولدك فلا تحرمنا زيارتك فأنا من شيعتك و قد أتيناك من شقه بعيدة، فبيناهم فى ذلك إذ سقطت الاقفال و فتحت الأبواب و دخلوا و زاروا.

و هذا مشهور بين أهل المشهد و بين أهل البحرين غايه الاشتهار.

و منها ما تواترت به الأخبار و نظموها فى الأشعار و شاع فى جميع الاصقاع و الأقطار و اشتهر اشتهاى الشمس فى رابعه النهار و كان بالقرب من تاريخ الكتابه سنه اثنين و سبعين بعد الألف من الهجره، و كان كيفيه تلك الواقعه على ما سمعته من الثقات أنه.

كان فى المشهد الغروى عجوز تسمى بمريم، و كانت معروفه بالعباده و التقوى فمرضت مرضا شديدا و امتد بها حتى صارت مقهوره مزمنه و بقيت كذلك قريبا من سنتين بحيث اشتهر أمرها و كونها مزمنه فى الغرى.

ثم إنها لتسع ليال خلون من رجب تضرعت لدفع ضررها إلى الله تعالى و استشف بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام و شكت إليه فى ذلك و نامت، فرأت فى منامها ثلاث نسوة دخلن إليها واحدهن كالقمر ليله البدر نورا و صفاء و قلن لها لا تخافى و لا تحزنى فإن فرجك فى الليله الثانى عشر من الشهر المبارك.

فانتبهت فرحا و قصت رؤياها على من حضرها و كانت منتظره ليله ثانى عشر

رجب فمّرت بها و لم تر شيئا، ثمّ ترقّبت ليله ثانى عشر شعبان فلم تر شيئا ايضا، فلما كانت ليله تاسع شهر رمضان رأت فى منامها تلك النسوة بأعيانهنّ و هنّ يبشّرنها، فقلن لها إذا كانت ليله الثّانى عشر من هذا الشّهر فامضى إلى روضه أمير المؤمنين و ارسلى إلى فلانه و فلانه و سمين نسوة معروفات و باقيات إلى حين هذا التحرير و اذهبى بهنّ معك إليها.

فلما أصبحت قصّت رؤياها و بقيت مسرورة مستبشرة بذلك إلى أن دخلت تلك الليلة فأمرت بغسل ثيابها و تطهير جسدها و أرسلت إلى تلك النسوة و دعتهن فأجبن و ذهبن بها محموله لأنّها كانت لا تقدر على المشى.

فلما مضى قريب من ربع الليل خرجت واحده و اعتذرت منها و بقيت معها اثنتان و انصرف عنهنّ جميع من حضر الروضه المقدّسه و غلقت الأبواب و لم يبق فى الزّواق غير هنّ فلما كان وقت السّحر و أرادت صاحبها أكل السّحور أو شرب التتن فاستحيا من الضّريح المقدّس فتركناها عند الشّباك المقابل للضّريح المقدّس فى جانب القبلة و ذهبنا إلى الباب الذى فى جانب خلفه يفتح إلى الصّحن و خلفه الشّباك، فدخلنا هناك و أغلقتا الباب لحاجتهما.

فلما رجعتا إليها بعد قضاء و طرهما لم تجدها فى الموضع الذى تركناها ملقاه فيه، فتحيّرتا فمضتا يمينا و شمالا فاذا بها تمشى فى نهايه الصّحه و الاعتدال.

فسألناها عن حالها و ما جرى عليها فأخبرتهما أنّكما لمّا انصرفتما عنّي رأيت تلك النسوة اللاّتى رأيتهن فى المنام أقبلن و حملننى و أدخلننى داخل القبه المنوره و أنا لا أعلم كيف دخلت و من اين دخلت.

فلما قربت من الضّريح المقدّس سمعت صوتا من القبر يقول: حرّكن المرأة الصّالحه و طفن بها ثلاث مرّات فطفن بى ثلاث مرّات حول القبر، ثمّ سمعت صوتا آخر اخرجن المرأة الصّالحه من باب الفرج فأخرجتنى من الباب الغربى الذى يكون خلف من يصلّى بين البابين بحذاء الرّأس و خلف الباب شباك يمنع الاستطراق و لم يكن الباب معروفا

قبل ذلك بهذا الاسم.

قالت فالآن مضين عني و جئتماني و أنا لا أرا بى شيئا مما كان من المرض و الألم و الضعف و أنا فى غايه الصّحه و القوّه، فلما كان آخر الليل جاء خازن الحضرة الشّريفه و فتح الابواب فرآهنّ يمشين بحيث لا يتميّز واحده منهنّ.

و أنى سمعت من المولى الصّالح التّقى مولينا محمّد طاهر الذى بيده مفاتيح الرّوضه المقدّسه و من جماعه كثيره من الصّالحاء الذين كانوا حاضرين فى تلك الليله فى الحضرة الشّريفه أنّهم رأوها فى أوّل الليله محموله عند دخولها و فى آخر الليل سائرّه أحسن ما يكون عند خروجها.

و فى المجلد التّاسع من البحار من بعض مؤلفات أصحابنا عن زيد النّساج قال: كان لى جار و هو شيخ كبير عليه آثار النّسك و الصّلاح، و كان يدخل إلى بيته و يعتزل عن النّاس و لا يخرج إلّا يوم الجمعة.

قال زيد النّساج: فمضيت يوم الجمعة إلى زياره زين العابدين عليه السّلام فدخلت إلى مشهده فاذا أنا بالشّيخ الذى هو جارى قد اخذ من البئر ماء يريد أن يغتسل غسل الجمعة و الزّياره.

فلما نزع ثيابه و اذا فى ظهره ضربه عظيمه فتحها أكثر من شبر و هى تسيل قيحا و مده، فاشمئز قلبى منها فحانت منه التفاتة فرآنى فخجل فقال أنت زيد النّساج؟ فقلت: نعم، فقال لى: يا بنى عاونى على غسلى فقلت لا و الله لا اعاونك حتّى تخبرنى بقصّه هذه الضّربه التى بين كتفيك و من كف من خرجت و أى شىء كان سببها.

فقال: يا زيد اخبرك بها بشرط أن لا تحدّث بها أحدا من النّاس إلّا بعد موتى فقلت:

لك ذلك، فقال: عاونى على غسلى فاذا لبست أطمارى حدّثتك بقصّتى، قال زيد فساعدته فاغتسل و لبس ثيابه و جلس فى الشّمس و جلست إلى جانبه و قلت له حدّثنى يرحمك الله فقال لى: اعلم أنّا كنّا عشره أنفس قد تواخينا على الباطل و توافقنا على قطع الطريق و ارتكاب الآثام، و كانت بيننا نوبه نديرها فى كلّ ليله على واحد منا ليصنع لنا طعاما نفيسا و خمرا عتيقا و غير ذلك.

فلما كانت الليله التّاسعه و كنّا قد تعشنا عند واحد من أصحابنا و شربنا

الخمير ثم تفرقنا وجئت إلى منزلي و نمت، أيقظتني زوجتي و قالت لى إنّ الليله الآتیه نوبتها عليك و لا عندنا فى البيت حبه من الحنطه.

قال فانتهت و قد طار السّكر من رأسى و قلت كيف أعمل و ما الحيله والى أين أتوجّه؟ فقالت لى زوجتى: الليله ليله الجمععه و لا يخلو مشهد مولينا علىّ بن أبى طالب من زوّار يأتون إليه يزورونه فقم و امض و اكمن على الطريق فلا بدّ أن ترى أحدا فتأخذ ثيابه فتبيعها و تشتري شيئا من الطعام لتتم مروّتك عند أصحابك و تكافهم على ضيفهم.

قال: فقممت و أخذت سيفى و حجفتى و مضيت مبادرا و كمنت فى الخندق الذى فى ظهر الكوفه، و كانت ليله مظلمه ذات رعد و برق فأبرقت برقه فاذا أنا بشخصين مقبلين من ناحيه الكوفه، فلما قربا منى برقت برقه اخرى فاذا هما امرئتان، فقلت فى نفسى فى مثل هذه الساعه أتانى امرئتان فقرحت و وثبت إليهما و قلت لهما انزعا الحلّى الذى عليكما سريعا فطرحا.

فأبرقت السّماء برقه اخرى فاذا إحداهما عجوز و الاخرى شابه من أحسن النساء وجها كأنها ظبيّه قنّاص(1) أو درّه غواص، فوسوس لى الشّيطان على أن أفعل بها القبيح، فقلت فى نفسى مثل هذه الشّابه التى لا يوجد مثلها حصلت عندى فى هذا الموضع و اخليها، فراودتها عن نفسها.

فقال العجوز: يا هذا أنت فى حلّ مما أخذته منّا من الثياب و الحلّى فحلّنا نمضى إلى أهلنا فوالله إنّها بنت يتيمة من امّها و أبيها و أنا خالتها و فى هذه الليله القابله تزفّ إلى بعلها و أنّها قالت لى: يا خاله إنّ الليله القابله أزفّ إلى ابن عمّى و أنا و الله راغبه فى زياره سيّدى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و إنى إذا مضيت عند بعلى ربّما لا يأذن لى بزيارته فلما كانت هذه اللّيله الجمععه خرجت بها لأزورها مولاها و سيدها أمير المؤمنين فبالله عليك لا تهتك سترها و لا تفص ختمها و لا تفضحها بين قومها.

فقلت لها: إليك عنى و ضربتها و جعلت أدور حول الصّبيه و هى تلوذ بالعجوز

ص: ١٧٨

و هي عربانه ما عليها غير السّروال و هي فى تلك الحال تعقد تكتّها و توثقها عقدا فدفعت العجوز عن الجاريه و صرعتها إلى الأرض و جلست على صدرها و مسكت يديها بيد واحده و جعلت أحلّ عقد التّكه باليد الاخرى و هي تضطرب تحتى كالسمكه فى يد الصّياد و هي تقول: المستغاث بك يا الله المستغاث بك يا على بن أبى طالب خلّصنى من يد هذا الظالم.

قال: فو الله ما استتمّ كلامها إلّا و حسّ حافر فرس خلفى، فقلت فى نفسى هذا فارس واحد و أنا أقوى منه و كانت لى قوّه زايد و كنت لا أهاب الرّجال قليلا أو كثيرا، فلما دنا منّى فاذا عليها ثياب بيض و تحته فرس أشهب تفوح منه رايحه المسك فقال لى: يا ويلك خلّ المرأة فقلت له: اذهب لشأنك فأنت نجوت بنفسك تريد تنجى غيرك؟ قال: فغضب من قولى و نقفنى(١) بذبال(٢) سيفه بشىء قليل فوقعت مغشيا علىّ لا- أدرى أنا فى الأرض أو فى غيرها و انعقد لسانى و ذهبت قوّتى لكنّى أسمع الصوت و أعى الكلام.

فقال لهما قوما البسا ثيابكما، فقالت العجوز: فمن أنت يرحمك الله و قد منّ الله علينا بك و إنّى اريد منك أن توصلنا إلى زياره سيدنا و مولينا علىّ بن أبى طالب قال فتبسم فى وجوههما و قال لهما: أنا علىّ بن أبى طالب ارجعا إلى أهلكما فقد قبلت زيارتكما.

قال: فقامت العجوز و الصّبيه و قبلا يديه و رجليه و انصرفا فى سرور و عافيه قال الرّجل: فأفقت من غشوتى و انطلق لسانى فقلت له: يا سيدى أنا تائب إلى الله على يدك و انى لا عدت ادخل فى معصيه أبدا، فقال: إن تبت تاب الله عليك، فقلت له: تبت و الله على ما أقول شهيد.

ص: ١٧٩

١- (١) النقف الضرب بالرمح و العصا و نحوهما، منه.

٢- (٢) لعلّ المراد بذبال السيف الموضع الذابل اى الدقيق منه و هو راسه و فى بعض النسخ بالمشناه و هو ايضا كناية عن راسه.

ثم قلت له: يا سيدى تركتنى و فى هذه الضربه هلكت بلا- شك، قال: فرجع إلى و أخذ بيده قبضه من تراب ثم وضعها على الضربه و مسح بيده الشريفه عليها فالتحمت بقدره الله تعالى.

قال زيد النساج: فقلت: كيف التحمت و هذه حالتها فقال لى: إنها و الله كانت ضربه مهوله أعظم مما تراها الآن و لكنّها بقيت موعظه لمن يسمع و يرى.

و من فرحه الغرى معننا عن على بن الحسن بن الحجاج من حفظه، قال: كنا جلوسا فى مجلس ابن عمى أبى عبد الله محمد بن عمر بن الحجاج و فيه جماعه من أهل الكوفه من المشايخ و فيمن حضر العباس بن أحمد العباسى و كانوا قد حضروا عند ابن عمى يهنونه بالسّلامه، لأنّه حضر وقت سقوط سقيفه سيدى أبى عبد الله الحسين عليه السّلام فى ذى الحجه من سنه ثلاث و سبعين و مأتين.

فبينما هم قعود يتحدّثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العباسى، فلما نظرت الجماعه إليه أحجمت عما كانت فيه و أطال إسماعيل الجلوس، فلما نظر إليهم قال لهم: يا أصحابنا أعزّكم الله لعلّى قطعت حديثكم بمجيئى.

قال أبو الحسن على بن يحيى السليمانى و كان شيخ الجماعه و مقدّما فيهم:

لا- و الله يا با عبد الله أعزّك الله ما أمسكنا بحال من الأحوال، فقال لهم: يا أصحابنا اعلّموا أنّ الله عزّ و جلّ مسائلى عما أقول لكم و ما أعتقده من المذهب حتّى حلف بعق جواريه و مماليكه و حبس دوابه أنّه لا- يعتقد إلاّ- ولا-يه على بن أبى طالب و السّاده من الأئمه عليهم السّلام و عدّهم واحدا و احدا و ساق الحديث، فأبسط إليه أصحابنا و سألوهم و سألوه.

ثم قال لهم: رجعنا يوم جمعه من الصّلاه من المسجد الجامع مع عمى داود فلما كان قبل منازلنا و قبل منزله و فدخلنا الطريق قال لنا أينما كنتم قبل أن تغرب الشّمس فصيروا إلى و لا يكون أحد منكم على حال فيتخلف لأنّه كان جمره بنى هاشم.

فصرنا إليه آخر النّهار و هو جالس ينتظرنا، فقال صيخوا بفلان و فلان من

الفعلة فجاء رجلاين معهما آلتهما و التفت إلينا فقال: اجتمعوا كلكم فاركبوا فى وقتكم هذا و خذوا معكم الجمل غلاما كان له أسود يعرف بالجمل، و كان لو حمل هذا الغلام على سكر دجله لسكرها من شدّته و بأسه، و امضوا إلى هذا القبر الذى قد افتتن به الناس و يقولون إنّه قبر علىّ حتّى تنبشوه و تجيئونى بأقصى ما فيه.

فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم و ما امر به، فحفر الحفّارون و هم يقولون:

لا حول و لا قوه إلّا بالله فى أنفسهم و نحن فى ناحيه حتّى نزلوا خمسه أذرع، فلما بلغوا إلى الصّلابه قال الحفّارون: قد بلغنا إلى موضع صلب و ليس نقوى بنقره، فانزلوا الحبشى فأخذ المنقار فضرب ضربه سمعنا لها طنينا شديدا فى البرّ، ثمّ ضرب ثانيه فسمعنا طنينا أشدّ من ذلك، ثمّ ضرب الثالثه فسمعنا أشدّ ممّا تقدّم.

ثمّ صاح الغلام صيحه فقمنا فأشرفنا عليه و قلنا للذين كانوا معه: اسألوه ما باله فلم يجبههم، و هو يستغيث فشدّوه و اخرجوه بالحبل فاذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرفقه دم هو يستغيث لا يكلمنا و لا يحير جوابا، فحملناه على البغل و رجعنا طائرين.

و لم يزل لحم الغلام ينثر من عضده و جنيبه و ساير شقّه الأيمن حتّى انتهينا إلى عمى فقال: ايش و رائيكم؟ فقلنا: ما ترى و حدّثناه بالصّوره.

فالتفت إلى القبلة و تاب ممّا هو عليه و رجع عن المذهب و تولى و تبرّى و ركب بعد ذلك فى الليل على مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقا و لم يخبره بشىء ممّا جرى، و وجه من طمّ الموضع و عمر الصندوق عليه و مات الغلام الأسود من وقته.

و قال أبو الحسن الحجاج رأينا هذا الصندوق الذى هذا حديثه لطيفا.

أقول: و ما ظهر منه عليه السّلام من هذا القبيل فوق حدّ الاحصاء و لا- حاجه إلى الاطاله، فسبحان من آثر أوليائه بالكرامات الظاهره و المعجزات القاهره، و خصّهم بالمناقب السّنيه و المآثر الرّفيعه.

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»

و لشیخنا البهائی قدس الله روحه فی مدح حرم الغری سلام الله علی مشرفه:

فی ذا الحرم الأقدس بیت معمور فی خدمته ملائک العرش حضور

فیه القبس الذی ابن عمران رأى فیه النور الذی تجلّی للطور

و قال أيضا:

هذا الحرم الأقدس قد لاح لیدیك فاسجد متخشعا و عفر خدیك

ذا طور سنین فاغضض الطرف به هذا حرم العزه فاخلع نعلیک

و قال أيضا:

هذا النبأ العظيم ما فیه خلاف هذا لملائک السماوات مطاف

هذا حرم الله لمن حج و طاف من حلّ به فهو من النار معاف

الترجمه

و فرمود آن حضرت در سحر آن روزی که ضربت یافت در او: مالک شد مرا چشم من یعنی غلبه نمود خواب بر من در حالتی که من نشسته بودم، پس ظاهر شد بمن رسول خدا صلی الله علیه و اله و سلم پس گفتم یا رسول الله چیست اینها که رسیدم از امت تو از کجی و دشمنی؟ پس حضرت رسالت فرمود که ای علی دعای بد کن برایشان، پس گفتم که بدل گرداند و عوض دهد مرا خدای تعالی بایشان بهتری از برای من از ایشان یعنی بجای ایشان جماعتی بهتر بمن کرامت فرماید، و بدل گرداند و عوض دهد ایشان را بمن بدتر کسی از برای ایشان بجای من تا این که ایشان را بجزا و سزای عملهای بدشان برساند.

و من کلام له علیه السلام فی ذم اهل العراق

اشاره

و هو السبعون من المختار فی باب الخطب

و الظاهر أنّها ملتقطه من خطبه طویلہ قدّمنا روايتها عن الاحتجاج و الارشاد فی شرح الخطبه التاسعه و العشرین فلیراجع هناك:

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلْتَ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَيْمُهَا، وَ طَالَ تَأْيِمُهَا، وَ وَرَثَتُهَا أَبْعَدُهَا، أَمَّا وَ
اللَّهُ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا، وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا، وَ لَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ يَكْذِبُ، قَاتِلُكُمْ اللَّهُ، فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ؟ أَعَلَى
اللَّهُ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، كَلًّا وَ اللَّهَ، وَ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غَبِثَةٌ عَنْهَا، وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَ يَلِ أُمُّهُ
كَيْلًا بَغِيرَ ثَمَنِ لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ، «وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ».

اللغة

(املصت) الحامل أَلَقَتْ وَلَدَهَا مَيِّتًا وَ الْمَمْلَاصُ مَعْتَادَتُهُ وَ (قيم) المرأة زوجها لأنه يقوم بأمرها وَ (تأيم) المرأة خلّوها من الزوج، وَ
الأيام في الأصل التي لا زوج لها قال سبحانه:

«وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ».

وَ (السوق) الاضطراب وَ فِي بَعْضِ النُّسخِ وَ لَا جِئْتُ إِلَيْكُمْ شَوْقًا بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَ (اللهجة) بسكون الهاء وَ فَتَحَهَا اللِّسَانُ وَ يَكْنَى بِهَا
عَنِ الْكَلَامِ.

قال الفيروز آبادي: (الويل) حلول الشر و بهاء الفضيحة، أو هو تفجيع يقال:

ويله و ويلك و ويلى و فى التّبدية يقال ويلاه، و ويل كلمه عذاب و واد فى جهنّم أو بئر أو باب لها و رجل ويلمه بكسر اللّام و
ضمّها واه و يقال للمستجار ويلّمه أى ويل لأمّه كقولهم لا- أب له، فركبوه و جعلوه كالشّئ الواحد ثمّ ألحقوه الهاء مبالغه
كداهيه.

الاعراب

قال الجوهري: تقول ويل لزيد و ويلا لزيد، فالنّصب على اضممار الفعل و الرفع

على الابتداء هذا إذا لم تضيفه فاذا أضفت فليس إلا التّصّب لأنّك لو رفعتّه لم يكن له خبر.

و قال نجم الأئمة الرّضّى في باب حذف عامل المفعول المطلق من شرح الكافية: و منها أى من جملة ما يحذف عامله أسماء الأصوات قامت مقام المصادر كاها منك أى توجّعا، و واهّا لك أى طيبا، و افالك أى كراهه، إلى أن قال: و الأصوات القائمة مقام المصادر يجوز اعرابها نصبا إلا أن تكون على حرفين ثانيهما حرف مدّ نحووى لزيد، و ذلك نحواها و وياهّا، و يجوز إبقائها على البناء الأصلي نحو افّ لكما و أوه من اخوانى و آه من ذنوبى.

و الظاهر أنّ و يلك و ويحك و وليك و و ييك من هذا الباب و أصل كلاهاوى على ما قال الفراء جىء بلام الجرّ بعدها مفتوحه مع المضمّر نحووى لك ووى له ثمّ خلط اللّام بوى حتّى صارت لام الكلمه كما خلطوا اللّام بيافى قوله:

فخير نحن عند النّاس منكم إذ الدّاعى المثوب قال يالا

فصار معربا باتمامه ثلاثيا فجاز أن يدخل بعدها لام اخرى نحو ويل لك لصيروره الاولى لام الكلمه ثمّ نقل الى باب المبتدأ فقليل ويل لك كما فى سلام عليك.

أقول: و تحقيق الكلام أنّك إذا قلت ويل لزيد فيجوز الرفع على الابتداء و التّصّب على المفعوليه أى حلّ الشرّ به حلولا أو عذب الله عذابا أو هلكا له، و جوّز جرّه فى القاموس و لا أرى له وجهها.

و إذا قلت: ويل زيد فيجوز الضّم على الابتداء و حذف الخبر أى عذابه أو هلا-كه مطلوب، و الكسر على أنّ أصله وى لزيد فكلّمه وى بمعنى الحزن و الخسران اتصلت لام الجرّ بها لكثرة الاستعمال فقليل ويل زيد، و الفتح على أنّها بعد الاتّصال بلام الجرّ حسبما قلناه خفّفوا اللّام بالفتح.

و أمّا قولهم رجل و يلمه بكسر اللّام و ضمّه فأرادوا به أنّه واه يستعملونه فى مقام التّعجب من دهاء الرّجل و ذكائه، و أصله ويل لأمّه فركب الكلمتان بعد التّخفيف بحذف اللّام و اسقاط الهمزه فصار و يلمه.

قال فى الاقيانوس: وى فيها كلمه مفرده معناها التّعجب كأنّه يتعجّب من

أمّه أنّها ولدت هذا الولد الذى لا نظير له فى العقل و الفراسه، أو أنّه من قبيل قاتله الله و تربت يدها يعنى أنّ الجملة موضوعه للتعجب ملغاه عن معناها الأصلى أو أن الوليل بمعنى العذاب و الخسران كأنّه يريد عذاب أمّه كيف ولدت هذا الولد الداهى الظالم فيكون مستعملا فى مقام الأسف و الانفعال، أو أنّ المراد بذلك الحسره و التأسف من أمّه و أنّها ولدت هذا الولد فردا و لم تلد له ثانيا كفوا فيكون مستعملا فى مقام التعجب و الاستجاده.

و قيل: إنّ أصل ذلك ويل لام كما أنّ قولهم لاب لك مخفّف لا أب لك، فالحق به الهاء كامالا للمبالغه كما فى الداهيه فصار ويل لامّه فخفّف و صار ويلّمه و على ذلك فالهاء ليست ضميرا و لكن المستفاد من كلام الرّمخشرى أنّه مخفّف من قولهم ويل لامّه أو من قولهم وى لامّه، و الهاء ضمير يفسّره ما بعده من باب الاضممار على شريطه التفسير كما فى قولهم ربّه رجلا يقال و يلّمه رجلا قال ذو الرّمه:

و يلّمها روحه و الرّيح معصفه و الغيث مرتجز و الليل مقترب

و عن النّهايه و منه حديث علىّ كرم الله وجهه ويلمه كيلا- بغير ثمن لو كان له وعاء أى يكيل العلوم الجمه بلا عوض إلاّ أنّه لا يصادف داعيا الوليل للتعجب، و قيل ويل كلمه مفرده و لامه مفرده و هى كلمه تفجّع و تعجّب و حذفت الهمزه من أمّه تخفيفا و القيت حركتها على اللّام و ينصب ما بعدها على التميز انتهى.

و فى شرح المعتزلى انتصب كيلا لأنّه مصدر فى موضع الحال، و يمكن أن ينتصب على التميز كقولهم لله درّه فارسا.

المعنى

قد ظهر من روايه الاحتجاج المتقدّمه فى شرح الخطبه التاسعه و العشرين أنّ هذه الخطبه وارده فى ذمّ أهل العراق بشاغلهم عن جهاد معاويه و أتباعه فقال لهم (أمّيا بعد يا أهل العراق فإنّما أنتم كالمراه الحامل حملت فلما أتمّت حملها و تكاملت ايامه (أملصت) و أسقطت ولدها ميّتا (و مات قيمها) أى زوجها) و طال

تأيمها) بقاؤها بلا زوج(و ورثها بعدها)لفقدان الوارث القريب.

شبههم بالمرأه الموصوفه بالأوصاف الخمسه التى هى وجوه الشبه بينها وبينهم، فحملها يشبه تهيؤهم للحرب و استعدادهم لها، و اتمام الحمل يشبه مشارفتهم لاستيصال أهل الشام و الظفر على المقصود، و الاملاص يشبه باجابتهم إلى التحكيم و جنوحهم إلى السلم و رجوعهم عن العدو و بعد قرب الظفر و ظهور أمارات الفتح، فإن ذلك رجوع غير طيعى و غير معتاد للعقلاء كما أن الاملاص أمر غير طيعى و خارج عن العاده و موت القيم و طول الأيم يشبه بقائهم بلا صاحب الجارى مجرى موته عنهم و طول ضعفهم و تمادى ذلتهم، كما أن موت قيم المرأه مستلزم لطول ضعفها و تمادى عجزها.

و أما ورائه الأبعدين فإشاره إلى أنهم لتقصيرهم فى الأمر أخذ عدوهم الذين هم أبعد الناس عنهم بلادهم و تسلطوا عليهم و صاروا بمنزله الوارثين لها، كما أن المرأه الموصوفه بسبب املاصها و موت زوجها لا يبقى لها وارث قريب نسبى و سببى فيرثها البعيد عنها.

ثم اقسم تضجرا من حالهم بقوله:(أما و الله ما أتيتكم اختيارا) و ايثارا للمقام بينكم و حبا لكم و لبلادكم (و لكن جئت اليكم سوقا) و اضطرارا كان القضاء ساقه إليهم، إذ خروجه من المدينه دار الهجره لم يكن إلا لقتال أهل الجمل و احتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفه إذ لم يكن جيش الحجاز و ايا بمقاتلتهم، ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنه أهل الشام فاضطر إلى المقام بينهم.

ثم قال (و لقد بلغنى أنكم تقولون على يكذب) فإنه عليه السلام كان كثيرا ما يخبرهم عن الملاحم و الامور الغيبية و ما يكون قبل كونه كما مضى نبذ من ذلك فى شرح كلامه السادس و الخمسين، و يأتى كثير منها فى تضاعيف الشرح أيضا فكان منافقو أصحابه ينسبون فى هذه الاخبار الغيبية إلى الكذب لضعف عقولهم و قصور أفهامهم و يقولون إنه يكذب فدعا عليهم بقوله (قاتلكم الله) أى لعنكم و أبعدكم عن رحمته.

ثم ردّ زعمهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد بقوله: (فعلى من أكذب أ على الله فأنا أول من آمن به، أم على نبيّه فأنا أول من صدّقه) يعنى أنّ هذه الأخبار ما أخبركم بها من تلقاء نفسى، و إنّما هى اخبار عن الله و عن رسوله فكيف أكذب على الله و أنا أول المؤمنين به و أول مؤمن به لا يكون أول مكذب، و كيف أكذب على زرز على الرسول و أنا أول المصدقين له و التابعين لملته فكيف أكون مكذباً عليه.

(كلا- و الله) أى لا- و الله أو حقاً و الله (و لكنّها) أى تلك الاخبار الغيبية (لهجه غبتم عنها و لم تكونوا من أهلها) أى غابت عقولكم الضّعيفه عن إدراكها و تحصيل منافعتها و إدراك ثمراتها و لستم أهلاً لفهمها، أو أنكم كنتم غائبين عنها حين أخبرنى بها رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فسمعت كلامه و لم تسمعه و لو سمعتموه أيضاً لم تكونوا من أهله.

(ويل أمّه كيلا- بغير ثمن لو كان له وعاء) أنت بعد الخبره بما حقّقناه فى بيان الاعراب تعرف احتمال رجوع ضمير أمّه فيه إلى المكذب له فيكون تعجباً من قوّ جهلهم أو استعظاما لمقاتلتهم أو دعاء عليهم أى عدّبه الله و قاتله فأنّى أكيل العلم لهم كيلا بلا ثمن لو وجدت له حاملاً.

أو أنّه راجع إلى نفس العلم فيكون وارداً فى مقام الاستجاده و الاستعظام و التعجب كأنّه يتعجب من علمه حيث يكال كيلا بلا ثمن لو كان له واعياً، و سائر الاحتمالات غير خفى على البصير الناقد لما قدّمنا.

و قوله: (و لتعلمنّ نبأه بعد حين) اقتباس عن الآيه الشّريفه أى لتعلمنّ ثمره جهلكم و تكذيبكم و اعراضكم عمّا أقول بعد مفارقتى عنكم و حين مماتى حيثما تسلط عليكم بنو اميّه و العباس و ساقكم سوق العبيد و ابتليتكم بالقتل و الدّلّ و الصغار أو أنّكم تعلمون جزاء ذلك و تجدونه بعد مفارقه الدّنيا و مصيركم إلى الآخره حين ما وقعتم فى الندامه الدّائمه و الحسره الباقيه.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن عالی مقامست در مذمت أهل عراق و توبیخ

پس از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی ای اهل عراق پس بدرستی که شما مثل زن آبستن هستید که حامله شود پس چون تمام نماید حمل را بیندازد و سقط کند آن بچه را و بمیرد شوهر او که قایم امر اوست و طول یابد بی شوهر ماندن او و وارث شود بر او دورتر وراثت آن زن.

وجه تشبیه اهل عراق بزنی موصوف اینست که استعداد و مهیا شدن ایشان بحرب اهل شام مشابه حمل آن زن است، و مشارفۀ ایشان بر غلبه به دشمن در جنگ صفین شبیه است با تمام ولد، و برگشتن ایشان از دشمن بعد از ظهور علامات فتح و ظفر مانند سقط کردن اوست بچه اش را، و رجوع ایشان از رأی آن حضرت و تفرق ایشان که باعث ذلتشان شد شبیه است به مردن شوهر ضعیفه و بی صاحب ماندن او که مستلزم عجز و مذلتش است، و تسلط اعدا بر شهرهای ایشان به منزله وارث شدن دورترین است از آن زن.

باری حضرت ولایت مآب بعد از این که ایشان را باین نوع مذمت فرمود می فرماید: که آگاه باشید قسم بخدا نیامدم بسوی شما ای اهل کوفه از روی رغبت و میل و اختیار، و لکن آمدم من بسوی شما از روی اضطرار که دست قضا و قدر خداوندی از گریبان من گرفته بسوی شما کشید، بجهت این که حرکت آن حضرت از مدینه بجهت حرب اهل بصره بود و محتاج شد بیاری اهل کوفه و بعد از انقضاء حرب جمل وقعه صفین اتفاق افتاد که لا بد شدن از ماندن کوفه پس فرمود:

و بتحقیق که رسید به من این که شما می گوئید علی بن ابی طالب دروغ می گوید در آنچه خبر می دهد از اخبار آینده، خدا از رحمت کنار نماید شما را بکه دروغ می بندم آیا بر خدا افترا می گویم و حال آنکه من اول کسی هستم که ایمان آورده ام باو، یا بر رسول خدا کذب می گویم و حال آنکه من اول کسی هستم که پیغمبر را تصدیق نمود.

نه چنین است قسم بخدا و لکن این سخنان که می گویم بشما گفتار فصیحی است که غایب بودید شما از آن در وقتی که پیغمبر به من تعلیم فرمود و نبودید شما از اهل آن.

ما در تکذیب کننده من به ماتم آن بنشیند من می پیمایم علم ربانی را پیمودنی بدون بها اگر باشد در میان شما آنرا حافظی که ظرفیت و دارائی آن را داشته باشد.

و هر آینه البته خواهید دانست ثمره کردار و گفتار خودتان را بعد از زمانی، یعنی در وقتی که من از میان شما بروم و امراء جور بنی امیه به شما مسلط شوند.

و من خطبه له علیه السلام علم فیها الناس الصلاه

اشاره

على النبي صَلَّى الله عليه و اله و سلم و هي الحاديه و السبعون

من المختار في باب الخطب

و هي مرويہ فی المجلد السابع عشر من البحار من مناقب ابن الجوزي عن الحسن بن عرفه عن سعيد بن عمير عن أمير المؤمنين عليه السلام بتغيير يسير.

اللّٰهُمَّ داحي المدحوات، و داعم المسموكات، و جابل القلوب على فطرتها، شقيها و سعيدها، اجعل شرايف صلواتك و نوامي بركاتك، على محمّد عبدك و رسولك، الخاتم لما سبق، و الفاتح لما انغلق، و المعلن الحقّ بالحقّ، و الدافع جيشات الأباطيل، و الدامغ صولات الأضاليل، كما حمّل فاضطلع قائما بأمرك، مستوفزا في مرضاتك،

غير ناكل عن قدم، ولا-واه فى عزم، واعيا لوحيك، حافظا على عهدك ماضيا على نفاذ أمرك، حتى أورى قيس القابس، و أضاء الطريق للخابط، و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن، و أقام موضحات الأعلام، و نيرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، و خازن علمك المخزون، و شهيدك يوم الدين، و بعثك بالحق، و رسولك إلى الخلق. أَللّهُمَّ افسح له مفسحا فى ظلك، و أجزه مضاعفات الخير من فضلك أَللّهُمَّ واعل على بناء البانين بنائه، و أكرم لديك منزلته، و أتمم له نوره، و أجزه من ابتعاثك له مقبول الشّهاده، و مرضى المقاله، ذا منطق عدل، و خطّه فصل، أَللّهُمَّ اجمع بيننا و بينه فى برد العيش و قرار النّعمه، و منى الشّهوات، و أهواء اللذات، و رخاء الدّعاه، و منتهى الطمأنينه، و تحف الكرامه.

اللغة

(دحى) الله الأرض دحوا بسطها فهي مدحوّه و (دعمت) الشّىء من باب نفع دعما حفظته بالدّعامة و هى بالكسر ما يستند به الحائط و السّقف و نحوهما يمنعهما السّقوط و (سمكه) سمكا رفعه، و المسمكات كمكرمات السّماوات، و المسموكات لغه و (الجبل) الخلق و (النّامى) الزّايد و (الجيشات) جمع جيشه من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.

و (بطل) الشئ يبطل بطلا و بطولا و بطلانا بضمّ الأوائل فسدا و سقط حكمه فهو باطل و الجمع بواطل و أباطيل على غير قياس، و قال أبو حاتم: الأباطيل جمع ابطوله بضمّ الهمزة و قيل جمع ابطاله و (دمغته) دماغا من باب نفع كسرت عظم دماغه، فالشجه دماغه و هى التى تخسف الدماغ و لا يبقى معها حياه و (الصّولة) السّطوة و (الأضاليل) جمع الضّلال على غير القياس.

و (ضلع) الشئ بالضمّ ضلّعه قوى، و فرس ضليع غليظ الألواح شديد العصب و رجل ضليع قوى و (الوفز) العجلة و استوفر فى قعدته قعد منتصبا غير مطمئن و (نكل) نكولا نكص و جبن و (ورى) الرّند يورى خرج ناره و اوريته أنا، و منه قوله سبحانه: «فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا».

و (القبس) بفتحيتين شعله من النّار قال سبحانه:

«لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ».

و القابس هو الذى يطلب النّار يقال قبس نارا يقبسها من باب ضرب أخذها و قبس علما تعلمه و قبست الرّجل علما يتعدّى و لا يتعدّى و أقبسته نارا و علما بالالف و (الخابط) الذى يسير على غير جاذّه ليلا و (العلم) بالتحريك ما يستدلّ به على الطريق.

و (البعيث) بمعنى المبعوث كالجريح و القتيل و (فسحت) له فى المجلس فسحا من باب نفع فرجت له من مكان يسعه، و المفسح إما مصدر أو اسم مكان، و بعثته رسولا بعثا أوصلته و ابتعثته كذلك و فى المطاوع فانبعث مثل كسرتة فانكسر و كلّ شئ ينبعث بنفسه يتعدّى الفعل إليه بنفسه فيقال بعثه، و كلّ شئ لا ينبعث بنفسه كالكتاب و الهدية يتعدّى الفعل إليه بالباء فيقال بعثت به.

و (الخطه) بالضمّ الخصلة و الحالة، و فى اكثر النسخ و خطبه فصل و هو الأظهر و (برد العيش) قال المعتزلى، العرب يقول عيش بارد و عيشه بارده أى لا حرب

فيها ولا نزاع، لأنَّ البرد والسكون متلازمان كتلازم الحرّ والحركه و (قرّ) الشئ قرأ من باب ضرب استقرّ والاسم القرار.

و (الأهواء) جمع هوى بالقصر وهو ما تحبه النفوس وتميل إليه من هويته هوى من باب تعب إذا أحببته و علقت به و (رخى) و رخو من باب تعب و قرب رخاوه بالفتح إذ الان، و كذلك العيش رخی و رخو إذا اتسع فهو رخی على فاعل و الاسم الرّخاء و (الدعه) بفتح الدال السكون و السّعه فى العيش و (الطمأنينه) اسم من اطمأن القلب إذا سكن و (التحف) جمع التحفه بالضم و كهمزه البرّ و اللطف و الطرفه و أصلها وحفه بالواو.

الاعراب

داحى المدحوات و داعم المسموكات منصوبان على النداء، و شقيها و سعيدها بالجرّ على البدل من القلوب، و اضافه الشرايف و النوامى من باب اضافه الصّفه إلى الموصوف، و الكاف فى قوله كما حمل إمّا بمعنى لام التعليل كما فى قول الشاعر:

فقلت أبا الملحاه خذها كما أو سعتنا بغيا و عدوا

أى خذ هذه الضربه لأجل بغيك و تعدّيك علينا، و يحتمل كونها على أصل التشبيه و قوله: قائما، منصوب على الحال و كذلك المنصوبات بعده أعنى مستوفزا و غير ناكل و ما عطف عليه، و واعيا و حافظا و ماضيا و اضافه الخوضات الى الفتن ظرفيه، و اضافه الموضحات و النيرات الى الأعلام و الأحكام من باب اضافه الصّفه الى الموصوف، و المخزون بالجرّ صّفه علمك، و مقبول الشهاده و كذلك مرضى مقاله منصوب على المفعوليه من اجزه، و ذا منطق منصوب على الحال.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه مشتمله على فصول ثلاثه الاول فى صفات المدعوّ و تمجيده، و هو الله سبحانه الثانى فى صفات المدعوّ له و هو النبىّ صلّى الله عليه و آله الثالث فى أنواع المدعوّ به.

ص: ١٩٢

فاليه الاشاره بقوله (اللهم داحي المدحوات) أى باسط الأرضين السبع المبسوطه، و وصفها بالبسط لا ينافى كرويتها إذ بسطها باعتبار سطحها البارز الذى هو مسكن الحيوان فأنه فى الأوهام سطح مبسوط و إن كان بالاعتبار العقلى محدباً و إلى ذلك ينظر قوله سبحانه:

«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا» وَ «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا».

(و داعم المسموكات) أى حافظ السّماوات المرفوعه بالدّعامة التى هى القدره على ما مرّ تحقيقه فى شرح الفصل الثامن من فصول الخطبه الاولى (و جابل القلوب على فطرتها شقيها و سعيدها) أراد كونه سبحانه خالق شقي القلوب و سعيدها على فطرتها الأصلية المكتوبه فى اللوح المحفوظ، و المراد بالقلوب النفوس.

و أهل العرفان كثيرا ما يعتبرون عن النفس بالقلب، و بالسّعادة ما يوجب دخول الجنّة و النّعمه الدّائمه و اللذّه الأبدية، و بالشّقاوه ما يوجب دخول النّار و العقوبات الأبدية و الآلام الدّائمه.

فمحصيل المعنى أنه خالق النفوس و موجدتها فى الخارج موافقا لفطرتها التى كتبت فى الألواح السّماوية قبل خلق الخلق و قدّرت أنّها من أهل الجنّة أو من أهل النّار موافقا لعلمه سبحانه التّابع لما يختارونه بعد وجودهم و تكليفهم بارادتهم و اختيارهم.

و إلى هذا ينظر ما رواه فى الكافى باسناده عن منصور بن حازم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الله خلق السّعادة و الشّقاوه قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه الله سعيدها لم يبغضه أبدا و إن عمل شرا أبغض عمله و لم يبغضه، و إن كان شقيّا لم يحبّه أبدا و إن عمل صالحا أحبّ عمله و أبغضه لما يصير إليه فاذا أحبّ الله شيئا لم يبغضه أبدا و إذا أبغض شيئا لم يحبّه أبدا.

فاليه أشار بقوله: (اجعل شرايف صلواتك و نوامى بركاتك على محمّد عبدك و رسولك) قيل فى تفسير العبد: العين علمه بالله، و الباء بونه عن الخلق، و الدال دنوّه من الله بلا اشاره و لا كيف، يعنى أنّ العبد لا يكون كامل العبوديه إلاّ إذا كان عارفا بالله سبحانه قريبا منه بالقرب المعنوى و باينا من الخلق بأن يكون فيهم و لا يكون منهم، و ذلك مستلزم لاستغراقه فى طاعه معبوده اذ لولاه لما حصل التّقرب و لا يتحصّل معنى العبوديه.

و من هنا قيل: إنّ حقيقه العبوديه عنوان ثلاثه أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكا لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال الله يضعونه حيث امرهم الله، و لا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً، و يكون جمله اشتغاله فيما امر الله تعالى و نهاه عنه، فاذا لم ير العبد فيما خوّله الله ملكا هان عليه الانفاق و إذا فوّض العبد نفسه إلى مدبّرها هانت عليه مصائب الدّنيا، و إذا اشتغل العبد فيما أمره الله و نهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراء و المباهات مع النّاس.

فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدّنيا و لا يطلب الدّنيا تفاخرا و تكاثرا و لا يطلب عند النّاس عزّا و علوّا و لا يدع أّيّامه باطله فيكون تاركا لديّاه و فارغا لطاعه مولاه، فاذا وصل العبد إلى هذا المقام انكشفت له الحجابات الغيبية و أدركته الألفاف الرّبانيه، و تحصل له معنى العبوديه «و هى ظ» جوهره كنهها الرّبوبيه، و يصير مظهرها لصفات الكمال و مصدرا لنعوت الجلال.

و إلى هذا المعنى ينظر الحديث القدسى: إنّ عبدى ليتقرّب إلىّ بالنّافله حتّى احبّه فاذا أحبّته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و لسانه الذى ينطق به و يده التى يبطش بها إن دعانى أحبّته و إن سألتنى أعطيته و لمّا كان هذا المعنى غايه الكمال وصف الله سبحانه جمله من أوليائه المقرّبين فى كتابه المجيد بذلك فقال:

«سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و قال:

«عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا» و قال: «نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ».

الى غير هذا، ثمَّ انَّه لما كان مرتبه الرِّساله فوق مرتبه العبوديه و من عادتهم تقديم غير الابلغ على الابلغ كما يقولون: عالم تحرير و جواد فياض لا جرم قدَّم توصيفه بالعبوديه على توصيفه بالرِّساله، و إنّما قلنا إنّ درجه الرِّساله فوق هذه الدَّرجه لأنَّ الرُّسول من يسع قلبه الجانبين و لا يحجب بشهود الحقّ عن الخلق، فهو أكمل ممن يستغرق فيه تعالى غافلا عن خلقه.

و يدلّ على تقدّمها عليها روايه زيد الشَّحام التي مرّت في شرح الفصل الثاني من فصول الخطبه الثانيه فتذكر (الخاتم لما سبق) إن جاز استعمال كلمه ما في ذوى العقول فالمراد بها النّبّيون و المرسلون، و إلّا فالمراد أنّه خاتم لشرعه للشرائع و الأديان السَّابقه.

(و الفاتح لما انغلق) من باب الهدى و طريق الرِّشاد و الجنّه، و إنّما كان منغلقا لغلبيه أمر الجاهليه و اندراس الشَّرايع السَّابقه (و المعلن الحقّ بالحقّ) قال الشَّارح المعتزلى: اى المظهر الحقّ الذى هو خلاف الباطل بالحقّ أى بالحرب و الخصومه يقال حاق فلان فلانا أى خاصمه فخصمه.

أقول: و منه الحاقّه للقيامه قال تعالى: الحاقّه ما الحاقّه، سمّيت بذلك لأنها تحاقّ الكفّار الذين حاقّوا الأنبياء أى خاصموهم هذا، و الأظهر أن يكون المراد بالحقّ الأول الدّين و بالثانى الحقّ المرادف للصدق أى مظهر الدّين بقول حقّ ثابت فى نفس الأمر و بيان صواب.

(و الدّافع جيّشات الابطال) اى لثوران فتن المشركين و اجتماعهم على إطفاء نور الله أو لفتنتهم التى كانت عاده بينهم و استمرت عليها سجيتهم من القتل و الغاره و حرب بعضهم لبعض، فإنّ هذا كلّ امور خارجه عن قانون العداله و قد اندفع ذلك كلّ بميامن قدومه صلوات الله عليه و آله.

(و الدّامغ صولات الأضاليل) أى المهلك لسطوات الضّلالات و قامع هيبات أهل

الضلال المنحرفين عن سبيل الله و سبيل الرشاد إلى الفساد (كما حمل فاضطلع) معناه على جعل الكاف بمعنى اللام: اجعل شرايف صلواتك عليه لأجل أنه حمل أعباء الرسالة فنهض بها قويا، و على جعلها بمعناها الأصلية صل عليه صلاه مناسبة مشابهة لتحميلك له الرسالة إذ الجزء من الحكيم العدل لا بد أن يكون مناسبا للعمل المجزى عليه.

(قائما بأمرك مستوفزا في مرضاتك) أي مستعجلا في تحصيل رضاء الله سبحانه و رضوانه غير بطيء فيه حاثا نفسه عليه (غيرنا كل عن قدم و لا-واه في عزم) أراد كونه غير جبان عن التقدّم فيما يلزمه التقدم فيه و لا متوان في الاتيان بما عزم عليه (واعيا لوحيك) ضابطا له قوئ النفس على قبوله (حافظا لعهدك) المأخوذ عليه في تبليغ الرسالة و أداء الامانه (ماضيا على انفاذ امرك) مصرا في إجرائه و في جذب الخلق إلى سلوك سبيل الآخرة.

(حتى) انتهى في اصراره في هدايه الخلق و جذبهم إلى الآخرة إلى النّهايه و بلغ الغايه ف (أورى قبس القابس) أي أخرج نور الحقّ و أشعله لطالبيه و المقتبسين له (و أضاء الطريق) طريق الجنّه و الصّراط المستقيم (للخابط) في ظلمات الجهل السالك على غير جادّه واضحه.

(و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن) و الآثام اللانزمه عما اجترحته من السيئات (و أقام موضحات الأعلام) أي الأدله الواضحه على الحقّ التي هي كالأعلام المستدلّ بها على الطريق (و نيرات الأحكام) أي الأحكام الشرعيه و التكاليف الالهيه ذوات النور المستنبطه من الأدله الواضحه.

(فهو أمينك المأمون) أي ائتمنه على وحيه و رسالته و المأمون تأكيد للامين (و خازن علمك المخزون) أراد به علمه الذي لا يقدر على حمله عموم الخلق و هو المشار إليه بقوله: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ».

روى سدير قال: سمعت حمran بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام و يقول أرايت

قوله: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا»، فقال له أبو جعفر عليه السلام «إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»، و كان و الله محمّد ممن ارتضاه و أما قوله «عَالِمُ الْغَيْبِ»، فإنّ الله تبارك و تعالى عالم بما غاب عن خلقه ممّا يقدر من شىء و يقضيه فى علمه فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيه فيقضيه إذا أراد و يبدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذى يقدره الله و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول الله ثمّ الينا.

(و شهيدك يوم الدين) يحتمل أن يكون المراد بذلك شهادته على امّته و شهادته على أئمة الدين خصوصا و جميع الحجج الذين لم يخل الله سبحانه ارضه منهم من لدن آدم إلى آخر الدهر و قد ورد الاحتمالات الثلاثة فى أخبار أهل البيت و مثل كلامه قوله تعالى فى سورة النحل:

«وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ».

و فى سورة البقرة: «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا».

و فى سورة النساء: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا».

قال الطبرسى فى تفسير هذه الآية إنّ الله يستشهد يوم القيامة كلّ نبيّ على امّته فيشهد لهم و عليهم و يستشهد نبينا على امّته.

و فى البحار فى الأخبار ما يدلّ على أنّ حجّه كلّ زمان شهيد على أهل ذلك الزمان و نبينا صلّى الله عليه و آله شهيد على الشهداء.

و فيه من الكافى باسناده عن سماعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: فى قول

«فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا».

نزلت في أمّة محمّدٍ خاصه في كلّ قرن منهم إمام منا شاهد عليهم و محمّدٍ شاهد علينا قال المجلسيّ يمكن أن يكون المراد تخصيص الشّاهد و المشهود عليهم جميعا بهذه الامه فيكون المراد بكل أمّه في الآية كلّ قرن من تلك الامه واحد من الأئمّه عليهم السّلام شاهدا على من في عصرهم من هذه الامه و على جميع من مضى من الامم، و الأوّل أظهر لفظا و الثاني معنا و إن كان بحسب اللفظ يحتاج إلى تكلفات أقول: و يدلّ على الوجه الأوّل ما عن تفسير فرات بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السّلام في تفسير الآية الثانيه قال: منا شهيد على كلّ زمان علىّ بن أبي طالب في زمانه و الحسن في زمانه و الحسين في زمانه و كلّ من يدعو منا إلى أمر الله.

و على الثاني ما عن تفسير علىّ بن إبراهيم في تفسير الآية الثانيه أيضا باسناده عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن تفسير هذه الآية قال نحن الامه الوسط و نحن شهداء الله على خلقه و حجّته في أرضه.

و ما عن بصائر الدّرجات باسناده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّ الله طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجّته في أرضه و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا يفارقنا.

و على هذا فمعنى كونهم شهيدا أنّهم عليهم السلام يشهدون على الأنبياء أنّ الله أرسلهم و يشهدون للأنبياء أنّهم بلغوا رسالات ربّهم و يشهدون لمن أجابهم و أطاعهم بأجابته و اطاعته و على من خالفهم و عصاهم بمخالفته و عصيانه و يشهدون على محمّد أنّ الله أرسله و يشهدون له أنّه بلغ ما امر بتبليغه و على امتّه و لهم كذلك و يشهد رسول الله عليهم بما حملهم من أمر الخلافه و لهم بما أدّوا ما حملوا و لمن أجاب بما أجاب و لمن عصى بالعصيان هذا.

و غير خفي على الفطن العارف أنَّ الشَّهاده لما كانت مشروطه بالعلم و اليقين و من ذلك أنَّ رسول الله أرى للشَّاهد الشَّمس و قال على مثل هذا فاشهد أودع، فاللزام من كونهم صلوات الله عليهم شهداء على النَّاس أن يكونوا عالمين بأعمال النَّاس غير غائبين عنها، و يستفاد ذلك من الأخبار و هي على قسمين.

احدهما ما دلَّت على أنَّه سبحانه أعطى الامام عمودا من نور يرى فيه أعمال الخلاق كرؤيه الشَّخص في المرات و أنَّ الدُّنيا بأسرها و ما فيها عند الامام كالدرهم في يد أحدكم يقلِّبه كيف شاء.

فمن ذلك ما في البحار من بصائر الدَّرجات عن معاويه بن حكيم عن أبي داود المسترقِّ عن محمَّد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: إنَّ الامام يسمع الصَّوت في بطن امه فاذا بلغ أربعه أشهر كتب على عضده الأيمن:

«و تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ».

فاذا وضعت امه سطع له نور ما بين السَّماء و الأرض فاذا درج رفع له عمود من نور يرى ما بين المشرق و المغرب.

و منه باسناده عن ابن زبَّيان عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: إنَّ الامام لسمع في بطن امه فاذا ولد خطَّ على منكبيه، ثم قال هكذا بيده فذلك قول الله تعالى:

«و تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ».

و جعل له في كلِّ قربه عمودا من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها.

و عن محمَّد بن الفضيل عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السَّلام الامام يسمع الكلام في بطن امه فاذا سقط إلى الأرض نصب له عمود في بلاده و هو يرى ما في غيرها.

و عن محمَّد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول: إنَّ الامام يسمع في بطن امه فاذا ولد خط بين كتفيه:

«وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ».

فاذا صار الأمر إليه جعل الله له عمودا من نور يبصر به ما يعمل به أهل كل بلده.

و عن إسحاق القمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام ما قدر الامام؟ قال يسمع في بطن امّه فاذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوبا:

«وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

ثم يبعث أيضا له عمودا من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلاق كلّها، ثم ينشعب له عمود آخر من عند الله إلى اذن الامام كلّما احتاج إلى مزيد افرغ فيه افراغا.

أقول: و العمود الآخر ما اشير إليه في روايه صالح بن سهل.

عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: كنت جالسا عنده فقال لى ابتداء منه: يا صالح بن سهل إنّ الله جعل بينه وبين الرّسول رسولا و لم يجعل بينه وبين الامام رسولا، قال:

قلت: و كيف ذاك؟ قال: جعل بينه وبين الامام عمودا من نور ينظر الله به إلى الامام و ينظر الامام به إليه فاذا أراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه.

قال المحدث المجلسي: نظر الله تعالى إليه كناية عن إفاضاته عليه و نظره إليه كناية عن غايه عرفانه.

و القسم الثانی من الأخبار ما دلّت على عرض أعمال العباد على النبی صلی الله عليه و آله و على الأئمه عليهم السلام و إلى ذلك اشير في الكتاب العزيز:

قال تعالى: «وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

روى فى البحار من تفسير على بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الحسن الصفار عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما من مؤمن يموت أو كافر يوضع فى قبره حتى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله و على أمير المؤمنين عليه السلام و هلم جراً إلى آخر ما فرض الله طاعته فذلك قوله:

«وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ».

و عنه عليه السلام قال: إن أعمال العباد يعرض على رسول الله كل صباح أبراها و فجأرها فاحذروا فليستحى أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح.

و من بصائر الدرجات باسناده عن معلّى بن خنيس عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله تعالى:

«وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ».

قال: هو رسول الله و الأئمة تعرض عليهم أعمال العباد كل خميس.

و عن محمد بن مسلم و زرارہ قالاً سألتنا أبا عبد الله عليه السلام عن الأعمال تعرض على رسول الله؟ قال ما فيه شك، ثم تلا هذه الآية:

«وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ».

قال إن لله شهداء فى أرضه.

و عن ابن أبى عمير عن غير واحد من أصحابنا عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه حياتى خير لكم و مماتى خير لكم، قالوا: أما حياتك يا رسول الله فقد عرفناه، فما فى وفاتك؟ قال: أما حياتى فإن الله يقول: و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون، و أما وفاتى فتعرض على أعمالكم فأستغفر لكم.

و عن داود الرقى قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فقال يا داود أعمالكم عرضت على يوم الخميس فرأيت لك فيها شيئاً فرحنى و ذلك صلتك لابن عمك أما

أنّه سيمحق أجله ولا ينقص رزقك، قال داود: و كان لى ابن عمّ ناصب كثير العيال محتاج، فلما خرجت إلى مكّه أمرت له بصله، فلما دخلت على أبى عبد الله عليه السّلام أخبرنى بهذا هذا.

و قد تحصيل مّا ذكرنا كلّ اطلاع النبى و اطلاع الأئمة على جميع أفعال النّاس و أعمالهم من خير أو شرّ و أنّه لا تفاوت فى ذلك بين حالتى الموت و الحياه فان قلت: ما فايده تلك الشّهاده و ما ثمره عرض الأعمال عليهم و اطلاعهم بذلك و النّاس كلّهم يرّدون إلى عالم الغيب و الشّهاده و يتبنّهم بما كانوا يعملون.

قلت: ثمره ذلك أنّ النّاس إذا علموا أنّ لهم شهداء و رقباء و كتابا يكتبون ما يفعلون لا يغادرون صغيره و لا كبيره و أنّ النبى و الأئمة يعرض عليهم الأعمال و يطلعون بما يعملون كان ذلك رادعا للنّفس الاماره عن الانهماك فى الشّهوات و مانعا لها عن متابعه الأهواء و اللذات، فلا بدّ للعاقل البصير أن ينظر إلى عمله و يحذر من عرض عمله القبيح على نبيّه و أئمّته و يستحى من ذلك و لا يفعل ما يوجب مسائه حالهم و استحيائهم من الله سبحانه من قبائح أعمال شيعتهم و الله ولىّ التوفيق.

(و بعثك بالحقّ و رسولك إلى الخلق) أراد كونه مبعوثا بالدين الثابت الباقي نفعه إلى الخلق و رسولا إليهم، و هذان الوصفان كسائر الأوصاف المذكوره فى هذا الفصل إشاره إلى جهات استحقاق الصّلاه و الرّحمه.

الفصل الثالث

فى أنواع المدعوّ به

، و إليها الاشاره بقوله (اللهمّ افسح له مفسحا فى ظلّك) أى مكانا متّسعا فى حظيره قدسك، و الظلّ إمّا استعاره للجود و الافضال و وجه الشّبه استراحه المستظلّ بالظلّ من حراره الشّمس و كذلك الملتجى إلى جود الله سبحانه و افضاله يستريح بجوده تعالى من شديد العذاب الاليم و حرّ نار الجحيم، و يحتمل أن يكون المراد معناه الحقيقى كما فى قوله تعالى:

«و أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَ طَلْحٍ

قال فى مجمع البيان أى دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول، و قد ورد فى الخبر أنّ فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلّها مائة سنة لا يقطعها، و روى أيضا أنّ أوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيها حرّ و لا برد.

(و اجزه مضاعفات الخير من فضلك) أراد به أن يضاعف له الكمالات من نعمه إذ مراتب استحقاق نعمه سبحانه غير متناهية (اللهم و اعل على بناء البانين بناءه) المراد بالبانين إمّا الأنبياء و ببنائهم ما شيّدوه من أمر الدّين فيكون المقصود بالدّعاء علوّ دينه و ظهوره على الدّين كله و لو كره المشركون، و إمّا مطلق عباد الله الصّالحين البانين بأعمالهم الصّالحة غرفا فى الجنة و قصورا فيها فيكون المقصود علوّ منزله على سائر المنازل (و اكرم لديك منزلته) بانزاله المنزل المبارك الموعود و هو سبحانه خير المنزلين، قال تعالى مخاطبا لنوح:

«وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ».

(و اتمم له نوره) المراد بذلك اتمام نوره يوم القيامة بحيث يطفى سائر الأنوار و هو النّور الذى يسعى بين أيدي الامه حتّى ينزلوا منازلهم فى الجنة، و إليه الاشاره فى قوله.

«يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قال الطبرسى: يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم على الصّراط يوم القيامة و هو دليلهم إلى الجنة و يريد بالنّور الصّياء الذى يروونه و يمرّون فيه عن قتاده، و قيل نورهم هداهم عن الضّحّاك قال قتاده: إنّ المؤمن يضىء له نور كما بين عدن إلى صنعا و دون ذلك حتّى أنّ من المؤمنين من لا يضىء له نوره إلّا موضع قدميه.

قال الشّارح المعتزلى: قد روى أنّه يطفى سائر الأنوار إلّا نور محمّد، ثمّ يعطى المخلصون من أصحابه أنوارا يسيره يبصرون بها مواطىء الأقدام فيدعون الله

بزياده تلك الأنوار و إتمامها، ثم إنَّ الله يتم نور محمد فيستطيل حتى يملأ الآفاق فذلك إتمام نوره.

(و اجزه من انبعاثك له مقبول الشَّهاده و مرضى المقاله) أراد به أن يجزيه الله سبحانه من بعثته له الشَّهاده المقبوله عنده و المقاله المرضيه لديه بأن يكون شهادته صلى الله عليه و اله و سلم على امته و غيرها نافذه و شفاعته فيهم ماضيه حالكونه (ذا منطق عدل و خطه فصل) أى صاحب نطق عادل و خصله فاصله بين الحق و الباطل او ذا قول(1) غير هازل كما قال تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ».

و المطلوب بهذه الاعتبارات كلها على اختلاف مفاهيمها أمر واحد و هو زياده كمالاته صلى الله عليه و آله و قربه من الله سبحانه، ثم إنَّه عليه السلام بعد الصَّلاه على الرسول دعا لنفسه و للمؤمنين من خالصى شيعته بقوله (اللهم اجمع بيننا و بينه فى برد العيش) الذى لا كلفه فيها من الحرب و الخصومه (و قرار النعمه) مستقرها فى الحضرة الربوبيه (و منى الشهوات) فى حظيره القدس (و أهواء اللذات) فى الجنه العاليه، و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين (و رخاء الدَّعه و منتهى الطمأنينه) أى سعه سكون النَّفس و نهايه اتساع عيشها فى دار الخلد (و تحف الكرامه) المعدّه لأهل اليقين من أولياء الله المقربين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

تنبيهات

الاول

الصَّلاه على النبى صلى الله عليه و آله ممَّا أمر الله تعالى به و حثَّ عليه بقوله:

«إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

و ينبغى لنا أن نحقق الكلام فى ذلك و نذكر ما أتى به الفاضل المقداد صاحب كنز العرفان فى تفسير هذه الآيه و ما يرتبط عليها و نفصل بعض ما أجمله قدس الله روحه.

ص: ٢٠٤

١- (١) التريديد على روايه خطبه فصل بالباء كما اشرنا اليه فى بيان اللغه منه.

قال «ره» قرء شاذاً برفع ملائكتته فقال الكوفيون بعطفها على أصل إنَّ و اسمها و قال البصريون مرفوعه بالابتداء و خبر إنَّ محذوف أى إنَّ الله يصلّى و ملائكتته يصلّون فحذف للقرينه و نظايره كثيره كقول الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأى مختلف

أى نحن راضون، و الصّلاه و ان كانت من الله الرّحمة فالمراد بها هنا هو الاعتناء باظهار شرفه و رفع شأنه، و من هنا قال بعضهم تشریف الله محمّدا بقوله:

«إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ».

أبلغ من تشریف آدم بالسّجود له و التسليم، قيل المراد به الانقياد كما فى قوله:

«فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَجًا مِّمَّا قُضِيَتْ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

و قيل هو قولهم: السّلام عليك أيها النبىّ قاله الرّمخسرى و القاضى فى تفسيرهما و ذكره الشّيخ فى تبيانه و هو الحقّ لقضيه العطف و لأنّه المتبادر إلى الفهم عرفا و لروايه كعب الآتيه و غيرها إذا تقرّر ذلك فهنا

فوايد

الاولى

ذهب أصحابنا و الشّافعى و أحمد إلى وجوب الصّلاه على النبىّ فى الصلاه خلافا لمالك و أبى حنيفه فأنّهما لم يوجباها و لم يجعلها شرطاً فى الصّلاه و استدلّ بعض الفقهاء بما تقريره.

شئ من الصّلاه على النبىّ واجب و لا شئ من ذلك فى غير الصّلاه بواجب ينتج أنّها فى الصّلاه واجب، أمّا الصّغرى فلقوله تعالى: صلّوا، و الأمر حقيقه فى الوجوب، و أمّا الكبرى فظاهره، و فيه نظر لمنع الكبرى كما يجىء و حينئذ فالأولى الاستدلال على الوجوب بدليل خارج.

أمّا من طرقهم فما روه عن عائشه قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم يقول: لا تقبل صلاه الا بطهور و بالصّلاه على، و كذا عن أنس عن النبىّ صلّى الله عليه و اله و سلّم قال: إذا صلّى

أحدكم فليبدأ بحمد الله ثم ليصل على.

و من طرقنا ما رواه أبو بصير و غيره عن الصادق عليه السلام قال: من صلى و لم يصل على النبي و تركه متعمدا فلا صلاه له، حتى أن الشيخ جعلها ركنا في الصلاه فان عنى الوجوب و البطلان بتركها عمدا فهو صحيح و إن عنى تفسير الركن بأنه ما يبطل الصلاه بتركه عمدا و سهوا فلا.

الثانيه

قال علمائنا اجمع: إن الصلاه على النبي صلى الله عليه و اله و سلم واجبه في التشهدين و به قال أحمد، و قال الشافعي: مستحبته في الأول واجبه في الآخر، و قال مالك و أبو حنيفة: مستحبته فيهما، دليل أصحابنا روايات كثيره عن أئمتهم عليهم السلام.

الثالثه

هل تجب الصلاه على النبي في غير الصلاه أم لا، ذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مره، و قال الطحاوي: كلما ذكر، و اختاره الزمخشري، و نقل عن ابن بابويه من أصحابنا، و قال بعضهم: في كل مجلس مره، و المختار الوجوب كلما ذكر لدلاله ذلك على التثويه (١) برفع شأنه و الشكر لاحسانه المأمور بها، و لأنه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضا و هو منهى عنه في آيه النور.

أقول: و أشار بها إلى قوله سبحانه: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً» و لما روى عنه صلى الله عليه و اله و سلم: من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله، و الوعيد أماره الوجوب.

و روى أنه قيل له: يا رسول الله أرأيت قول الله إن الله و ملائكته يصلون على النبي؟ فقال: هذا من العلم المكنون و لو لا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله عز و جل و كل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصل على إلا قال له ذلك الملكان غفر الله لك، و قال الله و ملائكته: آمين، و لا- اذكر عند مسلم فلا- يصل على إلا- قال له الملكان: لا غفر الله لك و قال الله و ملائكته: آمين.

أقول: و مثل ذلك في إفاده الوعيد ما رواه الصيّدوق في عقاب الأعمال باسناده عن محمد بن هارون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا صلى أحدكم و لم يصل على النبي

ص: ٢٠٦

خطيء به طريق الجنه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: من ذكرت عنده فنسى الصلاه على خطيء به طريق الجنه قال (ره): و أمّا عند عدم ذكره صلوات الله عليه فيستحب استحبابا مؤكدا، لتظافر الروايات أنّ الصلاه عليه وآله تهدم الذنوب و توجب اجابه الدعاء المقرون بها.

الرابعه

روى كعب بن عجره قال: لما نزلت الآية قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاه عليك؟ فقال قولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد، و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد، و على هذا الحديث سؤال مشهور بين العلماء ذكرناه في نضد القواعد و ذكرنا ما قيل في أجوبته من أراد و وقف عليه هناك.

أقول: و لا يحضرني كتاب نضد القواعد حتّى نقف على ما ذكره و لعلّ المراد بالسؤال المشهور ما ذكره من أنّ التشبيه يقتضى أن يكون المشبه به أقوى من المشبه فيلزم أن يكون التشبيه الواقع فيه من باب إلحاق الناقص بالكامل، و اجيب تاره بأن التشبيه لبيان حال من يعرف بمن لا يعرف، و ثانيه بأن التشبيه في أصل الصلاه لا في قدر الصلاه، و ثالثه بأن معناه: اجعل لمحمد صلاه بمقدار الصلاه لإبراهيم و آلهم و في آل إبراهيم خلايق لا يحصون من الأنبياء، و ليس في الله نبي فطلب إلحاق جملة فيها نبي واحد بما فيه الأنبياء، و ربّما اجيب باجوبه اخر و لا حاجه إليها و الأظهر الأوسط.

الخامسه

دلّ حديث كعب المذكور على مشروعيت الصلاه على الآل تبعاً له صلى الله عليه وآله، و عليه اجماع المسلمين، و هل يجوز عليهم لا تبعاً بل افراداً كقولنا: اللهم صل على آل محمد بل الواحد منهم لا غير أم لا؟ قال أصحابنا: بجواز ذلك، و قال الجمهور:

بكرهته لأنّ الصلاه على النبي صارت شعاراً فلا يطلق على غيره و لا يهامه الرّفص و الحقّ ما قاله الأصحاب لوجه.

الأول قولى تعالى مخاطباً للمؤمنين كافه: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ»

و هو نصّ في الباب.

الثاني قوله تعالى: «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ» و لا ريب أنّ أهل البيت أصيبوا بأعظم المصائب الذي من جملتها اغتصابهم مقام امامتهم.

أقول: و هذا الدليل لعلّه مأخوذ من العلامة قدس الله روحه و قد حكى في لؤلؤة البحرين من كتاب حياه القلوب أنّه قدّس الله سرّه ناظر أهل الخلاف في مجلس سلطان محمّد خدا بنده أنار الله برهانه و بعد إتمام المناظره و بيان حقيّه مذهب الاماميه الاثنى عشرية خطب قدّس الله لطفه خطبه بليغه مشتمله على حمد الله و الصّلاه على رسوله و الأئمه عليهم السّلام.

فلما سمع ذلك السيّد الموصلى الذي هو من جمله المسكوتين بالمناظره قال ما الدليل على جواز توجيه الصّلاه على غير الأنبياء؟ فقرأ الشيخ العلامة في جوابه بلا انقطاع الكلام: الذين إذا أصابتهم مصيبه، الآيه فقال الموصلى بطريق المكابره:

ما المصيبه التى أصابت إليهم حتّى أنّهم يستوجبون بها الصّلاه؟ فقال الشيخ: من أشنع المصائب و أشدّها أن حصل من ذراريهم مثلك الذى ترجّح المنافقين الجهّال المستوجبين للعه و النكال على آل رسول المتعال، فاستضحك الحاضرون و تعجّبوا من بداهه آيه الله فى العالمين و قد انشد بعض:

إذ العلوىّ تابع ناصبيّا بمذهبه فما هو من أبيه

و كان الكلب خيرا منه قطعاً لأنّ الكلب طبع أبيه فيه

الثالث أنّه لما أتى أبوا و فى بركاته قال النّبىّ صلّى الله عليه و اله و سلّم: اللهم صلّ على أبى أوفى و آل أبى أوفى، فيجوز على أهل البيت بطريق أولى.

الرّابع أنّ الصّلاه من الله بمعنى الرّحمه و يجوز الرّحمه عليهم إجماعاً فيجوز مراد فيها لما تقرّر فى الاصول من أنّه يجوز إقامه احد المترادفين مقام الآخر الخامس قولهم إنّ صار شعارا للرسول قلنا مصادره على المطلوب، لأنّها كما

دلت على الاعتناء برفع شأنه كذلك تدلّ على الاعتناء برفع شأن أهله القائمين مقامه فيكون الفرق بينه وبينهم وجوبها في حقه صلى الله عليه وآله كلّما ذكر كما اخترناه.

أقول: التفريق بذلك غير خال عن التأمل.

فان قلت: عادة السلف قصره على الأنبياء.

قلت: العادة لا يختص كما تقرّر في الأصول، هذا مع أنّ من أعظم السلف الباقر وصادق عليهما السلام، و لم يقلوا بذلك.

السادس أنّ قولهم: إنّ ذلك يوهّم الرّفص تعصّب محض و عناد ظاهر، نظير قولهم من السنه تسطيح القبور لكن لما اتخذته الرافضة شعارا لقبورهم عدلنا منه إلى التسليم، فعلى هذا كان يجب عليهم أنّ كلّ مسألة قال بها الاماميه أن يفتوا بخلافها و ذلك محض التعصّب و العناد، نعوذ بالله من الأهواء المضلّة والآراء الفاسده.

السادس

مذهب علمائنا أجمع أنه يجب الصلاه على آل محمّد في التشهدين، و به قال بعض الشافعيه، و في إحدى الروايتين عن أحمد، و قال الشافعي بالاستحباب لنا روايه كعب و قد تقدّمت في كيفية الصلاه عليه و إذا كانت الصلاه عليه واجبه كانت كيفيتها أيضا واجبه.

و روى كعب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقول ذلك في صلاته و قال: صلّوا كما رأيتموني أصليّ.

و عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السّلام عن ابن مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من صلى صلاه و لم يصل فيها عليّ و على آلي و أهل بيتي لم يقبل منه.

السابع

الآل الذين يجب الصلاه عليهم في الصلاه و يستحبّ في غيرها هم الأئمه المعصومون، لا طباق الأصحاب على أنهم هم الآل و لأنّ الأمر بذلك مشعر بغايه التعظيم المطلق الذي لا يستوجه إلا المعصوم، و أما فاطمه عليها السلام فتدخل أيضا لأنها بضعه منه.

الثاني

قال الجمهور: الصلاه من الله الرّحمه و من الملائكه الاستغفار و من الآدميين

الدعاء، و استبعد تاره باقتضائه كونه مشتركاً لفظياً و الأصل العدم، و اخرى بأننا لا نعرف في العرييه مسندا واحدا يختلف معناه باختلاف المسند إليه إذا كان الاسناد حقيقيا، و ثالثه بأن الرحمه فعلها متعد و الصلاه فعلها قاصر و تفسير القاصر بالمتعدى غير مناسب، و رابعه بأنه لو قيل مكان صلى عليه دعا عليه انعكس المعنى و لو كانا مترادفين صح حلول كل منهما محل الآخر.

و قال المحققون: إنه لغه بمعنى العطف و العطف بالنسبه إلى الله الرحمه اللايقه و إلى الملائكه الاستغفار و إلى آدميين دعاء بعضهم لبعض، قال السهيلي:

الصلاه كلها و إن اختلفت معانيها راجعه إلى أصل واحد فلا- تظنها لفظ اشتراك و لا- استعاره إنما معناها العطف و يكون محسوسا و معقولا انتهى. فعلى ما ذكره يكون مشتركاً معنويا و هو أولى من الاشتراك اللفظي إذا دار الأمر بينه و بينه

الثالث

قال الشهيد الثاني نور الله مضجعه في الزوضه غايه السؤال بالصلاه عايده إلى المصلى لأن الله تعالى قد أعطى نبيه من المنزله و الزلفى لديه ما لا يؤثر فيه صلاه مصل كما نطقت به الأخبار و صرح به العلماء الأخيار.

أقول: أما انتفاع المصلى بالصلاه و استحقاقه بها الثواب الجزيل و الجزاء الجميل فمما لا غبار عليه و ستطلع على ذلك في التنبيه الآتي، و أما عدم تأثيره في حقه صلوات الله عليه و آله فممنوع، لأن مراتب القرب إليه تعالى و الزلفى لديه غير متناهيه فيجوز أن يوجب كل صلاه عليه الارتقاء من مرتبه إلى مرتبه فوقها.

فان قلت: يستلزم ذلك أن يكون صلوات الله عليه ناقصا في ذاته و مرتبته مستكملا بالصلاه و الدعاء.

قلت: إن أردت نقصه بالنسبه إلى الواجب فمسلم و لا- ضير فيه و إن أردت النقص بالنسبه إلى الموجودات الممكنه فلا بيان ذلك أنه أفضل الموجودات و أشرف المجعولات و أكمل المخلوقات، لا موجود سواء إلا و هو دونه و لا مجعول غيره إلا و هو ناقص بالنسبه إليه، لكنّه صلوات الله عليه و آله مع ذلك كله ممكن

محتاج فى وجوده و بقائه و استكمال ذاته إلى الواجب تعالى و هو قديم و فيضه غير متناه، و هو قابل بذاته لكسب الفيوضات و ازدياد الدرجات و هو تعالى ولّى الخيرات و الحسنات، و هو على كلّ شىء قدير هذا.

و قد عثرت بعد ما حققت المقام على كلام المحدث العلامة المجلسى فى هذا المرام ذكره فى كتاب مرآت العقول على بسط و تفصيل فأحببت نقل ما أورده لتضمّنه فوايد ستيه.

قال «ره»: اختلف العلماء فى أنّه هل ينفعهم الصّلاه شيئا أم ليس إلّا لانتفاعنا فذهب الاكثر إلى أنّهم صلوات الله عليهم لم يبق لهم كمال منتظر بل حصل لهم جميع الخصال السّنيه و الكمالات البشريه و لا يتصوّر للبشر أكثر مما منحهم الله تعالى، فلا يزيدهم صلواتنا عليهم شيئا بل يصل نفعها إلينا و إنّما أمرنا بذلك لظهار حبّهم و ولائهم، بل هى إنشاء لظهار الاخلاص و الولاء لنا، و ليس الغرض طلب شىء لهم.

و يترتب عليه أن يفيض الله علينا بسبب هذا الاظهار فيوضه و مواهبه و عطاياه كما أنّه إذا كان لأحد محبوب يحبه حبا شديدا و قد أعطاه كلّما يمكن فاذا كان لرجل حاجه عند المحب يتقرّب إليه بالثناء على محبوبه و طلب شىء له تقرّبا إليه باظهار حبه و تصويبه فى إكرامه و أنّه مستحقّ لما أعطاه حقيق بما أولاه.

و هذا الكلام عندى مدخول بل يمكن توجيهه بوجه اخر لكلّ منها شواهد من الأخبار.

الأوّل أن تكون الصّلاه سببا لمزيد قربهم و كمالاتهم و لم يدلّ دليل على عدم ترقّيههم إلى ما لا يتناهى من الدرجات العلى فى الآخرة و الاولى، و كثير من الأخبار يدلّ على خلافه كما ورد فى كثير من أخبار التفويض أنّه إذا أراد الله سبحانه أن يفيض شيئا على امام العصر يفيضه أولا على رسول الله ثمّ على امام حثّى ينتهى إلى امام الزمان لثلا يكون آخرهم أعلم من أولهم.

و كما أنّ بيننا و بين موالينا صلوات الله عليهم من أرباب العصمه و الطهاره

درجات غير متناهيه لا- يمكن لأحدنا و إن عرج على معارج القرب و الكمال أن يصل إلى أدنى منازلهم، فكذا بينهم عليهم السلام و بين جناب الالوهيه و ساحه الربوبيه معارج غير متناهيه كَلَّمَا صعدوا بأجنحه الرفعه و الكمال على منازل القرب و الجلال لا تنتهى تلك المعارج و يعدون أنفسهم فى جنب ساحه القدس مثل الذره أو دونها.

و قد افيض على وجه وجهه فى استغفار النبى و الأئمه صلوات الله عليهم يناسب هذا الوجه و هو: أنهم صلوات الله عليهم لما كانوا دائما فى الترقى فى مدارج المعرفه و القرب و الكمال ففى كل آن تحصل لهم معرفه جديده و قرب جليل و كمال عتيد عدوا أنفسهم مقصرين فى المرتبه السابقه فى المعرفه و القرب و الطاعه كانوا يستغفرون منها و هكذا إلى ما لا نهايه لها.

و قد ورد فى الروايات الكثيره أنّ أشرف علومنا علم ما يحدث بالليل و النهار آنا فآنا و ساعه فساعه، و يؤيده ما روى فى تفسير قوله سبحانه: «وَلَعَدْنَا مَرْيَدًا»، أنّ أهل الجنه فى كل يوم جمعه يجتمعون فى موضع يتجلى لهم الرب تبارك و تعالى بأنوار جلاله، فيرجع المؤمن بسبعين ضعفا ممّا فى يديه فيتضاعف نوره و ضياؤه، و هذا كناية عن تضاعف قربه و معرفته.

الثانى أن تكون سببا لزياده المثوبات الاخرويه و إن لم تصر سببا لمزيد قربهم و كمالهم.

و كيف يمنع ذلك عنهم و قد ورد فى الأخبار الكثيره وصول آثار الصّيدقات الجاريه و الأولاد و المصحف و تعليم العلوم و العبادات إلى أموات المؤمنين و المؤمنات و أى دليل دلّ على استثنائهم عن تلك الفضائل و المثوبات، بل هم آباء هذه الامه المرحومه و الامه عبيدهم و ببركتهم فازوا بالسّعادات و نجوا من المهلكات، و كَلَّمَا صدر عن الامه من خير و سعادته و طاعه يصل إليهم نفعها و بركتها و لا منقصه لهم فى ذلك مع أنّ جميع ذلك من آثار مساعيهم الجميله و أياديهم الجليله.

الثالث أن تصير سببا لأموال تنسب إليهم من رواج دينهم و كثره امتهم و استيلاء

قائمهم و تعظيمهم و ذكرهم فى الماء الأعلى بالجميل و بالتفخيم و التبجيل.

و قد ورد فى بعض الأخبار فى معنى السَّلام عليهم: أنَّ المراد سلامتهم و سلامه دينهم و شيعتهم فى زمن القائم عليه السَّلام، انتهى كلامه رفع مقامه.

الرابع

فى فضيله الصَّلاه و ثوابها، و الأخبار فى ذلك كثيره لا تحصى.

فمنها ما فى ثواب الأعمال للَّصَّيدوق باسناده عن عباس بن ضميره عن أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: الصَّلاه على النَّبى و آله صَلَّى الله عليه و اله و سلَّم أمحق للخطايا من الماء إلى النَّار و السَّلام على النَّبى و آله أفضل من عتق رقاب و حبَّ رسول الله أفضل من مهج الأنفس أو قال ضرب السيوف فى سبيل الله.

و عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السَّلام قال: إذا ذكر النَّبى صَلَّى الله عليه و اله و سلَّم فأكثرُوا الصَّلاه عليه فأنَّه من صَلَّى على النَّبى صلاه واحده صَلَّى الله عليه ألف صلاه فى ألف صفٍّ من الملائكه و لم يبق شىء ممَّا خلق الله إلَّا صَلَّى على ذلك العبد لصلاه الله عليه و صلاه ملائكته، و لا يرغب عن هذا إلَّا جاهل مغرور قد برىء الله منه و رسوله، و رواه أيضا فى جامع الأخبار كالكلينى فى الكافى نحوه.

و عن أبى البخترى عن جعفر بن محمَّد عن أبيه عن آبائه عليهم السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و سلَّم: أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصَّلاه علىَّ حتَّى أثقل بها حسناته، و رواه فى جامع الأخبار مثله.

و عن عبد السَّلام بن نعيم قال: قلت لأبى عبد الله عليه السَّلام: إننى دخلت البيت فلم يحضرنى شىء من الدَّعاء إلَّا الصَّلاه على النَّبى صَلَّى الله عليه و آله فقال عليه السَّلام و لم يخرج أحد بأفضل ممَّا خرجت.

و عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين علىَّ بن أبى طالب عليه السَّلام: كلَّ دعاء محجوب عن السَّماء حتَّى يصلَّى على محمَّد و آله.

و عن الصَّيِّب بن سياه عن أبى عبد الله عليه السَّلام قال: ألا أعلمك شيئا يقى الله وجهك من حرِّ جهنم؟ قال: قلت: بلى، قال: قل بعد الفجر: اللهم صلِّ على محمَّد و آل محمَّد

مأته مره يقى الله به وجهك من حر جهنم.

و عن محمد بن أبى عمير عن أخبره، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: وجدت فى بعض الكتب: من صلى على محمد وآل محمد كتب الله له مأته حسنه، و من قال صلى الله على محمد و أهل بيته كتب الله له ألف حسنه.

و عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الرضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله من صلى على يوم الجمعة مأته صلاه قضى الله له ستين حاجه ثلاثون للدنيا و ثلاثون للآخرة.

و عن أبى المغيرة قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: من قال فى دبر صلاه الصبح و صلاه المغرب قبل أن يثنى رجله أو يكلم أحدا: إن الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما اللهم صل على محمد و ذريته قضى الله له مأته حاجه سبعين «سبعون» فى الدنيا و ثلاثين «ثلاثون» فى الآخرة، قال: قلت: ما معنى صلوات الله و صلوات ملائكته و صلوات المؤمن؟ قال: صلوات الله رحمه من الله و صلوات الملائكة تزكيه منهم له، و صلوات المؤمنين دعاء منهم له.

و من سر آل محمد فى الصلاه على النبى و آله: اللهم صل على محمد و آل محمد فى الأولين، و صل على محمد و آل محمد فى الآخرين، و صل على محمد و آل محمد فى الملاء الأعلى، و صل على محمد و آل محمد فى المرسلين اللهم اعط محمد الوسيله و الشرف و الفضيله و الدرجه الكبيره، اللهم إنى آمنت بمحمد و لم أره فلا تحرمنى يوم القيامه رؤيته، و ارزقنى صحبتته و توفنى على ملته و اسقنى من حوضه مشربا «شرباخ» روى سائغا هنيئا لا ظمأ بعده أبدا إنك على كل شىء قدير اللهم كما آمنت بمحمد و لم أره فعرفى فى الجنان وجهه اللهم بلغ روح محمد تحيه كثيره و سلاما.

فان من صلى على النبى بهذه الصلاه هدمت ذنوبه و محيت خطايا و دام سروره و استجيب دعاؤه و اعطى أمله و بسط له فى رزقه و اعين على عدوه و هتئ له سبب أنواع الخير و يجعل من رفقاء نبيه فى الجنان الأعلى، يقولهن ثلاث مرّات غدوه و ثلاث مرّات عشيه.

و عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذات يوم

لأمير المؤمنين: ألا أبشرك؟ قال: بلى بأبى أنت و أمى، فأنك لم تزل مبشرا بكل خير فقال: أخبرني جبرئيل أنفا بالعجب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام و ما العذى أخبرك يا رسول الله؟ قال: أخبرني أن الرجل من امتى إذا صلى على فاتح بالصلاه على أهل بيتى فتحت له أبواب السماء و صلت عليه الملائكه سبعين صلاه و إنه إن كان من المذنبين تحات عنه الذنوب كما تحات الورق من الشجر، و يقول الله تبارك و تعالى:

لبيك عبدى و سعديك يا ملائكتى أنتم تصلون عليه سبعين صلاه و أنا اصلى عليه سبعمائه صلاه، فان صلى على و لم يتبع بالصلاه على أهل بيتى كان بينها و بين السماء سبعون حجابا و يقول الله جلّ جلاله: لا لبيك و لا سعديك يا ملائكتى لا تصعدوا دعائه إلا أن يلحق بالنبى عترته، فلا يزال محجوبا حتى يلحق بى أهل بيتى.

و عن معاوية بن عمار عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من قال فى يوم مائه مرّه ربّ صلّ على محمّد و على أهل بيته، قضى الله له مائه حاجه ثلاثون منها للدنيا، و سبعون منها للآخرة.

و عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ارفعوا أصواتكم بالصلاه علىّ فانها يذهب بالتفاق.

و فى جامع الأخبار عن أبى هريره أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: من صلى علىّ فى كتابه لم يزل الملائكه تصلّى عليه ما دام ذلك مكتوبا إلى يوم القيامة.

و فيه أيضا قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من صلى علىّ مرّه صلى الله عليه ألف مرّه لا يعذّبه «كذا» فى النار أبدا، و قال: من صلى علىّ مرّه فتح الله عليه بابا من العافيه، و قال من صلى علىّ مرّه لم يبق من ذنوبه ذرّه.

و روى عن عبد الله بن مسعود أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: إنّ أولى الناس فى يوم القيامة أكثرهم صلاه، و قال النبى صلى الله عليه و آله فى الوصيه: يا على من صلى كلّ يوم أو كلّ ليلة وجبت له شفاعتى و لو كان من أهل الكباير.

عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه و آله إنّ أقربكم منى يوم القيامة فى كلّ موطن أكثركم علىّ صلاه فى دار الدنيا، و من صلى فى يوم الجمعة أو فى ليلة

الجمعه مائه مرّه قضى الله له مائه حاجه سبعين من حوائج الآخره و ثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يוכל الله له بكلّ صلاه ملكا يدخل فى قبرى كما يدخل أحدكم الهدايا و يخبرنى من صلّى علىّ باسمه و نسبه إلى عشيرته فأثبته عندى فى صحيفه بيضاء.

عن الرضا عليه السلام من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاه على محمد و آله فإنّها تهدم الذنوب هداما.

و قال النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من قال: صلّى الله على محمد و آل محمد أعطاه الله أجر اثنين و سبعين شهيدا و خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه.

روى عن أنس بن مالك عن النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ما من أحد يذكرنى ثمّ صلّى علىّ إلّا غفر الله له ذنوبه و إن كان أكثر من رمل عالج.

و قال صلوات الله عليه و آله: من صلّى علىّ يوم الجمعة مائه مرّه غفر الله له خطيئته ثمانين سنه.

و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: من صلّى علىّ مرّه خلق الله تعالى يوم القيامة على رأسه نورا و على يمينه نورا و على شماله نورا و على فوقه نورا و على تحته نورا، و فى جميع أعضائه نورا.

و قال صلّى الله عليه و آله: لن يلج النار من صلّى علىّ.

و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: الصلاه علىّ نور على الصراط، و من كان له على الصراط من النور لم يكن من أهل النار.

و فى روايه عبد الرحمن بن عون أنّه قال: جئنى جبرئيل و قال: إنّ لا يصلّى عليك أحد إلّا و يصلّى عليه سبعون ألف ملك و كان من أهل الجنة.

عن أنس عن النبىّ صلّى الله عليه و آله أنّه قال: من صلّى علىّ ألف مرّه لم يمت حتّى يبشّر بالجنّه.

و قال قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من صلّى علىّ و على آلى تعظيما خلق الله من ذلك القول ملكا يرى جناح له بالمغرب و الآخر بالمشرق و رجلاه مغموستان من الأرض السّفلى و عنقه ملتوى تحت العرش، فيقول الله عزّ و جلّ: صلّ على عبدى كما صلّى

على النبى، فهو يصلّى عليه إلى يوم القيامة إلى غير هذه من الأخبار المتجاوزة عن حدّ الإحصاء.

و الحمد لله الذى جعل صلاتنا عليه و آله و ما خصّنا به من ولايتهم طيبا لخلقنا و طهاره لأنفسنا و تزكیه لنا و كفاره لذنوبنا، و له الشّكر على ما آثرنا بذلك و خصّصنا به دون غيرنا كثيرا كثيرا.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست که تعلیم فرموده خلق را در آن صلوات فرستادن به پیغمبر را.

ای خداوند ما ای گستراننده گستردها چون هفت طبقه زمین و ای نگه دارنده بلند شده ها چون طبقات چرخ برین و ای مجبول نماینده قلبها بر فطرت اصلیه آنها که مجبول نموده قلبهای با شقاوت را بشقاوت و قلبهای با سعادت را بسعادت، بگردان شریف ترین دروهای خود را و بلندترین و افزونترین برکتهای خود بر محمّد بن عبد الله که بنده برگزیده و رسول پسندیده تو است که ختم کننده آن چیزی است که گذشته از پیش از شریعت و ملت، و گشاینده آن چیزیست که بسته شده از باب رشاد و هدایت، و اظهار کننده دین حق است با بیان درست و حق و دفع کننده غلبهای باطلان و شکننده صولتهای گمراهان.

صلوات فرست بر آن حضرت صلواتی که مشابه باشد برسالتی که برداشت آنرا و قوی شد به برداشتن او در حالتی که استاده بود بفرمان تو و صاحب تعجیل بود در تحصیل رضای تو، و در حالتی که جبون نبود از پیشی گرفتن در أداء أوامر شریعت و سست نبود در عزیمت بابلاغ احکام ملت، نگاه دارنده بود وحی تو را، حفظ کننده بود عهد تو را، گذرنده باجاء فرمان تو تا آنکه برافروخت شعله نور حق را بجهه طالبین، و روشن ساخت راه شرع متین را از برای خبط کننده و جاهلین، و هدایت یافته شده بوجود مبارک آن قلبها بعد از غوطه خوردن در فتنها، و بر پا نمود علمهای راه نماینده و احکام روشنی دهنده را.

پس او امین تو است و خزینه دار علم مخزون و سرّ مکنون تو، و شاهد تو است در روز جزا و فرستاده تو بسوی خلق بار خدایا گشاده گردان از برای آن حضرت مکان با وسعت در سایه کشیده خود، و جزا بده او را زیادتیه‌های خیر را از فضل و رحمت خود.

بار خدایا بلند گردان بر بنای بانیان بنای او را که عبارتست از دین مبین و شرع متین، و گرامی دار نزد خود منزل او را که جنت عدن است و فردوس برین، و تمام گردان از برای او نور او را که احاطه نماید بهمه خلائیق، و پاداش ده او را از جهه مبعوث نمودن تو او را شهادت پذیرفته شده و گفتار پسندیده در حالتی که او صاحب نطق عادلست و صاحب خصلت جدا کننده میان حق و باطل.

بار خدایا جمع کن میان ما و میان او در خوشی زندگانی و در ثبات نعمت جاودانی و در مطلوبهای آرزوها و در خواهشات لذتها و در گشادگی آسایش و راحت و در پایان آرامی و استراحت و در تحفهای کرامت که معداست و مهیا برای اهل جنت.

و من کلام له علیه السلام قاله لمروان بن الحکم

اشاره

بالبصره و هو الثانی و السبعون من المختار فی باب الخطب

قالوا: اخذ مروان بن الحکم اسیرا یوم الجمل فاستشفع الحسن و الحسین علیهما السلام إلى امیر المؤمنین علیه السلام فکلّمه فیه فخلّی سبیلہ فقالا- له: یبایعک یا امیر المؤمنین. فقال: أو لم یبایعنی بعد قتل عثمان؟ لا حاجه لی فی بیعتہ، إنّها کفّ یهودیّه لو بایعنی بکفّ لغدر بسبّته، أما إنّ له إمره کلعه الکلب أنفه، و هو أبو الأكبش الأربعه، و ستلقی الامه منه و من ولده یوما أحمر.

قال الشَّارح المعتزلي يقال استشفعت فلانا إلى فلان و سألته ان يشفع لى إليه و تشفَّعت إلى فلان فى فلان فشَفَّعنى فيه تشفيعا، و قول النَّاس استشفعت بفلان إلى فلان ليس بذلك الجيد انتهى، و (السَّيِّبَة) بالفتح الاست، و (الامرء) بالكسر مصدر كالاماره و قيل اسم و (لعقه) كسمعه لحسه لعقه و يضم و (كبش) القوم رئيسهم و (الولد) بالتَّحريك مفرد و جمع.

الاعراب

فاعل استشفع فى كلام السَّيِّد راجع إلى مروان، قوله: أنَّها وارد فى مقام التَّعليل لعدم الحاجه و حذف منه الجار، و الضَّمير فيه راجع إلى الكفَّ المفهوم من البيعه لجريان العاده بوضع المبايع كَفَّه فى كفَّ المبتاع، و يهوديَّه بالرَّفع صفه لكفَّ.

المعنى

إشارة

اعلم أنَّ مروان الملعون هو ابن الحكم بن أبى العاص بن اميَّه بن عبد شمس ابن عبد مناف، و كان أبوه الحكم لعنه الله عمَّ عثمان بن عفَّان و قد طرده رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و نفاه عن المدينه مع ابنه مروان، و كان مروان يومئذ طفلا فلم يزالا بالطايف حتَّى ولى عثمان فردَّه إلى المدينه مع ولده.

و اختلف فى السَّيِّب الموجب لنفيه له فقيل: إنَّه يتحیل و يستخفى و يسمع ما يسرَّه رسول الله إلى أكابر الصَّيَّحابه فى مشركى قريش و ساير الكفَّار و المنافقين، و قيل: يتجسَّس على رسول الله و هو عند نساءه و يصغى إلى ما لا يجوز الاطلاع عليه ثمَّ يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء، و قيل: كان يحكيه فى بعض مشيه و بعض حركاته، فقد قيل: إنَّ النَبى صَلَّى الله عليه و آله إذا مشى يتكفَّاء، و كان الحكم بن العاص يحكيه و كان شائئا له حاسدا مبغضا، فالتفت رسول الله يوما فرآه يمشى خلفه يحكى فى مشيته فقال له كذلك فلتكن يا حكم، فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ.

و فى شرح المعتزلى من كتاب الاستيعاب باسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن

العاص أنّ الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يدخل عليكم رجل لعين، قال: و كنت قد رأيت أبى يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل، فدخل الحكم بن أبى العاص.

و عن النّهايّه فى حديث عايشه قالت لمروان: إنّ الله لعن أباك و أنت فضض من لعنه الله أى قطعه و طائفه منها، و رواه بعضهم فظاظه من لعنه الله بظائين من الفظيظه و هو ماء الكرش. و قال الرّمخشري افتظظت الكرش اعتصرت مائها كأنّها عصاره من لعنه الله.

و كيف كان فهو الطريد ابن الطريد، و اللعين ابن اللعين و منافق ابن منافق، و لذلك أنّ الحسنين عليهما السلام لمّا قالاً لأمر المؤمنين عليه السلام إنّّه يبايعك يا أمير المؤمنين فقال (أ و لم يبايعنى بعد قتل عثمان) فغدر و حضر فيمن حضر حرب الجمل (لا حاجه لى فى بيعته إنّها) أى كفّه (كفّ يهوديّه) غادره و النّسبه إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم كما تبه عليه السلام على ذلك بقوله (لو بايعنى بيده لغدر بسبّته) أراد أنّه لو بايع فى الظاهر لغدر فى الباطن و ذكر السّبّه إهانته له.

(أما إنّ له امره كلعقه الكلب أنفه) أشار بذلك إلى قصر مدّه امارته، فقد قيل: أنّه ولى الأمر تسعه أشهر، و قيل: ستّه أشهر، و قيل أربعة أشهر و عشره أيام (و هو أبو الكبش الأربعة) فسّر الأكثر ذلك بنى عبد الملك بن مروان: الوليد، و سليمان، و يزيد، و هشام، و لم يل الخلافه من بنى اميّه و لا من غيرهم أربعة اخوه إلّا هؤلاء.

قال المعتزلى: و عندى أنّه يجوز أن يعنى به بنى مروان لصلبه، و هم عبد الملك الذى ولى الخلافه، و بشر الذى ولى العراق، و محمّد الذى ولى الجزيره، و عبد العزيز الذى ولى مصر، و لكلّ منهم آثار مشهوره (و ستلقى الامّه منه و من ولده يوماً أحمر) أى شديداً و فى بعض النسخ موتاً أحمر و هو كناية عن القتل.

تكملة

هذا الكلام مروى بنحو آخر، و هو ما رواه فى البحار من الخرائج عن

ابن الصَّيير في عن رجل من مراد قال: كنت واقفا على رأس أمير المؤمنين عليه السَّلام يوم البصره إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال: إنَّ لي حاجه فقال ما اعرفني ما الحاجه التي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم؟ قال: نعم اريد أن تؤمنه قال أمنتَه و لكن اذهب و جئني به و لا تجئني به إلَّا رديفا فأنه أذلَّ له.

فجاء به ابن عباس رد فاخلفه كأنه قرد قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: أ تبايع؟ قال:

نعم، و في النَّفس ما فيها قال: الله أعلم بما في القلوب فلما بسط يده لبياعه أخذ كَفَّه عن كفِّ مروان فترها فقال لا حاجه لي فيها إنَّها كفَّ يهوديَّه لو بايعني بيده عشرين مرَّه لنكت باسته، ثم قال:

هيه هيه يابن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمه، كلاً و الله حتَّى يخرج من صلبك فلان و فلان يسومون هذه الامَّه خسفا و يسقونه كاسا مصبره قال المجلسي: قوله فترها، كذا في أكثر النسخ بالياء و الزاء المهمله في القاموس ترَّ العظم و يتَّ تريرا و ترور ابان و انقطع، و قطع كأترَّ و التترتر كالتزلزل و التقلقل، و في بعض النسخ فترها بالتون و الثاء المثلثة أى نفضها، و في بعضها فترها بالتون و الثاء المثناه من التترو هو الجذب بقوَّه و في القاموس يقال لشيء يطرد هيه هيه بالكسر و هي كلمه استراذه أيضا، و في النهايه المعامع شدَّه الموت و الجدَّ في القتال و المعمه في الاصل صوت الحريق و المعمعان شدَّه الحرّ.

أقول: و لعله أراد بقوله كاسا مصبره كاسا مرّا كان فيها صبِرا.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرت است که فرمود از برای مروان بن حکم در شهر بصره، راویان گویند که گرفتند مروان بن حکم را اسیر در روز حرب جمل پس شفیع نمود حسن و حسین علیهما السَّلام را مروان بسوی أمير المؤمنين علیه السَّلام پس سخن گفتند آن دو بزرگوار بآن حضرت در خصوص آن بی اخلاص، پس رها کرد آن را، پس عرض کردند ایشان که بیعت میکند مروان بتو ای أمير مؤمنان پس آن حضرت فرمود که:

آیا بیعت نکرد آن بیدین بعد از کشته شدن عثمان لعین هیچ حاجت نیست مرا در بیعت آن بدبخت، بدرستی که دست آن ملعون دست یهودی است یعنی مثل طائفه یهود مکار و غدار است اگر بیعت کند بمن بدست خود هر آینه غدر کند باد بر خود، یعنی اگر ظاهرا بیعت نماید باطنا نقض آن را خواهد نمود.

آگاه باشد که بدرستی باشد او را امارتی بغایت کوتاه مانند لیسیدن سکه بینی خود را و او است پدر چهار رئیس، مراد عبد الملک و عبد العزیز و بشر و محمد است که همه پسران مروان بودند، و زود باشد که برسند این امت از جانب مروان و از جانب پسران او روز با شدت، مراد قتل و غارتیست که از ایشان صادر شد.

و من کلام له علیه السلام لما عزموا علی بیعه عثمان

اشاره

و هو الثالث و السبعون من المختار فی باب الخطب

لقد علمتم أنّی أحقّ بها من غیری، و و الله لاسلمنّ ما سلمت أمور المسلمین، و لم یکن فیها جور إلاّ علی خاصّه التماسا لأجر ذلک من فضله، و زهدا فیما تنافستموه من زخرفها و زبرجها.

اللغه

(نافست) فی الشیء منافسه و نفاسا إذا رغبت فیہ علی وجه المباره و (الزخرف) بالضمّ الذّهب و کمال حسن الشیء قال تعالی: «حتّٰی إذا أخذتِ الأرضُ زُخْرُفَها» و (الزّبرج) بالكسر الزّینه.

الاعراب

کلمه ما فی قوله ما سلمت ظرفیه مصدریه، و خاصّه منصوب علی الحائیه، و التماسا مفعول له و العامل لاسلمن و من زخرفها بیان لما.

المستفاد من شرح المعتزلى أنّ هذا الكلام صدر منه عليه السّلام بعد أن بايع أهل الشورى عثمان و عدّ عليه السّلام فضائله و سوابقه، و ناشد أصحاب الشورى فقطع عبد الرحمن ابن عوف كلامه و قال يا على: قد أبى الناس إلّا على عثمان فلا تجعلنّ على نفسك سيّلا، ثمّ قال عليه السّلام: يا باطلحه ما الذى أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شقّ عصا الجماعه، فقال عبد الرحمن لأمير المؤمنين بايع إذن و إلّا كنت متّبعاً غير سبيل المؤمنين و انفذنا فيك ما أمرنا به فعند ذلك قال:

(لقد علمتم أنّي أحقّ بها) أى بالخلافه المستفاده من قرينه المقام (من غيرى) لاستجماعه عليه السّلام الكمالات النفسانيه و الفضائل الدّاخلية و الخارجيّة مضافا إلى وصيه رسول الله صلّى الله عليه و آله بها، فيكون أولى و أحقّ و ذلك لا يستلزم كون غيره حقيقا أيضا إذا سم التّفضيل فى كلامه نحوه فى قوله تعالى:

«قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ».

ثمّ نبه عليهما السّلام على أنّ رغبته فيها ليست حرصا على زخارف الدّنيا و زينتها و امارتها كما هى فى غيره، و إنّما هى لرعايه مصلحه الاسلام و صلاح حال المسلمين فقال (و والله لاسلمنّ) و أتركن المخالفه (ما سلمت امور المسلمين) أى مهما كان فى تسليمى سلامه امور المسلمين (و لم يكن فيها جور إلّا علىّ خاصّه) و إنّما سلمت ذلك (التماسا لأجر ذلك من فضله) أى لأجر المظلوميّه و الجور الواقع فى حقّى من فضل الله سبحانه (و زهدا فيما تنافستموه) و رغبه عمّا رغبتم فيه (من زخرفها و زبرجها) أى ذهب الدّنيا و زينتها.

قال المحدث المجلسى: فى هذا الكلام دلالة على أنّ خلافه غيره جور مطلقا و أنّ التسليم على التّقدير المفروض و هو سلامه امور المسلمين و إن لم يتحقّق الفرض لرعايه مصالح الاسلام و التّقيه انتهى.

و بذلك يظهر ما فى كلام الشّارح المعتزلى حيث قال:

فان قلت: فهلاّ سلم إلى معاويه و إلى أصحاب الجمل و اغضى على اغتصاب

حقّه حفظاً للإسلام من الفتنة.

قلت: إنّ الجور الدّاخل عليه من أصحاب الجمل و من معاويه و أهل الشّام لم يكن مقصّورا عليه خاصّه، بل كان يعمّ الاسلام و المسلمين جميعا، لأنّهم عنده لم يكونوا ممّن يصلح لرياسه الامّه و تحمّل أعباء الخلافه، فلم يكن الشرط الذى اشترطه متحقّقا و هو قوله: و لم يكن فيها جور إلّا على خاصّه.

ثمّ قال: و هذا الكلام يدلّ على أنّه عليه السّلام لم يكن يذهب إلى أنّ خلافه عثمان يتضمّن جورا على المسلمين و الاسلام و إنّما يتضمّن جورا عليه خاصّه و إنّما وقعت على جهه مخالفه الاولى لا على جهه الفساد الكلّى و البطلان الأصلّى و هذا محض مذهب أصحابنا انتهى.

و أقول: أمّا ذكره من التفرقه بين المتخلفين الثلاثه و بين النّاكثين و القاسطين بكون جور الأولين مقصّورا عليه خاصّه و جور الآخرين عامّا له و للإسلام و المسلمين، فضعيف جدّا كضعف توهمه صلاحيه الأولين عنده عليه السّلام لرياسه الامه و عدم صلاحيه الآخرين لها.

أما أولا فلمنع انحصار جور الأولين فيه خاصّه ألم يبعث الأوّل خالد بن الوليد لعنه الله إلى مالك بن نويرة فقتله و أصحابه و زنى امرئته بمجرّد امساكه عن الزكاه و منع بضعه الرّسول من فذك أليس جورا بيّنا و ظلما فاحشا فضلا عن ساير ما صدر عنه؟ أو لم يأمر الثّانى باحراق بيت الصّديقه و منعها حقّها و أعطى عايشه و حفصه عشرة آلاف درهم فى كلّ سنه و ظلم المسلمين فى بيت مالهم؟ أولا تنظر إلى الثّالث كيف اخرج أبى ذر إلى الرّبذه و كسر ضلع عبد الله بن المسعود و حمل بنى أبى معيط على رقاب النّاس و أتلف مال المسلمين و ظلمهم فى حقّهم و قام معه بنو اميّة «أبيه» يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع؟ و لو لم يكن منهم جور إلّا فى حقّه عليه السّلام لكفى فى بطلان خلافتهم إذ الجائر لا يكون إماما لقوله تعالى:

و اما ثانيا فلنمنع صلاحية الأولين عنده عليه السلام للرياسة، و كيف يتوهم ذلك مع تصريحه في الخطبه الشَّقَشَقِيه و غيرها ممّا مرّت و يأتي بعد ذلك بطلان خلافتهم و اغتصابهم حقّه فضلا عما حقّقنا سابقا في غير موضع فساد خلافتهم و بطلان دعواهم لها.

فان قلت: فلم أمسك عنهم و نهض إلى معاويه و أصحاب الجمل؟ قلت: قد بينا جواب ذلك فيما سبق و قلنا إنّ إمساكه النكير على الأولين لعدم وجود ناصر و معين له يومئذ ينصره و يحمي له فأمسك عنهم تقيّه و حقنا لدمه بخلاف يوم الجمل، و صقّين كما مر تفصيلا في تنبيهات كلامه الشّابح و الثّلاثين، و بالجمله لا ريب في بطلان خلافة الجميع و كون الكلّ جائرا ظالما في حقّه و في حقّ المسلمين، غايه الأمر أنّ معاويه و أصحاب الجمل هتكوا حرمة الاسلام بالمزّه و أعلنوا بعداوته عليه السلام و شهر و اسيوفهم عليه، و الأولين لم يبلغوا هذه المثابه.

و بهذا كلّ ظهر فساد ما توهمه أخيرا و نسبه إليه عليه السلام من عدم ذهابه إلى بطلان خلافة عثمان أصلا و رأسا و إنّما كان يذهب إلى أنّها متضمنه للجور عليه خاصه فافهم جيدا.

الترجمه

از جمله کلام آن امام همام است که فرموده در زمانی که عزم کردند أهل شوری بیعت عثمان.

بتحقیق هر آینه دانسته اید که آنکه بدرستی من سزاوارترم بخلاف از غیر من و قسم بذات خداوند که هر آینه تسلیم میکنم مادامی که سلامت باشد کارهای مسلمانان و نباشد در خلافت دیگران ستمی مگر بر من تنها از جهت خواهش نمودن ثواب آنرا از فضل خداوند تبارک و تعالی و از جهت اعراض نمودن در آنچه شما رغبت نمودید در آن از طلای آن و زینت و آرایش آن.

اشاره

له بالمشاركه فى دم عثمان و هو الرابع و السبعون

من المختار فى باب الخطب

أو لم يـنه أمـيـه علمها بى عن قرفى؟ أو ما وزع الجهـال سابقـتى عن تهمـتى؟ و لما وعظهم الله به أبلغ من لسانى أنا حجـج المارقين، و خصيم المرتابين، و على كتاب الله تعرض الأمثال، و بما فى الصدور تجازى العباد

اللغه

قوله (أو لم يـنه أمـيـه) فى بعض النسخ بنى اميه و كلاهما صحيحان، و المراد القبيله يقال كليب و بنو كليب و يراد بهما القبيله قال الشاعر:

أشارت كليب بالأكف الأصابع

و قال آخر:

أبنى كليب إنَّ عمى اللذا

و (قرف) فلانا من باب ضرب اتهمه و عابه و (وزعه) عنه صرفه و كفّه و (السابقه) الفضيله و التقدّم و (الحجيج) المحاج من حجّ فلان فلانا اذا غلبه بالحجه و (المارق) الخارج من الدين و (الخصيم) المخاصم.

الاعراب

الهمزه فى قوله أ و لم يـنه و أ و ما وزع استفهام على سبيل الانكار التوبيخى نحو قوله تعالى:

«أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ»....، «أَفَكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ».

و الواو فى قوله و لما وعظهم يحتمل القسم و الاستيناف و الحال.

اعلم أنّ هذا الكلام له وارد فى توبيخ بنى اميه و الطعن عليهم، فأنّه عليه السّلام لما بلغه اتّهامهم له بالمشاركه فى دم عثمان و بخهم بقوله (أ و لم ينه امّيه علمها بى عن قرفى) قال الشّارح المعتزلى: يقول عليه السّلام أما كان فى علم بنى امّيه بحالى ما ينهيها عن قرفى و اتّهامى بدم عثمان، و حاله التى أشار إليها و ذكر أنّ علمهم بها يقتضى أن لا يقرفوه بذلك هى منزلته فى الدّين التى لا منزله أعلى منها، و ما نطق به الكتاب الصّادق من طهارته و طهاره بنيه و زوجته فى قوله:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

و قول النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أنت منى بمنزله هارون من موسى، و ذلك يقتضى عصمته عن الدّم الحرام كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك ثمّ أكّد ذلك بقوله (أ و ما وزع الجهاد) و ردعهم (سابقى) فى الاسلام (عن تهمتى) ثمّ اعتذر عليه السّلام لنفسه فى عدم تأثير موعظته فيهم بقوله (و لما وعظهم الله به) فى كتابه (ابلق من لسانى) و قولى.

يعنى أنّ كلام الله سبحانه مع كونه أبلغ الموعظه و أكمل فى الردّ و التحذير لا يوجب و زعهم و ردعهم عن القول و الاعتقاد بما لا يجوز و لا يؤثر فيهم، فكيف بكلامى و هذا الكلام نظير قوله فى الخطبه الرابعه: و قر سمع لم يفقه الواقعيه و كيف يراعى النبأ من أصمّته الصّريحه، و المراد بما و عظهم الله به الآيات النّاهيه عن الظنّ و الرّادعه عن الغيبه و المحذره من اىذاء المؤمنين مثل قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» و قوله: «و الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا».

إلى غير ذلك و هو كثير فى القرآن ثم قال (أنا حجيج المارقين و خصيم المرتابين) أى مغالب الخارجين عن الدين باظهار الحجه عليهم فى الدنيا و الآخره و مخاصم الشاكين فى الدين أو فى كل حق فى خصوص الامامه من بنى اميه و غيرهم.

روى فى غايه المرام عن الشيخ فى أماليه باسناده عن قيس بن سعد بن عبادہ قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: أنا أول من يجتو بين يدى الله عزّ و جلّ للخصومه أقول: و إلى تلك المخاصمه اشيرت فى قوله تعالى:

«هَٰذَا خِطْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ».

روى فى غايه المرام عن ابن بابويه مسندا عن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام: يا أبا عبد الله حدثنى عن قول الله عزّ و جلّ:

«هَٰذَا خِطْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ».

قال: نحن و بنو اميه اختصمنا فى الله عزّ و جلّ قلنا صدق الله و قالوا كذب الله فنحن و إياهم الخصمان يوم القيامة.

و من كشف الغمه عن مسلم و البخارى فى حديث فى قوله تعالى:

«هَٰذَا خِطْمَانِ اخْتَصَمُوا».

نزلت فى على و حمزه و عبيده بن الحارث الذين بارزوا المشركين يوم بدر عتبه و شيبه ابنار بيعه و الوليد بن عتبه.

و من تفسير على بن إبراهيم فى معنى الآية قال: قال يعنى الصادق عليه السلام نحن و بنو اميه نحن قلنا صدق الله و رسوله، و قالت بنو اميه كذب الله و رسوله:

«فَالَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى بنى اميه «قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ»

إلى قوله «حديد».

قال قال عليه السلام: تشويه النار فتسترخى شفته السفلى حتى يبلغ سرته و تتعلق شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، و لهم مقامع من حديد، قال: قال الأعمدة التي يضربون بها.

و من تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» قال: روى خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نقول ربنا واحد و نبينا واحد و ديننا واحد فما هذه الخصومة، فلما كان يوم صفين و شدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا، ثم قال عليه السلام (و على كتاب الله تعرض الأمثال) يريد نحو قوله تعالى:

«هَذَا نَحْصِي مَا نِ احْتَصَيْمُوا» الآية. و قوله تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ».

روى في غايه المرام من طريق العامه عن ابن عباس في قوله:

«أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» قال على و حمزه و عبيده «كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ» عتبه و شيبه و الوليد بن عتبه «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ» هؤلاء على و أصحابه «كَالْفُجَّارِ» عتبه و أصحابه، و قوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ».

قال ابن عباس فالذين آمنوا بنو هاشم و بنو عبد المطلب، و الذين اجترحوا السيئات بنو عبد شمس، و قال بعضهم لما كان في أقواله و أفعاله عليه السلام ما يشبه الأمر بالقتل أو

فعله فأوقع في نفوس الجهّال شبهه القتل نحو ما روى عنه عليه السّلام الله قتله و أنا معه و كتخلفه عن الخروج يوم قتل عثمان حسبما تقدّم في شرح كلامه التاسع و العشرين فقال عليه السّلام: ينبغي أن يعرض ذلك على كتاب الله فان دلّ على كون شيء من ذلك قتلا فيحكم به و إلا فلا و لن يدلّ عليه أبدا.

قال المحدّث العلّامه المجلسي: و يحتمل أن يراد بالأمثال الحجج أو الأحاديث كما ذكر في القاموس أي ما احتجّ به في مخاصمه المارقين و المرتابين و ما يحتجّون به في مخاصمتي ينبغي عرضها على كتاب الله حتّى يظهر صحتهما و فسادهما، أو ما يسندون إلّى في أمر عثمان و ما يروى في أمرى و أمر عثمان يعرض على كتاب الله (و بما في الصّيدور تجازى العباد) أي بالتيات و العقائد أو بما يعلمه الله من مكنون الضّماير لا على وفق ما يظهره المتخاصمون عند الاحتجاج يجازى الله العباد.

الترجمه

از جمله کلام آن عالی مقام است در حینی که رسید بأو متّهم کردن بنی امیه او را بشریک شدن او در خون عثمان علیه اللّٰعنه و النّيران.

آیا نهی کرد بنی امیه را علم ایشان بحالت من از متّهم داشتن من، آیا منع و ردع نکرد جاهلان را سابقه فضیلت من از اتّهام من و هر آینه آنچه که موعظه فرموده است خداوند ایشان را بأو ابلغ است از کلام من، من احتجاج کننده ام با کسانی که از دین خارجند و خصومت کننده ام با اشخاصی که در دین شک دارند بر کتاب خدا عرض و تطبیق شود شبه ها و مثلها و به آن چه در سینه است از اعتقادهای نیک و بد جزا داده میشوند بندگان در این جهان و آن جهان.

و من خطبه له علیه السلام و هی الخامسة و السبعون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

رحم الله عبدا «امرء» سمع حکما فوعی، و دعی إلى رشاد فدنی،

ص: ۲۳۰

و أخذ بحجزه هاد فنجى، راقب ربّه، و خاف ذنبه، قدّم خالصا، و عمل صالحا، اكتسب مذخورا، و اجتنب محذورا، رمى غرضا، و أحرز عوضا، كابر هواه، و كذب مناه، جعل الصّبر مطيّة نجاته، و التقوى عدّه وفاته، ركب الطّريقه الغراء، و لزم المحجّه البيضاء، اغتنم المهل و بادر الأجل، و تزوّد من العمل.

اللغة

(و عيت) الحديث حفظته قال تعالى: «وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعِيَّةٌ» و (الحجزه) بالضمّ معقد الازار و (رقبته) أرقبه من باب قتل حفظته و أنا رقيب و راقبت الله خفت عذابه و (اكتسب) بمعنى كسب و (الغرض) ما يرمى بالسّهام و فى بعض النّسخ عرضا بالعين المهمله و هو متاع الدّنيا و (كابرته) مكابره غالبته و عاندته، و فى بعض النّسخ كاثر بالثاء المثلثة و هو بمعنى غالب أيضا، يقال: كاثرناهم فكثرتناهم أى غلبناهم بالكثرة و (المطّيه) المركب و (الغراء) و (البيضاء) بمعنى و (المحجّه) بالفتح معظم الطريق و (المهل) بالفتح فالسكون و بفتحتين أيضا اسم من المهله أو مصدر

الاعراب

جمله سمع و ما بعدها منصوب المحل على الوصفية و قوله: راقب ربّه، و قدّم خالصا، و ما بعدهما من الافعال بحذف العواطف فيها نوع من الفصاحه كثير فى استعمالهم قال سبحانه:

«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ».

و ربّه و ذنبه مفعولان بالواسطهو نسبه الخوف إلى الذّنبمجاز لأنّه انّما هو من الله سبحانه إلّا أنّه لَمّا كان سببه الذّنب نسب إليه و حقيقه الكلام خاف من الله

المعنى

اعلم أنه عليه السلام ترخّم في كلامه ذلك على عبد اتّصف بما ذكر فيه من الأوصاف وفيه حثّ و ترغيب على ملازمه تلك الصفات و الاتّصاف بهذه الأوصاف و هى على ما ذكره عليه السلام عشرون.

الأول ما أشار إليه بقوله (رحم الله عبدا سمع حكما فوعى) أراد بالحكم الحكمه الأعمّ من العلميه و العمليه كما فى قوله تعالى: «وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا».

الثانى قوله (و دعى إلى رشاد فدنّى) أى الى رشد و هدايه فدنّى من الداعى و قرب من المرشد و الهادى.

الثالث قوله (و أخذ بحجزه هاد فنجى) أى اعتصم به و التجأ إليه و استهدى به فهداه من الضّلاله و انقذه من الجهاله فاهتدى و نجى من الهلكه و امن من العقوبه و الهادى فى كلامه و إن كان مطلقا إلا أنّ الأظهر عندى أنّ المراد به الأئمه الذين يهدون بالحقّ و به يعدلون، فيكون المراد بالأخذ بحجزتهم المتمسكين بحبل الولايه و المقتبسين من أنوارها، و يدلّ على ما استظهرته ما ورد فى تفسير قوله تعالى أنّما انت منذر و لكلّ قوم هاد، بطرق كثيره أنّ الهادى هو أمير المؤمنين و ولده المعصومون سلام الله عليهم أجمعين.

فمنها ما فى غايه المرام من تفسير العياشى عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين: فينا نزلت هذه الآية:

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنا المنذر و أنت الهادى يا علىّ، فمنّا الهادى و النّجاه و السّعاده إلى يوم القيامة.

و منه أيضا عن بريد، عن معاويه عن أبى جعفر عليه السلام

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

فقال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم أنا المنذر وفي كل زمان إمام مَن يهديهم إلى ما جاء به نبي الله و الهداه من بعده عليّ ثمّ الأوصياء من بعده واحد بعد واحد، والله ما ذهب مَنّا وما زالت فينا إلى السّاعه، رسول الله صَلَّى الله عليه وآله المنذر و بعليّ يهتدى المهتدون.

و الأخبار في هذا المعنى كثيره بالغه حدّ الاستفاضه يطول الكتاب بذكرها وقد روى في غايه المرام ثلاثين روايه من طريق العامّه و الخاصّه في ذلك من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

الرابع قوله (راقب ربّه) و المراقبه احدى ثمرات الايمان و هى على ما قيل رتبه عظيمه من رتب السيالكين، و حقيقتها أنّها حاله للنفس يشمرها نوع خاص من المعرفه و لها تأثير خاصّ فى القلب و الجوارح أمّا الحاله فهى مراعات القلب للرّقيب و اشتغاله به، و أما العلم المثمر لها فهو العلم بأنّ الله تعالى مطلع على الضمائر و السرائر قائم على كلّ نفس بما كسبت كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا».

فهذه المعرفه إذا استولت على القلب و لم يبق فيها شبهه فلا بدّ أن تجذ به إلى مراعات الرّقيب، و الموقنون بهذه المعرفه طائفتان.

احداها الصّديقون و مراقبتهم التّعظيم و الاجلال و استغراق قلبهم بملاحظه ذلك الجلال و الانكسار تحت الهيبة و العظمه بحيث لا يبقى فيه مجال للالتفات إلى الغير أصلا، و جوارحهم معطله عن الالتفات و التلقّت إلى المباحات فضلا عن المحظورات و إذا تحرّكت بالطاعه كانت كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها و لا يحتاج إلى تدبير فى ضبطها على سنن السيّداد، و من نال هذه المرتبه فقد يغفل عن الخلق حتّى لا يبصرهم و لا يسمع أقوالهم.

و الطائفه الثانيه الورعين من أصحاب اليمين و هم قوم غلب بعض اطلاعات الله على قلوبهم و لكن لم تدهشهم ملاحظه الجلال، بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متّسعه

للتفت، إلى الأقوال والأعمال إلا أنها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبة فقد غلب الحياء من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يجحمون «يجحمون» إلا- عن تثبت فيمتنعون عن كل أمر فاضح يوم القيامة إذ يرون الله مشاهدا لأعمالهم في الدنيا كما يرونه مشاهدا في القيامة.

ولا بد لأهل هذه الدرجة من المراقبة في جميع حركاته وسكناته ويلزم عليه أن يرصد كل خاطر يسبح له، فإن كان إلهيا يعجل مقتضاه، وإن كان شيطانيا يبادر إلى قمعه، وإن شك فيه توقف إلى أن يظهر له بنور الحق من أي جانب هو روى في الوسائل عن محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم مسندا عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ».

قال: من علم أن الله يراه أو يسمع ما يقول أو يعلم ما يفعله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبح من الأعمال فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

الخامس قوله (و خاف ذنبه) والخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب وإذا علق بالذنوب كما تقول خفت الله وخفت زيدا فمعناه توقع مكروه أو حرمان يقع من جهته وإلا فالذنوب لا يتعلق بها خوف فمعنى الخوف من الذنب الخوف مما يكون الذنب سببا له من العقوبة الدنيوية أو الآخروية أو نقصان الدرجة وانحطاط الرتبة وحرمان الجنة.

قال بعض العلماء: خوف الخائفين من الله قد يكون لامور مكروهه لذاتها وقد يكون لامور مكروهه لادائها إلى ما هو مكروه لذاته.

أمّا القسم الأول فمثل أن يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدة أو سؤال القبر أو عذابه أو هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف السر والسؤال عن كل صغيره وكبيره، أو الخوف عن المرور على الصراط مع حدته أو من النار وأحوالها وأغلالها أو من حرمان الجنة أو من نقصان الدرجات فيها أو خوف الحجاب من الله، وكل هذه الأسباب مكروهه في أنفسها ويختلف أحوال

السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ فِيهَا وَأَعْلَاهَا رَتَبَهُ خَوْفُ الْفِرَاقِ وَالْحِجَابُ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ خَوْفُ الْعَارِفِينَ وَ مَا قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ خَوْفُ الْعَابِدِينَ وَ الصَّالِحِينَ وَ الزَّاهِدِينَ.

و أما القسم الثَّانِي فَأَقْسَامُ كَثِيرَةٍ كَخَوْفِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّوْبَةِ أَوْ خَوْفِ نَقْضِ التَّوْبَةِ أَوْ خَوْفِ الانْحِرَافِ عَنِ الْقَصْدِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَوْ خَوْفِ اسْتِيلَاءِ الْقَوَى الشَّهَوَاتِيَّةِ بِحَسَبِ مَجْرَى الْعَادَةِ فِي اسْتِعْمَالِ الشَّهَوَاتِ الْمَأْلُوفَةِ أَوْ خَوْفِ تَبْعَاتِ النَّفْسِ عِنْدَهُ أَوْ خَوْفِ سُوءِ الْخَاتَمَةِ أَوْ خَوْفِ سَبْقِ الشَّقَاوَةِ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَ كُلِّ هَذِهِ وَ نَحْوِهَا مَخَافَاتُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَ أَغْلِبَهَا عَلَى قُلُوبِ الْمُتَّقِينَ خَوْفُ الْخَاتَمَةِ فَإِنَّ الْأَمْرَ فِيهِ خَطِيرٌ.

قال بعض اولى الالباب: إذا اسكن الخوف القلب أحرقت الشهوة و أطرده عنه الغفلة.

السادس قوله (قدّم خالصاً) قال الصادق عليه السّلام العمل الخالص الذى لا تريد أن يمدحك عليه أحد إلا الله و هذا هو معنى الاخلاص قال تعالى:

«وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ».

و للقوم فى تعريف الاخلاص عبارات فقيـل: هو تصفيه العمل عن ملاحظه المخلوقين حتّى عن ملاحظه النفس فلا يشهد غير الله، و قد مرّ تفصيل ذلك فى شرح الخطبه الاولى عند قوله عليه السّلام و كمال توحيده الاخلاص له، و قيل: هو تنزيه العمل عن ان يكون لغير الله فيه نصيب، و قيل: هو إخراج الخلق عن معاملته الحقّ، و قيل: هو ستر العمل من الخلاق و تصفيته من العلايق، و قيل: إنّهُ لا يريد عامله عليه عوضاً فى الدّارين و هذه درجه رفيعه و اليها أشار أمير المؤمنين و سيّد الموحدين بقوله: ما عبدتك خوفاً من نارك و لا طمعا فى جنّتك و لكن وجدتك أهلاً للعباده فعبدتك.

السّابع قوله (و عمل صالحاً) و العمل ما صدر عن الحيوان بقصده قلبياً أو قالبيّاً فهو أخصّ من الفعل، و المراد بالعمل الصّالح إتيان المأمور به كما امر به و يقابله العمل الفاسد قال تعالى:

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا».

و قال فى سورة الفاطر: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ».

قال الصِّادق عليه السَّلام: الكلم الطَّيِّب قول المؤمن لا- إله إلا- الله محمّد رسول الله علىّ ولّى الله و خليفه رسول الله قال عليه السَّلام: و العمل الصَّالح الاعتقاد بالقلب أنّ هذا هو الحقّ من عند الله لا شكّ فيه من ربّ العالمين.

أقول: و لعلّ مقصوده عليه السَّلام أنّ العمل الصَّالح الموجب لرفع الكلم الطَّيِّب بالمعنى الذى ذكره هو الاعتقاد الذى نبّه عليه، لما قد علمت أنّ متعلق العمل أعمّ من الاعتقاد.

الثامن قوله (اكتسب مذخورا) أى ذخيره مرجّوه ليوم فاقته و زادا معدّا لوقت حاجته و خير الزّاد هو التّقوى كما أفصح به الكتاب المبين و صرّح به أخبار سيّد المرسلين.

التّاسع قوله (و اجتنب محذورا) أى تجنّب ممّا يلزم الحذر منه و يجب الاحتراز عنه و هو مخالفه الأوامر الشرعيّه و منابذه التكاليف الالزاميه قال سبحانه «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

أوجب الحذر لمخالفي أمره من إصابه الفتنة و هى العقوبة الدنيويه و إصابه العذاب الأليم و هى العقوبة الاخرويّه.

العاشر قوله (رمى غرضا) أى رمى بسهام أعماله الصّالحه الباطنه و الظاهره فأصاب الغرض غير خاطئه(1) فأدرك مناه و حاز ما تمناه، و على روايه عرضا بالمهمله فالمعنى أنّه رمى عرض الدّنيا و حذف متاعها و رفض حطامها و أخرج حبّها من قلبه علما منه بسرعه زوالها و فنائها.

ص: ٢٣٦

الحادى عشر قوله (و احرز عوضا) اى احرز متاع الآخره الباقيه الذى هو عوض من متاع الدّنيا الفانيه، و اّخر ما يفاض عليه من الحسنات و أعدّ ما يثاب عليه من الصالحات.

«و الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا».

الثّانى عشر قوله (كابر هواه) أى غالب هواه بوفور عقله و يجاهد نفسه الأماره و يطوّعها لقوّته العاقله، قوله تعالى:

«وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ».

أى نهى نفسه عن المحارم التى تهويها و تشتهيها فإنّ الجنّه مستقرّه و مأواه.

روى فى الوسائل عن الصّدوق باسناده عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله فى حديث المناهى قال: من عرضت له فاحشه أو شهوه فاجتنبها مخافه الله عزّ و جلّ حرّم الله عليه النّار و آمنه من الفزع الأكبر و أنجز له ما وعده فى كتابه:

«وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ».

ألا- و من عرضت له دنيا و آخره فاختار الدّنيا على الآخره لقى الله عزّ و جلّ يوم القيامة و ليست له حسنه يتّقى بها النّار، و من اختار الآخره و ترك الدّنيا رضى الله عنه و غفر له مساوى عمله.

و عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام فقلت الملائكه أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب: إنّ الله ركب فى الملائكه عقلا بلا شهوه و ركب فى البهائم شهوه بلا عقل و ركب فى بنى آدم كليهما من غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكه و من غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم.

و عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله طوبى لمن ترك شهوه حاضره لموعده لم يره.

الثالث عشر قوله (و كذب مناه) أى قابل ما يلقيه إليه الشيطان من الأمانى الباطله بالتكذيب، قال تعالى:

«وَقَالَ لَاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأَمْنِيَنَّهُمْ وَ لَأَمُرَّنَّهُمْ فَلَيَكُنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَ لَأَمُرَّنَّهُمْ فَلَيَكُنَّ حَلَقَ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعْدُهُمْ وَ يُمْنِيَنَّهُمْ وَ مَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا».

قال فى مجمع البيان فى تفسير قوله و لا منينهم يعنى امنينهم طول البقاء فى الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا و نعيمها على الآخرة، و قيل معناه أقول لهم ليس ورائكم بعث و لا نشر و لا جنه و لا نار و لا ثواب و لا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبي، و قيل: امنينهم بالأهواء الباطله الداعيه إلى المعصيه و ازين لهم شهوات الدنيا و زهراتها أدعو كلاً منهم إلى نوع ميل طبعه إليه فأصدّه بذلك عن الطاعة و القيه فى المعصيه.

الرابع عشر قوله (جعل الصبر مطية نجاته) و الصبر قوه ثابتة و ملكه راسخه بها يقتدر على حبس النفس و منعه عن قبائح اللذات و منى الشهوات و على حمله على مشاق العبادات و التكاليفات و على التحمل على المصائب و الآفات و الدواهي و البليات و بها يحصل النجاه و الخلاص من غضب الجبار و عذاب النار، و لذلك جعلها مطية يتمكن بها من الهرب، و الفرار عن العدو فى مقام الحاجه و الاضطرار، و الآيات القرآنيه و الأخبار المعصوميه فى مدحها و فضلها و الحث عليها أكثر من أن تحصي و لعننا نشبع الكلام فى تحقيقها و بيان أقسامها فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و السبعين

و نقتصر هنا على بعض ما ورد فيها على ما اقتضاه المقام.

فأقول فى الوسائل من الكافى باسناده عن هشام بن الحكم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إذا كان يوم القيامة فيقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال من أنتم، فيقولون نحن أهل الصبر، فيقال لهم على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله و نصبر عن معاصى الله فيقول الله عزّ و جلّ: صدقوا ادخلوهم الجنة و هو قول الله عزّ و جلّ:

«إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

و عن عمرو بن شمر اليمانى يرفع الحديث إلى على عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله الصّبر ثلاثه: صبر عند المصيبة، و صبر عند الطاعة، و صبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمأة درجة ما بين الدّرجه إلى الدّرجه كما بين السّماء و الأرض، و من صبر على الطاعة كتب الله له ستّمأة درجة ما بين الدّرجه إلى الدّرجه كما بين تخوم الأرض إلى العرش، و من صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدّرجه إلى الدّرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

و عن عثمان بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال اصبروا على الدّنيا فإنّما هى ساعه فما مضى منه لا تجد له ألما و لا سرورا، و ما لم يجرى فلا تدري ما هو و إنّما هى ساعتك التى أنت فيها، فاصبر فيها على طاعة الله و اصبر فيها عن معصية الله.

الخامس عشر قوله (و التّقوى عدّه وفاته) قد مرّ معنى التّقوى و بعض ما ورد فيها فى شرح الخطبه الثالثه و العشرين، و أقول هنا إنّ العدّه لما كانت عبارته عمّا أعدّها الانسان و هيئها لحوادث دهره و ملّمات زمانه و كان الموت أعظم الحوادث، و بالتّقوى يحصل الوقايه من سكراته و غمراته و به يتّقى من شدايد البرزخ و كرباته و يستراح من طول الموقف و مخاوفه، لا جرم جعلها عليه السّلام عدّه للوفاه و وقايه يحصل بها النجاه، و استعار عنها الكتاب المجيد بالزاد فقال:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى».

بملاحظه أنّ الزّاد لما كان هو الطعام الذى يتخذ للسّفر ليتقوى به الطّبيعه على الحركات الحسيّه و كانت تقوى الله ممّا تقوى به النّفس على الوصول إلى حظيره القدس حسن الاستعاره به عنها لما بين المعنيين من كمال المشابهه و تمامها.

قال بعض العارفين: ليس السّفر من الدّنيا أهون من السّفر فى الدّنيا و هذا لا بدّ له من زاد و كذلك ذلك بل يزداد، فإنّ زاد الدّنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم و زاد الآخره ينجيك من عذاب مقطوع معلوم، زاد الدّنيا يوصلك إلى متاع الغرور و زاد الآخره يبلغك دار السّرور، زاد الدّنيا سبب حظوظ النّفس و زاد الآخره سبب الوصول إلى عتبه الجلال و القدس.

السّادس عشر قوله (ركب الطريقه الغراء) أى سلك جاده الشّريعه الواضحه المستقيمه الموصله لسالكها الى الجنان و مقام القرب و الرّضوان.

السّابع عشر قوله (و لزم المحجه البيضاء) قال الشّارح البحرانى و الفرق بين ذلك و الذى قبله أنّ الأوّل أمر بركوب الطريقه الغراء و الثّانى أمر بلزومها و عدم مفارقتها و أنّها و إن كانت واضحه إلّا أنّها طويله كثيره المخاوف و سالكها أبدا محارب للشّيطان و هو فى معرض أن يستزلّه عنها.

الثامن عشر قوله (اغتنم المهل) أى أيام مهلته و هو مدّه عمره و أيام حياته فى دار الدّنيا.

قال زين العابدين و سيد السّاجدين عليه السّلام فى دعاء مكارم الأخلاق من الصّحيفه:

اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد و تبهنى لذكرك فى أوقات الغفله و استعملنى بطاعتك فى أيّام المهله و انهج لى إلى محبتك سيلا سهله.

و أنّما عبّر عنها بأيّام المهله لأنّ العنايه الأزليّه لما كانت مقتضيه لسوق النّاقص إلى كماله فاقتضت العنايه عدم معاجله العباد بالعقوبه و السّخط و الأخذ

بالذُّنوب و المعصيه فى هذه الحياه الدُّنيا ليرجعوا إلى التَّوبه و يراجعوا الانابه فكأنَّه تعالى أمهلهم مدَّة حياتهم فى الدُّنيا و أنظرهم طول بقائهم فيها و جعلهم فى النَّظره و المهله.

التَّاسع عشر قوله (بادر الأجل) أى سارع إلى أجله الموعود بصحبه عمله الصَّالح و هو كناية عن جعله الموت نصب عينيه و عدم غفلته عنه و ترقبه له فاذا كان كذلك لا يخاف من حلول الموت و نزوله و لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

العشرون قوله (و تزوّد من العمل) أى تزوّد من أعماله الصَّالحه لقطع منازل الآخرة نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا للاتّصاف بتلك الأوصاف الشَّامخه الفايقه حتّى نستوجب بذلك رحمته العامه الواسعه بمحمّد و عترته الطاهره.

الترجمه

از جمله خطبهای شریفه آن حضرت است که می فرماید: خداوند رحمت کند بنده را که بشنود حکمت را پس گوش گیرد و حفظ نماید و خوانده شود به سوی رشد و صلاح پس اجابت کند و نزدیک آید، و بگیرد کمرگاه هدایت کننده را و معتصم او بشود پس نجات یابد، مراقب باشد پروردگار خود را و بترسد از گناه خود، پیش فرستد کردار پاکیزه و عمل کند عمل شایسته، کسب نماید چیزی را که ذخیره می شود از برای آخرت، و اجتناب نماید از چیزی که باعث حذر است و ندامت.

بیندازد با تیر اعمال حسنه بسوی غرض و نشانه و جمع کند متاع دار جاودانی را بعوض متاع دنیای فانی، غلبه نماید بهوا و هوس و شهوات نفسانی و تکذیب نماید آمال و امانی باطله شیطنیه بگرداند صبر و شکیبائی را مرکب نجات خویش و تقوی و پرهیزکاری را توشه وفات خود، سوار بشود بر طریقه روشن شریعت و لازم شود بر جاده آشکار ملت، غنیمت شمارد ایام مهلت حیا را و مبادرت نماید بنیکوکاری قبل از ممات و توشه بگیرد از اعمال صالحه بجهت سفر آخرت.

اشاره

و السبعون من المختار فى باب الخطب

إِنَّ بنى أميّه ليفوّقونى تراث محمّد صلى الله عليه وآله و سلم تفويقا، و الله لئن بقيت لهم لأنفضّتهم نفص اللحام الوزام التربه. قال السيد: و يروى التراب الوزمه و هو على القلب، قوله عليه السلام: ليفوقونى أى يعطونى من المال قليلا قليلا كفواق الناقه و هى الحلبه الواحده من لبنها، و الوزام جمع و ذمه و هى الحزّه من الكرش و الكبد يقع فى التراب فتنفض.

اللغه

(التراث) بضمّ التا الارث و التياء و الهمزه فيهما بدل من الواو، و (نفضه) نفضا من باب قتل حرّكه ليزول عنه الغبار و نحوه فانتفض أى تحرّك لذلك و نفضت الورق من الشجر نفضا اسقطته و النفص بفتحيتين ما تساقط فعل بمعنى مفعول و (اللحام) القصاب و (الوزام) ككتاب جمع و ذمه محرّكه و (ترب) الشىء يترب من باب تعب لصق بالتراب، و فى القاموس التراب بالكسر أصل ذراع الشاه و منه التراب الوزمه أو هى جمع ترب مخفّف ترب و الصواب الوزام التربه انتهى.

و «الحزّه» بالضمّ القطعه من اللحم و نحوه تقطع طولاً- و الجمع حرز كغرفه و غرف و «الكرش» لذى الخف و الظلف كالمعده للانسان.

الاعراب

اضافه تراث إلى محمّد من قبيل الحذف و الايصال أى يفوقونى تراثى من محمّد و التربه صفه للوزام.

المعنى

اشاره

قوله (إنّ بنى أميّه ليفوقونى تراث محمّد صلى الله عليه وآله تفويقا) أى يعطونى إرثى من

رسول الله و هو الفيء الحاصل ببركته صلوات الله عليه و آله قليلا- قليلا- استعار لفظ التفويق عن اعطائهم المال قليلا بمشابهة القله و كونه فى دفعات كما يدفع الفصيل ضرع امه لتدر ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد إليها لتدر و هكذا، ثم قال (و الله لئن بقيت) و صرت أميرا (لهم) لأنفضتْهم نفص اللحام الودام التربه).

قيل الظاهر أنّ المراد من نفضهم منعهم من غصب الأموال و أخذ ما فى أيديهم من الأموال المغصوبه و دفع بغيرهم و ظلمهم و مجازاتهم بسيئات أعمالهم.

و قال الشّارح البحرانى: أقسم عليه السّلام ان بقى لبنى امّيه ليحرمهم التّقدم فى الامور، و استعار لفظ النفص لابعادهم عن ذلك و شبه نفصه لهم بنفض القصاب القطعه من الكبد أو الكرّش من التّراب إذا أصابته.

أقول: و الأظهر عندى أنّه شبّههم بالودام التّربه من حيث إنّ الودمه إذا وقعت فى التّراب و تلطخت به يتنفّر عنها الطّباع و لا يرغب إليها النّاس فينفصها القصاب أى يسقطها و يعزلها عن سائر لحماته لمكان ذلك التنفّر فيقول عليه السّلام: إننى لو بقيت لهم لاسقطهم عن درجه الاعتبار و اعزلهم عن الاماره و المداخله لامور المسلمين بحيث لا يرغب إليهم أحد و يتنفّر النّاس عنهم و يكونون حقيرا عندهم كمالا يرغبون إلى الودام لحقارتها و الله العالم بحقايق كلام وليه هذا.

و قد روى عنه عليه السّلام هذا الكلام فى روايه اخرى بزياده و نقصان و تفاوت لما هنا و هى ما رواها أبو الفرج فى كتاب الأغانى باسناد رفعه إلى الحرب بن جيش قال:

بعثنى سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير الكوفه من قبل عثمان بهدايا إلى المدينه و بعث معى هديه إلى علىّ عليه السّلام و كتب إليه أنى لم ابعث إلى أحد ممّا بعثت به اليك إلاّ إلى أمير المؤمنين فلما أتيت عليّا و قرء كتابه قال: لشّد ما يخطر علىّ بنو امّيه تراث محمّد أما و الله لان وليّتها لأنفضتْها نفص القصاب التراب الودمه.

قال أبو الفرج هذا خطأ إنّما هو الودام التّربه قال: و قد حدّثنى بذلك أحمد ابن عبد العزيز الجوهري عن أبى يزيد عمر بن شيبه باسناد ذكره فى الكتاب أنّ سعيد

ابن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي العايشه مولاہ إلى علی بن أبی طالب بصله فقال علی و اللہ لا يزال غلام من غلمان بنی امیہ یبعث إلینا ممّا أفاء اللہ علی رسولہ بمثل قوت الأرملة، و اللہ لئن بقيت لهم لأنفضتہا نفص القصاب الودام التربه.

تذنیبان

الاول

فی بیان نسب بنی امیہ.

فأقول فی البحار من کامل البهائي أن امیہ كان غلاما روميًا لعبد الشمس فلما ألقاه کیسا فطنا اعتقه و تتباه فقیل: امیہ بن عبد الشمس كما كانوا یقولون قبل نزول الآیہ: زید بن محمد، و لذا روى عن الصادقین علیهما السلام فی قوله تعالى:

الم غلبت الزّوم، أنّهم بنو امیہ و من هنا يظهر نسب عثمان و معاویہ و حسبهما و أنّهما لا یصلحان للخلافه لقوله صلی اللہ علیہ و آلہ: الأئمة من قریش.

و قال مؤلف کتاب إلزام التّواصب: امیہ لم یکن من صلب عبد شمس و إنما هو من الزّوم فاستلحقه عبد شمس فنسب إليه فبنو امیہ کلّهم لیس من صمیم قریش و إنّما هم یلحقون بهم و یصدّق ذلك قول أمير المؤمنين علیه السّلام: إنّ بنی امیہ لصاق و لیسوا صحیحی النسب إلى عبد مناف و لم یستطع معاویہ إنکار ذلك.

الثانی

فی ذکر بعض ما ورد من الآیات و الأخبار فی لعن بنی امیہ و کفرهم و إلحادهم.

فأقول: فی الکافی عن الصادق علیه السّلام رأى رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلّم فی منامه أنّ بنی امیہ یصعدون علی منبره و یضلّون النّاس عن الصّراط القهقري، فأصبح کئيبا حزينا، قال علیه السّلام فهبط علیه جبرئیل فقال: یا رسول اللہ ما لى أراک کئيبا حزينا؟ قال: یا جبرئیل إنّی رأیت فی لیلتي هذه یصعدون منبری من بعدی یضلّون النّاس عن الصّراط القهقري، فقال: و الذی بعثک بالحقّ نبیا إنّی ما اطلعت علیه فخرج إلى السّماء فلم یلبث أن نزل بآی من القرآن یونسه بها قال:

«أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ » و أنزل عليه: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

جعل الله ليلة القدر لنبىه خيرا من ألف شهر ملك بنى امية.

و فى مفتتح الصحيفة الكامله السجادية على صاحبها ألف سلام و تحية عن الصادق عليه السلام قال، إنَّ أبى حدَّثنى عن أبيه عن جدّه أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أخذته نعسه و هو على منبره فرأى فى منامه رجلا- ينزون على منبره نزو القردة يردّون النَّاسَ على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم جالسا و الحزن يعرف فى وجهه فأتاه جبرئيل بهذه الآية:

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نَحْوُفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا».

بعنى بنى امية قال: يا جبرئيل أعلى عهدى يكونون و فى زمنى؟ قال: ولا و لكن تدور رحى الاسلام من مهاجر ك فتلبث بذلك عشرا، ثم تدور رحى الاسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجر ك فتلبث بذلك خمسا، ثم لا بدّ من رحى ضلاله هى قائمه على قطبها، ثم ملك الفراعنه و أنزل الله فى ذلك.

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

يملكها بنو امية ليس فيها ليلة القدر.

أقول: قوله و الشجرة الملعونه فى القرآن فيه تقديم و تأخير أى و ما جعلنا الرؤيا التى أريناك و الشجرة الملعونه فى القرآن إلا فتنة للناس، و قيل: الشجرة الملعونه بالرفع مبتداء و حذف الخبر أى و الشجرة الملعونه كذلك أى فتنة للناس

و قوله: يعنى بنى اميه تفسير للشجره الملعونه، و قوله: تدور رحى الاسلام من مهاجر ك، أى من هجرتك فتلبث بذلك عشرا أى عشر سنين هى مدّه حياته ثم تدور على رأس خمس و ثلاثين هى العشر المذكوره و مدّه خلافه المتخلفين، و هى خمس و عشرون سنه فتلك خمس و ثلاثون، قوله فتلبث بذلك خمسا هى مدّه خلافه أمير المؤمنين، ثم لا بد من رحى ضلاله اشاره إلى ملك بنى اميه، و قوله ثم ملك الفراعنه اشاره إلى ملك بنى عباس.

و فى مجمع البيان فى تفسير قوله تعالى:

«وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» قال هى كلمه الشّرك و الكفر و قيل: كل كلام فى معصيه الله كشجره خبيثه غير زاكيه و هى شجره الحنظل و قيل: أنّها شجره هذه صفتها و هو أنّه لاقرار لها فى الأرض، و روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أنّ هذا مثل لبنى اميه و فيه أيضا فى تفسير قوله:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ يَئْسَ الْقَرَارُ».

قال سأل رجل أمير المؤمنين عن هذه الآية فقال هما الأفجران من قريش بنو اميه و بنو المغيره، فأما بنو اميه فمتّعوا إلى حين و أما بنو المغيره فكفيتهم يوم بدر.

و فى البحار من تفسير على بن ابراهيم فى قوله تعالى:

«الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَهُنَّ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا».

قال: نزلت فى بنى اميه حيث خالفوهم على ان لا يردّوا الأمر فى بنى هاشم، و فى قوله:

«وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْقَوْمَانِ عَلَى النَّارِ يَتَخَفَتَانِ يَخْشَوْنَ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ».

قال: نزلت في بني أمية ثم قال:

«بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ» قال من عداوه أمير المؤمنين.

«وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» وفي قوله تعالى:

«إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

عن أبي جعفر عليه السلام قال نزلت في بني أمية فهم شر خلق الله هم الذين كفروا في باطن القرآن فهم لا يؤمنون.

و عن أبي جعفر عليه السلام أيضا في قوله:

«وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» يعنى بني أمية.

و من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير الم غلبت الروم، قال: هم بني «بنو» أمية و إنما انزلها الله الم غلبت الروم بنو أمية في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، عند قيام القائم.

أقول: كذا في النسخ غلبت الروم بنو أمية، فيحتمل أن أصل الكلام غلبت بنو أمية فزاد النسخ لفظ الروم كما احتمله في البحار أو أنه كذلك و بنو أمية بدل من الروم، و على كل تقدير فلا بد أن يكون غلبت على ذلك بصيغته المعلوم، و قوله سيغلبون بصيغته المجهول و التعبير عن بني أمية بالروم من حيث إنها نسبهم إلى عبد رومي حسبما قدمنا، و الله العالم.

و من تفسير الثعلبي في قوله تعالى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ» نزلت في بنى أمية و بنى هاشم و في غايه المرام عن الكليني باسناده عن صالح بن سعد الهمداني قال قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل:

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ» فاطمه عليها السلام «فِيهَا مِصْبَاحٌ» الحسن «الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ» الحسين «كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» فاطمه فكوكب دري بين نساء أهل الدنيا «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» إبراهيم «زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» لا يهودية و لا نصرانية «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» يعني يكاد العلم ينفجر («وَلَوْ لَمْ تَمْسِسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ» إمام منها بعد إمام «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ» ظ) «لِلْأَنَّمَا» «مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ» قلت «أَوْ كَظُلُمَاتٍ» قال الأول و صاحبه «يَعُشَاءُ مَوْجٌ» الثالث «ظُلُمَاتٍ» الثاني «بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» فتن بنى أمية «إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ» المؤمن في ظلمه فتنتهم «لَمْ يَكْدِ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا» أمانا (اماما ظ) من ولد فاطمه «فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» يوم القيامة هذا، و الآيات و الروايات في هذا المعنى كثيرة و فيما ذكرناه كفايه لمن اهتدى أو ألقى السمع و هو شهيد.

ص: ٢٤٨

از جمله کلام آن حضرتست فرمود آنرا هنگامی که فرستاده بود سعید بن عاص اموی که امیر عراق بود از جانب عثمان هدیه بخدمت آن حضرت از مال غنیمت و از کمی آن اعتذار کرده بود.

بدرستی بنی امیه می دهند اندک اندک بمن میراث محمد بن عبد الله صلی الله علیه و آله را اندک اندک دادنی بخدا قسم اگر بمانم از برای آن قوم عنود و والی امر بشوم هر آینه ساقط میکنم ایشان را از درجه اعتبار همچون ساقط نمودن قصاب شکنجه یا جگر پاره خاک آلود را از میان سایر گوشت های گوسفند، یا این که بیفشانم ایشان را هم چو افشاندن قصاب شکنجه و پاره جگر خاک آلود را، و این استعاره می شود از دور کردن ایشان از امر خلافت و از باز گرفتن اموال مغصوبه از دست ایشان علیهم اللعنه و النیران.

و من کلمات له علیه السلام کان یدعو بها و هی السابعه

اشاره

و السبعون من المختار فی باب الخطب

اللّٰهُمَّ اغفر لی ما أنت أعلم به منی، فإن عدت فعد علیّ بالمغفره اللّٰهُمَّ اغفر لی ما وایت من نفسی و لم تجد له وفاء عندی، اللّٰهُمَّ اغفر لی ما تقرّبت به إلیک بلسانی ثم خالفه قلبی، اللّٰهُمَّ اغفر لی رمزات الألفاظ، و سقطات الألفاظ، و شهوات الجنان، و هفوات اللسان.

اللغه

(غفر) الله له ذنبه غفرا و غفرانا من باب ضرب صفح عنه و ستر علیه ذنبه و غطاءه، و أصل الغفر السّتر يقال الصّیغ أغفر للوسخ ای استر له و (الوأي) الوعد الذی یوثقه

الرَّجُل على نفسه و يعزم على الوفاء به، و منه و آيته و أيا و عدته و (الرَّمز) هو تحريك الشفتين فى اللفظ من غير اثباته بصوت و قد يكون اشاره بالعين و الحاجب و (اللمحظ) النظر بمؤخر العين و (السقط) بالتحريك ردّى المتاع و الخطاء من القول و الفعل و (الهفوه) الزلّه.

الاعراب

قوله ما و آيت كلمه ما موصول اسمى بمعنى الذى، و وأيت صلته و العايد محذوف و قول البحرانى إنّ ما ههنا مصدرية لا أرى له وجهًا، و من فى قوله من نفسى نشويّه، و جمله و لم تجد فى محلّ التّصب على الحال، و الباء فى قوله تقربت به سببيّه، و فى قوله بلسانى استعانه.

المعنى

اعلم أنّ المطلوب بهذا الكلام هو غفران الله سبحانه له، و مغفره الله للعبد عباره عن صفحه عما يؤدّى إلى الفضاحه فى الدنيا و الهلكه فى الآخرة و ستره عليه عيوباته الباطنه و الظاهره و أن يؤفقه لأسباب السّعاده الرّادعه عن متابعه الشيطان و النّفس الأماره، و هذا كلّ فى حقّ غيره عليه السّلام و أما طلبه سلام الله عليه و آله للمغفره و كذلك استغفار ساير المعصومين من الأنبياء و أئمه الدّين سلام الله عليهم أجمعين فقد قدّمنا تحقيقه بما لا مزيد عليه فى التّنبيه الثالث من تنبيهات الفصل الثالث عشر من فصول الخطبه الاولى فليتذكّر.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح ما يؤدّيه ظاهر كلامه عليه السّلام فأقول: قوله:

(اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به متى فإن عدت فعد علىّ بالمغفره) طلب للمغفره ممّا هو عند الله معصيه و سيئه فى حقّه و هو لا يعلمها فيفعلها أو يعلمها لا كعلم الله سبحانه إن كان صيغه التّفضيل على معناها الأصلي و طلب لتكرار المغفره لما يعاوده و يكرّره كذلك.

فان قلت: الطاعه و المعصيه عباره عن امتثال التّكليف و مخالفته و هو فرع العلم به و مع الجهل و عدم العلم لا أمر و لا نهى و لا خطاب و لا طاعه و لا معصيه و لا ثواب و لا عقاب إذ النّاس فى سعه ممّا لا يعلمون و لا يكلف الله نفسا إلّا ما آتياها.

قلت: الجهل بالتّكليف قد يكون ناشئًا عن القصور و قد يكون ناشئًا من التقصير

فى تحصيل العلم فحينئذ لا يقبح المؤاخذة عليه كما لا يقبح المؤاخذة عن النسيان إن نشأ عن قلة المبالاة و عن التقصير فى المقدمات، و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا، مع أن المؤاخذة عليه مرفوعة عن الامه بحكم حديث رفع التسعه هذا.

مع أن العلم بأن ما وقع عن الجهل و النسيان معفو عنه و غير مؤاخذ عليه لا يمنع من حسن طلب العفو عنه بالدعاء، فربما يدعو الداعى بما يعلم أنه حاصل قبل الدعاء من فضل الله تعالى إما لاعتداد تلك النعمه و إما لاستدامتها أو لغير ذلك كقوله تعالى:

«قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ» و قول إبراهيم «وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» (اللهم اغفر لى ما و أيت من نفسى و لم تجد له وفاء عندى) و هو استغفار ممتا وعده من نفسه و عاهد عليه الله فعلا- أو تركا زجرا أو شكرا ثم لم يف به، و ذلك لأن حنث اليمين و نقض العهد موجب للخذلان و معقب للخسران كما صرح عليه فى غير آيه من القرآن، قال تعالى فى سورة البقرة:

«الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» و فى سورة بنى إسرائيل: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» و فى سورة النحل: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» قال الطبرسى فى تفسير الآيه الأخيره: قال ابن عباس: الوعد من العهد، و قال المفسرون: العهد الذى يجب الوفاء به و الوعد هو الذى يحسن فعله و عاهد الله ليفعله فأنه يصيروا جبا عليه، و لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها، هذا نهى منه سبحانه عن

حُثَّ الْإِيمَانُ وَهُوَ أَنْ يَنْقُضَهَا بِمُخَالَفَةِ مَوْجِبِهَا وَارْتِكَابِ مَا يَخَالِفُ عَقْدَهَا، وَقَوْلُهُ:

بعد توكيدها أى بعد عقدتها و ابرامها و توثيقها باسم الله تعالى و قيل: بعد تشديدها و تغليظها بالعزم و العقد على اليمين بخلاف لغو اليمين.

(اللهم اغفر لى ما تقرّبت به اليك) اى ما عملته لك (بلسانى) و يدى و رجلى و بصرى و ساير جوارحى (ثم خالفه قلبى) و جعله مشوباً بالزّيّا و السّمعه المنافى للقربه (اللهم اغفر لى رمزات الألحاظ) أى اشارات اللحاظ لتعييب شخص و هجائه و نحو ذلك (و سقطات الالفاظ) أى ردّيها و ساقطتها عن مناط الاعتبار بأن لا يكون له مبالاة فى قوله و كلامه، روى عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إذا رأيتم الرّجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل له فهو شرك شيطان (و شهوات الجنان) أى مشتبهات القلوب المخالفه للشرع.

و روى فى الوسائل عن الكلينى باسناده عن أبى محمّد الوابشى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: احذروا أهوائكم كما تحذرون أعدائكم فليس بشيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم و حصائد ألسنتهم.

و عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: كان أبو الحسن عليه السّلام يقول: لا تدع النفس و هواها فإنّ هواها فى رداها و ترك النفس و ما تهوى اذاها، و ترك النفس عما تهوى دواؤها، هذا.

و فى بعض النسخ سهوات القلوب بالسّين المهمله فالمراد بها غفلاتها كما فى قوله سبحانه:

«فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ».

أى غافلون عنها تاركين لها أو تحمل سهواتها على سهواتها الناشئه عن ترك التّحفظ و قلّه المبالاه فإنّها لا تقبح المؤاخذه عليها حينئذ كما أشرنا إليه آنفا فى شرح قوله اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منّى، فإنّ السهو و النسيان متقاربان و كلاهما من

الشيطان بهما يقطع العبد عن سلوك لللل الجنان و الرضوان كما قال أمير المؤمنين في روايه الكافى «فى القلب ظ» لمتان لمة من الشيطان و لمة من الملك فلمه الملك الرّقه و الفهم و لمة الشيطان السّهو و القسوه هذا.

و ذكر قوله:(و هفوات اللسان) بعد سقطات الألفاظ إمّا من قبيل التّأكيد أو ذكر الخاصّ بعد العامّ لمزيد الاهتمام بأن يكون المراد بسقطات الألفاظ ما ليس فيها ثمره اخرويّه سواء كانت حراما و مضرّه فى الآخره أو لا يكون فيها نفع و لا ضرر كالكلام اللغو، و بهفوات اللسان خصوص ما يوجب المؤاخذة فى الآخره كالغيبه و البهت و النميمه و السعايه و الاستهزاء و التهمه و السبّ و الكذب إلى غير ذلك، فإنّ كلّ ذلك مباین لمكارم الأخلاق و حسن الشّيمه مناف لمقتضى الايمان و التقوى و المروّه و معقب للخسران و الندامه فى الآخره.

و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم طوبى لمن انفق فضلات ماله و أمسك فضلات لسانه.

و قال أيضا إنّ مقعد ملكيك على ثنيك(١) لسانك قلمهما و ريقك مدادهما و أنت تجرى فيما لا يعينك(٢) و لا تستحى من الله و لا منهما.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله يعذب اللّسان بعذاب لا يعذب به شىء من الجوارح فيقول: أى ربّ عدّبتنى بعذاب لا تعدّب به شيئا من الجوارح قال فيقال له: خرجت منك كلمه فبلغت مشارق الأرض و مغاربها فسفكك بها الدّم الحرام و أخذ بها المال الحرام و انتهك بها الفرج الحرام فوعزّتى لأعدّبتنك بعذاب لا أعدّب به شيئا من جوارحك، رواه فى الكافى عن أبى عبد الله عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله نحوه.

و من غريب ما وقع لأبى يوسف و هو من أكابر علماء الأدبيّه و عظماء الشيعة و هو من أصحاب الجواد و الهادى عليهما السّلام أنّه قال فى التّحذير من عثرات اللّسان.

يصاب الفتى من عثره بلسانه و ليس يصاب المرء من عثره الرّجل

ص: ٢٥٣

١- (١) أى ثنايا الاسنان.

٢- (٢) أى لا يهّمك.

فَعَثَرَتْهُ فِي الْقَوْلِ تَذْهَبُ رَأْسَهُ وَ عَثَرَتْهُ فِي الرَّجْلِ تَذْهَبُ عَنْ مَهْلٍ

فَاتَّفَقَ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ الْعَبَّاسِيَّ أَلْزَمَهُ تَأْدِيبُ وَلَدِيهِ الْمُعْتَرِّ وَالْمُؤَيَّدِ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا: أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ ابْنَايَ هَذَا أَمْ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ قَنْبَرَ الْخَادِمِ خَادِمَ عَلِيِّ خَيْرَ مِنْكَ وَ مِنْ ابْنِكَ، فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لَعَنَهُ اللَّهُ لِأَتْرَاكَه: سَلُّوا لِسَانَهُ مِنْ قَفَاهُ، فَفَعَلُوا فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

و روى عن سيّد السّاجدين عليه السّلام قال: لسان ابن آدم يشرف كلّ يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا و يقولون: الله الله فينا و يناشدونه و يقولون: إنّما نثاب و نعاقب بك.

إلى غير هذه من الأخبار الواردة في مدح الصّمت و ذم التكلّم و يأتي إنشاء الله جملة منها في شرح الخطبة المأه و الثالثة و التسعين، فاللّازم على العاقل الصمت و السّكوت بقدر الامكان كي يسلم عن زلّات اللّسان و عثرات البيان و فضول الكلام و «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ».

الترجمه

از جمله کلمات آن امامست که دعا میکرد به آنها و می گفت:

بار خدایا بیامرزش برای من آن چیزی را که تو داناتری بآن از من پس اگر من باز کردم بسوی آن پس باز گرد تو از برای من بآمرزیدن، خداوندا بیامرزش برای من آن چیزی را که من وعده کردم از نفس خود از برای تو و نیافتی مرا او را وفا در نزد من بار خدایا بیامرزش از برای من عملهایی که تقرّب جستم با آنها بسوی تو پس مخالفت نمود آنرا قلب من. بار خدایا بیامرزش از برای من اشارتهای گوشه های چشم ببدیها و بیهوده های گفتارها و شهوات قلب و لغزشات زبان را، و لنعم ما قیل:

زبان بسیار سر بر باد داد است زبان سر را عدوی خانه زاد است

عدوی خانه خنجر تیز کرده تو از خصم برون پرهیز کرده

نشد خاموش کبک کوهساری از آن شد طعمه باز شکاری

اگر طوطی زبان می بست در کام نه خود را در قفس دیدی نه در دام

خموشی پرده پوش راز باشد نه مانند سخن غمّاز باشد

و من کلام له علیه السلام و هو الثامن و السبعون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و هو مروی فی غیر واحد من الكتب المعتمده باختلافات کثیره علی ما ستطلع علیها، و فی الاحتجاج مثل الكتاب قاله علیه السلام لبعض أصحابه لما عزم علی المسیر إلی الخوارج فقال له بعض أصحابه: یا أمیر المؤمنین إن سرت فی هذا الوقت خشیت أن لا تظفر بمرادک من طریق علم النجوم فقال:

تزعم أنك تهدي إلی السّاعه الّتی من سار فیها صرف عنه السوء و تخوّف السّاعه الّتی من سار فیها حاق به الضّرّ، فمن صدّقک بهذا فقد کذب القرآن و استغنی عن الاستعانه بالله فی نیل المحبوب و دفع المکروه، و ینبغی فی قولک للعامل بأمرک أن یولیّک الحمد دون ربّه، لأنّک بزعمک أنت هدیته إلی السّاعه الّتی نال فیها النّفع و أمن الضّرّ، ثمّ أقبل علیه السّلام علی النّاس فقال: أيّها النّاس إیّاکم و تعلّم النّجوم إلّا ما یهتدی به فی برّ أو بحر فإنّها تدعو إلی الکهان، المنجم کالکاهن، و الکاهن کالسّاحر، و السّاحر کالکافر، و الکافر فی النّار سیروا علی اسم الله.

ص: ۲۵۵

(حاق به الضّر) أحاط قال تعالى: ولا يحق المكر السيء إلا بأهله، والضّر بالضمّ وفي بعض النسخ بالفتح ضدّ النفع أو بالفتح مصدر و بالضمّ اسم أو بالفتح ضدّ النفع و بالضمّ سوء الحال قال تعالى: ربّ إنّى مسنى الضّر، و (يوليک) مضارع باب الافعال أو من باب التّفعيل يقال أوليته الأمر وليته آياه أى جعلته واليا له و متسلّطا عليه و (كهّن) له من باب نصر و منع و كرم كهانه بالفتح و تكهّن تكهنا قضى له بالغيب فهو كاهن و الجمع كهنه و كهان و حرفته الكهانه بالكسر.

الاعراب

الفاء فى قوله فمن صدقك فصيحى اى أنت إذا زعمت هذا فمن صدّقك بهذا اه، و قوله: و ينبغى فى قولك أى على قولك أو بسبب قولك أو هى للطرفيه المجازيه، و قوله دون ربّه، ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف وقع حالا من فاعل يولى أى متجاوزا ربه و دون ممّا يتوسّع فيه و يستعمل فى كلّ مجاوز حدّ الى حدّ و تخطى أمر إلى أمر، و قوله أنت هديته، لفظ أنت إمّا تأكيد لكاف أنّك أو ضمير فصل بين الاسم و الخبر على حدّ قوله: إنك أنت السميع العليم.

و قوله أيّها الناس كلمه أى اسم وضع للتوصّل إلى نداء ما فيه أل استكراها لاجتماع آلتى التعريف أعنى النداء و حرف التعريف فحاولوا أن يفصلوا بينهما بشىء فطلبوا اسما مبهما غير دالّ على ماهيته معيّنه محتاجا بالوضع فى الدلالة عليها إلى شىء آخر يزيل عنه الابهام يقع النداء فى الظاهر على ذلك الاسم المبهّم و فى الحقيقة على ذلك المخصّص الرافع للابهام عنه.

فوجدوا الاسم المتّصف بهذه الصّيفه أيّا بشرط قطعه (1) عن الاضافه و اسم الاشاره حيث وضعها مبهمين مشروطا بازاله إبهامهما بشىء اما اسم الاشاره فبالاشاره الحسيّه و أمّا أى فباسم آخر بعده إلا أنّ أى لما كان أدخل فى الابهام من اسم

ص: ٢٥٦

١- (١) و انما شرطوا ذلك لأنّ الاضافه يخصصه نحو أى رجل، منه.

الإشارة و أحوج إلى الوصف منه لأنّ زوال إبهامه أنّما هو باسم بعده بخلاف اسم الإشارة فإنّه قد يزول إبهامه بالإشارة الحسيّة حسبما ذكرنا، و لهذا جاز يا هذا و لم يجز يا أيّ لا جرم خصّوا الفصل بين حرف النداء و اللام التعريف به و جعلوا المعرّف باللام المزيل عنه الإبهام وصفا له.

فأىّ فى قوله أيّها النّاس منادى مفرد معرفه مبنى على الضمّ و ها حرف تنبيه و النّاس صفه لأىّ و قال الأخفش فى يا أيّها الرّجل: إنّ أيا لا تكون وصله و إنّما هو موصول و ذو اللام بعده خبر مبتداء محذوف و الجملة صلّه أىّ و إنّما وجب هذا المبتدأ لمناسبه التخفيف للمنادى و لا سيّما إذا زيد عليه كلمتان أعنى أيّها فالمعنى يا من هو الرّجل.

قال الرّضىّ و يصحّ تقويه مذهبه بكثره وقوع أىّ موصوله فى غير هذا الموضع و ندور كونها موصوفه و قوله: إيّاكم و تعلم التّجوم تحذير و قال ابن الحاجب فى الكافيه التحذير معمول بتقدير اتّق تحذيرا ممّا بعده أو ذكر المحذر منه مكرّرا نحو إيّاك و الأسد و إيّاك و أن تحذف و الطريق الطريق.

و قال نجم الأئمه الرّضىّ فى شرحه: قال المصنّف: كان أصل إيّاك و الأسد اتقك ثمّ أنّهم لما كانوا لا يجمعون بين ضمير الفاعل و المفعول لواحد إذا اتّصلا جاءوا بالنّفس مضافا إلى الكاف فقالوا اتّق نفسك ثمّ حذفوا الفعل لكثرة الاستعمال، ثمّ حذفوا النّفس لعدم الاحتياج إليه لأنّ اجتماع الضميرين زال بحذف الفاعل مع الفعل فرجع الكاف، و لم يجز أن يكون متّصلا لأنّ عامله مقدّم كما يجىء فى باب المضمّر فصار منفصلا.

قال الرّضىّ: و أرى أنّ هذا الذى ارتكبه تطويل مستغنى عنه و الأولى أن يقال هو بتقدير إيّاك باعد أوتجّ باضممار العامل بعد المفعول و أنّما جاز اجتماع ضميرى الفاعل و المفعول لواحد لكون أحدهما منفصلا كما جاز ما ضربت إلا إيّاك و ما ضربت إلا إيّاى، إلى أن قال و أنّما وجب حذف الفاعل فى نحو إيّاك لأنّه

فى معنى المكرر الذى ذكرنا(١) أنه يجب حذف فعله لأن معنى إِيَّاكَ أى بَعْدَ نَفْسِكَ من الأسد.

و فحوى هذا الكلام احذر الأسد و معنى الأسد أى بَعْدَ الأسد عن نفسك و هو أيضا بمعنى لَحِذِرِ الأسد لأن تباعد الأسد عن نفسك بأن تتباعد عنه فكأنك قلت:

الأسد الأسد.

فان قلت المعطوف فى حكم المعطوف عليه و إِيَّاكَ محذّر و الأسد المحذّر منه و هما متخالفان فكيف جاز العطف؟ فالجواب أنّه لا- يجب مشاركته الاسم المعطوف للمعطوف عليه إلّا فى الجهة المنتسب بها المعطوف عليه إلى عامله و جهة انتساب إِيَّاكَ إلى عامله كونه مفعولا به أى مبعدا و كذا الأسد إذ المعنى إِيَّاكَ بَعْدَ و بَعْدَ الأسد.

المعنى

إشاره

اعلم أنّ هذا الكلام قاله (لَمَّا عَزَمَ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَى) حرب (الخوارج فقال له بعض أصحابه) و هو عفيف بن قيس أخو أشعث بن القيس الكندى الملعون رأس المنافقين و مثير الفتن فى أيام خلافة أمير المؤمنين و لا سيّما وقعه صفين حسبما عرفت فيما سبق.

و كيف كان فقال له عفيف (يا أمير المؤمنين إن سرت فى هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك) الذى هو الغلبه على أهل النهر (من طريق علم النجوم) فقال له على سبيل الاستفهام التقريرى (أ تزعم أنّك تهدى إلى السّاعه التى من سار فيها صرف عنه السّوء) لسعود السّاعه (و تخوف) من (السّاعه التى من سار فيها حاق به الضرّ) و أحاط به سوء الحال بملاحظه نحوس السّاعه (فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن) أى من صدّقك بدعواك العلم بالسّاعتين فقد كذّب كتاب الله لأنّ الله

ص: ٢٥٨

١- (١) و هو ما ذكره سابقا بقوله و حكمه اختصاص وجوب الحذف بالمحذّر منه المكرر كون تكريره دالا على مقارنه محذّر منه للمحذّر بحيث يضيق الوقت إلّا عن ذكر محذّر منه على ابلغ ما يمكن و ذلك بتكريره و لا يتّسع بذكر العامل مع هذا المكرر انتهى.

تعالى يقول:

«وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا» و«قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ».

إلى غير ذلك مما أفاد انحصار العلوم الغيبية في الله سبحانه.

وقال العلامة المجلسي (ره): ويمكن حمل الكلام على وجه آخر وهو أن قول المنجم بأن صرف السوء و نزول الضرر تابع للساعة سواء قال إن الأوضاع العلوية مؤثره تامه في الساعات والأيام يجوز تخلف الآثار عنها أو قال بأنها مؤثرات ناقصة ولكن باقى المؤثرات أمور لا يتطرق إليها التغيير أو قال بأنها علامات تدل على وقوع الحوادث حتما فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنه سبحانه يمحو ما يشاء ويثبت و أنه يقبض و يبسط و يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، و لم يفرغ من الأمر و هو تعالى كل يوم فى شأن.

و الظاهر من أحوال المنجمين السابقين و كلماتهم جلهم بل كلهم أنهم لا يقولون بالتخلف وقوعا أو إمكانا فيكون تصديقهم مخالفا لتصديق القرآن و ما علم من الدين و الايمان من هذا الوجه.

و لو كان منهم من يقول بجواز التخلف و وقوعه بقدره الله و اختياره و أنه نزول نحوسه الساعة بالتوكل و الدعاء و التوسل و التصديق و ينقلب السعد نحسا و النحس سعدا و بأن الحوادث لا يعلم وقوعها إلا إذا علم أن الله سبحانه لم تتعلق حكمته بتبدل أحكامها، كان كلامه عليه السلام مخصوصا بمن لم يكن كذلك، فالمراد بقوله صرف عنه السوء و حاق به الضرر أى حتما هذا.

و لما نبه على فساد زعم المنجم بكون تصديقه موجبا لتكذيب كلام الله سبحانه نبه على فساد ثانيا بقوله (و استغنى) أى مصدقك و متبعك (عن الاستعانة بالله) تعالى (فى نيل المحبوب و دفع المكروه) لأنك اذا كنت عارفا بالساعة السعد

و السّاعه النّحس و هاديا إليهما فيهتدى بكّ التابعون لكّ و المصدّقون بكّ و يتراقبون بعد السّاعات فينالون الخير و السيّء عاده و يتّقون نحسها فيسلمون من النّحوسه و الكراهه فيلزم على ذلك استغنائهم بكّ عن الله و غناهم برأيك عن اللّجأ إلى الله و الفزع إليه سبحانه.

(و) أيضا (ينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يولييك الحمد دون ربّه لأنك بزعمك أنت هديته إلى السّاعه التي نال فيها النفع و آمن فيها الضرّ) فكنت أنت المنعم عليه بتلك النعمه فلا بدّ أن تستحقّ الحمد و الثّناء بذلك و لزم أن يكون حمده على تلك النعمه راجعا إليك.

(ثم) إنّ بعد التنبيه على فساد زعم المنجّم بالوجوه الثلاثه (أقبل على الناس) و نهاهم عن الأخذ بالنجوم و حدّزهم عن تعلّمها (فقال أيها الناس إياكم و تعلّم النجوم) قال الشارح البحراني: الذي يلوح من سرّ نهى الحكمه النبوّيه عن تعلّم النجوم أمران الأوّل اشتغال متعلّمها بها و اعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب و الأوقات و الاشتغال بالفزع إليه و إلى ملاحظه الكواكب عن الفزع إلى الله و الغفله عن الرّجوع إليه فيما يهّم من الأحوال و قد علمت أنّ ذلك يضادّ المطلوب الشارع إذ كان غرضه ليس إلّا دوام التفات الخلق إلى الله و تذكّركم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثاني أنّ الأحكام النجوميه اخبارات عن امور سيكون و هي تشبه الاطلاع على الامور الغيبيه و أكثر الخلق من العوام و النساء و الصبيان لا يميزون بينها و بين علم الغيب و الأخبار به فكان تعلّم تلك الأحكام و الحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق و موهنا لاعتقاداتهم في المعجزات أو الاخبار عن الكائنات منها و كذلك في عظمه بارئهم و يشكّكهم في عموم الآيات الدّاله على اختصاص علم الغيب بالله سبحانه، و كان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانه و السحر و العزائم و نحوهما.

و كيف كان فلما نهى الناس عن تعلّم النجوم بالوجهين الذين عرفت استثنى عن ذلك قوله (إلّا ما يهتدى به في برّ أو بحر) لعدم استلزام ذلك الجهتين المذكورتين

و قد نصّ على جواز الاهتداء بها الآيات الكريمه مضافه إلى الأخبار الكثيره قال تعالى «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» و قال تعالى: «وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ».

قال الطبرسى لأنّ من النجوم ما يكون بين يدي الانسان و منها ما يكون خلفه و منها ما يكون عن يمينه و منها ما يكون عن يساره و يهتدى بها فى الاسفار و فى البلاد و فى القبله و أوقات الليل و إلى الطرق فى مسالك البرارى و البحار، و قيل أراد الاهتداء به فى القبله، قال ابن عباس: سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم عنه فقال: الجدى علامه قبلتكم و به تهتدون فى برّكم و بحرکم.

أقول: و هذه الروايه موافقه لما رواه الصدوق مرسلا قال: قال رجل للصادق عليه السلام: أنا اكون فى السفر و لا اهتدى إلى القبله بالليل قال أتعرف الكوكب الذى يقال له جدى؟ قلت: نعم قال: اجعله على يمينك و إذا كنت فى طريق الحجّ فاجعله بين كتفيك.

و روى أيضا محمد بن سنان عن أحدهما عليه السلام قال: سألته عن القبله قال: ضع الجدى فى قفاك و صلّ هذا.

و لا- ينحصر جواز تعلّمها فيما ذكر بل ربّما يجوز التعلّم لما يترتب عليها من الأحكام الشرعيه المتعلّقه بها فى أبواب العبادات و المعاملات بل قد يجب لوجوب الحكم المرتّب عليها فيجب معرفتها من باب المقدّمه مثلا- لوجوب معرفه الأوقات الخمسه للصّلاه و معرفه الحول المضروبه للزكاه و اتيان الحجّ و العمره فى الأشهر المعلومات و ضبط عدد الحولين لرضاع الحاملات و تعيين أيام العده للمتوفّى عنها زوجها و للحامل و سائر المطلقات، و العلم بما ضربت للدين المؤجل من الأوقات كما اشير إلى ذلك فى غير واحده من الآيات قال تعالى:

«أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ» و قال

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ» وقال «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» وقد مضى فى سادس تنبيهات الفصل الثامن من فصول الخطبه الاولى ما يوجب ازدياد بصيرتك فى المقام فتذكّر، وقوله (فانّها تدعو إلى الكهانه) تعليل للنهى عن النجوم والكهانه بالكسر.

قال فى البحار هى عمل يوجب طاعه بعض الجانّ له بحيث يأتيه بالأخبار الغايبه و هو قريب من السّحر قيل: قد كان فى العرب كهنه كشق و سطيح و غيرهما فمنهم من يزعم أنّ له تابعا من الجنّ و دئيا يلقي إليه الأخبار، و منهم من كان يزعم أنّه يعرف الامور بمقدمات و أسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله و هذا يخصونه باسم العراف كالذى يدعى معرفه الشّئ المسروق و مكان الضاله و نحوهما.

و دعوه علم النجوم إلى الكهانه إمّا لانه ينجزّ أمر النجم إلى الرغبه فى تعلّم الكهانه و التّكسب به أو ادّعاء ما يدّعيه الكاهن، ثمّ إنّ شبه المنجم بالكاهن و قال (المنجم كالكاهن) و وجه الشّبه إمّا الاشتراك فى الاخبار عن الغايات أو فى الكذب و الاخبار بالظنّ و التخمين و الاستناد إلى الامارات الضعيفه و المناسبات السّخيفه أو فى العدول و الانحراف عن سبيل الحقّ و التمسك فى نيل المطالب و درك المآرب بأسباب خارجه عن حدود الشّريعه و صدّهم عن التوسل إلى الله بالدعاء و الصدقه و ساير أصناف الطاعه، أو فى البعد عن الرحمه و المغفره.

و يجرى بعض هذه الوجوه فى التشبيهن فى قوله: (و الكاهن كالساحر و الساحر كالكافر) و المشبه به فى التشبيهات أقوى.

و السحر على ما قيل كلام أو كتابه أو رقيه أو أقسام و عزايم و نحوها يحدث بسببها ضرر على الغير، و منه عقد الرّجل عن زوجته و القاء البغضاء بين الناس، و منه استخدام الملائكه و الجنّ و استئزال الشّياطين فى كشف الغايات و علاج المصاب

و استحضارهم و تلبسهم ببدن صبيّ أو امرئه و كشف الغايات على لسانه انتهى.

و الظاهر أنّه لا يختصّ بالضرر بل ربّما يفعل لعبا أو لإبداء أمر غريب و عن صاحب العين السحر عمل يقرب إلى الشياطين و من السحر الاخذة التي تأخذ العين حتّى تظن أنّ الأمر كما ترى، و ليس الأمر كما ترى فالسحر عمل خفيّ لخفاء سببه يصوّر الشئ بخلاف صورته و يقلبه من جنسه في الظاهر و لا يقلبه من جنسه في الحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى:

«يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى».

و قال: الشيخ في محكيّ كلامه عن التبيان قيل في معنى السحر أربعة أقوال:

احدها أنّه خدع و مخاريق و تمويهات لا حقيقة يخيّل إلى المسحور أنها حقيقة.

و الثاني أنّه اخذ بالعين على وجه الحيلة.

و الثالث أنّه قلب الحيوان من صورته إلى صورته و إنشاء الاجسام على وجه الاختراع فيمكن السحر أن يقلب الانسان حمارا و ينشئ أجساما.

و الرابع أنّه ضرب من خدمه الجنّ و أقرب الأقوال الأوّل لأنّ كلّ شئ خرج عن العادة الجارية فأنّه سحر لا يجوز أن يأتي من السّاحر، و من جوّز شيئا من هذا فقد كفر لأنّه لا يمكن مع ذلك العلم بصحة المعجزات الدّالة على النبوات لأنّه أجاز مثله على جهه الحيلة و السحر و في الرياض و السحر عرف تاره بما في الكتاب قال تعالى:

«فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ».

و في الاحتجاج من أكبر السحر النميمه يفرق بها بين المتحابين و يجلب العداوه بين المتصادقين، قيل: و منه استخدام الجنّ و عرف بأنّه عمل يستفاد منه حصول ملكه نفسانيه يقتدر بها على أفعال غريبه و اخرى لوجه يدخل فيه العلم الطلسمات و الثّيرنجات و غير ذلك، و ذلك أن يقال هو استحداث الخوارق إمّا بمجرّد التأثيرات النفسانيه

و هو السِّحر أو بالاستعانه بالفلكيات فقط و هو دعوه الكواكب، أو على تمزيج القوى السّماويه بالقوى الأرضيه و هو الطلسمات، أو على سبيل الاستعانه بالأرواح السّاذجه و هو العزائم قيل: و الكلّ حرام فى شريعته الاسلام.

و ظاهره اجماع المسلمين عليه و هو الحجه مضافا إلى النّصوص المستفيضه منها، و يدخل فيه النير نجات على ما ورد فى الساحر أنّ دم السّاحر حلال و أنّ تعلم السِّحر آخر العهد باللّٰه تعالى و حدّه القتل و نحو ذلك، و ظاهرها التّحريم مطلقا و قد استثنى منه السّحر للتوقى و دفع المتنبى و ربّما وجب كفايه.

و روى فى العيون فى تفسير آيه هاروت و ماروت أنّه كان بعد نوح قد كثرت السِّحره و المموهون فبعث اللّٰه ملكين إلى نبىّ ذلك الزّمان يذكر ما يسحر به السحره و ذكر ما يبطل به سحرهم و يرّدّ به كيدهم فتلقاه النبىّ من الملكين و أداه إلى عباد اللّٰه بأمر اللّٰه أن يقفوا به على السِّحر و أن يبطلوه و نهاهم أن يسحروا به الناس، و ربّما خصّت روايات الحلّ بغير السِّحر كالقرآن و الذّكر و التعويذ و نحوها جمعا و هو أحوط.

ثمّ إنّّه بعد تشبيه المنجّم بالكاهن و الكاهن بالساحر و الساحر بالكافر أشار بقوله (و الكافر فى النّار) إلى نتيجه الجميع و هو دخول النّار إما على وجه الخلود كما فى الكافر أولا كما فى غيره، و لما فرغ من تنفير أصحابه عن تعلّم النجوم و قبول أحكامها أمرهم بالمسير بقوله: (سيروا على اسم اللّٰه) و عونّه.

و ينبغى

تذييل المقام بامور مهمه

الأوّل

اعلم أنّ هذا الكلام ممّا اشتهرت روايته بين الخاصّه و العامّه و قد روى بطرق مختلفه مع اختلاف كثير فى متنه و لا بأس بالاشاره إلى بعض تلك الطرق استبصارا و اطلاعا منك على مواقع الاختلاف و استظهارا و استنصارا لما أورد السيّد فى الكتاب فأقول:

منها ما فى شرح المعتزلى عند شرح لخطبه السيّداسه و الثلاثين قال: روى ابن ديزيل قال: عزم على الخروج من الكوفه إلى الحروريّه و كان فى أصحابه منجّم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسرفى هذه السّاعه و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار

ص: ٢٦٤

فانك إن سرت في هذه الساعة أصابك و أصاب أصحابك أذى و ضرّ شديد، و إن سرت في ساعه التي أمرتك بها ظفرت(١) و ظهرت و أصبت ما طلبت.

فقال له عليّ أ تدرى ما في بطن فرسى هذه أذكر هو أم انثى؟ قال: إن حسبت علمت، فقال من صدّقك بهذا فقد كذب القرآن قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» الآية.

ثمّ قال إنّ محمّدا ما كان يدّعى علم ما ادّعت علمه، أ تزعم أنك تهدي إلى الساعه التي يصيب النفع من سار فيها و تصرف عن الساعه التي يحق(٢) السوء لمن سار فيها فمن صدّقك فقد استغنى عن الاستعانه بالله جلّ ذكره في صرف المكروه عنه و ينبغي للمؤمن بأمرك أن يولييك الحمد دون الله جلّ جلاله لأنك بزعمك هديته إلى الساعه التي يصيب النفع من سار فيها، و صرفته عن الساعه التي يحق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم امن عليه أن يكون كمن اتّخذ من دون الله ضدا و ندا، اللهم لا طير إلّا طيرك و لا ضير إلّا ضيرك و لا إله غيرك.

ثمّ قال: نخالف و نسير في الساعه التي نهيتنا عنها، ثمّ أقبل على الناس فقال:

أيها النّاس إياكم و التعلّم للنجوم إلّا ما يهتدى به في ظلمات البرّ و البحر إنّما المنجّم كالكاهن و الكاهن كالكاfer و الكافر في النّار، أما و الله لان بلغنى أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك في السجن أبدا ما بقيت و لأحرمتك العطاء ما كان لى من سلطان.

ثمّ سار في الساعه التي نهاه عنها المنجّم فظفر بأهل النهر و ظهر عليهم، ثمّ قال عليه السّلام لو سرنا في الساعه التي أمرنا بها المنجّم لقال الناس سار في الساعه التي أمر بها المنجّم فظفر و ظهر أما أنّه ما كان لمحمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم منجّم و لا لنا من بعده حتّى فتح الله علينا بلاد كسرى و قيصر أيها الناس توكلوا على الله و اتّقوا الله فأنّه يكفى ممّن سواه.

و منها ما في البحار من مجالس الصّدوق عن محمّد بن عليّ ما جيلويه عن محمّد

ص: ٢٤٥

١- (١) ظفر بمطلوبه فاز، لغه.

٢- (٢) حاق به السوء لزمه.

ابن أبي القاسم عن محمد بن علي القرشي عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر.

قال: لما أراد أمير المؤمنين المسير إلى النهر و ان أتاه منجم فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسرفي هذه الساعه و سرفي ثلاث ساعات مضين من النهار، فقال أمير المؤمنين: و لم ذلك؟ قال: لأنك إن سرت في هذه الساعه أصابك و أصاب أصحابك اذى و ضرر شديد و إن سرت في الساعه التي أمرتك ظفرت و ظهرت و أصبت كما طلبت.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام تدرى ما في بطن هذا الدابه ذكر أم انثى؟ قال:

إن حسبت علمت، قال له أمير المؤمنين عليه السلام من صدقك على هذا القول كذب بالقرآن قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا، و ما تدرى نفس بأى أرض تموت إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

ما كان محمد يدعى ما ادعت أ تزعم أنك تهدي إلى الساعه التى من سار فيها صرف عنه سوء و الساعه التى من سار فيها حاق به الضر من صدقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانه بالله عزّ و جلّ، و فى ذلك الوجه و أحوج إلى الرّغبه إليك فى دفع المكروه عنه و ينبغى له أن يوليک دون ربه عزّ و جلّ فمن آمن لك بهذا فقد اتّخذك من دون الله ندا و ضدا.

ثم قال: اللهم لا طير إلا طيرك و لا ضير إلا ضيرك و لا خيرك إلا خيرك و لا إله غيرك بل نكذبك و نخالفك و نسير فى الساعه التى نهيت عنها.

قال المحدث المجلسى بعد ما أورد الروايه: قوله: من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن لادّعائه العلم الذى أخبر الله سبحانه أنه مختصّ به إذ ظاهر قوله تعالى عنده الاختصاص.

فان قيل: فقد أخبر النبي فالأئمه بالخمس المذكوره فى الآيه فى مواطن كثيره فكيف ذلك؟

قلنا: المراد أنّه لا يعلمها أحد بغير تعليمه سبحانه و ما أخبروه من ذلك فأنما كان بالوحي و الالهام أو التّعلم من النّبىّ الذى علمه بالوحي.

لا- يقال: علم النّجوم أيضا من هذا القبيل لما سيأتى من الأخبار الدّاله على أنّ له أصلا و أنّه ممّا علمه الله أنبياءه فكيف يكون تصديق المنجّم تكذيبا بالقرآن؟ لأننا نقول الذى سيظهر من الأخبار أنّ نوعا من هذا العلم حقا يعلمه الأنبياء و الأوصياء و أمّا أنّ ما فى أيدي الناس من ذلك فلا.

و قوله أن يوليئك الحمد، على بناء الافعال أو التّفعل أى يقربك من الحمد من الولى بمعنى القرب أو من قولهم ولاه الأمير عمل كذا أى قلّده إياه أى يجعلك وليا لمحمّد «للحمد ظ» و أهلا- له أو من قولهم أوليته معروفا أى أنعمت عليه لا طير إلّا طيرك الطير من الطيره و هى التّشام بالشىء أى لا تاثير للطيره إلّا طيرك أى قضاؤك و قدرك على المشاكلة و يدلّ على أنّ ضرر النّجوم من جهة الطيره، و الضير الضرر.

الثانى

قال السيّد الجليل علىّ بن طاوس (ره) فى محكىّ كلامه عن كتاب النّجوم بعد ما أورد هذا الكلام له عليه السّلام نقلا عن الرّضىّ (ره) فى الكتاب:

إنّنى رأيت فيما وقفت عليه فى كتاب عيون الجواهر تأليف أبى جعفر محمّد بن بابويه (ره) حديث المنجّم الذى عرض لمولانا علىّ عليه السّلام عند مسيره إلى النهروان مسندا عن محمّد بن علىّ ما جيلويه عن عمّه محمّد بن أبى القاسم عن محمّد بن علىّ القرشى عن نصر بن مزاحم المنقرى عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف ابن الأحمر قال: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السّلام المسير إلى النهروان أتاه منجّم، ثمّ ذكر حديثه.

قال: فأقول إنّ فى هذا الحديث عدّه رجال لا يعمل علماء أهل البيت عليهم السّلام على روايتهم و يمنع من يجوز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و شهادتهم و فيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص مقاتل الحسين عليه السّلام فإنّ أخباره و رواياته مهجوره

ولا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه.

ثم طعن في الرواية بأنها لو كانت صحيحة لكان عليه السلام قد حكم في هذا على صاحبه الذي قد شهد مصنف نهج البلاغه أنه من أصحابه أيضا بأحكام الكفار إما بكونه مرتدًا عن الفطره فيقتله في الحال أو يرده عن غير الفطره فيتوبه أو يمتنع من التوبه فيقتل لأن الرواية قد تضمنت أن المنجم كالكافر أو كان يجرى عليه أحكام الكهنة أو السحرة لأن الرواية تضمنت أنه كالكاهن والساحر وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنه حكم على هذا المنجم أحكام الكفار ولا السحرة ولا الكهنة ولا أبعد ولا عزّره بل قال: سيروا على اسم الله والمنجم من جملتهم لأنه صاحبه.

وهذا يدلّك على تباعد الرواية من صحّة النقل أو يكون لها تأويل غير ظاهر موافق للعقل.

ثم قال: ومما نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الراوى فيها إن من صدّقك فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانه بالله ونعلم أن الطلائع للحروب مديون على السّلامه من هجوم الجيش و كثير من النّحوس و يبشّرون بالسّلامه و ما الزم من ذلك أن يوليهم الحمد دون ربهم ثم أننا وجدنا في الدّعوات الكثيره التّعوذ من أهل الكهانه و السّحرة فلو كان المنجم مثلهم كان قد تضمن بعض الأدعيه التّعوذ منه و ما عرفنا في الأدعيه التّعوذ من النّجوم و المنجم إلى وقتنا هذا.

ومن التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أن الدّعوات تضمن كثير منها و غيرها من صفات النّبى صلّى الله عليه وآله أنه لم يكن كاهنا ولا ساحرا وما وجدنا إلى الآن ولا كان عالما بالنجوم، فلو كان المنجم كالكاهن والساحر ما كان يبعد أن يتضمنه بعض الروايات والدعوات في ذكر الصفات انتهى كلامه رفع مقامه.

و اورد عليه المحدث المجلسي (ره) بعد نقل كلامه في البحار بقوله، و أقول:

أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصّة والعامة و لذا أورده السيّد (ره) في النهج اذ دأبه فيه أن يروى ما كان مقبول الطرفين و ضعف سند الرواية

التي أورده الصدوق لا يدلّ على ضعف ساير الأسانيد.

و عمر بن سعد الذي يروى عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الذي كان محارب الحسين عليه السلام كما يظهر من كتابه كتاب الصّيفين الذي عندنا، فإن أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرّجل و في كثير من المواضع عمر و مكان عمر، و لم يكن الملعون من جملة رواه الحديث و حملة الأخبار حتّى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة.

و أيضا رواه نصر عنه بعيد جدّا فإنّ نصر كان من أصحاب الباقر عليه السّلام و الملعون لم يبق بعد شهادته الحسين عليه السّلام إلّا قليلا، و الشّواهد على كونه غيره كثيرة لا تخفى على المتدّرب في الاخبار العارف بأحوال الرّجال و هذا من السيّد غريب و أمّا قوله إنّّه لم يحكم بكفر المنجّم فيرد عليه أنّ ظاهر التشبيه بالكافر أنّه ليس بكافر و إنّما يدلّ على اشتراكه معه في بعض الصفات لا في جميع الأحكام كقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة على أنّه عليه السّلام لم يشبهه بالكافر بل بالمشبه بالكافر.

و أما قوله و لا أبعد و لا عزّره، ففيه أنّه قد ظهر مما رواه ابن أبي الحديد الابعاد بالحبس المؤبد و التحريم من العطاء، و لم يعلم أنّه أصرّ المنجّم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتى يستحقّ تعزيرا أو نكالا و عدم اشتغال روايه السيد على هذه الزّيادة لا يدلّ على عدمها، فإنّ عادة السيد الاختصار على ما اختاره من كلامه عليه السّلام بزعمه استيفاء النقل و الرّواية مع عدم النقل في مثل هذا لا يدلّ على العدم.

و كونه من أصحابه عليه السّلام و بينهم لا يدلّ على كونه مرضيا فإنّ جيشه عليه السّلام كان مشتملا على كثير من الخوارج و المنافقين كالأشعث أخى هذا المنجّم على ما ذكره السيد و غيره أنّه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين و مثير أكثر الفتن.

و أما قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بيّن، فإنّ ما يهدى إليه الطلائع و نحوهم ليست امورا يترتب عليها صرف السوء و نيل المحبوب حتما بل يتوقف على اجتماع امور كوجود الشرائط و ارتفاع الموانع و كلّ ذلك لا يتيسّر الظفر بها إلّا بفضل مسبّب الأسباب بخلاف ما ادّعاه المنجّم من أنّ الظفر يترتب حتما على

على الخروج فى الساعه التى اختاره.

و أما عدم التعوّذ من النجوم و المنجّم فلأن المنجّم إنما يعود ضرره إلى نفسه بخلاف السّاحر و الكاهن فانه يترتّب منهما ضرر كثير على الناس، مع أنّ الدّعاء الذى رواه السيد فى كتاب الاستخارات و أوردناه فى هذا الباب يتضمّن البراءه إلى الله من اللّجاء إلى العمل بالنّجوم و طلب الاختيارات منها.

و أما عدم وصف النّبىّ بأنه لم يكن منجّما لأنّ الكفار إنما كانوا يصفونه بالسحر و الكهانه و الشعر فورد براءته عنها ردا عليهم و لم يكونوا يصفونه بالنجوم مع أنه كان عالما بما هو الحقّ من علم النجوم و كان من فضائله صلّى الله عليه و آله

الثالث

روى فى الاحتجاج و البحار قصّيه المنجّم معه عليه السّلام بنحو آخر مشتمل على مطالب غريبه و أحكام عجيبه أحببت ايراد ذلك ضنّنا منّى أن يخلو الشّرح عن ذلك فأقول.

فى الاحتجاج عن سعيد بن جبیر قال استقبل أمير المؤمنين دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنيه: يا أمير المؤمنين تناحست النّجوم الطالعات و تناحست السّعود بالنّحوس و إذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء و يومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه (كوكبان خ ل) و انقده من برجك الثّيران و ليس الحرب لك بمكان.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار المحذّر من الأقدار ما قصّه صاحب الميزان و قصّه صاحب السّيرطان؟ و كم المطالع من الأسد و الشّاعات من المحركات و كم بين السرارى و الدّرارى؟ قال: سانظرو أوما بيده إلى كمّه و أخرج منه اسطرلابا ينظر فيه، فتبسّم عليه السّلام فقال أ تدرى ما حدث البارحه؟ وقع بيت بالصّين، و انفرج برج ما جين، و سقط سور سرانديب، و انهزم بطريق الرّوم بارمنيه (بارميتيه خ ل)، و فقد ديّان اليهودى بايله، و هاج الثّمل بوادى الثّمل، و هلك ملك أفريقيه أ كنت عالما بهذا؟

قال: لا يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السّلام: البارحة سعد سبعون ألف عالم، و ولد فى كلّ عالم سبعون ألفا و الليله يموت مثلهم و هذا منهم، و أوما بيده إلى سعد بن مسعده الحارثى لعنه الله و كان جاسوسا للخوارج فى عسكر أمير المؤمنين، فظنّ الملعون أنّه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات، فخرّ الدهقان ساجدا.

فقال أمير المؤمنين ألم اروّك من عين التّوفيق؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السّلام أنا و صاحبي لا شرقى و لا غربى نحن ناشئه القطب و أعلام الفلك أما قولك انقذح من برجك النيران، فكان الواجب أن تحكم به لى لا على، و أما نوره و ضياؤه فعندى و أما حريقه و لهبه فذهب عني فهذه مسأله عميقه احسبها إن كنت حاسبا.

قال المحدث المجلسى فى شرحه بعد ما أورده فى البحار: «ما قصّه صاحب الميزان» أى الكواكب التى الآن فى برج الميزان أو الكواكب المتعلّقه بتلك البرج المناسبه لها، و كذا صاحب السّيرطان و «كم المطالع» أى كم طلع من ذلك البرج الآن و «السّاعات» أى كم مضى من طلوع السّاعات من طلوع سائر المحرّكات.

و لعلّ المراد «بالسّيرارى» الكواكب الخفيه تشبيها لها بالسّريه «و الدّرارى» الكواكب الكبيره المضيئه أو اصطلاحان فى الكواكب لا- يعرفهما المنجّمون، و الغرض أنّه لو كان هذا العلم فائما يمكن الحكم به بعد الاحاطه بجميع أوضاع الكواكب و أحوالها و خواصّها فى كلّ آن و زمان و المنجّمون لم يرصدوا من الكواكب إلّا أقلّها و مناط أحكامهم أوضاع السّيّارات فقط مع عدم احاطتهم بأحوال تلك أيضا.

ثمّ تبّه عليه السّلام على عدم احاطته بذلك العلم أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير من الامور الحادثه، و فى القاموس «الطريق» ككبريت القايده من قواد الرّوم تحت يده عشره آلاف رجل انتهى و «ديان اليهود» عالمهم و فى بعض النّسخ بالنّون جمع دن و هو الجبّ العظيم «و صاحبي» أى النّبى «لا شرقى و لا غربى» ايماء إلى قوله سبحانه لا شرقيه و لا غربيه، و الغرض لسنّا كساير الناس

حتّى تحكم علينا بأحكامهم كالتّجوم المنسوبه إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء و الأشراف فانا فوق ذلك كلّه.

«نحن ناشئه القطب» أى الفرقه الناشئه المنسوبه إلى القطب أى حقيقه لثباتهم و استقرارهم فى درجات العزّ و الكمال أو كنايه عن أنّهم غير منسوبين إلى الفلك و الكواكب بل هى منسوبه إليهم و سعادتها بسببهم، أو أنّهم قطب الفلك إذ الفلك يدور ببركتهم «و» هم «أعلام الفلك» بهم يتزيّن و يتبرّك و يسعد.

ثمّ الزم عليه السّلام عليه فى قوله «انقذ من برجك النّيران» بأنّ للنّار جهتين جهه نور و جهه إحراق فنورها لنا و إحراقها على عدوّنا، و يحتمل أن يكون المراد به أنّ الله يدفع ضررها عنّا بتوسّيلنا به تعالى و توكلنا عليه «فهذه مسأله عميقه» أى كوننا ممتازين عن ساير الخلق فى الأحكام أو كون النيران خيرا لنا و شرّاً لعدوّنا و أنّ التوسل و الدّعاء يدفع النحوس و البلاء مسأله عميقه خارجه عن قانون نجومك و حسابك و يبطل جميع ما تظنّ من ذلك.

و فى البحار رويانا باسنادنا إلى الشيخ سعيد محمّد بن رستم بن جرير الطبرى الامامى عن الحسين بن عبد الله الجرمى و محمّد بن هارون التلعكبرى عن محمّد بن أحمد ابن محروم عن أحمد بن القاسم عن يحيى بن عبد الرحمن عن عليّ بن صالح بن حىّ الكوفى عن زياد بن المنذر عن قيس بن سعد قال:

كنت كثيرا اسير أمير المؤمنين عليه السّلام إذا سار إلى وجه من الوجوه فلما قصد أهل النهروان و صرنا بالمداين و كنت يومئذ مسائرا له إذ خرج إليه قوم من أهل المداين من دهاقينهم معهم براذين قد جاءوا بها هديه إليه فقبلها، و كان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المداين يدعى سرسفيل، و كانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى و ترجع إلى قوله فيما سلف فلما بصر بأمر المؤمنين قال له:

يا أمير المؤمنين لترجع عما قصدت قال و لم ذاك يا دهقان؟ قال: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع فنحس أصحاب السعود و سعد أصحاب النحوس و لزم الحكيم

فى مثل هذا اليوم الاستخفاء و الجلوس، و أنّ يومك هذا يوم مميت قد اقترن فيه كوكبان قتّالان، و شرف فيه بهرام فى برج الميزان، و انقدح «و انفذت خ» من برجك النيران و ليس الحرب لك بمكان.

فتبسّم أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ قال: أيّها الدهقان المنبئ بالاخبار و المحذّر من الاقدار ما نزل البارحة فى آخر الميزان و أىّ نجم حلّ فى السّرطان؟ قال: سأنظر ذلك و أخرج من كمه اسطرلابا و تقويما، قال له أمير المؤمنين: أنت مسير الجاريات؟ قال: لا قال: فأنت تقضى على الثابتات؟ قال لا: قال: فاخبرنى عن طول الأسد و تباعده من المطالع و المراجع و ما الزّهره من التّوابع و الجوامع؟ قال: لا علم لى بذلك.

قال عليه السّلام: فما بين السّوارى إلى الدّرارى و ما بين السّاعات إلى المعجزات و كم قدر شعاع المبدرات و كم تحصل الفجر فى الغدوات؟ قال: لا- علم لى بذلك، قال: فهل علمت يا دهقان أنّ الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصّين و انقلب برج ماجين و احترق دور بالزّنج و طفح جبّ سرانديب و تهدم حصن الاندلس و هاج نمل الشّيوخ و انهزم مراق الهنّدى و فقد ديان اليهود بايله و هزم بطريك الروم بروميه و عمى راهب عموديه و سقطت شرفات القسطنطينيه أفعا لم أنت بهذه الحوادث و ما الذى أحدثها شريقها أو غريبها من الفلك؟ قال: لا علم لى بذلك.

قال و بأىّ الكواكب تقضى فى أعلى القطب و بأىّها تنحس من تنحس؟ قال: لا علم لى بذلك قال: فهل علمت أنّه سعد اليوم اثنان و سبعون عالما فى كلّ عالم سبعون عالما، منهم فى البرّ و منهم فى البحر و بعض فى الجبال و بعض فى الغياض و بعض فى العمران و ما الذى أسعدهم؟ قال: لا علم لى بذلك.

قال يا دهقان أظنك حكمت على اقتران المشتري و زحل لما استنار لك فى الغسق و ظهر تلا لاشعاع المريخ و تشريقه فى السحر و قد سار فاتّصل جرمه بجرم تربيع القمر، و ذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلّهم يولدون اليوم و الليله و يموت مثلهم و أشار بيده إلى جاسوس فى عسكره لمعاويه فقال: و يموت هذا فأنّه منهم.

فلما قال عليه السّلام ذلك ظن الرّجل أنّه قال: خذوه فأخذه شيء بقلبه و تكسرت نفسه في صدره فمات لوقته.

فقال: يا دهقان ألم أرك عين «غير خ ل» التقدير في غايه التصوير؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين قال: يا دهقان أنا مخبرك إني و صبحي هؤلاء لا شرقيّون و لا غربيّون إنما نحن ناشئه القطب و ما زعمت أنّه انقذح البارحه من برجى النيران فقد كان يجب أن تحكم معه لى لأنّ نوره و ضيائه عنده فلهبه ذاهب عنيّ.

يا دهقان هذه قضيه عيص فاحسبها و ولّدها ما إن كنت عالما بالأكوار و الأدوار، فقال: لو علمت ذلك لعلمت تحصي عقود القصب في هذه الاجمه.

و مضى أمير المؤمنين فهزم أهل النهروان و قتلهم و عاد بالغنيمه و الظفر، فقال الدّهقان ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا هذا علم مادته في السّماء.

قال المجلسي أكثر السّؤالات المذكوره في الزوايه على تقدير صحتّها و ضبطها مبتيه على اصطلاحات معرفتها مختصه بهم اوردها لبيان عجزه و جهله و عدم إحاطه علمه بما لا بد منه في هذا العلم «و كم تحصل الفجر في الغدوات» يحتمل أن يكون المراد به زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإنّ ذلك يختلف في الفصول و «طفح جبّ سرانديب» امتلاء و ارتفع، و منه سكران طافح و «الشّيح» نبت معروف و يحتمل أن يكون المراد هنا الوادي الذي هو منبته.

و «العموديه» ماء للنّصارى يغمسون فيه اولادهم و «ما الذي أحدثها» أي بزعمك «شرقيها» أي الكواكب «ألم أرك غير التّقدير» بكسر الغين و فتح الياء أي التّغيرات الناشئه من تقديرات الله تعالى و في بعض النّسخ عين التّقدير أي أصله «هذه قضيه عيص» بالاضافه إلى الاصل في القاموس العيص بالكسر الاصل و في بعض النّسخ عويصه أي صعبه شديده و «ولّدها» بصيغه الأمر و تشديد اللّام أي استنتج منها.

الرابع

في تحقيق الكلام في علم النجوم و جواز العمل بأحكامه، و قد اختلف في

ذلك الأخبار ككلمات علمائنا الأخيار و البحث فى مقامات ثلاثه.

المقام الاول

فى بطلان ما زعمه قدماء المنجمين من أنّ الكواكب تفعل فى الأرض و من عليها أفعالا يسندونها إلى طباعها.

فأقول: إنّ اعتقاد ذلك كفر و زندقه و الحاد دلت على امتناعه الأدله النقليه و البراهين العقلية.

قال الشيخ إبراهيم بن نوبخت فى كتاب الياقوت: قول المنجمين يبطله قدم الصانع و اشتراط اختياره و يلزم عليهم أن لا يستقرّ الفعل على حال من الأحوال و قول أهل الطبائع يبطل بمثل ذلك.

و قال العلامة فى شرح ذلك: اختلف قول المنجمين على قسمين: أحدهما قول من قال إنّ الكواكب السبعه حيه مختاره، و الثانى قول من قال إنّها موجهه و القولان باطلان أما الأول فلأنها أجسام محدثه فلا تكون آلهه، و لأنها محتاجه إلى محدث غير جسم فلا بدّ من القول بالصانع، و أما الثانى فلأنّ الكواكب المعين كالمريخ مثلا إذا كان مقتضيا للحرب لزم دوام وقوع الهرج و المرج فى العالم و أن لا يستقرّ أفعالهم على حال من الأحوال و لما كان ذلك باطلا كان ما ذكره باطلا، و أما القائلون بالطبائع الذين يسندون الأفعال إلى مجرّد الطبيعه فيبطل قولهم بمثل ذلك أيضا فإنّ الطبيعه قوه جسمانيه فى كلّ جسم محدث فكلّ قوه حاله فهى محدثه تفتقر إلى محدث غير طبيعه و إلّا لزم التسلسل فلا بدّ من القول بالصانع سبحانه.

و قال أيضا فى محكيّ كتاب المنتهى: التنجيم حرام و كذا تعلم النجوم مع اعتقاد أنّها مؤثره أو أنّ لها مدخلا فى التأثير بالنفع و الضرر و بالجمله كلّ من يعتقد ربط الحركات النفسانيه و الطبيعيه بالحركات الفلكيه و الاتصالات الكوكبيه كافر و أخذ الاجره على ذلك حرام.

و قال علم الهدى فى كتاب الغرر و الدرر: وقد فرغ المتكلمون من الكلام فى أنّ الكواكب لا- يجوز أن تكون فينا فاعله و تكلمنا نحن أيضا فى مواضع على ذلك

و بينا بطلان الطبايع التى يهذون بذكرها و إضافه الافعال إليها و بينا أنّ الفاعل لا بدّ أن يكون حيا قادرا و قد علمنا أنّ الكواكب ليست بهذه الصفه فكيف تفعل و ما يصحّح الأفعال مفقود فيها.

و قد سطر المتكلمون طرفا كثيره فى أنها ليست بحيه و لا قدره أكثرها معترض و اشف(1) ما قيل فى ذلك أنّ الحياه معلوم أنّ الحراره الشديده كحراره النار تنفيها و لا تثبت معها و معلوم أنّ حراره الشمس أشدّ و أقوى من حراره النار بكثير لأنّ الذى يصل إلينا على بعد المسافه من حراره الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حراره النار و ما كان بهذه الصفه من الحراره يستحيل كونه حيا.

و أقوى من ذلك كلّ فى نفى كون الفلك و ما فيه من شمس و قمر و كوكب أحياء السمع و الاجماع و أنّه لا-خلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحياه عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب و أنها مسخره مدبره مصرفه، و ذلك معلوم من دين رسول الله ضروره و إذا قطعنا على نفى الحياه و القدره عن الكواكب فكيف تكون فاعله.

و على أننا قد سلّمنا لهم استظهارا فى الحجه أنّها قادره قلنا إنّ الجسم و إن كان قادرا قدرا فأنّه لا يجوز أن يفعل فى غيره إلّا على سبيل التوليد، و لا بدّ من وصله بين الفاعل و المفعول فيه، و الكواكب غير مماسه لنا و لا وصله بيننا و بينها فكيف تكون فاعله فينا، فان ادعى أنّ الوصله بيننا الهواء فالهواء أولا لا يجوز أن يكون آله فى الحركات الشديده و حمل الاثقال، ثمّ لو كان الهواء آله تحرّكنا بها الكواكب لوجب أن نحسّ بذلك و نعلم أنّ الهواء يحركنا و يصرفنا كما نعلم فى غيرنا من الأجسام إذا حرّكنا بآله على أنّ فى الحوادث الحادثه فينا ما لا يجوز أن يفعل بآله و لا يتولّد عن سبب كالارادات و الاعتقادات و أشياء كثيره فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا.

و هى لا يصحّ أن تكون مخترعه للأفعال لأنّ الجسم لا يجوز أن يكون قادره إلّا

ص: ٢٧٦

بقدره و القدره لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال فأما الادمه(١) فليس تؤثرها الشمس على الحقيقه فى وجوهنا و أبداننا و إنما الله تعالى هو المؤثر لها و فاعلها بتوسط حراره الشمس كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقه بحراره النار و الهاشم لما يهشمه الحجر بثقله و حراره الشمس مسوده الأجسام من جهه معقوله مفهومه كما أن النار تحرق الاجسام على وجه معقول فأى تأثير للكواكب فينا يجرى هذا المجرى فى تمييزه و العلم بصحته فليشر إليه فان ذلك لا قدره عليه.

و مما يمكن أن يعتمد فى إبطال أن تكون الكواكب فاعله و مصرّفه لنا أن ذلك يقتضى سقوط الأمر و النهى و المدح و الذمّ عنّا، و نكون معذورين فى كلّ إساءه تقع منا و نجئها بأيدينا و غير مشكورين على شىء من الاحسان و الافضال و كلّ شىء نفسد به قول المجبره فهو مفسد لهذا المذهب.

الثانى

فى أنه بعد ما تحقق بطلان كون الكواكب عللا- مؤثره مدبره لهذا العالم السّيفلى موجد له فما فيه فهل يمكن كونها أمارات و علامات على وقوع بعض الحوادث فى هذا العالم ممّا يوجده الله تعالى بقدرته، و هل يمكن الاطلاع بالحوادث الاستقباليه من أشكال الكواكب و اتصالاتها و ما يعرض لها من الأوضاع و الهيات بقرب بعضها من بعض أو بعده بأن يجرى عادة الله سبحانه على فعل كذا عند كذا.

الحقّ إمكان ذلك وفاقا لا- كثر الأصحاب لما سمعنا و شاهدنا من إصابه كثير من المنجمين فى أحكامهم النّجوميه و إن كان خطائهم فيها كثيرا أيضا، و يبعد بأن تكون تلك الاصابه كلّها من باب البحث و الاتفاق.

و قد خالف فى ذلك المرتضى و بالغ كلّ المبالغه فى إنكار أصل هذا العلم و زعم أنّ جميع ما اتفق من اخبار المنجمين من باب الاتفاق و التخمين نحو ما يقوله الفوالون.

ص: ٢٧٧

قال فى كتاب الغرر و الدرر ما ملخصه: إنّ جريان عاده الله بأن يفعل أفعالا مخصوصه عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتّصاله أو مفارقه و إن كان جائزا لكن لا- طريق إلى العلم بأنّ ذلك قد وقع و ثبت من أين لنا بأنّ الله تعالى قد أجرى العاده بأن يكون زحلا و المزيخ إذا كان فى درجه الطالع كان نحسا، و أنّ المشتري إذا كان كذلك كان سعدا، و أى سمع مقطوع به جاء بذلك و أى نبى خبر به و استفيد من جهته.

فان عوّلوا فى ذلك على تجربه بأنّا جرّ بنا ذلك و من كان قبلنا فوجدناه على هذه الصّيفه و إذا لم يكن موجبا و جب أن يكون معتادا.

قلنا و من سلم لكم صحّحه هذه التّجربه و انتظامها و اطرادها و قدر أينما خطائكم فيها أكثر من صوابكم و صدقكم أقلّ من كذبكم فالّا نسبتم الصّحه إذا اتفقت منكم إلى الاتفاق الذى يقع من المخمن و المرجّم، فقد رأينا من يصيب من هؤلاء أكثر ممّن يخطئ و هو غير أصل معتمد و لا قاعده صحيحه.

فاذا قلتم: سبب خطأ المنجم زلل دخل عليه فى أخذ الطالع أو تسيير الكواكب، قلنا و لم لا كانت اصابته سببها التخمين و إنّما كان يصحّ لكم هذا التأويل و التّخريج لو كان على صحّحه احكام النجوم دليل قاطع هو غير اصابه المنجم، فالّا إذا كان دليل صحّحه الاحكام الاصابه فالّا كان دليل فسادها الخطاء فما أحدهما فى المقابله إلّا كصاحبه إلى أن قال.

و بعض الرّؤساء بل الوزراء ممّن كان فاضلا فى الأدب و الكتابه و مشعوبا بالنجوم عاملا عليها قال لى يوما و قد جرى حديث يتعلق بأحكام النجوم و رأى من مخايلى التّعجب ممّن يتشاغل بذلك و يفنى زمانه به: اريد أن أسألك عن شىء فى نفسى، فقلت: سل عمّا بدا لك، فقال: اريد أن تعرّفنى هل بلغ بك التّكذيب بأحكام النجوم إلى أن لا تختار يوما لسفر و لبس ثوب جديد و توجه فى حاجه؟ فقلت: قد بلغت إلى ذلك و الحمد لله و زياده عليه و ما فى دارى تقويم و لا انظر فيه و ما رأيت مع ذلك إلّا خيرا.

ثم أقبلت عليه فقلت ندع ما يدلّ على بطلان احكام النجوم ممّا يحتاج إلى ظن دقيق و رويه طويله و ههنا شىء قريب لا يخفى على أحد ممن علت طبقته فى الفهم او انخفضت.

خبرنى لو فرضنا جادّه مسلوكه و طريقا يمشى فيه الناس ليلا و نهارا و فى محجته آبار متقاربه و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل و توقف حتّى يتخلّص من السيّ قوط فى بعض تلك الآبار هل يجوز أن يكون سلامه من يمشى فى هذا الطريق من العميان كسلامه من يمشى من البصراء، و قد فرضنا أنّه لا- يخلو طرفه عين من المشاه فيه بصراء و عميان و هل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان أو سلامه العميان مقاربه بسلامه البصراء؟ فقال: هذا ممّا لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامه البصراء أكثر من سلامه العميان و لا يجوز فى مثل هذا التّقارب.

فقلت: إذا كان هذا محالا- فاحيلوا نظيره و ما لا فرق بينه و بينه و أنتم تجيزون شبيه ما ذكرناه و عديله، لأنّ البصراء هم الذين يعرفون أحكام النّجوم و يميزون سعدّها من نحسّها و يتوقّون بهذه المعرفة مضارّ الزّمان و يتحفّظونها و يعتمدون منافعه و يقصدونها، و مثال العميان كلّ من لا- يحسن تعلّم النّجوم و لا يلتفت إليه من الفقهاء و الفهماء و أهل الدّيانات و العبادات ثمّ ساير العوام و الأعراب و الأكراد و هم أضعاف أضعاف من يراعى عدد النّجوم، و مثال الطريق الذى فيه الآبار الزّمان الذى يمضى عليه الخلق أجمعون، و مثال آباره مصايبه و نوائبه و محنه.

و قد كان يجب لو صحّ العلم بالنّجوم و أحكامها أن تكون سلامه المنجّمين أكثر و مصايبهم أقلّ لأنّهم يتوقّون المحن لعلمهم بها قبل كونها و تكون محن كلّ من ذكرناه من الطبقات الكثيره أوفر و أظهر حتّى تكون السيّلامه هى الطريقه الغريبه و قد علمنا خلاف ذلك أنّ السّلامه و المحن متقاربه غير متفاوته.

فقال: ربّما اتّفق مثل ذلك، فقلت له: فيجب أن نصدّق من خبرنا فى ذلك الطريق المسلوك الذى فرضناه بأنّ سلامه العميان كسلامه البصراء، و نقول لعلّ

ذلك اتفق، و بعد فإنّ الاتفاق لا يستمرّ بل ينقطع و هذا الذى ذكرناه مستمرّ غير منقطع إلى أن قال:

و من أدلّ الدليل على بطلان أحكام النجوم إنّنا قد علمنا أنّ من جملة معجزات الأنبياء عليهم السلام الاخبار عن الغيوب و عدّ ذلك خارقا للعادات كاحياء الميت و ابراء الأكمه و الأبرص، و لو كان العلم بما يحدث طريقا نجوميا لم يكن ما ذكرناه معجزا و لا خارقا للعاده، و كيف يشته على مسلم بطلان أحكام النجوم.

و قد أجمع المسلمون قديما و حديثا على تكذيب المنجمين و الشّهاده بفساد مذاهبهم و بطلان احكامهم، و معلوم من دين الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم ضروره التّكذيب بما يدّعيه و الازراء عليهم و التعجيز لهم و فى الروايات عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم من ذلك ما لا يحصى كثره و كذلك عن علماء أهل بيته عليهم السلام و خيار أصحابه فما زالوا يبرون من مذاهب المنجمين و يعدّونها ضلالا و محالا و ما اشتهر هذه الشهره فى دين الاسلام كيف يفتى بخلافه منتسب إلى المله و مصلّ إلى القبله.

فأمّا إصابتهم فى الاخبار عن الكسوفات فلأجل أنّ الكسوفات و اقترانات الكواكب و انفصالها طريقه و الحساب و تسيير الكواكب، و له اصول صحيحه و قواعد سديده، و ليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب فى الخير و الشرّ و النّفع و الضرّ، انتهى كلامه رفع مقامه.

و مثله شيخ المتكلمين محمود بن على الحمصى قال فى محكى كلامه فى البحار: إنّنا لا نردّ عليهم فيما يتعلّق بالحساب فى تسيير النّجوم و اتّصالاتها التى يذكرونها فإنّ ذلك ممّا لا يهمنّا و لا هو مما يقابل بانكار و ردّ ثمّ قال:

فان قيل: كيف تنكرون الاحكام و قد علمنا أنّهم يحكمون بالكسوف و رؤيه الأهلّه و يكون الأمر على ما يحكمون فى ذلك، و كذلك يخبرون عن امور مستقبله تجرى على الانسان و تجرى تلك الامور على ما أخبروا عنها فمع وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف تدفع الأحكام؟ قلنا إنّ إخبارهم عن الكسوف و الخسوف و رؤيه الأهلّه فليس من الأحكام

و إنّما هو من باب الحساب إنّما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا و كذا، فأمّا الامور المستقبلة التي يخبرون عنها فأكثرها لا تقع على ما يخبرون عنه و إنّما يقع قليل منه بالاتفاق و مثل ذلك يتفق لأصحاب الفال و الزّجر الذين لا يعرفون النجوم بل للعجايز اللواتي يتفأ لن بالأحجار و الذي قد يخبر المصروع و كثير من ناقصى العقول عن أشياء فيتفق وقوع ما يخبرون عنه انتهى.

و نحوهما الشيخ محمّد بن الحسين الكيدري قال في شرحه على الكتاب على ما حكى عنه في البحار: كيف يمكن أن يكون الانسان يعرف الحوادث و أسبابها في الحال حتّى يعرف المسبّبات في المستقبل كما في الجزر و المدّ، و من ادّعى أنّه يعرف أسباب الكاينات فمقدّماته ليست برهانيه و إنّما هي تجربيه أو شعريّه أو خطابه مؤلفه من المشهورات في الظاهر أو المقبولات و المظنونات.

و مع ذلك فلا- يمكنه أن يتعرّض إلّا- لجنس من أجناس الأسباب و هو تعرّض بعض الأسباب العلويّه و لا- يمكنه أن يتعرّض لجميع الاسباب السّماويه و القوابل و اذا تغيرت القوابل عن احوالها تغير أثر الفاعل فيها فإنّ النار في الحطب اليابس مؤثره تأثيرا لا- تؤثر في الزّمام و كذلك معرفه بقائها على استعداد القبول شرط و يمكن أن يكون القوابل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب و المسبّبات إلّا الله تعالى.

و أيضا فإنّ المنجم يحكم على مفردات الكواكب و لا- يحكم على جميعها ممتزجه و كما أنّ أحكام مفردات الترياق و سائر المعاجين غير أحكام المركب الذي حصلت له صورته نوعيه، كذلك حكم الكواكب المركوزه في الأفلاك غير حكم أفرادها، و إذا لم يمكن المنجم الحكم إلّا على المفردات كان الحكم ناقصا غير موثوق به.

ثمّ إنّّه ربّما يحصل التوأمان في غشاء فيكشف عنهما فاذا فيه صيّان حيّان و على قوانين الاحكاميين يجب أن يكونا مثليين في الصوره و العمر و الحركات حتّى لا يجوز أن يختلفا في شيء من الأشياء و لا يجوز أن يسكت أحدهما في وقت كلام

الآخر و لا يقوم فى وقت قعود الآخر و لا ينام فى وقت لا ينام فيه الآخر، و إذا دخلا بيتا فيه باب ضيق فلا يمكنهما الدّخول فأنّه لا بدّ ههنا من التّقدم و التّأخر، و لا يجوز أن يمسّ الانسان أحدهما دون الآخر، و لا يجوز أن يكون فى التزويج امرأه أحدهما غير امرأه الآخر و لا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر فى الأرض و هذا ما لا يخفى فسادة.

و أيضا فإنّ الحكم الكلّى عند أكثرهم يغلب الجزئى ألا ترى أنّ طالع ناحيه أو بلد إذا كان فاسدا فأنّه لا يفيد عطيه الكدخداه لانسان فكيف يعتمد على الطوالع و الاختيارات مع نفى العلم بالكليات.

و من شنيع قولهم أنّهم يقولون إذا ولد للملك فى حال ولد و لسوقى ولد، فإنّ الكواكب تدلّ لابن الملك بخلاف ما يدلّ لابن السوقى مع اتّفاقهما فى كميّه العمر لأنّ حيلاجهما و كدخداهما لا- يختلفان، فاذا جاز دلالة النّجوم مختلفه فى سعادته هذين الولدين فما أنكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضا مختلفه.

و اختلفوا فى تقويم الكواكب باختلاف الزّيجات و لا برهان على فساد بعضها و صواب بعضها فربما يوجد فى تقويم الشّمس من التّفاوت خمس درج و تختلف درج الطوالع و بروج التّحاويل بسبب ذلك فتفسد الاحكام.

ثمّ أورد عليهم كثيرا من الاختلافات و التّناقضات لا نطيل الكلام بايرادها.

اقول: و ما ذكره هؤلاء الأفاضل من الاختلافات و التّناقضات و الاستبعادات كلّها مسلم إلّا أنّ دلالتها على بطلان علم النّجوم من أصله ممنوعه، و نحن لا نضايق من كثره خطاء المنجمين و خبطهم فى أحكامهم إلّا أنّ إصابتهم فيها أيضا غير عزيز و دعوى أنّ كلّ هذه الاصابه على كثرتها من باب الاتفاق كما ترى، و سرّ كثره وقوع الخطاء فيها أنّ ما فى أيدي النّاس من هذا العلم غير تامّ و تمامه إنّما هو عند أئمه الدين الذينهم خزّان العلم و اليقين.

و يشهد بما ذكرناه من صحّحه هذا العلم فى الجملة و على أنّ له أصلا الأخبار

و الاعتبار.

اما الاخبار فهي كثيره لا تحصى.

منها روايتا الاحتجاج و البحار السالفتان في التنبيه الثالث.

و منها ما رواه في الكافي باسناده عن معلّى بن خنيس قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحقّ هي؟ قال: نعم إنّ الله عزّ و جل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأخذ رجلا من العجم فعلمه النجوم حتّى ظن أنّه قد بلغ، ثمّ قال له: انظر أين المشتري، فقال: ما أراه في الفلك و ما أدري أين هو، قال: فنحاه و أخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتّى ظن أنّه قد بلغ، و قال: انظر إلى المشتري اين هو فقال: إنّ حسابي ليذلّ على أنك أنت المشتري، و قال فشبهه فمات و ورث علمه أهله فالعلم هناك.

و منها ما في البحار من كتاب النجوم عن الريان بن الصيّلت، و ذكر اجتماع العلماء بحضره المامون و حضور الصّباح بن نصر الهندي عند مولانا الرضا عليه السلام و سؤاله عن مسائل كثيره منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه:

هو علم في أصل صحيح ذكروا أنّ أوّل من تكلم في النجوم إدريس و كان ذو القرنين بها ماهرا و أصل هذا العلم من عند الله عزّ و جلّ و يقال أنّ الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلم رجلا منهم فمن هناك صار علم النجوم بها و قد قال قوم هو علم من علم الأنبياء خصّوا به لأسباب شتى فلم يستدرّك المنجمون الدقيق منها فشابوا الحقّ بالكذب.

هذا آخر لفظ مولينا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في هذه الروايه الجليله الأسناد و قوله عليه السلام حجه على العباد، و قوله عليه السلام ذكروا و يقال فإنّ عادته عند التّقيه من المخالفين و العامه يقول نحو هذا الكلام و تاره يقول كان أبى يقول و تاره روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم.

و منها ما فيه أيضا من كتاب النجوم و جاده فى كتاب عتيق عن عطا قال: قيل لعليّ بن أبى طالب عليه السّلام: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم نبيّ من الأنبياء قال له قومه إنا لا- نؤمن بك حتّى تعلّمنا بدء الخلق و آجاله فأوحى الله عزّ و جلّ إلى غمامه فأمطرتهم و استنقع حول الجبل ماء صافيا، ثمّ أوحى الله عزّ و جلّ إلى الشّمس و القمر و النجوم أن تجرى فى ذلك الماء، ثمّ أوحى الله عزّ و جلّ إلى ذلك النبيّ أن يرتقى هو وقوعه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتّى عرفوا بدء الخلق و آجاله بمجارى الشّمس و القمر و النجوم و ساعات الليل و النّهار.

و كان أحدهم يعلم متى يموت و متى يمرض و من ذا الذى يولد له و من ذا الذى لا يولد له فبقوا كذلك برهه من دهرهم.

ثمّ إنّ داود عليه السّلام قاتلهم على الكفر فاخرجوا إلى داود فى القتال من لم يحضر أجله و من حضر أجله أخلفوه فى بيوتهم فكان يقتل من أصحاب داود و لا- يقتل من هؤلاء واحد، فقال داود عليه السّلام ربّ اقاتل على طاعتك و يقاتل هؤلاء على معصيتك فيقتل أصحابى و لا- يقتل من هؤلاء أحد؟ فأوحى الله عزّ و جلّ إنّى كنت علّمتهم بدء الخلق و آجاله إنّما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله و من حضر أجله خلفوه فى بيوتهم فمن ثمّ يقتل من أصحابك و لا يقتل منهم أحد قال داود: يا ربّ على ما ذا علّمتهم؟ قال تعالى: على مجارى الشمس و القمر و النجوم و ساعات الليل و النّهار.

قال عليه السّلام فدعا الله عزّ و جلّ فحبس الشمس عليهم فزاد فى النّهار و اختلط الزّيادة بالليل و النّهار فلم يعرفوا قدر الزّيادة فاختلف حسابهم قال عليّ عليه السّلام فمن ثمّ كره النظر فى علم النجوم، و رواه فيه أيضا عن الدّر المنثور، نعم زاد فيه أنّ النبيّ المذكور كان يوشع بن نون.

و منها ما رواه يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام جعلت فداك أخبرنى عن علم النجوم ما هو؟ قال عليه السّلام هو علم من علم الأنبياء، قال فقلت: كان عليّ بن أبى طالب عليه السّلام يعلمه؟ فقال: كان أعلم النّاس به.

و الاخبار فى هذا المعنى كثيره لا نطيل بذكرها و من أراد الزّيادة فليراجع

إلى كتاب السماء و العالم من البحار، فقد عقد المجلسي «ره» فيه بابا على ذلك و استوفى الكلام فيه.

و اما الاعتبار فهو إنا قد سمعنا تظافرا بل تواترا و حصل لنا العلم وجدانا بأن من المنجمين من حصل له العلم بجمله من الحوادث الاستقبالية في موارد شتى من طريق النجوم و حكموا فيه فكان حكمه مطابقا للواقع و لا بأس بالاشارة إلى بعض تلك الموارد تايدا و استظهارا.

فمنها دلالة النجوم على نبؤه نوح فقد رواه في البحار من كتاب التجلل باسناده عن جميل عن زراره عن أبي جعفر عليه السلام عن ذكره قال: قد كان علم نبؤه نوح بالنجوم.

و منها دلالتها على إبراهيم ففي البحار أيضا من كتاب النجوم من كتاب التجلل إن آذر أبا إبراهيم كان منجما لنمرود و لم يكن يصدر إلا عن أمره فنظر ليله في النجوم فأصبح و هو يقول لنمرود لقد رأيت في النجوم عجا، قال: و ما هو؟ قال:

رأيت مولودا يولد في زماننا يكون هلاكنا على يديه و لا يلبث إلا قليلا حتى يحمل به قال: فتعجب من ذلك ثم قال: هل حملت به النساء بعد؟ قال: لا، فحجب الرجال عن النساء و لم يدع امرأه إلا جعلها في المدينة و لا يخلص إليها بعلمها.

قال فوق آذر على أهله فحملت بإبراهيم فظن أنه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزمان و كن أعلم الناس بالجنين و لا يكون في الرحم شيء إلا عرفته و علمن به، فنظرن فالزم ما في الرحم الظهر فقلن ما نرى في بطنها شيئا، قال و كان مما أوتى من العلم أن المولود سيحرق بالنار و لم يؤت علما أن الله سينجيها منها.

قال المجلسي و قد روى هذا الحديث على بن إبراهيم في كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرواية و رواه أيضا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه، و رواه أيضا سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب قصص الأنبياء، و رواه الثعلبي في تفسيره و غيره من العلماء.

و منها دلالتها على نبؤه موسى عليه السلام و كتب التواريخ مشحونه بذلك و قد روى

المجلسى من كتاب العرايس للثعلبى قال إنّ فرعون رأى فى منامه أنّ نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط و تركت بنى اسرائيل، فدعى فرعون السّحرة و الكهنة و المعبرين و المنجمين و سألهم عن رؤياه فقالوا له: إنّهُ يولد فى بنى اسرائيل غلام يسلبك ملكك و يغلبك على سلطانك، و يخرجك و قومك من أرضك و يذلّ دينك و قد اطلقك زمانه الذى يولد فيه.

و منها دلالتها على نبوّه عيسى عليه السّلام روى فى البحار من كتاب النبوه لابن بابويه فى باب سياقه حديث عيسى بن مريم فقال ما هذا لفظه: و قدم عليها و فد من علماء المجوس زائرين معظمين لامر ابنها و قالوا إنا قوم ننظر فى النجوم فلما ولد ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك فنظرنا فيه فاذا ملكه ملكك نبوّه لا يزول عنه و لا يفارقه حتّى يرفعه إلى السماء و يجاور ربّه عزّ و جلّ ما كانت الدنيا مكانها ثمّ يصير إلى ملك هو أطول و أبقى مما كان فيه.

فخرجنا من قبل حتّى رفعنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلعا عليه من فوقه فبذلك عرفنا موضعه و قد اهدينا له هديه جعلناها له قربانا لم يقرب مثله لأحد قط و ذلك إنا وجدنا هذا القربان يشبه أمره و هو الذهب و المرّ و اللبان لأنّ الذهب سيد المتاع كلّهُ و كذلك ابنك سيد الناس ما كان حيّا، و لأنّ المرّ جبار الجراحات و العاهات كلّها و لأنّ اللبان يبلغ دخانه السّماء و لن يبلغها دخان شىء غيره و كذلك ابنك يرفعه الله عزّ و جلّ إلى السّماء و ليس يرفع من أهل زمانه غيره.

و منها دلالتها على النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ففى البحار و جاده فى كتاب دلائل النبوه جمع أبى القاسم الحسين بن محمّد السّيكونى باسناده عن حسان بن ثابت قال إني و الله لغلام يافع يقوا بن سبع أو ثمان سنين أعقل كلّما سمعت إذ سمعت يهوديّا و هو على أكمه يثرب يصرخ يا معشر اليهود فلما اجتمعوا قالوا ويلك مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذى يبعث به الليلة.

قال: و وجدت كتابا عندنا الآن اسمه كتاب اليد الصينى عمله كشينا ملك

الهند يذكر فيه تفصيل دلالة النجوم على نبؤه نبينا محمد صلى الله عليه وآله ومنها موارد متفرقة ذكر السيد بن طاوس (ره) في رسالته التي دونها في النجوم و ذكر جماعه من العلماء المعتنين بهذا العلم العارفين به تأييدا لصحته.

قال المجلسي: و السيد الجليل النزيل علي بن طاوس (ره) لانس قليل له بهذا العلم عمل في ذلك رساله و بالغ في الإنكار على من اعتقد أنّ النجوم ذوات إرادته فاعله أو مؤثره و استدلل على ذلك بدلائل كثيره و أيده بكلام جم غفير من الأفاضل إلا أنّه أنكر على السيد الأجل المرتضى (ره) في تحريمه و ذهب إلى أنّه من العلوم المباحات و أنّ النجوم علامات و دلالات على الحادثات لكن يجوز للقادر الحكيم أن يغيرها بالبرّ و الصدقه و الدّعاء و غير ذلك من الاسباب و الدّواعي على وفق إرادته و حكمته، و جوّز تعليم علم النجوم و تعلّمه و النظر فيه و العمل به إذا لم يعتقد انها مؤثره، و حمل أخبار النّهي و الدّم على ما إذا اعتقد ذلك.

ثمّ ذكر تأييدا لصحّه هذا العلم أسماء جماعه من الشيعة كانوا عارفين به فقال:

إنّ جماعه من بنى نوبخت كانوا علماء بالنجوم و قدوه في هذا الباب و وقفت على عدّه مصتفات لهم في النجوم و أنّها دلالات على الحادثات.

منهم الحسن بن موسى التّوبختي.

و من علماء المنجمين من الشيعة أحمد بن محمد بن خالد البرقي و ذكر النجاشي في كتبه كتاب النجوم.

و منهم أحمد بن محمد بن طلحه، فقد عدّ الشيخ و النجاشي من كتبه كتاب النجوم و الشيخ النجاشي كان له تصنيف في النجوم.

و من المذكورين بعلم النجوم الجلودى البصرى.

و منهم علي بن محمد بن العدوى و الشّمشاطي فأنّه ذكر النجاشي أنّ له رساله في إبطال أحكام النجوم.

و منهم علي بن محمد العباس فإنّ النجاشي ذكر في كتبه كتاب الردّ على المنجمين كتاب الردّ على الفلاسفه.

و منهم محمّد بن أبى عمير.

و منهم محمّد بن مسعود العياشى فأنّه ذكر فى تصانيفه كتاب النجوم.

و منهم موسى بن الحسن بن عباس بن اسماعيل بن أبى سهل بن نوبخت قال النجاشى كان حسن المعرفة بالنجوم و له مصنفات فيه و كان مع ذلك حسن العباده و الدّين.

و منهم الفضل بن أبى سهل بن نوبخت وصل إلينا من تصانيفه ما يدلّ على قوّه معرفته بالنجوم و ذكر عن العيون ما أورده فى أبواب تاريخ الرّضا عليه السّلام من أنّه أخبر المأمون بخطاء المنجمين فى السّاعه التى اختاروها لولايه العهد، فزجره المأمون و نهاه أن يخبر به أحدا فعلم أنّه تعمد ذلك.

أقول: و الظاهر أنّ المراد بها هى ما رواها فى العيون عن البيهقى عن الصّولى عن عون بن محمّد قال: حدّثنى الفضل بن أبى سهل النوبختى أو عن أخ له قال: لما عزم المأمون على العقد للرّضا عليه السّلام بالعهد قلت و الله لأعتبر ما فى نفس المأمون من هذا الأمر أيجبّ تمامه أو هو تصنع به، فكتبت إليه على يد خادم له كان يكاتبنى بأسراره على يده:

قد عزم ذو الرّياستين على عقد العهد و الطالع السّيرطان و فيه المشتري و السّيرطان و إن كان شرف المشتري فهو برج منقلب لا يتمّ أمر يعقد فيه و مع هذا فإنّ المريخ فى الميزان فى بيت العاقبه و هذا يدلّ على نكبه المعقود له و عرفت أمير المؤمنين ذلك لئلا يعتب علىّ إذا وقف على هذا من غيرى.

فكتب إلىّ إذا قرأت جوابى إليك فارده إلىّ مع الخادم و نفسك أن يقف أحد على ما عرفته أو أن يرجع ذو الرّياستين عن عزمه فأنّه إن فعل ذلك الحقت الذّنوب بك و علمت أنك سببه، قال فضاقت علىّ الدّنيا و تمّيت أنّى ما كنت كتبت إليه.

ثمّ بلغنى أنّ الفضل بن سهل ذو الرّياستين قد تتبّه على الأمر و رجع عن

عزمه و كان حسن العلم بالنجوم فخفت و الله على نفسى و ركبت إليه فقلت له: أتعلم نجما فى السماء أسعد من المشتري؟ قال: لا- قلت: أفتعلم أن فى الكواكب نجما تكون فى حال أسعد منها فى شرفها؟ قال: لا، قلت: فامض العزم على رأيك إذ كنت تعتقد أن الفلك فى أسعد حالاته فامضى الأمر على ذلك فما علمت أنى من أهل الدنيا حتى وقع العقد فزعا من المأمون.

قال: و منهم السيد الفاضل على بن أبى الحسن العلوى المعروف بابن الأعلم و كان صاحب الزيج.

و منهم أبو الحسن النقيب الملقب أبا قيراط.

و منهم الشيخ الفاضل الشيعى على بن الحسين بن على بن المسعودى مصنف كتاب مروج الذهب.

و منهم أبو القاسم ابن نافع من أصحابنا الشيعة.

و منهم إبراهيم الفرازى صاحب القصيده فى النجوم و كان منجما لمنصور.

و منهم الشيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصرى كاتب آل طولون.

و منهم الشيخ الفاضل محمد بن عبد الله بن عمر الباز يار القمى تلميذ أبى معشر.

و منهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبى الخضيب القمى.

و منهم أبو جعفر السقاء المنجم ذكره الشيخ فى الرجال.

و منهم محمد بن أحمد بن سليم الجعفى مصنف كتاب الفاخر.

و منهم محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك المعروف بكشاجم ذكر ابن شهر آشوب أنه كان شاعرا منجما متكلمًا.

و منهم العفيف بن قيس أخو الأشعث ذكره المبرد، و قد مرّ أنه قيل إنه هو الذى أشار إلى أمير المؤمنين بترك قتال الخوارج فى الساعه التى أراد.

ثم قال (ره) و ممن أدركته من علماء الشيعة العارفين بالنجوم و عرفت بعض إصاباته

الفقيه العالم الزاهد الملقب خطير الدين محمود بن محمد.

و مَن رأته الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن علي القمي، ثم عد من اشتهر بعلم النجوم و قيل أنه من الشيعة فقال:

منهم أحمد بن محمد السنجري، و الشيخ الفاضل علي بن أحمد العمراني، و الفاضل اسحاق بن يعقوب الكندي.

قال و مَن اشتهر بالنجوم من بني العباس محمد بن عبد العزيز الهاشمي و علي بن القاسم القصري، و قال وجدت فيما وقفت عليه أن علي بن الحسين بن بابويه القمي كان ممن أخذ طالعاه في النجوم و أن ميلاده بالسنبلة، ثم قال روى الشيخ في اختيار الكشي في بيان حال أبي خالد السجستاني حمدويه و إبراهيم عن محمد بن عثمان قال:

حدثنا أبو خالد السجستاني أنه لما مضى أبو الحسن عليه السلام وقف عليه ثم نظر في نجومه فزعم أنه قد مات فقطع على موته و خالف أصحابه.

ثم قال: ففي هذا عده فوايد منها أن هذا أبو خالد كان واقفيا يعتقد أن أبا الحسن موسى عليه السلام ما مات فذله الله تعالى بعلم النجوم على موته و قد كان هذا العلم سبب هدايته.

و منها أنه كان من أصحاب الكاظم عليه السلام و لم يبلغنا أنه عليه السلام أنكر عليه علم النجوم و منها أنه لو علم أبو خالد أن علم النجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه في عقيدته و منها اختيار جدى الطوسى لهذا الحديث و تصحيحه و قد تقدم ثناؤه على جماعه من العلماء بالنجوم ثم قال:

و مَن اشتهر بعلمه من بني نوبخت عبد الله بن أبي سهل.

و من العلماء بالنجوم محمد بن إسحاق النديم كان منجما للعلوى المصرى.

و من المذكورين بالتصنيف في علم النجوم حسن بن أحمد بن محمد بن عاصم المعروف بالعاصمي المحدث الكوفي ثقه سكن بغداد فمن كتبه الكتب النجومية ذكر ذلك ابن شهر آشوب في كتاب معالم العلماء.

و مَن اشتهر بعلم النجوم من المنسويين إلى مذهب الامامية الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمد بن عبدوس الجهشيارى و غيره ما معناه أنه لما وقع بين الأمين و المأمون ما وقع و اضطربت خراسان و طلب جند المأمون أرزاقهم و توجه علي بن

عيسى بن ماهان من العراق لحرب المأمون و صعد المأمون إلى منظره للخوف على نفسه من جنده و معه الفضل و قد ضاق عليه مجال التدبير و عزم على مفارقه ما هو فيه أخذ الفضل طالعه و رفع اسطرلابا و قال ما تنزل من هذه المنزله إلا خليفه غالبا لأخييك الأيمن فلا تعجل و ما زال يسكنه و يثبته حتى ورد عليهم فى تلك الساعه رأس على بن عيسى و قد قتله طاهر و ثبت ملكه و زال ما كان يخافه و ظفر بالامان و روى خبرا آخر مثل ذلك.

ثم قال و ممن كان عالما بالنجوم من المنسويين إلى الشيعة الحسن بن سهل ثم ذكر ما أخرجنا من العيون فى أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من حديث الحمام و قتل الفضل فيه.

أقول: الزوايه فى العيون بسنده عن ياسر الخادم يذكر فيها خروج الرضا عليه السلام و المأمون و ذى الرياستين من مرو إلى المدينه و فيها:

و خرج المأمون و خرجنا مع الرضا عليه السلام فلما كان بعد ذلك بأيام و نحن فى بعض المنازل ورد على ذى الرياستين كتاب عن أخيه الحسن بن سهل إننى نظرت فى تحويل هذه السنه فى حساب النجوم فوجدت فيه أنك تذوق فى شهر كذا يوم الأربعاء حرّ الحديد و حرّ النار و أرى أن تدخل أنت و الرضا عليه السلام و أمير المؤمنين الحمام فى ذلك اليوم فتحتجم أنت فيه و تصب الدّم ليزول نحسه عنك.

فبعث الفضل إلى المأمون و كتب إليه بذلك و سأله أن يدخل الحمام معه و سأل أبا الحسن عليه السلام أيضا ذلك فكتب المأمون إلى الرضا عليه السلام رقه فى ذلك فسأله أن يدخل الحمام معه فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام لست بدخل غدا الحمام و لا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تدخل الحمام غدا و لا أرى الفضل أن يدخل الحمام غدا فأعاد إليه مرتين فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام لست بدخل غدا الحمام فأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم فى هذه الليله يقول لى يا على لا تدخل الحمام غدا فكتب إليه المأمون: صدقت يا سيدى و صدق رسول الله لست بدخل غدا الحمام و الفضل فهو أعلم و ما فعله.

قال ياسر فلما أمسينا و غابت الشمس فقال لنا الرضا عليه السلام قولوا نعوذ بالله من

شَرَّ ما ينزل فى هذه الليله فأقبلنا نقول ذلك فلما صَلَّى الرضا عليه السّلام الصّبح قال لنا:

قولوا نعوذ بالله من شرِّ ما ينزل فى هذا اليوم فما زلنا نقول ذلك.

فلما كان قريبا من طلوع الشّمس قال لى الرضا عليه السّلام اصعد السّطح فاستمع هل تسمع شيئا فلما صعدت سمعت الصّيحة «الضّجه خ ل» و التّحيب و كثره ذلك فاذا بالمأمون قد دخل من الباب الذى كان إلى داره من دار أبى الحسن عليه السّلام يقول يا سيدى يا أبا الحسن أجرك الله فى الفضل و كان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسّيوف و اخذ من دخل عليه فى الحمام و كانوا ثلاثه نفر أحدهم ابن خاله الفضل ذو العلمين قال و اجتمع القواد و الجند و من كان من جند ذى الرّياستين على باب المأمون فقالوا اغتاله و قتله فلنطلبن بدمه.

فقال المأمون للرّضا عليه السّلام يا سيدى ترى أن تخرج إليهم فتفرّقهم قال: ياسر فركب الرضا عليه السّلام و قال لى اركب فلما خرجنا من الباب نزل الرضا عليه السّلام إليهم و قد اجتمعوا و جاءوا بالنّيران ليحرقوا الباب فصاح بهم و أومى إليهم بيده تفرّقوا، فتفرّقوا قال ياسر فأقبل النّاس و الله يقع بعضهم على بعض و ما اشار إلى أحد الا ركض و مرّ و لم يقف به.

ثمّ قال السّيد رأيت فى كتاب الوزراء جمع عبد الرّحمن بن المبارك أنّه ذكر محمّد بن سعيد أنّه وجد على كتاب من كتب ذى الرّياستين بخطه هذه السنه الفلانيه التى تكون فيها النكبه و إلى الله نرغب فى رفعها و إن صحّ من حساب الفلك شىء فالأمر واقع فيها لا محاله و نسأل الله أن يختم لنا بخير بمنّه، و كان يعمل لذى الرّياستين تقويم فى كلّ سنه فيوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا و يجنب فى هذا اليوم كذا، فلما كان فى السنه التى قتل فيها عرض عليه اليوم فجعل يوقع فيه ما يصلح حتّى انتهى إلى اليوم الذى قتل فيه فقال: افّ لهذا اليوم ما أشّرّه علىّ و رمى بالتّقويم.

و روى عن اخت الفضل قالت: دخل الفضل إلى امّه فى الليله التى قتل فى صبيحتها فقعد إلى جانبها و أقبل يعظها و يعزّيها عن نفسه و يذكرها حوادث الدّهر

و تقضى امور العباد، ثم قَبِل صدرها و ثديها و ودّعها و داع المفارق، ثم قام فخرج و هو قلق منزعج لما دَلَّه عليه الحساب، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع و من مجلس إلى مجلس و امتنع عليه النوم.

فلما كان السَّحر قام إلى الحمام و قدر أن يجعل غمه و حرارته و كربته هو الذى دَلَّت عليه النُّجوم، و قدمت له بغله فركبها و كان الحمام فى آخر البستان فكبت به البغله فسَرَّه ذلك و قدر أنَّها هى النكبة التى كان يتخوَّفها، ثم مشى إلى الحمام و لم يزل حتَّى دخل الحمام و اغتسل فيه فقتل.

قال: و من المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل، وجدت فى مجموع عتيق أنَّ بوران كان فى المنزل العليا بأصناف العلوم لا-سيما فى النجوم فانها برعت فيه و بلغت أقصى نهايته و كانت ترفع الاسطرلاب كلَّ وقت و تنظر إلى مولد المعتصم فعثرت يوما بقطع عليه سببه الخشب.

فقال لوالدها الحسن انصرف إلى أمير المؤمنين و عَرِّفه أنَّ الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد و رفعت الاسطرلاب فدلَّ الحساب و الله أعلم أنَّ قطعا يلحق أمير المؤمنين من خشب فى السَّاعة الفلانية من يوم بعينه.

قال الحسن: يا قره عيني يا سيِّده الحراير إنَّ أمير المؤمنين قد تغيَّر علينا و ربَّما أصغى إلى شىء بخلاف ما يقتضيه وجه المشوره و النَّصيحه، قالت يا أبه و ما عليك من نصيحه إمامك لأنَّه خطر بروح لا عوض منها، فان قبلها و إلَّا كنت قد أدَّيت المفروض عليك.

قال: فانصرف الحسن إلى المعتصم و عَرِّفه ما قالت بوران، قال المعتصم: أيُّها الحسن أحسن الله جزائها و جزائك انصرف إليها و خَصَّيها عنى بالسَّلام و أسألها ثانيا و احضر عندى اليوم الذى عَيَّنت عليه و لازمى حتَّى ينصرم النوم و يذهب فلست اُشار كك فى هذه المشوره و التَّدبير أحدا من البشر.

قال فلما كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتصم حتَّى خرج كلَّ من فى المجلس و خلا إليه و أشار عليه أن ينتقل عن المجلس الثَّقفى إلى مجلس

ابن ارنخى «رازجى كذا فى الاصل» لا- يوجد فى وزن درهم واحد من الخشب، و ما زال الحسن يحدثه و المعتصم يمازحه و ينشطه حتّى أظهر النهار و ضربت نوبه الصلاه فقام المعتصم ليتوضّأ فقال الحسن لا تخرج أمير المؤمنين عن هذا المجلس و يكون الوضوء و الصلاه و كلّ ما تريد فيه حتّى ينصرم اليوم.

فجاءه خادم و معه المشط و المسواك فقال الحسن للخادم امتشط بالمشط و استك بالسواك فامتنع و قال و كيف أتناول آله أمير المؤمنين، قال المعتصم و إليك امثل قول الحسن و لا تخالف ففعل فسقطت ثنياه و انتفخ دماغه و خرّ مغشياً عليه و رفع ميتاً، و قام الحسن ليخرج فاستدعاه المعتصم إليه و احتضنه و لم يفارقه حتّى قبل عينيه و ردّ على بوران أملاكاً و ضياعاً، و كان ابن الزيات سلبها عنها و ذكر مثله بروايه اخرى.

و روى من كتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس عن إسماعيل بن صبيح قال: كنت يوماً بين یدی يحيى بن خالد البرمكى فدخل عليه جعفر بن يحيى فلما رآه صاح و اعرض بوجهه عنه و قطب و كره رؤيته فلما انصرف قلت له: أطال الله بقائك تفعل هذا بانبك و حاله عند أمير المؤمنين حاله لا يقدم عليه ولدا و لاوليا، فقال: إليك عنى أيها الرجل فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلّا بسببه.

فلما كان بعد مدّه من ذلك دخل عليه أيضا جعفر و أنا بحضرته ففعل مثل ما فعل الأوّل و أكدت عليه القول فقال: ادن منى الدّوات، فأدنيتهما و كتب كلمات يسيره فى رقعه و ختمها و دفعها إلىّ و قال: بلى ليكن عندك فاذا دخلت سنه سبع و ثمانين و مائه و مضى النّجوم فانظر فيها، فلما كان فى صفر أوقع الرّشيد بهم فنظرت فى الرقعه فكان الوقت الذى ذكره، قال اسماعيل، و كان يحيى أعلم النّاس بالنجوم.

و روى أيضا عن محمّد بن عبدوس صاحب كتاب الوزراء عن موسى بن نصر الوصيف عن أبيه قال: غدوت إلى يحيى بن خالد فى آخر أمرها ارید عيادته من علّه كان يجدها، فوجدت فى دهليزه بغلا مسرجا فدخلت إليه فكان يأنس بى و يفضى إلىّ بسرّه، فوجدته مفكرا مهموما و رأيته مستخلا مشغلا بحساب النّجوم و هو

ينظر فيه فقلت له:

إنى لما رأيت بغلا مسرجا سرنى لأنى قدرت انصراف العله و أن عزمك الزكوب، ثم قد غمّنى ما أراه من همك قال: فقال لى: إن لهذا البغل قصه إنى رأيت البارحه فى التوم كأنى راكبه حتى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر فوقفت فاذا بصايح يصيح من الجانب الآخر:

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس و لم يسمر بمكه سامر

قال فضربت يدى على قربوس السّوج و قلت:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر

ثم انتهت فليجأت إلى أخذ الطالع فأخذته و ضربت الأمر ظهرا لبطن فوقفت على أنه لا بد من انقضاء مدّتنا و زوال أمرنا، قال: فما كان يكاد يفرغ من كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم بخوانه مغطاه و فيها رأس جعفر بن يحيى و قال له: يقول لك أمير المؤمنين: كيف رأيت نغمه الله فى الفاجر فقال له يحيى قوله يا أمير المؤمنين أرى أنك أفسدت عليه دنياه و أفسد عليك آخرتك.

ثم قال: و من رأيت ذكره فى علماء النجوم و إن لم أعلم مذهبه إبراهيم بن السّندى بن شاهك و كان منجما طبيبا متكلمًا.

و من العلماء بالنجوم عضد الدوله بن بويه و كان منسوبًا إلى التشيع و لعله كان يرى مذهب الزيديه.

و منهم الشّيخ المعظم محمود بن علىّ الحمصى كما حكينا عنه.

و منهم جابر بن حيان صاحب الصادق عليه السلام و ذكره ابن التّديم فى رجال الشّيعه.

و ممّن ذكر بعلم النجوم من الوزراء أبو أيّوب سليمان بن مخلد المورىانى.

و ممن ظهر فيه العمل على النجوم البرامكه ذكر عبد الله «الرحمن فى الأصل» بن المبارك أنّ جعفرًا لما عزم على الانتقال إلى قصره الذى بناه و جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه فاختر والده وقتًا من الليل، فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذى

ينزل على قصره و الطرق خاليه و الناس ساكنون فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجلا يقول:

يدبّر بالنجوم و ليس يدرى و ربّ النّجم يفعل ما يريد

فاستوحش و وقف و دعا بالرجل فقال له: أعد علىّ ما قلت فأعاده فقال: ما أردت بهذا؟ قال: و الله ما أردت به معنى من المعانى لكنّه عرض لى و جاء على لسانى فأمر له بدنانير.

ثمّ ذكر اصابات كثيره من المنجّمين نقلا- من كتبهم، و نقل من كتاب ربيع الأبرار أنّ رجلا دخل اصبعيه فى حلقتى مقراض و قال لمنجّم: ايش ترى فى يدي؟ فقال: خاتمى حديد.

و قال: فقدت فى دار بعض الرّؤساء مشربه فضبه فوجّه إلى ابن هامان يسأله فقال: المشربه سرقت نفسها، فضحكت منه و اغتاض و قال: هل فى الدار جاريه اسمها فضّه أخذت الفضّه فكان كما قال.

و قال: سعى بمنجّم فامر بصلبه فقليل له هل رأيت هذا فى نجومك؟ فقال: رأيت ارتفاعا و لكن لم أعلم أنّه فوق خشبه.

و قال: من الملوك المشهورين بعلم النجوم و تقريب أهله المأمون، و ذكر محمّد بن اسحاق أنّه كان سبب نقل كتب النجوم من بلاد الرّوم و نشرها بين المسلمين.

و ذكر المسعودى فى حديث وفات المأمون قال: فأمرنا باحضار جماعه من أهل الموضع فسألهم ما تفسير التديون فقالوا: تفسيره مدّ رجلك، فلما سمع المأمون بذلك اضطرب و تطيّر بهذا الاسم و قال سلوهم ما اسم هذا الموضع بالعرييه قالوا: اسمه بالعرييه الرقه، و كان فيما عمل من مولد المأمون أنّه يموت بالرقه، فلما سمع اسم الرقه عرفه أنّه الموضع الذى ذكر فى مولده و أنّه لا يموت إلّا برقه فمات به كما اقتضت دلالة النّجوم، انتهى ما أردنا ايراده من كلام السيّد.

فقد بان و ظهر منه و ممّا قدّمنا أنّ الاصابه فى النّجوم غير عزيزه و إن كان الخطاء فيها كثيرا أيضا إلا أنّ وقوع الخطاء لا يدلّ على بطلانها من أصلها و سرّ كثرة الخطاء هو ما أشرنا إليه سابقا من عسر الضّبط و الاحاطه بأقطارها.

و إليه الاشاره فى خبر عبد الرّحمن بن السيابه قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام:

جعلت فداك إنّ النّاس يقولون إنّ النّجوم لا يحلّ النّظر فيها فان كان يضرّ بدينى فلا حاجه لى فى شىء يضرّ بدينى، و إن كان لا يضرّ بدينى فو الله إنّى لأشتهيها و أشتهى النّظر إليها، فقال: عليه السّلام ليس كما يقولون لا يضرّ بدينك، ثم قال عليه السّلام: إنّكم تنظرون فى شىء كثيره لا يدرك و قليله لا ينفع.

و فى خبر هشام قال قال لى أبو عبد الله عليه السّلام كيف بصرك فى النّجوم؟ قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنّجوم ثمّ سأله عن أشياء لم يعرفها، ثمّ قال عليه السّلام: فما بال العسكرين يلتقيان فى هذا و فى ذاك فيحسب هذا لصاحبه بالظفر و يحسب هذا لصاحبه بالظفر فيلتقيان فيهزم أحدهما الآخر فأين كانت النّجوم؟ قال: فقلت: و الله ما أعلم ذلك، فقال عليه السّلام: إنّ أصل الحساب حقّ و لكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق.

الامر الخامس

فى الحكم الشرعى للعمل بالنّجوم و أنّه هل يجوز تعليمه و تعلّمه و استنباط الأحكام منه و الاخبار عن الحوادث الاستقباليه على وجه القطع أو الظنّ من طريق النّجوم.

المستفاد من السّيد بن طاوس (ره) فى كلامه الذى قدّمنا ذكره فى المقام الثانى هو الجواز بحمل الأخبار النّاهيه على ما إذا اعتقد التأثير.

و مثله شيخنا البهائى (ره) فى محكّى كلامه و ما يدّعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفليّه بالأجرام العلويّه إن زعموا أنّ تلك الأجرام هى العلّه المؤثره فى تلك الحوادث بالاستقلال أو أنّها شريكه فى التأثير فهذا لا يحلّ للمسلم اعتقاده، و علم النّجوم المبتنى على هذا كفر و العياذ بالله، و على هذا حمل ما ورد فى

الحديث من التحذير عن علم النجوم و النهى عن اعتقاد صحته.

و إن قالوا إنَّ اتصالات تلك الاجرام و ما يعرض لها من الاوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم ممَّا يوجد الله سبحانه بقدرته و إرادته كما أنَّ حركات النَّبْض و اختلافات أوضاعه علامات يستدلُّ بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصَّحه و اشتداد المرض و نحو ذلك، و كما يستدلُّ باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبله، فهذا لا مانع منه و لا حرج فى اعتقاده، و ما روى من صحَّحه علم النجوم و جواز نقله محمول على هذا المعنى.

ثمَّ قال: الامور التى يحكم بها المنجِّمون من الحوادث الاستقباليه اصول بعضها مأخوذه من أصحاب الوحي سلام الله عليهم، و بعضها يدعون فيها التجربه، و بعضها مبن على امور منشعبه لا تفى قوه البشريه فى الأغلب بضبطها و الاحاطه بها كما يؤمى إليه قول الصادق عليه السَّلام: كثيره لا يدرك و قليله لا ينتج «ينفع»، فلذلك وجد الاختلاف فى كلامهم و تطرَّق الخطاء إلى بعض أحكامهم و من اتفق له الجرى على الاصول الصَّحيحه صحَّح كلامه و صدقت أحكامه لا محاله كما نطق به كلام الصادق عليه السَّلام فى الزوايه المذكوره قبيل هذا الفصل يعنى روايه ابن سياه، و لكن هذا أمر عزيز المنازل لا يظفر به إلا القليل و الله الهادى إلى سواء السَّيل.

أقول: و لقد أجاد (ره) فيما أفاد إلّا- أنَّ فى الأخبار النَّاهيه ما يأبى عن الحمل الذى ذكره مثل خبر المنجِّم الذى عرض لأمير المؤمنين عليه السَّلام عند المسير إلى النَّهروان على ما تقدَّم روايته ممَّا و من السَّيد (ره) فى المتن، فإنَّ الظاهر منها أنَّ المنجِّم المذكور لم يكن معتقدا للتأثير فى النجوم و مع ذلك فقد نهاه عليه السَّلام عنه بمحض حكمه المستند إليه فافهم.

و يظهر من شيخنا صاحب الجواهر الميل إلى الجواز أيضا حيث قال: و التحقيق أنَّه لا بأس بالنظر فى هذا العلم و تعلِّمه و تعليمه و الاخبار عمَّا يقتضيه ممَّا وصل إليه من قواعده لا على جهه الجزم بل على معنى جريان عادته الله بفعل كذا عند كذا و عدم أطراد غير قادح، فإنَّ الله يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب، بل قد يتوقَّف

فى الكراهه فضلا عن الحرمة، بل يمكن حصول زياده العرفان بمعرفته و الترقى إلى بعض درجات الايمان بممارسته.

و دعوى أنّ فيه تعريضا للوقوع فى المحذور من اعتقاد التأثير فيحرم لذلك أو لأنّ أحكامه تخميته كما ترى خصوصا الثّانى ضروره عدم حرمة مراعات الظنون فى أمثال ذلك بل لعلّ المعلوم من سيره الناس و طريقتهم خلافه فى الطبّ و غيره و التعريض المزبور مع أنّه ممنوع لا- يكفى فى الحرمة و إلا- لحرم النظر فى علم الكلام الذى خطره أعظم من ذلك فلا ريب فى رجحان ما ذكرناه بل لا يبعد أن يكون النظر فيه نحو النظر فى علم هيئه الأفلاك الذى يحصل بسببه الاطلاع على حكمه الله و عظم قدرته.

نعم لا ينبغي الجزم بشيء من مقتضياته لاستيثار الله بعلم الغيب، انتهى.

و ذهب المرتضى (ره) إلى الحرمة، و هو ظاهر المحدث المجلسى بل صريحه فى البحار حيث قال بعد بسط الكلام فى علم النجوم و نقل الأخبار و أقوال العلماء فيه ما لفظه: و أمّا كونها امارات و علامات جعلها الله دلالة على حدوث الحوادث فى عالم الكون و الفساد فغير بعيد عن السداد و قد عرفت أنّ كثيرا من الأخبار تدلّ على ذلك.

و هى إمّا مفيدة للعلم العادى لكنّه مخصوص ببعض الأنبياء و الأئمة عليهم السلام و من أخذها منهم لأنّ الطريق إلى العلم بعدم ما يرفع دلالتها من وحى أو إلهام و الاحاطه بجميع الشرايط و الموانع و القوابل مختصّه بهم.

أو مفيدة للظنّ، و وقوع مدلولاتها مشروط بتحقق شروط و رفع موانع، و ما فى أيدي الناس ليس ذلك العلم أصلا أو بعضه منه لكنّه غير معلوم بخصوصه و لا يفيد العلم قطعاً، و افادته نوعاً من الظنّ مشكوك فيه.

و أمّا تعليمه و تعلّمه و العمل به و الاخبار بالامور الخفيه و المستقبله و أخذ الطوابع و الحكم بها على الأعمار و الأحوال الظاهر حرمة ذلك لشمول النهى له، و ما ورد أنّها دلالات و علامات لا يدلّ على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع

ذلك من المعصومين و ما دلّ على الجواز فأخبار أكثرها ضعيفه.

و يمكن حملها على التّقيه لشيوع العمل بها فى زمن خلفاء الجور و السلاطين فى أكثر الأعصار و تقوّب المنجّمين عندهم و ربّما يؤمى بعض الأخبار إليه، و يمكن حمل اخبار التّهى على الكراهه الشّديده و الجواز على الاباحه أو حمل أخبار التّهى على ما إذا اعتقد التأثير و الجواز على عدمه كما فعله السيّد ابن طاوس و غيره و لكن الأوّل أظهر و أحوط.

أقول: و الأظهر عندى هو الجواز مع الكراهه، أمّا الجواز فلا أخبار المجوّزه و أمّا الكراهه فخروجها عن خلاف من منعه و لوجود أخبار التّهى المحموله عليها.

فان قلت: أخبار التّهى ظاهره فى الحرمة فلم لا تحملها على ظاهرها.

قلت: إبقاؤها على ظواهرها موجب لطرح الأخبار الاخر و الجمع بقدر الامكان أولى، فلا بدّ من صرفها عن الظاهر بحملها على الكراهه أو بالحمل على صورته اعتقاد التأثير و ذلك إنّما يجرى فى بعضها حسبما أشرنا، و أمّا حمل الأخبار المجوّزه على التّقيه فبعيد لاشتتار العمل بها بين الخاصّه كالعامّه كما عرفت فى المقام الثالث (1) و عمل بعض أصحاب الأئمه عليهم السّلام بها مع عدم منعهم عن ذلك حسبما قدّمنا.

و إلى ذلك ذهب المحقّق الكركى (ره) حيث قال بعد الحكم بحرمة اعتقاد التأثير و كونه كفرا: أمّا التّنجيم لا على هذا الوجه مع التّحرز عن الكذب فإنّه جازى فقد ثبت كراهيه التّزويج و سفر الحجّ فى العقرب و ذلك من هذا القبيل، نعم هو مكروه و لا ينجز إلى الاعتقاد الفاسد و قد ورد التّهى عنه مطلقا حسما للمادّه و هو أيضا مذهب شيخنا العلّامه الأنصارى فى المكاسب، قال بعد ذكر الأخبار الدّالّه على أنّ للنجوم أصلا و الأخبار الدّالّه على كثره خطاء المنجّمين ما هذا لفظه: و من تتبع هذه الأخبار لم يحصل له ظنّ بالأحكام المستخرجه عنها فضلا

ص: ٣٠٠

١- (١) - لا يخفى أنّ المقام الثالث لم يتقدّم ذكره فيما قبل، نعم ذكر المصنّف (قده) فيما سبق ما أشار اليه هنا فى ضمن المقام الثانى فتذكر «المصحح»

عن القطع، نعم قد يحصل من التجربة خلفا عن سلف الظن بل العلم بمقارنه حادث من الحوادث لبعض الأوضاع الفلكيه، فالأولى التجنب عن الحكم بها و مع الارتكاب فالأولى الحكم على سبيل التقريب و أنه لا يبعد أن يقع كذا عند كذا، و الله المسدد.

الترجمه

از جمله کلام هدایت نظام آن حضرتست که فرموده است آن را از برای بعض اصحاب خود در حینی که عزم فرموده بود بر رفتن بسوی خوارج نهروان، پس گفت آن حضرت را بعض اصحاب او ای امیر مؤمنان اگر سیر بفرمائی در این وقت می ترسم که نرسی بمقصود خویش از طریقه و قاعده علم نجوم پس فرمود او را که:

آیا گمان می کنی که تو راه می یابی بساعتی. که هر که سفر کند در آن بگردد از او بدی و می ترسانی از ساعتی که هر که سیر نماید در آن احاطه کند باو ضرر هر که تصدیق کند تو را باین سخنان پس بتحقیق که تکذیب نموده است بر قرآن و مستغنی شده است از یاری جستن بخدا در رسیدن بأمر محبوب و در دفع کردن مکروه و سزاوار است در گفتار تو این که تو را حمد نماید نه پروردگار خود را از جهة این که تو بگمان خود راه نما شدی او را بساعتی که رسیده در آن بمنفعت، خواطر جمع شد در آن از مضرت، بعد از آن توجّه فرمود آن حضرت بمردمان پس فرمود که ای مردمان حذر نمائید از تعلّم علم نجوم مگر آن چیزی که هدایت بیاید بآن در بیابان یا در دریا پس بدرستی که معرفت نجوم داعی می شود بر کاهنی و منجم همچو کاهن است و کاهن همچو ساحر است و ساحر همچو کافر است و کافر در آتش است، بعد از آن حضرت فرمود بأصحاب خود که: سیر کنید بسوی دشمن بر نام خداوند و یاری او.

اشاره

و السبعون من المختار فى باب الخطب

بعد حرب الجمل فى ذم النساء معاشر الناس إنّ النساء نواقص الإيمان، نواقص الحفظ، نواقص العقول، فأما نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّيلوه و الصّيام فى أيّام حيضهنّ، و أمّا نقصان عقولهنّ فشهادته امرئتين كشهادته الرّجل الواحد و أمّا نقصان حفظهنّ فمواريثهنّ على الإنصاف من مواريث الرّجال، فاتّقوا شرارهنّ و كونوا من خيارهنّ على حذر، و لا تطيعوهنّ فى المعروف حتّى لا يطمعن فى المنكر.

اللغة

(المعاشر) جمع المعشر و هى الجماعة من الناس و (الانصاف) بفتح الهمزة و كسرهما و قد يضمّ كما فى القاموس جمع النّصف بتثنية النّون و هو أحد جزئى الشّئ.

الاعراب

الفاء فى قوله فأما نقصان إيمانهنّ عاطفه قال الرّضى (ره) فى مبحث فاء العطف و إن عطفت الفاء جملة على جملة أفادت كون مضمون الجملة التى بعدها عقيب مضمون التى قبلها بلا فصل، نحو قام زيد فقعد عمرو، و قد تفيد فاء العطف فى الجمل كون المذكور بعدها كلاما مرتبا فى الذّكر على ما قبلها لا أنّ مضمونه عقيب مضمون

ما قبلها في الزمان كقوله تعالى:

«أَدْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ» وقوله «وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مَنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ».

فإن ذكر ذم الشيء أو مدحه يصح بعد جرى ذكره، قال ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله:

«وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي».

و تقول: أجبته فقلت لبيك انتهى، و كلام الامام عليه السلام من هذا القبيل لأنه بعد الاشارة إلى نقصان ايمانهم و عقولهم و حظوظهم اجمالاً تبه على تفصيل جهه النقصان بقوله فأما نقصان ايمانهم اه، و نظيرها الفاء في قوله:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» و في قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا».

فافهم و الفاء في قوله: فقعود هن رابطة للجواب و في قوله فاتقوا شرارهن فصيح.

المعنى

اشاره

اعلم أن الغرض من هذا الكلام التعريض على عايشه و توبيخها و ذم من تبعها و ارشاد الناس إلى ترك طاعة النساء و الاتقاء منهن لكونهن ناقصات في أنفسهن و لا- ينبغي للكمال إطاعه الناقص و الايتام به و وجوه النقصان ثلاثه كما تبه عليها بقوله (معاشر الناس إن النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ نواقص العقول) و لما

تَبَّه على نقصانهم بهذه الوجوه الثلاثة أشار إلى علّة جهات النقص بقوله (فأما نقصان إيمانهم ففقدوا هُتَم عن الصّلاه و الصّيام في أيام حيضهم) و قد هُتَم عنها و إن كان بأمر الله سبحانه إلّا أنّ سقوط التّكليف لنوع من النقص فيهم و سبب النقص هو حاله الاستقذار و الحدث المانع من القرب المعنوي المشروط في العبادات و في كلامه دلالة على كون الأعمال اجزاء الايمان.

و يشهد به ما رواه في الكافي باسناده عن أبي الصّباح الكناني عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قيل لأُمير المؤمنين عليه السّلام: من شهد أن لا-إله إلّا-الله و أنّ محمّدا رسول الله صلّى الله عليه و آله كان مؤمنا؟ قال: فأين فرايض الله؟ قال: و سمعته يقول: لو كان الايمان كلاما لم ينزل فيه صوم و لا صلاة و لا حلال و لا حرام.

(و أما نقصان عقولهم فشهادة امرئتين كشهادة الرّجل الواحد) قال تعالى:

«فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ».

روى في الوسائل عن تفسير العسكري عليه السّلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السّلام في تفسير هذه الآية قال: عدلت امرئتان في الشهادة برجل واحد فاذا كان رجلا أو رجلا و امرئتان أقاموا الشّهادة قضى بشهادتهم.

قال عليه السّلام و جاءت امرئه إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقالت: ما بال الامرئتين برجل في الشهادة و في الميراث؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله إنّ ذلك قضاء من ملك عدل حكيم لا-يجور و لا يحيف أيتها المرأة لأنك ناقصات الدّين و العقل إنّ احدا كنّ تقعد نصف دهرها لا تصلّي بحيضه، و أنكرنّ تكثرن اللعن و تكفرن العشير تمكث إحدا كنّ عند الرّجل عشر سنين فصاعدا يحسن إليها و ينعم عليها فاذا ضاقت يده يوما أو ساعه خاصمته و قالت: ما رأيت منك خيرا قطّ.

و فيه عن محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ قال مرّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على نسوة فوقف عليهنّ ثمّ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا معاشر النساء ما رأيت نواقص عقول و دين

أذهب بعقول ذوى الألباب منكّن إنى رأيت أنكّن أكثر أهل النار عذابا فتقرّبن إلى الله ما استطعتن، فقالت امرأه منهنّ: يا رسول الله ما نقصان ديننا و عقولنا؟ فقال: أما نقصان دينكّن فالحيض الذى يصيبكّن فتمكث إحداكّن ما شاء الله لا تصلّى و لا تصوم، و أما نقصان عقولكّن فشهادتكّن إنّما شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.

و قال وهب بن منبه قد عاقب الله النساء بعشر خصال: بشدّة النفاس و الحيض و جعل ميراث اثنتين ميراث رجل و شهادتهما شهادة واحد و جعلها ناقصة الدين و العقل لا تصلّى أيام حيضها و لا تسلم على النساء و ليس عليها جمعه و لا جماعه و لا يكون منها نبىّ و لا تسافر إلّا بولّى هذا.

و قوله (و أما نقصان حظوظهنّ فموارِيثهنّ على الانصاف من موارِيث الرجال) قد مرّ فى ثالث تذنيبات الفصل الثّانى عشر من فصول الخطبة الاولى علّه زياده حظّ الذّكر على الانثى فى الميراث و نقول هنا مضافا إلى ما سبق: إنّّه قد ذكر لها فى بعض الأخبار علل و أسرار اخرى.

و هو ما فى الوسائل عن ثقة الاسلام الكلينى باسناده عن الأحول قال قال ابن أبى العوجا: ما بال المرأة المسكينه الضعيفه تأخذ سهما واحدا و يأخذ الرجل سهمين؟ قال: فذكر ذلك بعض أصحابنا لأبى عبد الله عليه السّلام فقال: إنّ المرأة ليس عليها جهاد و لا نفقه و لا معقله و إنّما ذلك على الرجال فلذلك جعل للمرأة سهما واحدا و للرجل سهمين.

و فيه عن الصّيدوق باسناده عن محمّد بن سنان أنّ الرّضا عليه السّلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: علّه إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث لأنّ المرأة إذا تزوّجت اخذت و الرجل يعطى فلذلك و فرّ على الرجال، و علّه اخرى فى اعطاء الذّكر مثلى ما تعطى الانثى لأنّ الانثى فى عيال الذّكر إن احتاجت و عليه أن يعولها و عليه نفقتها، و ليس على المرأة أن تعول الرجل و لا تؤخذ بنفقتها إن احتاج

فَوَفَّرَ عَلَى الرِّجَالِ لَذْلَكَ وَ ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ:

«الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ».

و عنه أيضا باسناده عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السَّلام: لأىِّ علَّ صار الميراث للذكر مثل حظِّ الانثيين؟ قال: لما جعله الله لها من الصَّدَاق.

و باسناده عن عيسى بن سالم عن أبيه قال سألت أبا عبد الله عليه السَّلام فقلت له: كيف صار الميراث للذكر مثل حظِّ الانثيين؟ فقال، لأنَّ الحبات التى أكل آدم و حواء فى الجنَّة كانت ثمانية عشر حَبَّة أكل آدم منها اثنتى عشر حَبَّة و أكلت حواء سِتًّا فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظِّ الانثيين.

ثم إنَّه عليه السَّلام بعد التَّنبيه على جهه النَّقصان فى النساء أمر بقوله (فَاتَّقُوا شُرَاهُنَّ) على التَّجَنُّب و الهرب من الشَّرار، و بقوله (و كونوا من خيارهنَّ على حذر) على الحذر من الخيار، قال البحرانى: و يفهم من ذلك أنَّه لا- بدَّ من مقاربتهنَّ (1) و كان الانسان إنما يختار مقاربه الخيره منهنَّ فينبغى أن يكون معها على تحرُّز و تثبُّت فى سياستها و سياسه نفسه معها إذا لم تكن الخيره منهنَّ خيره إلَّا بالقياس إلى الشَّريره.

روى فى الفقيه عن جابر بن عبد الله الانصارى قال: كنَّا جلوسا مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال فتذاكرنا النساء و فضل بعضهنَّ على بعض فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ألا- أخبركم بخير نساءكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله فأخبرنا، قال: إنَّ من خير نساءكم الولود الودود السَّتيره العفيفه العزيزه فى أهلها الذليله مع بعلمها المتبرِّجه مع زوجها الحصان مع غيره التى تسمع قوله و تطيع أمره و إذا خلا بها بذلت له ما أراد منها و لم تبدل له تبدل الرَّجل.

قال و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ألا أخبركم بشرَّ نساءكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله فأخبرنا

ص: ٣٠٦

قال: من شرّ نسائكم الذليله فى أهلها العزيزه مع بعلمها العقيم الحقود التى لا- تتورع عن قبيح المتبرجه إذا غاب عنها زوجها الحصان معه إذا حضر التى لا تسمع قوله ولا تطيع أمره فاذا خلا بها تمنعت تمنع الصعبه عند ركوبها ولا تقبل له عذرا ولا تغفر له ذنبا و رواه فى الكافى عن جابر بن عبد الله نحوه فى كتاب النكاح فى باب خير النساء و شرار النساء، و روى فيه أخبارا اخرى فى معنى الخير و الشر.

و قوله (و لا- تطيعوهنّ فى المعروف حتّى لا- يطمعن فى المنكر) من قبيل المثل السائر: لا تعط عبدك كراعا فيأخذ ذراعا قال العلامة المجلسى: و ترك طاعتهمّ فى المعروف إما بالعدول إلى فرد آخر منه أو فعله على وجه يظهر أنّه ليس لطاعتهمّ بل لكونه معروفا أو ترك بعض المستحبات و يكون الترك حينئذ مستحبا كما ورد تركها فى بعض الأحوال كمال الحلال هذا.

و قد ورد الحثّ على ترك طاعتهمّ فى غير واحد من الأخبار مثل ما فى الفقيه عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال فى النساء: لا تشاوروهنّ فى النجوى و لا تطيعوهنّ فى ذى قرابه إنّ المرأه إذا كبرت ذهب خير شطريها و بقى شرهما، ذهب جمالها و احتدّ لسانها و عقم رحمها، و إنّ الرّجل إذا كبر ذهب شرّ شطريه و بقى خيرهما ثبت عقله و استحکم رأيه و قلّ جهله.

و فيه أيضا قال علىّ عليه السّلام: كلّ امرء تدبّره امرأه فهو ملعون، و قال: فى خلافهمّ البركه، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا أراد الحرب دعى نساءه فاستشارهنّ ثمّ خالفهنّ.

و فى بعض الروايات العاميه قال أمير المؤمنين عليه السّلام لا تطيعوا النساء على حال و لا تأمنوهنّ على مال، و لا تذروهنّ لتدبير العيال، فانّهنّ إن تركن و ما يرون أوردن المهالك، و أذلن الممالك، لا دين لهنّ عند لذّتهنّ، و لا ورع لهنّ عند شهوتهنّ، ينسين الخير و يحفظن الشرّ، يتهافتن بالبهتان و يتمارين للطغيان يتصدّين للشيطان.

و من طريق العامه أيضا قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم شاوروهنّ خالفوهنّ.

ينبغي لنا أن نذكر هنا شطرا من أوصاف النساء و أخبارهن و بعض مكايدهنّ من طريق الأخبار و غيرها، و المقصود بذلك التحذير عنهنّ و التنبيه على كيدهنّ، حيث وصفه الله سبحانه في كتابه العزيز بالعظمه مع أنّه جعل كيد الشيطان ضعيفا حيث قال:

«إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» و قال: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا».

و لذلك قال بعض أهل العرفان: إنا من النسوان أحذر من الشيطان فأقول:

قال رسول الله شاوروهنّ و خالفوهنّ و قيل: إياك و موافقه النساء فرأيهنّ إلى أفن(1) و عزمهنّ إلى وهن، و قيل:

أكثروا لهنّ من لا، فإنّ نعم يغيرهنّ بالمثلته قال الشاعر:

تعيّرني بالغزو عرسى و ما درت بأنّى لها فى كلّ ما أمرت ضدّ

و رأى سقراط امرأه تحمل نارا فقال نار تحمل نارا و الحامل شرّ من المحمول و قيل له: أى السباع شرّ قال: المرأة و قيل: المرأة إذا أحببتك آذتك و إذا أبغضتك خانتك فحبّها أذى و بغضها داء و قيل المرأة سبع معاشر و قيل حيوان شرير.

و فى الحديث أنّه لما خلقت المرأة نظر إليها إبليس فقال أنت سؤلى و موضع سرّى و نصف جندى و سهمى الذى ارمى به فلا اخطى و إذا اختصمت هى و زوجها فى البيت قام فى كلّ زاويه من زوايا البيت شيطان يصفق و يقول فرّح الله من فرّحنى حتّى إذا اصطلحا خرجوا عميا يتعادون يقولون: أذهب الله نور من ذهب بنورنا.

و فى الفقيه عن إسحاق بن عمار عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث إنّ إبراهيم

ص: ٣٠٨

١- (١) قال فى مجمع البحرين فى حديث النساء فإنّ رأيهنّ الى الافن و عزمهنّ الى الوهن الافن بالتحريك ضعف الراى قاله الجوهرى و قال غيره: الافن النقص و راى أفن و مأفون ناقص منه.

خليل الرحمن شكى إلى الله خلق ساره فأوحى الله عز وجل إليه إن مثل المرأة مثل الضلع إن أقمتها انكسر وإن تركته استمعت به.

و في حديث إبليس مع يحيى بن زكريا على نبينا وعليهما السلام المروى في المجلد السماء و العالم من البحار و جاده في كتاب الترمذى قال أى إبليس: يا نبي الله فأول ما اصيد به المؤمن من قبل النساء «إلى أن قال» يا نبي الله إن أرجى الأشياء عندى و أدمه لظهري و أقره لعيني النساء، فأنها حبالتي و مصائدى و سهمى الذى به لا اخطى بآبائى هن لو لم يكن هن ما اطعت(١) اضلال أدنى آدمى، قرّت عيني بهنّ أظفر بمقراتى و بهنّ أوقع فى المهالك إذا اغتممت ليشث(٢) على النساءك و العباد و العلماء غلبونى بعد ما ارسلت عليهم الجيوش فانهزموا و بعد ما ركبت و قهرت ذكرت النساء طابت و سكنت غضبى و اطمأنّ كظمى و انكشف غيظى و سلمت كأبتى و قرّت عيني و اشتدّ ازرى، ولولاهنّ من نسل آدم لسجدتهنّ فهنّ سيداتى و على عنقى سكانهنّ و علىّ تمماهنّ ما اشتتهت امرأه من حبالتي حاجه إلا كنت أسعى برأسى دون رجلى فى اسعافها بحاجتها، لأنهنّ رجائى و ظهري و عصمتى و سندی و ثقتى و غوثى، الحديث.

أقول: النسخه كانت سقيمه جدّا فأثبتته كما وجدت.

و فى الأنوار النعمانيه للسيد نعمه الله الجزائرى و من أسباب الدنيا و الميل إليها النساء و إطاعتهنّ.

روى أنّ رجلا- من بنى إسرائيل رأى فى المنام أنّه خير ثلاث دعوات مستجابات بأن يصرفها حيث شاء، فشاور امرأته فى محلّ الصّرف فرأت أن يصرف واحده منها فى حسنّها و جمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما فصرفها فى ذلك فصارت جميله فيما بين بنى اسرائيل فاشتهرت فاشتهر أمرها إلى أن غضبها ملك ظالم فدعا الرّجل غيره بأن يصيرها الله تعالى على صورته كلب فصارت كلبا أسود و جاءت إلى باب زوجها

ص: ٣٠٩

١- (١) هكذا فى البحار و الظاهر ان المجرد بمعنى المزيد اى ما استطعت أو أنه من تصحيف الناسخ و الاصل أطق بالقاف بمعنى قدرت و هو الاظهر، منه.

٢- (٢) ايش واش فرح.

و تضرّعت إليه مدّه حتّى رَقَّ قلبه فدعا بأن يصيّرَها الله على صورتها الأولى، فضاعت الدّعوات الثلاث فيها و هي كما كانت بشوم مشاوره المراه.

و حكى أنّ خسرو الملك أتى إليه رجل بسمكه كبيره فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شیرين فكيف تصنع إذا احتقر من اعطيته شيئاً من حشمك و قال: أعطاني ما أعطى الصّياد أو أقلّ، فقال خسرو الملك إنّ الرّجوع عن الهبه قبيح خصوصاً من الملوك فقالت شیرين: التّدبير أن تدعوه و تقول له هذه السّيمكه ذكر أو انثى، فان قال ذكر فتقول له إنّما أردت انثى، و إن قال انثى فتقول له إنّما أردت ذكراً فاستدعاه فسأله عن ذلك فقال: أيّها الملك إنّها خنثى لا ذكر ولا انثى، فاستحسن جوابه و أمر له بأربعة آلاف درهم اخرى، فلمّا تسلّم الصّياد ثمانيه آلاف درهم من الخزّان و رجع سقط منها فى الطريق درهم فاشتغل بأخذ الدّهرم الساقط فقالت شیرين للملك: انظر إلى خسّيته و غلبه حرصه، فاستدعاه و سأله عن غرضه فى اشتغاله بأخذه فقال أيّها الملك: كان عليه اسمك و حكمك فخفت أن يطأه أحد برجله غافلاً عنه، فاستحسن أيضاً جوابه و أمر له بأربعة آلاف درهم اخرى و ذهب الصّياد باثنى عشر ألف درهم.

و فى موضع آخر منه أنّ كلّ فتنه وقعت فى العالم فأنّما جاءت من قبلهنّ و ذلك:

إنّ الفتنه الاولى و هي اكل آدم من الشّجره و اخراجه إلى الأرض إنّما جاء من قبل حوّا، لأنّ آدم لمّا لم يقبل و ساوس الشيطان وسوس إلى حوّاء فجاءت إلى آدم و كلّمته فى أمر الأكل من الشّجره حتى حملته عليه.

و أمّا الفتنه الأخيره التى نشأ منها خراب العالم و هي غصب خلافة أمير المؤمنين عليه السّلام و استظهارهم على عداوته فأنّما جاء من قبل عايشه و عداوتها و حسدها لفاطمه عليها السّلام بسبب أن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يظهر المحبّه لها و لولديها فغارت من هذا عايشه و أضمرت العداوه لها ثمّ أظهرتها فتخطت تلك العداوه من النّساء إلى الرّجال فبغض عليا عليه السّلام أبو بكر و عمر ففعلا ما فعلا و فعلت عايشه بعدهما ما فعلت.

أقول: و شهاده أمير المؤمنين عليه السلام بسبب قطام و سمّ جعده للحسن بن عليّ عليهما السلام غير خفيّ.

و في البحار روى عن جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام أنّه قال: كان في بني اسرائيل رجل صالح و كان له مع الله معامله حسنه و كان له زوجة و كان ظنينا بها و كانت من أجمل أهل زمانها مفرطه في الجمال و الحسن، و كان يقفل عليها الباب فنظرت يوما شابًا فهوته و هواها فعمل لها مفتاحا على باب دارها و كان يخرج و يدخل ليلا و نهارا متى شاء و زوجها لم يشعر بذلك.

فبقيا على ذلك زمانا طويلا فقال لها زوجها يوما و كان أعبد بني اسرائيل و أزهدهم: إنك قد تغيرت عليّ و لم أعلم ما سببه و قد توسوس قلبي عليّ و كان قد أخذها بكرا، ثم قال و اشتهى منك أنك تحلفي لي أنّك لم تعرفي رجلا غيري، و كان لبني اسرائيل جبل يقسمون به و يتحاكمون عنده و كان الجبل خارج المدينة عنده نهر جار و كان لا يحلف أحد عنده كاذبا إلّا هلك، فقالت له و يطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل؟ قال: نعم، قالت: متى شئت فعلت.

فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها و أنّها تريد أن تحلف له عند الجبل و قالت ما يمكنني أن أحلف كاذبه و لا أقول لزوجي فبهت الشاب و تحيّر و قال فما تصنعين؟ فقالت بكر غدا و البس ثوب مكار و خذ حمارا و اجلس على باب المدينة فاذا خرجنا فأنا أدعه يكتري منك الحمار فاذا اكتراه منك بادر و احملني و ارفعني فوق الحمار حتّى احلف له و أنا صادقه أنّه ما مسني أحد غيرك و غير هذا المكارى، فقال: حبا و كرامه.

و أنّه لما جاء زوجها قال لها قومي إلى الجبل لتحلفي به قالت مالى طاقة بالمشى فقال: اخرجي فان وجدت مكاريا اكترت لك فقامت و لم تلبس لباسها فلما خرج العابد و زوجته رأت الشاب ينتظرها فصاحت به يا مكارى اكترى «كذا» حمارك بنصف درهم إلى الجبل قال: نعم.

ثم تقدّم و رفعها على الحمار و ساروا حتّى وصلوا إلى الجبل فقالت للشاب

انزلنى عن الحمار حتى أصعد الجبل، فلما تقدّم الشاب إليها القت بنفسها إلى الأرض فانكشفت عورتها فشتت الشاب فقال: و الله مالى ذنب.

ثم مدّت يدها إلى الجبل و حلفت له أنه لم يمسيّ بها أحد و لا نظر إنسان مثل نظرك إلىّ مذ عرفتك غيرك و هذا المكارى، فاضطرب الجبل اضطرابا شديدا و زال عن مكانه و انكرت بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى:

«وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ».

و فى زهر الربيع كان فى الهند رجل شجاع غيور و له امرأه جميله فاتفق أنّه سافر عنها، فجلست يوما على قصرها فرأت برهمن من براهيمه الهند شابّا فحصل بينهما عشق و وصال و كان يأتى إليها متى ما أراد، فخرجت يوما إلى بيت جارها و أتى ذلك الشاب إلى منزلها فلم يجدها فخرج فى طلبها فلما دخلت أخذ الشاب الهندى سوطا كان معه و ضربها.

و كان فى تلك الحاله أتى زوجها من السيفر فقال لها برهمن: هذا زوجك أتى فكيف الحيله؟ فقالت: اضربنى بهذا السوط فاذا دخل زوجى و سألك فقل إنّ هذه المرأه فيها صرع أتى إليها بعد سفرى و طلبونى لاعوذ بها بالأسماء و أقرء عليها و أضربها حتى يخرج منها الجنّ، فتكدّرت على زوجها عيشه و خرج الشاب الهندى و بعد هذا صارت كلما اشتت وصال الشاب الهندى صرعت نفسها و مضى زوجها يلتمس من الهندى و الهندى يمنّ عليه و يأخذ منه حقّ الجعالة حتى يأتى إلى منزله لأجل أن يعوّذها ممّا عنده فصار الرجل الغيور قوّادا ديوثا.

و فى حكمه آل داود امرأه السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلّا من رضى الله عنه و المرأه السوء غلّ يلقيه الله فى عنق من يشاء.

و قال داود عليه السّلام المرأه السوء الحمل الثّقل على الشّيوخ الكبير، و المرأه الصّالحه كاللّاج المريع بالذهب كلّما رآها قرّت عينه.

و عن مولينا أمير المؤمنين عليه السّلام فى قوله تعالى:

«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» قال عليه السّلام: المرأه الحسناء الصّالحه

«وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ» حورِيّه من حور العين «وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» امرئه السّوء.

قال بعضهم.

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي و لكن قرين السّوء باق معمر

فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلا و عذبها فيه نكير و منكر

أقول، و حيث انجزّ الكلام إلى هذا المقام فينبغي أن نختمه بحديث المتكلمه بالقرآن تذكره للعاقلين و تنبيهها للغافلين و إشاره إلى أنّ الأخبار المطلقة في مذمه النّساء محموله على الأفراد الغالبه و إلّا- ففيها من لا يوجد مثلها في الرّجال زهدا و ورعا و صلاحا.

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجبا إلى بيت الله الحرام فبينما أنا في بعض الطريق فاذا أنا بسواد يلوح فاذا هي عجوز فقلت: السّلام عليك، فقالت: «سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ»، فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت: «مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ»، فعلمت أنّها ضالّه عن الطريق فقلت لها: أين تريدان؟ قالت:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»، فعلمت أنّها قضت حجّها و تريد بيت المقدّس.

فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع؟ فقالت: «ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا»، قلت: ما أرى معك طعاما تأكلين قالت: «هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِي»، قلت: فبأيّ شيء تتوضين؟ قالت:

«فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا» قلت: إنّ معي طعاما فهل تأكلين؟ قالت:

«ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ»، قلت: ليس هذا شهر رمضان قالت: «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ»، قلت: قد ابيح لنا الأفطار في السّفر قالت: «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ».

قلت: فلم لا- تتكلمين مثل كلامي؟ قالت: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» عتيد، قلت: من أيّ النّاس أنت؟ قالت: «وَلَا تَقِفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»، قلت: قد أخطأت فاجعلني في حلّ،

قالت: «لا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ»، قلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة؟ قالت: «وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ».

فأنخت ناقتي: فقالت: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ»، فغضضت بصرى عنها فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ»، فقلت لها: اصبرى حتى أعقلها، قالت: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ».

فشددت لها الناقة فقلت: اركبى، فركبت فقالت: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى و اصبیح، فقالت: «وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ»، فجعلت أمشى رويدا و أترنم بالشعر فقالت: «فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ»، فقلت لها: لقد اوتيت «خَيْرًا كَثِيرًا»، قالت «وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ».

فلما مشيت بها قليلا قلت: أ لك زوج؟ قالت: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ»، فسرت حتى أدركت القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها؟ قالت: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، فعلمت أن لها أولادا قلت: و ما شأنهم فى الحج قالت: «وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»، فعلمت أنهم أولاد الركب فقصدت بها القباب و العماريات (١).

و قلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» «يا يحيى خذ الكتاب بقوة»، فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فاذا بشبان كأنهم الذنانير قد أقبلوا.

فلما استقر بهم الجلوس قالت: «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ»، فمضى أحدهم و اشترى طعاما فقدموه فقالت «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» فقلت الآن طعامكم حرام على حتى تخبرونى بأمرها فقالوا: إنها امنا و لها منذ أربعين سنة لا تتكلم إلا بالقرآن مخافه أن تزل فيسخط عليها الرحمن.

ص: ٣١٤

قال الشارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام له عليه السلام: و هذا الفصل كله رمز إلى عايشه و لا يختلف أصحابنا فى أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت و ماتت تائبه، و أنها من أهل الجنة.

قال قال كل من صنف فى السير و الأخبار إن عايشه كانت من أشد الناس على عثمان حتى أنها اخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فنصبتة فى منزلها و كان تقول للداخلين إليها هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يبل و عثمان قد أبلى سنته.

قالوا أول من سمى عثمان نعتلا عايشه و النعتل الكثير شعر اللحية و الجسد، و كانت تقول اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا.

و روى المدائنى فى كتاب الجمل قال: لما قتل عثمان كانت عايشه بمكة و بلغ قتله إليها و هى بشراف فلم تشك فى أن طلحه هو صاحب الأمر و قالت بعدا لنعتل و سحقا ايه ذا الاصبع ايه أبا شبل ايه يابن عم (١) لكأننى انظر إلى اصبعه و هو يبيع له حثوا الابل و ددعتها (٢) ثم قال و قال أبو مخنف: إن عايشه لما بلغها قتل عثمان و هى بمكة أقبلت مسرعه و هى تقول ايه ذا الاصبع لله أبوك أما أنهم وجدوا طلحه لها. كفوا (٣)

ص: ٣١٥

١- (١) أراد به طلحه لأن طلحه و عايشه كلاهما من بنى تيم و لذلك كانت هو اها فى كون الامر بطلحه منه (ره).
٢- (٢) فى نسخه ابن ابى الحديد التى عندى حثوا الابل بالثاء المثلثة و دد عنها بالبدال المهملة و على ذلك فلفظ حثوا الابل من كلام عايشه امر بسوق الابل و حثها على السير و لفظه ددعتها من كلام الراوى اى حركت عايشه ابلها للعدو و قال فى القاموس و الددع عدو فى بطوء و لكن فى البحار عن ابن ابى الحديد حنوها لابل و ددعوها قال المجلسى (ره) فى تفسيره اى جعلوا اصبعه منحنيه للبيعه لابل و ددعوها اى كسروها و بددوها لهجومهم على البيعه انتهى فعلى ما ذكره (ره) حنوها بالنون المهملة و ددعوها بالذالين المعجمتين من الددع منه (ره).

٣- (٣) اى للخلافه م.

فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان قالت: ثم ما ذا؟ قال: ثم جاز بهم الأمور إلى خير مجاز بايعوا عليا، فقالت: لوددت أن السجاء انطبقت على الأرض إنَّ تم هذا و يحك انظر ما ذا تقول قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين و الله ما أعرف بين لابتيتها أحدا أولى بها منه و لا أحق و لا أرى له نظيرا في جميع حالاته، فلما ذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جوابا.

و في روضه الصفا و قال عبيده بن أبي سلمة في هذا المعنى أبياتا منها قوله:

فمنك البدار و منك المفر و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الامام و قاتله عندنا من أمر

قال أبو مخنف: و قد روى من طرق مختلفه أنّ عايشه لما بلغها قتل عثمان و هي بمكة قالت: أبعدہ الله ذلك بما قدمت يداہ و ما الله بظلام للعبيد.

قال: و قد روى قيس بن أبي حازم أنّه حجّ في العام الذي قتل فيه عثمان و كان معه عايشه لما بلغتها قتله فتحمل إلى المدينة قال فسمعها تقول في بعض الطريق: ايد ذا لاصبع و إذا ذكرت عثمان قالت: أبعدہ الله حتّى أتتها خبر بيعه عليّ فقالت: لوددت إن هذه وقعت على هذه، ثمّ أمرت بردّ ركايبها إلى مكة فردّت معها و رأيتها في مسيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحدا: قتلوا ابن عفّان مظلوما.

فقلت لها: يا أم المؤمنين ألم اسمعك آنفا تقول أبعدہ الله و قد كنت قبل أشدّ الناس عليه و أقبحهم فيه قولا فقالت: لقد كان ذلك و لكنني نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى تركوه كالفضه البيضاء أتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه.

ثم قال: قال أبو مخنف جاءت عايشه إلى أم السلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي امية أنت أوّل مهاجرة في أزواج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و أنت كبيره امّهات المؤمنين و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يقسم لنا من بيتك و كان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلت فقالت: أمّ السلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة؟ فقالت عايشه:

إِنَّ عبدَ اللَّهِ أخبرني أَنَّ القومَ استتابوا عثمانَ فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام و قد عزمت الخروج إلى البصره و معي الزبير و طلحه فاخرجني معنا لعلَّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا و بنا.

فقلت انا ام سلمه إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقول فيه أخبث القول و ما كان أسمعته عندك إلا نعثلاً و إنك لتعرفين منزله علي بن أبي طالب عليه السلام كانت عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فاذا ذكرك؟ قالت: نعم.

قالت: أ تذكرين يوم أقبل عليه السلام و نحن معه حتّى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي عليه السلام يناجيه فأطال فأردت أن تهجمين عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت بأكيه فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إنني هجمت عليهما و هما يتناجيان، فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله صلى الله عليه و آله إلا يوم من تسعه أيام أ فما تدعني يا بن أبي طالب و يومى فأقبل رسول الله صلى الله عليه و آله علي و هو غضبان محمّر الوجه فقال:

أرجعي و راءك و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتي و لا من غيرهم من الناس إلا هو خارج من الايمان، فرجعت نادمه ساقطه.

فقلت عايشه: نعم اذكر ذلك.

قالت و اذكرك أيضاً كنت أنا و أنت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و أنت تغسلين رأسه و انا احيس له حيساً (١) و كان الحيس يعجبه فرفع صلى الله عليه و آله و سلم رأسه و قال: ليت شعري أيتكن صاحب «صاحبه ظ» الجمل الاذنب (٢) تنبها كلاب الحوئب فتكون ناكبه عن الصراط فرفعت يدي من الحيس فقلت أعوذ بالله و برسوله صلى الله عليه و آله من ذلك، ثم ضرب على ظهره و قال صلى الله عليه و آله و سلم إياك أن تكونيها، ثم قال: يا بنت أبي اميه إياك أن تكونيها، يا حميراء أما

ص: ٣١٧

١- (١) الحيس تمر يخلط بسمن و أقط فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه و ربما جعل فيه السويق ق.

٢- (٢) في نسخه ابن ابى الحديد التى عندى لفظ الاذنب بالذال و النون و لعلّه تصحيف و الصحيح ما فى القاموس قال و الادب الجمل الكثير الشعر و باظهار التضعيف جاء فى الحديث صاحبه الجمل الاذنب منه.

أَنِّي فَقَدْ أَنْذَرْتُكَ.

قالت عايشة؟ نعم اذكر هذا.

قالت و اذكر كأيضا كنت أنا و أنت مع رسول الله صلى الله عليه و آله في سفر له و كان عليّ يتعاهد نعلي رسول الله صلى الله عليه و آله فيخصفها و يتعاهد أثوابه فيغسلها، فبقيت له نعل يومئذ يخصفها و بعد في ظلّ سمره(١) و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب و دخلا. يحادثاه فيما أرادا، ثمّ قالا: يا رسول الله إنا لا ندرى قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون بعدك لنا مفزعا، فقال لهما: أما أني أرى مكانه و لو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثمّ خرجا، فلما خرجنا إلى رسول الله قلت له: و كنت أجره عليه منّا من كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم؟ فقال عليه السلام: خاصف النعل، فنزلنا و لم نر أحدا إلّا عليا، فقلت: يا رسول الله ما نرى إلّا عليا، فقال: هو ذاك.

فقالت عايشة: نعم اذكر ذلك.

فقلت فأني خروج تخرجين بعد هذا؟ فقال: إنّما أخرج للاصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت: أنت و رأيك فانصرفت عايشة عنها فكتبت أم سلمة ما قالت و قيل لها إلى علي.

قال الشّارح بعد نقل هذه الرواية: فان قلت فهذا نصّ صريح في إمامه عليّ عليه السلام فما تصنع أنت و أصحابك المعتزله فيه؟ قلت: كلاً إنّه ليس بنصّ كما ظننت لأنّه لم يقل قد استخلفت و إنّما قال لو استخلفت أحدا لاستخلفته، و ذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف و يجوز أن يكون مصلحه المسلمين متعلّقه بالتعب عليه لو كان النبيّ مأمورا بأن ينصّ على إمام بعينه من بعده فيكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النبيّ و أراهم و لم يعيّن أحدا.

ثمّ قال: قال أبو مخنف: و ارسلت إلى حفصه تسألها الخروج و المسير فبلغ

ص: ٣١٨

ذلك عبد الله بن عمر فأتى اخته فعزم عليها فأقامت و حطت الرحال بعد ما همّت.

قال: و كتب الأشتر من المدينة إلى عايشه و هى بمكة: أما بعد فإنك ظعينة رسول الله و قد أمرك أن تقرى فى بيتك فان فعلت فهو خير لك، فان أبيت إلا أن تأخذ منسئتك(١) و تلقى جلبابك و تبدى للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك إلى بيتك و الموضع الذى يرضاه لك ربك.

فكتبت إليه فى الجواب أما بعد فإنك أول العرب شبّ الفتنه و دعا إلى الفرقة و خالفت الأئمة و قد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمه ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، و قد جائنى كتابك و فهمت ما فيه و سيكفينك و كل من أصبح مماثلا لك فى ضلالك و غيك إنشاء الله.

قال ابو مخنف: لما انتهت عايشه فى مسيرها إلى الحوئب و هو ماء لبنى عامر ابن صعصعه نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها ألا- ترون ما أكثر كلاب الحوئب و ما أشد نباها، فأمسكت زمام بعيرها و قالت: و إنها لكلاب الحوئب ردوني ردوني فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول، و ذكرت الخبر، فقال قائل. يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوئب فقالت فهل من شاهد؟ فلقوا لها خمسين أعرابيا جعلوا لهم جعلا فحلفوا أن هذا ليس بماء الحوئب فسارت لوجهها.

انتهى ما أهمنا نقله من كلامه هبط مقامه.

أقول لا يخفى على الناقد البصير و الذكى الخبير المراقب للعدل و الانصاف و المجانب للتعصب و الاعتساف وجوه الدلالة فيما أورده الشارح و رواه على مطاعن عايشه ام الفاسقين و فضايح المتخلفين الذينهم أئمة النار و جنود ابليس اللعين، و لا يخفى عليه أيضا عصييه الشارح و من حذا حذوه من أصحاب المعتزله فى حق الخاطئه و أوليائهم الثلاثة و لا بأس بالتنبيه على بعض تلك الوجوه فأقول:

اولا أن ما ذكره من خطأ الخاطئه مسلم و ما عقبه به من توبتها و كونها من أهل الجته ممنوع و لا بدّ للمدعى لها من الاثبات و أتى لهم بذلك، بل الظاهر من

ص: ٣١٩

حالات عايشه و فرط بغضها و شدّه عداوتها لعلّي هو العدم و يؤيّد ذلك أنها كانت فى مقام اللجاجة و العداوه مع خليفتهم عثمان حتّى سمته نعثلا، و النّعثل على ما فى القاموس الشّيخ الأحق و يهوديّ كان بالمدينه و رجل لحيانى كان يشبه به عثمان اذا نيل منه و كانت تقول: اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا، و كانت باقيه على عداوتها بعد وفاته أيضا حيث إنّها كانت تقول بعدا لنعثل و سحقا و تقول أبعد الله ذلك بما قدّمت يداه و ما ربّك بظلام للعبيد، و كذلك نار غضبها و نايره حسدها لأمر المؤمنين عليه السّلام لم تكن بحيث تطفئ.

يدلك على ذلك ما رواه الحميدى فى الجمع بين الصّحيحين أنّ ابن الزّبير دخل على عايشه فى مرضها فقالت له إنّى قاتلت فلانا و سمت المقاتل برجل قاتلته و قالت لوددت أنّى كنت نسيا منسيا، فإنّ تعبيرها عنه عليه السّلام بالرجل و بفلان من دون أن يذكر لقبه الشريف أو اسمه السّامى مقرونا بالتعظيم تدلّ على فرط عصبيّتها و استنكافها من التصريح بالاسم و اللقب.

و أظهر من ذلك ما رواه الشّارح فى هذا المقام من أنّه لمّا بعث أمير المؤمنين ابن عبّاس بعد انقضاء حرب الجمل إلى عايشه يأمرها بالرحيل إلى المدينه قال لها:

إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أرسلنى إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينه فقالت: و أين أمير المؤمنين ذاك عمر، فقال: عمر و علىّ، قالت: أثبت إلى أن قالت إنّى معجّله الرحيل إلى بلادى انشاء الله و الله ما من بلد أبغض من بلد أنتم فيه.

فإنّ استكراهها من إطلاق لفظ أمير المؤمنين عليه الذى لقّبه الله تعالى به و أمر رسوله بأن يأمر أصحابه على السّلام عليه بامر المؤمنين، على ما ورد فى غير واحد من الروايات، دليل على كراهتها لحكم الله و إنكارها لأمر رسوله و ما ذلك إلّا من فرط الحقد و الحسد.

و ببالى أنّى رأيت فى بعض الروايات (١) أنّها سمّت بعد وفات أمير المؤمنين

ص: ٣٢٠

١- (١) و هو روايه مسروق المرويه فى البحار من تلخيص الشافى قال روى عن مسروق انه قال دخلت على عايشه فجلست اليها فحدثتنى و استدعت غلاما لها اسود يقال له عبد الرحمن فجاء حتى وقف فقالت يا مسروق أ تدري لم سمّيته عبد الرحمن فقلت لا فقالت حبا منّى بعبد الرحمن بن ملجم منه.

و شهادته أحد غلمانه عبد الرحمن أخذاً من اسم عبد الرحمن قاتل أمير المؤمنين شعفا بقتله و تيمنا باسمه.

و هنا لطيفه و هى أنّ بهلول العاقل مرّ يوماً بجماعه يذاكرون الحديث و يروون عن عايشه أنّها قالت: لو أدركت ليله القدر لما سألت ربّي إلاّ العفو و العافيه، فقال بهلول: و الظفر بعلى بن ابى طالب، يعنى أنّها كانت أهمّ مسؤولاتها الظفر عليه عليه السّلام.

هذا كلّه مضافاً إلى أنّ توبتها لا- يمكن أن تحصل بمجرّد الندم على الخروج من البيت و الحرب بل يتوقف على التفصّل عمّا أراقها من دماء المسلمين من الأنصار و المهاجرين و ما نهبت من بيت مال المسلمين إلى غير ذلك من المفاسد و المظالم، و لم يتحقّق منها شيء من ذلك و أنّى لها بذلك.

و ثانياً إنّ كانت صادقه فى قولها أنّ عثمان قد أبلى سنه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فعليه لعنه الله، و إنّ كانت كاذبه فعليها غضب الله.

و ثالثاً أنّ اللازم عليها أن تكون سالماً لمن سالمه رسول الله صلّى الله عليه و آله و حرباً لمن حاربه محبّه لمن أحبه و مبغضه لمن أبغضه و شعفها بكون الخلافه لطلحه و استنكافها من كونها لأمر المؤمنين يدلّ على عكس ذلك.

و ذلك لأنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله توفّى و هو ساخط على طلحه للكلمه التى قالها يوم نزلت آيه الحجاب على ما قدّمنا روايتها فى تذييل الثانى من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبه الثالثه، و فى الطعن الثالث عشر من مطاعن عثمان التى أوردنا فى التذييل الثانى من تذييلات كلامه الثالث و الأربعين و مات و هو راض عن أمير المؤمنين عليه السّلام فكانت عايشه ساخطه لأمر المؤمنين راضيه عن طلحه موديه لرسول الله مخالفه لرأيه طارحه للغيره و الحميه.

و رابعاً أنّ هجومها على رسول الله و علىّ حين ما يتناجيان و قولها لعلىّ

ليس لى من رسول الله إلا يوم من تسعه أيام أ فما تدعنى يابن أبى طالب و يومى، يدل على قله حياؤها و عدم مبالاتها.

و خامسا أن قول رسول الله لها و هو غضبان محمّر الوجه: ارجعى ورائك و الله لا يبغضه أحد من أهل بيتى و لا من غيرهم من الناس إلا- و هو خارج من الايمان، تدل على كونها مبغضه لأمر المؤمنين عليه السلام خارجة من الايمان و رجوعها بعد إلى الايمان محتاج إلى البينه و البرهان و لم يثبت بالبديهة و العيان.

و سادسا أن سؤال رجلين عن رسول الله من الخليفة و الخلافة فى حال السفر مع عدم اقتضاء الحال و المقام لذلك لما عليهم من تعب السفر و وصيته إمّا أن يكون رعايه لمصلحه الاسلام و إشفاقا للامه و شدّه فى الدين و الايمان أم استخبارا من وقت وفات الرسول و تحصيلا للعلم بأنهما متى يكونان مطلقى العنان، أم طمعا منهما فى الخلافة و حرصا فى الولايه و رجاء لأن ينصّ على أحدهما و يبدى البيان.

لا سبيل إلى الأول حتما زعمه الشّارح المعتزلى و صرّح به فى كلامه الذى حكيناه فى أواخر المقدّمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الشّقشقيه و فى غيره من كلماته أيضا فى تضاعيف الشّرح إذ لو كان غرضهما الرّعايه لجانب الدّين و الشّفقه على الامّه كان اللازم عليهما الاصرار على السؤال و الاكمال فى الكلام حتّى يسفر لهما وضح الحقّ، و كان ينبغى لهما بعد ما اجاب لهما رسول الله بقوله: إئنّى قد أرى مكانه و لو فعلت لتفرّقتم عنه أن يقولوا: دلّنا يا رسول الله على مكانه نعرفه و تلازمه و كيف يمكن أن نتفرّق عنه بعد تعيينك إيّاه و أمرك باتّباعه، فلمّا لم يصرّا على السؤال و لم يتفوّها بشيء من ذلك و سكتا و خرجا بمجرّد أن قال لهما رسول الله: أرى مكانه علم أنّ غرضهما لم يكن الاشفاق على الامه و لحاظ مصلحه الاسلام و إنّما كان الطمع فى الخلافة فلمّا قال أرى مكانه يأسا منهما و علما أنّ الخليفه غيرهما فسكتا و خرجا و سابعا أنّ قوله: لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو اسرائيل عن هارون، لا يخفى ما فى هذا التّشبيه من النكته، فإنّ هارون كان وصى موسى و بنو اسرائيل قد تفرّقوا عنه و اتخذوا عجلا جسدا له خوار، لا يكلمهم و لا يهديهم سبيلا فأظهر

صلوات الله عليه بهذا الكلام ما فى قلبهما من النفاق و أعلمهم أنّهم يتفرّقون عن وصيّيه و لا يطيعون أمره كما خالف بنو اسرائيل موسى و تفرّقوا عن هارون.

و ثامنا أنّ إنكار الشّارح لدلاله الرّوايه على خلافه أمير المؤمنين لا- معنى له، إذ قوله: لو فعلت لتفرّقتم و إن لم يكن مستلزما لوقوع الفعل إلّا أنّ الضّمير فى أرى مكانه راجع إلى المسئول عنه و قد سألا عن المستخلف و المفزع فقال: أرى مكانه فيدلّ على أنّ المستخلف و المفزع كان موجودا حين السؤال و إلّا لزم أن يكون كلامه غير مطابق للواقع و نعوذ بالله من ذلك.

و هذا كلّ بعد الغضّ عن صحّحه الرّوايه و عن تصحييف العامه فيها و إلّا فقد قدّمنا هذه الرّوايه من الاحتجاج فى التّنبيه الثّانى من تنبيهات الكلام الثالث عشر و فيها أنّهما قالا: يا رسول الله فهل استخلفت أحدا؟ قال: ما خليفتى فيكم إلّا خاصف النّعل فمرا على علىّ و هو يخصف نعل رسول الله، و عليه فالرّوايه ناصّه على خلافته من هذه الجبهه أيضا.

و تاسعا ما زعمه الشّارح من جواز كون المصلحه فى اختيار الامّه لأنفسهم من شاءوا و ترك النّبىّ لهم فأرائهم فاسد جدا، إذ قد أثبتنا فى المقدمه الثّانيه من مقدّمات الخطبه الشّقشقيّه وجوب عصمه الامام، و العصمه ملكه خفيّه لا يمكن أن يبلغها الجهّال و الضّلال و يدركوها بأوهامهم فيقيموا إماما بآرائهم.

و قد مرّ فى شرح الخطبه الثّانيه إبطال الرّضا عليه السّلام لهذا الزّعم الفاسد و الرّأى الكاسد حيث قدّمنا هناك منه روايه شريفه فى معرفه شأن الامام و قوله عليه السّلام فيها: إنّ الامامه أجلّ قدرا و أعظم شأنًا و أعلا مكانا و أمتع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها النّاس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم إلى آخر ما قاله، و فيه كفايه لمن له علم و درايه هذا.

و قد مرّ فى شرح الكلام الثالث عشر بعض مطاعن عايشه و شطر من الكلام فيها فليراجع ثّمه.

از جمله خطبه های آن حضرتست بعد از انقضاء حرب جمل در مذمت زنان می فرماید و مقصود آن حضرت طعن بر عایشه بود و توبیخ باهل بصره که تابع آن خاطئه بودند:

جماعه مردمان بدرستی که طایفه زنان ناقص الایمانند و ناقص النصیبند و ناقص العقلند أما نقص ایمان ایشان پس نشستن ایشان است از نماز و روزه در ایام حیضشان، و أما نقصان عقل ایشان پس شهاده دو زن مثل شهادت یک مرد است، و أما ناقص بودن نصیب ایشان پس میراثهای ایشان بر نصفهاست از میراث مردان، پس بترسید از بدترین زنان و بباشید از خوبترین آنها بر حذر، و اطاعت نکنید آنها را در کارهای پسندیده تا این که طمع ننمایند در کارهای ناپسندیده، و نعم ما قیل:

زن بد در سرای مرد نکو هم درین عالمست دوزخ او

زینهار از قرین بد زنهار و قنا ربّنا عذاب النار

و من خطبه له علیه السلام و هی الثمانون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قَصْرُ الْأَمَلِ، وَ الشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَ الْوَرَعُ عِنْدَ الْمُحَارَمِ، فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَ لَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعَذَّرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفَرَةٍ وَ كُتُبٍ بَارِزَةٍ الْعُذْرَ وَاضِحَةٍ.

اللغة

(الزَّهَادَةُ) كَسَعَادَةٍ وَ الزَّهْدُ بِمَعْنَى وَ هُوَ تَرْكُ الْمِيلِ إِلَى الشَّيْءِ وَ فِي الْأَصْطِلَاحِ

ص: ۳۲۴

إعراض النفس عن الدنيا وطيباتها، وقيل: هو ترك راحه الدنيا طلبا لراحه الآخرة و (عزب) الشيء بالعين المهملة والزاء المعجمه غاب و ذهب و (أعذر الله إليكم) أظهر عذره و الأظهر أن يكون الهمزه للسلب كما قيل في الحديث: أعذر الله إلى من بلغ من العمر ستين سنة، أى أزال عذره قال في النهاية أى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّة و لم يعتذر.

الاعراب

الواو في قوله و الشكر و الورع عاطفه تفيد الجمع مع المصاحبه، قوله:

و كتب بارزه العذر واضح، اعلم أنّه قد حقّق في الأدبيّه أنّ النعت لا- بدّ أن يطابق منعوته في وجوه الاعراب الثلاثة الرفع و النصب و الجرّ و في التعريف و التنكير تقول جاء زيد الفاضل بالرفع فيهما و جائني رجل فاضل كذلك و هكذا.

و أن يطابقه في الافراد و التثنيه و الجمع و التذكير و التأنيث أيضا إن اسند النعت إلى ضمير المنعوت حقيقه أو تأويلا و نعى بالاسناد الحقيقي ان يجرى النعت على من هوله، تقول جائتني امرأه كريمه و رجل كريم و رجلاين كريمان و رجال كرام و هكذا، ففي الوصف في الجميع ضمير مستتر عايد إلى الموصوف باعتبار حاله في التأنيث و نقيضه و الافراد و نقيضيه، و نعى بالاسناد التأويلى أن يجرى النعت على غير من هو له إذا حوّل الاسناد عن الظاهر إلى ضمير المنعوت.

و جرّ الظاهر بالاضافه إن كان معرفه و نصب على التميز إن كان نكره تقول جائتني امرأه كريمه الالب بالاضافه أو كريمه أبا بالتميز و جائني رجلاين كريما الالب أو كريمان ابا و رجال كرام الآباء أو كرام آباء فإنّ الوصف في جميع ذلك رافع ضمير الموصوف تحويلا و تأويلا.

و ان اسند النعت إلى الاسم الظاهر أو إلى الضمير البارز لا- يلاحظ حال المنعوت في الافراد و نقيضيه و التذكير و نقيضه بل يعطى الوصف حكم الفعل تقول:

مررت برجل قائمه امّه و بامرئه قائم أبوها كما تقول قامت امّه و قام أبوها و هكذا تقول أيضا جائني غلام امرئه ضاربه هي و أمه رجل ضاربها هو، كما تقول ضربته هي

و ضربه هو و هكذا.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنَّ قوله عليه السَّلام بارزه العذر صفه للكتب مسند إلى ضمير موصوفه تأويلا، و قوله واضحه صفه أيضا لكنها مسنده إلى الضمير حقيقه أو محذوفه الفاعل بقرينه المذكور و لذلك وافقتا مع الموصوف في الاعراب و التانيث و التثكير و أنما اتى بهما مفردا إمّا باعتبار فاعلهما أو باعتبار تأويل الموصوف بالمفرد فافهم.

المعنى

اشاره

اعلم أنَّ مقصوده بهذه الخطبه بيان معنى الزَّهد و التنبيه على لزومه لكونه من عظام مكارم الصالحين و جلايل صفات المتقين و عمدته مقامات السالكين إلى الله تعالى بقدمى الطاعه و اليقين، و الرغبه ضدّه و الأوّل من جنود العقل و الثّانى من جنود الجهل و قد فسّره بقوله (أيّها النَّاس الزَّهاده قصر الامل و الشّكر عند النّعم و الورع عن المحارم) و هذه الثّلاثه من لوازم الزَّهد فيكون تعريفا بالخاصّه المركبه و إنّما قلنا إنّها من لوازمه لأنّ الزَّهد فى الحقيقه عباره عن اعراض النّفس عن الدّنيا و إقبالها إلى الآخره، و من هنا قيل إنّّه جعل القلب حيّا بمشاهده أحوال الآخره و ميّتا فى طمع الدّنيا، و من المعلوم أنّ إعراض النّفس عن الدّنيا مستلزم لقصر الأمل فيها، و الاقبال إلى الآخره مستلزم للشّكر إذ الكفران موجب للعذاب باعث للسّخط و العقاب كما قال تعالى:

«وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ».

و كذلك يلزمه الورع عن المحارم و الكفّ عنها إذ لا ينال ما عند الله إلّا بالورع قال الصادق عليه السَّلام فى روايه الوسائل: عليكم بالورع فإنّه الدّين الذى نلازمه و ندين الله تعالى به و نريده ممّن يوالينا لا تتعبونا بالشّفاعه.

و فى حديث أبى ذر قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا أبا ذر من لم يأت يوم القيامه بثلاث فقد خسّر، قلت: و ما الثلاث فداك أبى و أمى؟ قال: ورع يحجزه عمّا حرّم الله عزّ و جلّ عليه، و حلم يردّ به جهل السّيفيه، و خلق يدارى به النَّاس، هذا.

و لما كان ملازمه هذه الامور الثلاثه بأجمعها شاقه صعبه فى حق الأغلب من الناس لا جرم رخص لهم فى طول الأمل بقوله (فان عزب) و بعد (ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم و لا تنسوا عند النعم شكركم) يعنى أنكم إن لم تتمكنوا من الاتيان بالامور الثلاثه فلا محاله لا تتركوا الاثنين إذ ما لا يدرك كله لا يترك كله، و إنما رخص فى ترك طول الأمل و لم يرخص فى ترك الشكر أو الورع لأن طول الأمل ليس محرما بالذات و إن كان ينجر إلى المحرم احياناً بخلاف الكفران و التقحم فى المحارم، فإنهما محرمان بالذات و الترخيص فيهما موجب للاغراء بالقيح.

ثم اكد ملازمه الزهاده و علل لزومها بقوله (فقد أعذر الله اليكم بحجج مسفره و كتب بارزه العذر واضحه) يعنى أظهر عذره ليكم فى تعذيبكم لو خالفتكم تكاليفه باقامه الحجج الظاهره المضيقه و إنزال الكتب الواضحه التى أبرز فيها عذره، «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»، و «لَنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ».

أو أنه سبحانه أزال عذره باقامه البراهين العقلية و النقلية و الحجج الباطنية و الظاهرية فلم يبق لكم مقام للاعتذار و أن تقولوا يوم القيامة «رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى».

تبصره

ينبغى أن نشير الى بعض ما ورد فى فضيله صفه الزهاده و ذم نقيضاها أعنى الرغبه من الآيات و الأخبار و نردف ذلك بذكر اقسام الزهد.

فأقول قال سبحانه:

«فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَعَذُو حَظٌّ عَظِيمٌ وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ لَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ».

ص: ٣٢٧

فنسب الزهد إلى العلماء و وصف أهله بالعلم، و هو غايه المدح و الثناء و قال:

«وَلَا تَمِيدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى » و قال «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ».

و أما الاخبار ففي الكافي في باب ذم الدنيا و الزهد فيها باسناده عن الهيثم بن واقد الحريري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمه في في قلبه و أنطق بها لسانه و بصيره عيوب الدنيا دائها و دوائها و أخرجه من الدنيا سالما إلى دار السلام.

و عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

و عن أبي حمزه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا.

و عن علي بن هاشم بن البريد عن أبيه أنّ رجلا سأل علي بن الحسين عليهما السلام عن الزهد فقال: عشره أشياء فأعلى درجه الزهد أدنى درجه الورع، و أعلى درجه الورع أدنى درجه اليقين، و أعلى درجه اليقين أدنى درجه الرضا ألا و إنّ الزهد في آيه من كتاب الله عزّ و جلّ:

«لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ».

و عن سفيان بن عيينه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام و هو يقول: كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، و إنّما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم في الآخرة

و عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ علامه الرّاعب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهره الحياه الدّنيا، أما إنّ زهد الزّاهد في هذه الدّنيا لا ينقصه ممّا قسم الله عزّ وجلّ له فيها و إنّ زهد، و إنّ حرص الحريص على عاجل زهره الدّنيا لا يزيده فيها و إنّ حرص، فالمغبون من حرّم حظّه من الآخرة.

الى غير ما في هذا المعنى من الروايات، و قد عقد في الكافي با بالها و مضى شطر منها في شرح الخطبه الثامنه و العشرين اذا عرفت ذلك فلنذكر اقسام الزّهد.

فأقول أنّه ينقسم على ما ذكره أبو حامد الغزالي في احياء العلوم، تاره بالنظر الى نفسه، و اخرى بالنظر الى المرغوب فيه، و ثالثه بالنظر الى المرغوب عنه.

اما الاول فهو أنّه يتفاوت بحسب الشّدّه و الضّعف و الكمال و النقصان على مراتب ثلاث.

المرتبه الاولى و هي السّيفلى أن يزهد في الدّنيا و هو لها راغب و القلب اليها مائل و نفسه لها مشتّيه و لكنّه يجاهدها و يكفّها و هذا يسمّى المتزّهد.

المرتبه الثانيه ترك الدّنيا طوعا لاستحقاره إيّاها بالاضافه إلى ما طمع فيه كالذى يترك درهما لأجل درهمين فإنّه لا يشقّ عليه ذلك و إنّ كان يحتاج إلى انتظار قليل و لكن هذا الزّاهد لا محاله يرى زهده و يلتفت إليه، و يكون معجبا بنفسه و يزهد و يظن في نفسه أنّه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه.

المرتبه الثالثه و هي العليا الزّهد طوعا و الزّهد بأن لا يرى زهده إذ لا يرى أنّه ترك شيئا لمعرفته بأنّ الدنيا لا شىء كمن ترك قدره و أخذ جوهره فلا يرى ذلك معاوضه و لا يرى نفسه تاركا شيئا إذا لدنيا بالنّسبه الى الآخرة أحسن من قدره بالنّسبه إلى الجوهره فهذا هو الكمال في الزّهد و سببه كمال المعرفه.

و اما الثانى فهو أنّه ينقسم بالنّسبه إلى المرغوب فيه أيضا على ثلاث مراتب.

المرتبه الاولى أن يكون المرغوب فيه النّجاه من النّار و من سائر الآلام

كعذاب القبر و طول الحساب و خطر الصراط و سائر ما بين يدى الانسان من الأهوال على ما وردت فى الأخبار.

المرتبه الثانيه أن يكون المرغوب فيه اللذائذ الموعوده و النعم الموجوده فى الجنه من الحور و القصور و الأنهار و الأثمار و سائر ما أعدت للمتقين و هذا زهد الراجين فأنهم لم يتركوا الدنيا قناعه بالعدم و خلاصا من الألم و إنما تركوها رغبه فى وجود دائم و طمعا فى نعمه غير منقطعه.

المرتبه الثالثه أن لا يكون له رغبه إلا فى الله و فى لقائه فلا يكون له توجه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها، و لا التفات إلى النعم ليقصد الفوز بها، بل هو مستغرق بهم بالله و هو الذى أصبح و همّه هم واحد، و هو الموحد الحقيقى الذى لا يطلب غير الله إذ طلب غيره سبحانه لا يخلو من شرك خفى.

و هذه المرتبه مختصه بالتأمين فى المحبه و الكاملين فى مقام الرضا، و ليس غرضهم إلا تحصيل الرضوان و لا لهم نظر إلى الحور و القصور و سائر اللذائذ الموجوده فى الجنان لأن لذائذ الجنه كلها عندهم بالنسبه إلى لذّه الاستغراق و الفناء مثل لذّه اللعب بالعصفور و الاستيلاء عليه بالنسبه إلى لذّه الملك و الاستيلاء على أطراف الأرض و رقاب الخلق، و الطالبون لنعيم الجنه عند أهل المعرفه و الكمال كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذّه السلطنه و الملك من حيث قصوره عن ادراك هذه اللذّه و إلى هذه أشير فى قوله:

«وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

اى الرضوان من الله اكبر من جميع ما فى الجنات من اللذات و هو الفوز العظيم اذ هو غايه كل لذّه و منتهى كل سعادته يستحقرونه كل بهجه.

و اما الثالث أعنى الانقسام بالنسبه إلى المرغوب عنه فنقول: إنّ الأقسام بالنسبه إلى ذلك كثيره غير محصوره إلاّ- أنّ هناك مجامع محيطه بها إجمالاً و هى أيضاً متفاوتة المراتب بعضها أجمل و بعضها أشرح لآحاد الأقسام و أقرب إلى التفصيل.

أمّا الاجمال فى الدرجه الأولى فهو كلّ ما سوى الله فينبغى أن يزهد فيه حتّى يزهد فى نفسه أيضاً.

و أمّا الاجمال فى الدرجه الثانيه فهو أن يزهد فى كلّ صفه للنفس فيها تمتع و شهوه، و هذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوه و الغضب و الكبر و الرياسه و المال و الجاه و غيرها.

و أمّا الاجمال فى الدرجه الثالثه فهو أن يزهد فى المال و الجاه و أسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس.

و أمّا الاجمال فى الدرجه الرابعه فهو أن يزهد فى العلم و القدره و الدّينار و الدرهم و الجاه إذ الأموال و إن كثرت أصنافها فيجمعها الدّينار و الدرهم، و الجاه و إن كثرت أسبابه فيرجع الى العلم و القدره و أعنى به كلّ علم و قدره يتعلّق بملك القلوب فإنّ المقصود بالجاه ملك القلوب و القدره و الاستيلاء عليها مع الشّعور بذلك كما أنّ المقصود بالمال ملك الأعيان و القدره عليها، فان جاوزنا عن هذا التفصيل الاجمالى إلى شرح و تفصيل أبلغ من ذلك يكاد يخرج ما فيه الزّهد عن الحصر، و قد ذكر الله تعالى فى آيه واحده سبعة منها فقال:

«زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ».

ثُمَّ رَدَّهَا فِي آيَةٍ أُخْرَى إِلَى خَمْسَةِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

«إِنَّمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا لِعِبٍّ وَ لَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ».

ثُمَّ رَدَّهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ إِلَى اثْنَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى:

«إِنَّمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا لِعِبٍّ وَ لَهُوَ».

ثُمَّ رَدَّ الْكُلَّ إِلَى وَاحِدٍ فَقَالَ:

«وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ».

فَالْهَوَىٰ لَفْظٌ جَامِعٌ لِجَمِيعِ حُظُوظِ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الزَّهْدُ فِيهِ، فَأَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الزَّهْدِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمَرْغُوبِ عَنْهُ هُوَ الزَّهْدُ عَنِ مَا سِوَى اللَّهِ، وَ بَعْدَهَا الزَّهْدُ عَنِ حُظُوظِ النَّفْسِ وَ أَدْنَاهَا الزَّهْدُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَ اللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

الترجمه

از جمله خطب آن مقتدای عالمیان است که ترغیب فرموده مردم را بآن بورع و زهادت و شکر و سپاس حضرت عزت باین نحو که:

ای مردمان زاهد بودن کوتاهی آرزوهاست و شکر کردن است بر نعمتها و پرهیزکاریست از حرامها، پس اگر بعید باشد اجتماع این امور از شما پس لازم است که غالب نشود حرام صبر شما را و فراموش ننمائید نزد نعمتها شکر گذاری خود را، پس به تحقیق که اظهار فرمود حضرت کردگار عذر خود را بسوی شما در تعذیب شما بحجتهای روشن و نمایان و کتابهای سماویه که عذر آن ظاهر است و عیان در میان مردمان.

اشاره

و هو الحادى و الثمانون من المختار فى

باب الخطب

ما أصف من دار أولها عناء، و آخرها فناء، فى حلالها حساب، و فى حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن، و من ساعاها فاته، و من قعد عنها و اتته، و من أبصر بها بصّرتة، و من أبصر إليها أعمته.

قال السّيد: أقول: و إذا تأمل المتأمل قوله عليه السّلام: من أبصر بها بصّرتة، وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا يبلغ غايته و لا يدرك غوره، و لا سيّما اذا قرن إليه قوله: و من أبصر إليها أعمته، فإنّه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها واضحا تّيرا و عجيبا باهرا.

اللغة

(العناء) بالمدّ التّعّب و المشقه و (فتن) بالبناء على المجهول من الفتنة بمعنى الضلاله و (حزن) بالبناء على المعلوم من باب فرح (و اتته) من المواتاه قال الطريحي:

و هو حسن المطاوعه و الموافقه و أصله الهمزه خفف و كثر حتى يقال بالواو الخالصة و منه الحديث: خير النساء المواتيه لزوجها، و فى المصباح اتيته على الأمر وافقته و فى لغه لأهل اليمن تبدل الهمزه واوا فيقال و اتيته على الأمر مواتاه و هى المشهوره على ألسنه الناس و (الغور) بالفتح من كلّ شىء قعره.

ص: ٣٣٣

الضمير في قوله فاتته منصوب المحل بنزع الخافض أى فاتت منه، و الباء في قوله من أبصر بها للاستعانة أعنى الداخلة على آله الفعل، و تعديه أبصر بالحرف في قوله و من أبصر إليها مع كون الفعل في أصله متعديا بنفسه إمّا من أجل تضمينه معنى التوجه و الالتفات، أو من أجل تضمين معنى النظر و الأول أنسب و أقرب لزياده ظهور الفرق الذى أشار اليه السيد بين الفعلين أعنى الجملتين على ذلك، و ان كان الثانى صحيحا أيضا، و غايته و غوره إمّا بالرفع على النيايه عن الفاعل و إمّا بالنصب على كون الفعلين مبتدئا للمعلوم و فاعلهما الضمير المستتر الزاجع إلى المتأمل.

المعنى

إشاره

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام مسوق للتفجير عن الدنيا و الذمّ لها و قد ذكر من أوصافها امورا عشرة.

الأول قوله (ما أصف من دار أولها عناء) أى مشقّه و تعب و ذلك لأنّ مبدء نشور الانسان على ما حقّق فى الطب هو الماء الدافق يخرج من بين الصّلب و الترائب، و ذلك الماء إذا وقع فى الرّحم اختلط بماء المرأه و دمها و غلظ ثمّ الرّيح يمحض ذلك الماء حتّى يتركه كالزّائب الغليظ، ثمّ يقسمه فى الأعضاء، فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امّه، و إن كان انثى فوجهها قبل بطن امّها و ذقنه على ركبتيه و يداه على جنبيه مقبض فى المشيمه كأنّه مصرور فى صرّه و يتنفّس من متنفّس شاقّ و ليس منه عضو الا كأنّه مغموط (1) فوقه حرّ البطن و تحته ما تحته، و هو منوط بمعاء من سرّته إلى سرّره امّه و منها يمتصّ و يعيش من طعام امّه و شرابها.

فهو بهذه الحاله فى الغمّ و الظلمات و الضيق حتّى إذا كان وقت ولادته سلط الله الرّيح على بطن امّه و قوى عليه التحريك فتصوب رأسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج و عصره ما يجده صاحب الرّهق، فاذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مسّته

ص: ٣٣٤

١- (١) هو من القمط و هى الخرقه العريضه التى يقمط أى يشدّ بها الصبى، لغه.

يد وجد من ذلك من الألم ما لا يجده من سلخ جلده.

ثم هو فى ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام و إن عطش فليس له استسقاء أو وجع فليس له استغائه مع ما يلقاه من الرفع و الوضع و اللف و الحل إذا انيم على ظهره لا يستطيع تقلبا أو اقعد لا يستطيع تمددا.

فلا يزال فى أصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا أفلت من ذلك اخذ بعذاب الأدب فاذا يق منه ألوانا، و إذا أدرك فهم المال و الأولاد و الشره و الحرص و مخاطره الطلب و السعى.

و كل هذا يتقلب فيها معه أعدائه الأربعة: المره و البلغم و الدم و الريح، و السم المميت و الحيات اللاذعه مع خوف السباع و الناس و خوف البرد و الحر ثم ألوان أوصاب الهرم إن بلغه.

(و) الثانى أن (آخرها فناء) إذ كل نفس ذائقة الموت، مشرفه على الفوت و مفارقه للأهل و الأولاد مهاجرة عن الوطن و البلاد، و كل شئ هالك إلا وجهه و كل إنسان ملاق ربه.

و الثالث أنه (فى حلالها حساب) قال سبحانه:

«إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» و قال أيضا «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنا حَاسِبِينَ» و قال «وَ وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

قال الطبرسى لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على أفعالهم فى حاله واحده و سئل أمير المؤمنين عليه السلام كيف يحاسبهم فى حاله واحده؟ فقال: كما يرزقهم فى حاله واحده.

و اعلم أن الحساب فى القيامه مما يجب أن يؤمن به و أما أن المحاسب عليه و المسئول عنه ما ذا فقد اختلف فيه الأخبار فبعضها كالأيات و ارده على نحو العموم أو الاطلاق و بعضها مخصوصه أو مقيدة.

ففى النبوى المعروف بين الخاصه و العامه قال رسول الله صلى الله عليه و آله لا يزال قدم عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز و جل حتى يسأل عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته و جسدك فيما أبليتة، و مالك من أين اكتسبته و أين وضعته، و عن حبنا أهل البيت، فقال عمر بن الخطاب: و ما علامه حبكم يا رسول الله صلى الله عليه و آله؟ فقال: محبه هذا، و وضع يده على رأس أمير المؤمنين عليه السلام.

و روى الصيّدوق باسناده عن ابراهيم بن العباس الصولى قال: كنّا بين يدى على بن موسى الرضا عليهما السلام فقال: ليس فى الدنيا نعيم حقيقى، فقال له بعض الفقهاء ممن بحضرته: قول الله عز و جل:

«ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

أما هذا النعيم فى الدنيا و هو الماء البارد، فقال له الرضا عليه السلام و علا صوته، هكذا فسّرتموه أنتم و جعلتموه على ضروب فقالت طائفه: هو البارد من الماء، و قال غيرهم هو الطعام الطيب، و قال آخرون: هو النوم الطيب.

و لقد حدّثنى أبى عن أبيه أبى عبد الله صلى الله عليه و آله إنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده فى قوله تعالى:

«لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

فغضب و قال: إنّ الله تعالى لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به و لا يمتنّ بذلك عليهم و الامتنان مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عز و جلّ ما لا يرضى به للمخلوقين، و لكن النعيم حبنا أهل البيت و مولاتنا يسأل الله عنه بعد التوحيد و النبوه لأنّ العبد إذا وافى بذلك أداه الى نعيم الجّنه الذى لا يزول.

و لقد حدّثنى بذلك أبى عن محمّد بن على عن أبيه عن الحسين بن على عن أبيه عليهم السلام أنّه قاله و قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا على أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادته أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا رسول الله و أنك ولى المؤمنين بما جعله الله «فجعلته خ» لك فمن أقرّ

بذلك و كان معتقده صار إلى التّعيم الذى لا زوال له.

و فى جامع الأخبار و غيره عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى مناديا فينادى أين الفقراء؟ فيقوم عنق من الناس فيؤمر بهم إلى الجنة فيقول خزنة الجنة قبل الحساب. فيقولون ما اعطونا شيئا فيحاسبونا عليه، فيقول الله تعالى:

صدقوا عبادى ما أفقرتكم هوانا بكم و لكن ادّخرت بهذا لكم بهذا اليوم، انظروا او تصفّحوا وجوه الناس فمن أتى إليكم معروفا فخذوا بيده و ادخلوا الجنة.

و عن الارشاد عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم تدخل الفقراء على الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم و مقداره خمسمائه عام هذا.

و قال المحدث المجلسى فى كتاب حقّ اليقين: إنّ المعلوم من الآيات و الأخبار أنّ الحساب و السؤال حقّ و أما الخصوصية فى المسئول و المسئول عنه و المحاسب و المحاسب عليه فغير معلومه.

فذهب جمع إلى أنّ السؤال من جميع النعم و الأموال الدنيوية، و يدلّ عليه الأخبار الخاصية و العامة الدالة على أنّ فى حلالها حسابا و فى حرامها عقابا، و الاستفادة من طائفه من الروايات أنّ المؤمن لا حساب عليه، و فى بعضها أنّه لا حساب فى المأكول و الملبوس و المنكوح، و الاستفادة من بعض الأخبار أنّ قوما يدخلون الجنة بغير حساب كما مرّ فى روايه جامع الأخبار و من بعضها أنّ بعض الأعمال الصالحة يوجب دخول صاحبه على الجنة بلا حساب، فهذه مخصوصه لعمومات أدلّه الحساب.

و يمكن الجمع بين الروايات بوجهين.

أحدهما حمل الأخبار النافيه للحساب على انتفائه فى حقّ المؤمن و الأخبار المثبته على ثبوته فى حقّ غير المؤمن.

و الثانى حمل الأخبار الاولى على عدمه فى الامور الضرورية مثل الثلاثة السابقة و حمل الأخبار الثانية على وجوده فى غير الامور الضرورية كالاسراف و التبذير و الصرف فى المحرّمات و الكسب من غير الوجوه المشروعه أو زايدها على

قدر الحاجه الموجب تحصيله لتضييع العمر و تفويت الزّمان فافهم.

(و) الرّابع أنّه (فى حرامها عقاب) و هو واضح لا غبار عليه، و إلى هذا الوصف و سابقه نظر الشّاعر فى قوله:

الدّهر يومان فيوم مضى عنك بما فيه و يوم جديد

حلال يوميك حساب و فى حرام يوميك عقاب شديد

تجمع ما يأكله وارث و أنت فى القبر وحيد فريد

أنّى لغير واعظ تارك نفسى و قولى من فعالى بعيد

حلاوه الدّنيا و لذاتها تكلف العاقل ما لا يريد

الخامس أنّ (من استغنى فيها فتن) لأنّ الاستغناء شاغل عن ذكر الله مضلّ عن سبيل الله فهو بلاء ابتلاه الله به كما نطق به القرآن الكريم.

«اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ».

(و) السّادس أنّ (من افتقر فيها حزن) لظهور أنّ الافتقار فيها لطالبها موجب لشدّه المحنه و منتهى الحزن و الكأبه.

و فى جامع الأخبار قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم الفقر أشدّ من القتل، و قال أوحى الله إلى إبراهيم فقال يا إبراهيم خلقتك و ابتليتك بنار نمرود فلو ابتليتك بالفقر و رفعت عنك الصبر فما تصنع؟ قال إبراهيم: يا ربّ الفقر إلّى أشدّ من نار نمرود قال الله تعالى: فبعزّتى و جلالى ما خلقت فى السّماء و الأرض أشدّ من الفقر الحديث.

و قال صلّى الله عليه و آله الفقر الموت الأكبر، و قال لو لا رحمه ربّى على فقراء امتى كاد الفقر أن يكون كفرا هذا.

و لشدّته دعا سيد العابدين و زين السّاجدين سلام الله عليه و على آبائه الطاهرين أن يصرفه الله عنه و لا يبتليه به حيث قال:

اللهم لا- طاقه لى بالجهد و لا- صبر لى على البلاء و لا- قوّه لى على الفقر فلا تخطر علىّ رزقى و لا تكننى إلى خلقك بل تفرد بحاجتى و تولّ كفايتى و انظر إلىّ و انظر لى فى جميع

امورى فانّك إن وكلتني إلى نفسي عجزت عنها و لم اقم ما فيه مصلحتها و إن وكلتني إلى خلقك تجهموا لى و إن ألجأتني إلى قرابتي حرموني و إن أعطوني اعطوني قليلا نكدا و منّوا علىّ طويلا و ذمّوا كثيرا فبفضلك اللهم فأغنني و بعظمتك فانعشني، و بسعتك فابسط يدي و بما عندك فاكفني.

(و) السابع أنّ (من ساعاها فاتته و) الثامن أنّ (من قعد عنها واتته) و علّهما الشّارح البحراني بأنّ أقوى أسباب هذا الفوات أنّ تحصيلها أكثر ما يكون بمنازعه أهلها عليها و مجاذبتهم (1) إيّاها و قد علمت ثوران الشّهوه و الغضب و الحرص عند المجاذبه للشّى و قوّه منع الانسان له و تجاذب الخلق للشّى و عزّته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض، و القعود عنها و تركها و إن كان الغرض منهما المواتاة سبب لمواتاتها كما يفعله أهل الزّهد الظاهري المشوب بالزّيا الذى ترك الدّنيا للدّنيا، فإنّ الزّهد الظاهري أيضا مطلوب الشّارع إذ كان وسيله إلى الزهد الحقيقى كما قال الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم: الزّيا قنطره الاخلاص.

أقول و الأظهر عندي غير هذا المعنى و هو أن يكون المراد بفواتها فى حقّ السّاعين لها عدم بقائها فى حقّهم لسرعه زوالها و فنائها فيصبحون مع شدّه رغبتهم إليها و طلبهم إيّاها و أيديهم عاريه من حطامها خاليه من زبرجها و زخرفها لحلول الموت و نزول الفوت.

و يحتمل إرادته فواتهما عنهم فى حال الحياه فيكون كلامه عليه السّلام محمولا على الغالب فإنّ أكثر النّاس و أغلبهم مع كونهم تابعين للدّنيا راغبين عن الآخرة لا يقع الدّنيا فى أيديهم و إن خلعوا عن أعينهم الكرى و طال لهم السّهر، و هذا بخلاف التّاركين لها و الزّاهدين فيها زهدا حقيقيا، فإنّ الدّنيا مطيعه لهم مقبله إليهم و هم معرضون عنها غير ناظرين إليها.

ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين عليه السّلام يا دنيا إليك عنّى أبى تعرّضت أم إلى تشوقت لا حان حينك هيهات غرى غبرى لا حاجه فيك قد طلّقتك ثلاثا لا رجعه فيها.

ص: ٣٣٩

١- (١) تجاذبوا الشّى جذبه كلّ واحد الى نفسه، منه.

و فى النبوى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّ اللهَ جَلَّ جلاله أوحى إلى الدُّنيا أن اتعبي من خدمك و اخدمى من رفضك.

و فى روايه اخرى الزَّاهد فى الدُّنيا يريح قلبه و بدنه، و الرَّاغب فيها يتعب قلبه و بدنه.

التاسع و العاشر ما أشار إليه بقوله (و من أبصر بها بصيرة و من أبصر إليها أعمته) يعنى من جعلها آله لا بصره و مرآة للوصول إلى الغير يجعلها الدُّنيا صاحب بصيره و من كان نظره و توجهه إليها و همته معطوفا عليها يجعلها الدُّنيا أعمى.

توضيح ذلك أن النظر إلى الدُّنيا يتصور على وجهين.

أحدهما أن يكون المطلوب بالذات من ذلك النظر هو الدُّنيا نفسها و لا - شك أن الدُّنيا حينئذ تكون شاغله له عن ذكر الله صارفه عن سلوك سبيل الحق، فيكون ضالاً عن الصِّراط المستقيم ناكبا عن قصد الهدى، و هو المراد بكونه أعمى يعنى أن الدُّنيا حينئذ تكون موجه لعماء عين قلبه عن إدراك المطالب الحق و عن الاهتداء إلى سلوك سبيل الآخرة و لذلك خاطب الله سبحانه النبى صلى الله عليه وآله ظاهراً و أراد أمته باطنا بقوله:

«وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ».

و الثانى أن يكون الغرض بالنظر إلى الدُّنيا هو التبصير بها و الاهتداء إلى المبدأ و المعاد إذ ما من شىء فيها إلا و هو من آثار الصنع و أدله القدره و علامه العزّه و السلطنه.

ففى كلّ شىء له آيه تدلّ على أنّه واحد

و «سَيُنْزِلُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ» فبالنظر إلى الأنفس و الآفاق يحصل البصيره و الكمال، و يتمكن من المعرفة و الوصول إلى حضرت ذى الجلال كما يهتدى إلى الآخرة و يرغب عن الدُّنيا بالنظر إلى الامم الماضيه و القرون الفانيه و الملوک

العائیه کیف انتسفتمہم الاّیام فأفناهم الحمام فامتحت من الدّنیآ آثارهم و بقیت فیها أخبارهم.

تکمله

یستفاد من کشف الغمه أنّ هذا الکلام له علیه السّلام ملّقط من کلام طویل أسقط السّید بعض فقراته علی عادته قال: قال علی علیه السّلام یوما و قد أحّدق به النّاس:

أحدّركم الدّنیآ فأنّھا منزل قلعه و لیست بدار نجهه هانت علی ربّھا فخلط شرّھا بخیرھا و حلّوها بمرّھا، لم یصفها الله لأولیائه و لم یضنّ بها علی أعدائه، و هی دار ممّر لا دار مستقرّ، و النّیاس فیها رجّلان رجل باع نفسه فأوبقها و رجل ابتاع نفسه فأعتقها، إن اعدو ذب جانب منها فحلّا أمرّ منها جانب فأوبی، أولها عناء و آخرها فناء، من استغنی فیها فتن و من افتقر فیها حزن، و من ساعا فاتته و من قعد عنها و اتته و من أبصر بها بصیرته و من أبصر إلیها أعمته، فالانسان فیها غرض المنایا مع کلّ جرعه شرق، و مع کلّ اكله غصص، لا ینال منها نعمه إلّا بفراق أخرى.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در مقام ذمّ دنیا و تنفیر از آن که می فرماید:

چه تعریف کنم سرائی را که اول آن رنج است و عناء، و آخر آن فوتست و فنا، در حلال آن حسابست و در حرام آن عذاب، هر کس غنی شد در آن مبتلا شد بانواع بلا و افتاد در فتنه و ضلال، و هر کس محتاج گردید در او گرفتار شد باندوه و ملال، و هر که سعی نمود و شتافت بسوی آن فوت شد از آن بسبب حلول موت، و هر که قدم پس نهاد و ترک کرد آنرا موافقت نمود او را و مساعدت، و هر که دنیا را آلت بصیرت و واسطه معرفت خود گردانید دنیا او را صاحب بصیرت نمود، و هر که نظر همت خود را بدنیا مصروف داشت کور نمود دنیا او را.

اشاره

و الثمانون من المختار فى باب الخطب

و شرحها فى ضمن فصول و بعض فصولها مروى فى البحار بتفاوت و اختلاف لما فى الكتاب تطلع عليه عند الفراغ من شرح الخطبه فى التكملة الآتيه فانتظر.

الفصل الاول

اشاره

الحمد لله الذى علا- بحوله، و دنا بطوله، مانح كل غنيمه و فضل و كاشف كل عظيمه و أزل، أحمدته على عواطف كرمه، و سوابغ نعمه، و أو من به أولا باديا، و استهديه قريبا هاديا، و استعينه قاهرا قادرا، و أتوكل عليه كافيا ناصرا، و أشهد أن محمدا صلى الله عليه و آله عبده و رسوله، أرسله لإنفاذ أمره، و إنهاء عذره، و تقديم نذره.

اللغه

(الحول) القوّه و (الطول) الفضل و السّيعه و (منحه) أعطاه و (الأزل) بفتح الهمزه و سكون الزّاء المعجمه الشّده و الضّيق و (عطفته) عطفًا ثنّيته و (أسيع نعمه) عليكم أى أتمّه و (البادى) الظاهر و منه قوله تعالى: بادی الرّأى، أى ظاهره يقال بدا يبدو بدوا أى ظهر فهو باد أو من البدايه مقابل النّهايه (و الانهاء) الابلاغ و (العذر) و (النّذر) فى قوله تعالى عذرا أو نذرا، أى حجه و تخويفا أو إعدارا و إنذارا، أى تخويفا و وعيدا.

الاعراب

أولا و باديا إما منصوب على الظرفيه فتكون متعلقا باو من و عليه فيكون

باديا من البدائيه اى او من به ابتداء قبل كل شىء أو منصوبان على الحالیه من الضمير فى به فيكونان فى المعنى و صفين لله سبحانه، و هذا هو الأظهر من حيث السياق لأن المنصوبات السّيته بعدهما من أوصاف الله تعالى إلا أنّ الأول أقرب من حيث المعنى فافهم و تأمل.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه له عليه السلام كما ذكره السيد من الخطب العجيبه مشتمله على نكات بديعه و مطالب أنيقه حسبما تعرف إليها الاشاره، و هذا الفصل منها مسوغ للثناء على الله سبحانه باعتبار نعوت جلاله و صفات كماله.

فقوله (الحمد لله الذى علا- بحوله) إشاره إلى علوّه عزّ و جلّ على كلّ شىء لكن لا بالمعنى المتعارف فى الخلق من الفوقيه الحسيّه و الخياليه بل العلوّ بالغلبه و القهر و الاستعلاء بالقدره و القوّه، و قوله (و دنا بطوله) إشاره إلى قربه من كلّ شىء لكن لا بالمعنى المتعارف فى الأجسام المتقارنه بل القرب بالفضل و السعه و الدنوّ بالاحسان و العطيه.

و قد قدّمنا الكلام فى علوّه سبحانه و دنوّه بما لا مزيد عليه فى شرح الفصل الخامس و السادس من فصول الخطبه الاولى، و فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين أيضا، و لئن رجعت إلى ما حقّقناه هناك عرفت أن علوّه سبحانه على الأشياء لا ينافى قربه منها، و أنّ قربه بها لا ينافى بعده عنها، فهو تعالى فى كمال علوّه على خلقه منهم قريب، و فى منتهى قربه إلى الخلق عنهم بعيد.

و هو سبحانه (مانح كلّ غنيمه و فضل و كاشف كلّ داهيه (عظيمه و أزل) لأنّ كلّ نعمه مبدئها وجوده، و كلّ عطيه منشؤها كرمه وجوده، فهو منزل النعم الجسم و منفس الكرب العظام، و هو الصّارف لطارق البلاء و الدافع للبأساء و الضراء و هو مجيب المضطرّ إذا دعاه و كاشف السوء عنه حين ناداه.

«و ما بكم من نعمه فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضرّ فإليه تَجَرّونَ»

«ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» (١).

(أحمدته على عواطف كرمه) و الكريم من أسمائه تعالى و هو الجواد المعطى الذى لا ينفد عطاؤه، و يفيض الخير عنه من غير بخل و منع على كل قابل بقدر قابليته، و عواطف كرمه سبحانه عبارته عن فيوضاته العائده إلى العباد مرّه بعد اخرى و عن خيراته النازله إليهم تترى فانه تعالى لا يفتقر عن كثره العطاء و لا تعجز عن الجزاء، وجوده يعلو كل جواد و به جاد كل من جاد:

«وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» (٢).

(و) نشكره على (سوابغ نعمه) أى نعمه التامه الكامله و آلائه الظاهره و الباطنه كما قال عزّ من قائل:

«أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ» (٣).

قال الطبرسى: النعمه الظاهره ما لا يمكنكم جحدته من خلقكم و إحيائكم و إقداركم و خلق الشّهوه فيكم و غيرها من ضروب النعم، و الباطنه ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها.

و عن ابن عباس الباطنه مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه الله و غاب عن العباد علمه.

ص: ٣٤٤

١- (١) الآية فى سورة النحل.

٢- (٢) اقتباس من الآية فى سورة لقمان.

٣- (٣) فى سورة لقمان.

و عنه قال سألت النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم عنه فقال: يا بن عباس أما ما ظهر فالاسلام و سوى الله من خلقك و ما أفاض عليك من الرزق، و أما ما بطن فستر مساوى عملك و لم يفضحك به يا بن عباس إنّ الله تعالى يقول ثلاثه جعلتهنّ للمؤمن و لم تكن له: صلاه المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله، و جعلت له ثلث ماله يكفر خطاياهم، و الثالثه سترت مساوى عمله فلم افضحه بشيء منه و لو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم.

و قيل الظاهره تخفيف الشرائع و الباطنه الشفاعة و قيل الظاهره نعم الدنيا و الباطنه نعم الآخره و قيل الظاهره ظهور الاسلام و النصر على الأعداء و الباطنه الامداد بالملائكه و قيل الظاهره نعم الجوارح و الباطنه نعم القلب.

و قال الرازى فى التفسير الكبير: الظاهره هى ما فى الأعضاء من السّلامه، و الباطنه ما فى القوى فإنّ العضو ظاهر و فيه قوّه باطنه ألا ترى أنّ العين و الاذن شحم و غضروف ظاهر و اللسان و الأنف لحم و عظم ظاهر و فى كلّ واحد معنى باطن من الابصار و السمع و الذوق و الشمّ و كذلك كلّ عضو و قد تبطل القوّه و يبقى عضو قائما.

أقول و الكلّ لا بأس به إذ الجميع من نعم الله على عباده، و فى تفسير أهل البيت عليهم السّلام النعمه الظاهره الرّساله، و النعمه الباطنه الولايه (و أو من به أولا باديا) أى اصدّق به و أعتقد بالهيته و وحدانيته أولا و ابتداء قبل الاستهداء و الاستعانه منه و مقدما على التوكّل عليه إذ ما لم يؤمن به و لم يصدق لا يمكن الاستهداء و الاستعانه و التوكّل، لأنّ ذلك كلّ فرع المعرفه و الايمان و هو ظاهر بالعيان، و على جعل انتصابهما على الحال فالإشاره بهما إلى الجبهه التى هى مبدء الايمان إذ باعتبار أوليه و جب وجوده و باعتبار كونه باديا أظهر الموجودات و ظهر منه الآيات فى الأنفس و الآفاق، فكان ظاهرا باديا فى العقل بظهور آثاره و وضوح آياته فباعتبار ظهوره مع أوليه يجب الايمان بوجوب وجوده و الاذعان بالهيته.

(و أستهديه قريبا هاديا) و الاشاره بهذين الوصفين كما فى سابقيهما إذ من لا يتّصف بالهدايه كيف يتصوّر الاستهداء منه و من كان بعيدا كيف يطلب منه الارشاد

إلى الرشاد والدلالة على السداد (و أستعينه قاهرا قادرا) و الكلام فيهما كما فى سوابقهما إذ العاجز و الضعيف لا يتمكن من نفسه فكيف يكون معاوننا للغير أو يطلب منه الاعانه (و أتوكل عليه كافيا ناصرا) و الكلام فيهما أيضا كما فيما تقدم إذ التوكل عبارته عن الوكول و الاعتماد فيما يخاف و يرجى على الغير فلا بد من اتصاف المعتمد عليه بالكفايه و النصرة ليكفى المعتمد فيما رجاه و ينصره فيما يخاف.

و إليه يرجع ما عن معانى الأخبار مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه و آله و هو أنه جاء جبرئيل إليه فقال له: يا جبرئيل و ما التوكل؟ قال: العلم بأن المخلوق لا يضّر و لا ينفع و لا يعطى و لا يمنع و استعمال اليأس من الناس، فإذا كان العبد كذلك لم يعتمد على أحد سوى الله و لم يرج و لم يخف سوى الله، و لم يطمع على أحد سوى الله و قال سبحانه:

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا».

يعنى من يفوض أمره إليه سبحانه و وثق بحسن تدبيره فهو كافيه أمر الدنيا و الآخرة أنه يبلغ أمره و ما أراده من قضاياه و تدبيره على ما أراده و لا يقدر أحد على منعه مما أراده، لا راد لقضائه و لا مبدل لحكمه، و قد ظهر مما ذكرنا أن التوكل من شئون الايمان و من فروع المعرفة، و لذلك وصف سبحانه المؤمنين بذلك حيث قال:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ».

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي ثَوَابِ الشَّهَادَةِ بِالرَّسَالَةِ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ وَ مَضَى تَحْقِيقَ مَعْنَى الْعَبْدِ وَ الرَّسُولِ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الْحَادِيَةِ وَ السَّبْعِينَ فَلْيَرَأِجِعْ.

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ دَوَاعِي الرِّسَالَةِ بِقَوْلِهِ (أَرْسَلَهُ لَانْفَازِ أَمْرِهِ) يَعْنِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَجْرَاءِ أَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَ أَحْكَامِ قَوَانِينِهِ الْعَدْلِيَّةِ فِي الْخَلْقِ لِيَقْرَؤُوا لَهُ بِالْعِبَادِيَّةِ وَ لِيَمَحْضُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ (وَ أَنْهَاءِ عَذْرِهِ) أَيْ أَعْلَامَ مَعْذَرَتِهِ وَ ابْلَاغَ عَذْرِهِ إِلَى الْخَلْقِ فِي تَعْذِيبِهِمْ إِنْ عَصَوْهُ، وَ قَدْ مَضَى تَحْقِيقَ ذَلِكَ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الثَّمَانِينَ (وَ تَقْدِيمَ نَذْرِهِ) أَيْ لِيَقْدِّمَ أَنْذَارَ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ وَ تَخْوِيفَهُ لَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَ لِيَبْلُغَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ يَوْمِ لِقَائِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ جَاذًا بِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ رَادَعًا لَهُمْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

الترجمه

از جمله خطبه های عجیبه آن حضرتست: حمد و ثنا مر معبود بحق را سزااست که بلند است بر همه خلق با قدره و قوه، و نزدیک است از همه بافضل و عظمه، و عطا کننده هر منفعت است و زایل سازنده هر بلای بزرگ و شده.

حمد می نمایم او را بر متکثرات کرم او و بر تمامهای نعم او، و ایمان می آورم باو سبحانه در حالتی که اولست و هویدا، و طلب هدایه می کنم از او در حالتی که نزدیکست و راهنما، و طلب یاری میکنم از او در حالتی که غالب است و قادر، و توکل میکنم باو در حالتی که کفایه کننده است و ناصر، و گواهی می دهم باین که محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم بنده برگزیده اوست و رسول پسندیده او که فرستاد او را بجهت اجراء امر شریعت او و اعلام عذر و معذرت او و مقدم داشتن ترسانیدن از عقوبت او پیش از لقاء روز آخرت.

الفصل الثانی

اشاره

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ، وَ وَقْتُ

ص: ۳۴۷

لكم الآجال، و ألبسكم الرّيش، و أرفع لكم المعاش، و أحاط بكم الإحصاء، و أرصد لكم الجزاء، و آثركم بالنعم السّوايغ، و الرّفد الرّوافع، و أنذركم بالحجج البوالغ، فأحصاكم عددا، و وظّف لكم مددا، فى قرار خبره، و دار عبره، أنتم مختبرون فيها، و محاسبون عليها، فإنّ الدّنيا رنق مشربها، ردغ مشرعها، يونق منظرها، و يوبق مخبرها، غرور حائل، وضوء آفل، و ظلّ زائل، و سناد مائل، حتّى إذا أنس نافرها، و اطمئنّ ناکرها، قمصت بأرجلها، و قنصت بأحبلها، و أقصدت بأسهمها، و أعلقت المرء أوهاق المتيه، قائده له إلى ضنك المضجع، و وحشه المرجع، و معاينه المحلّ، و ثواب العمل، و كذلك الخلف بعقب السّلف، لا تقلع المتيه اختراما، و لا يرعوى الباقون اجتراما، يحتذون مثالا، و يمضون أرسالا، إلى غايه الانتهاء، و صيور الفناء.

اللغة

(الرّيش) و الريش واحد قال تعالى: و ريشا و لباس التقوى، و هو ما ظهر من اللّباس الفاخر، و فى المصباح الرّيش الخير و الرّيش بالكسر المال و الحاله الجميله.

أقول: و منه قولهم ارتاش فلان أى حسنت حاله و (ارفع) بالغين المعجمه من الرّفغ و هو السّيعه و الخصب يقال رفع عيشه بالضّم رفاعه اتّسع و (الرّفد) جمع

رفده و هى العطيه و الصَّيله و (و التَّوظيف) التَّعين و (القرار) و القراره ما قرَّ فيه و المطمئنَّ من الأرض و (الخبره) بالضمَّ و الكسر اسم من الاختبار كالعبره من الاعتبار يقال اختبرت فلانا و اعتبرته امتحنته، قال و يكون الاعتبار بمعنى الاتعاظ و منه قوله تعالى «فاعتبروا يا أولى الأبصار» قال الخليل العبره و الاعتبار بما مضى اى الاتعاظ و التَّيذكُر و (رنق) الماء من باب فرح و نصر رنقا و رنقا و رنوقا كدر فهو رنق و رنق و رنق كعدل و كتف و جبل و مكان (ردغ) ككتف كثير الوحل و (يونق) مضارع باب الافعال يقال آنقنى الشَّيْء أعجبني و المجرَّد أنق كفرح يقال انق الشَّيْء انقا أى راق حسنه و أعجب و (يوبق) من باب الافعال أيضا و المجرَّد و بق من باب وعد و وجل و ورث يقال و بق الرِّجل و يبق و يوبق و بوقا هلك و (المخبر) كالمنظر مصدر او اسم مكان و (الغرور) بالفتح من غرَّته الدُّنيا غرورا من باب قعد خدعته بزيتها فهي غرور مثل رسول اسم فاعل مبالغه و (الحائل) المتغيَّر اللَّوْن و (أفل) افولا من باب ضرب و نصر و علم غاب و (السَّناد) و السَّند بفتحيتين ما استندت إليه من حايط و نحوه.

و (انس) به انسا من باب علم و فى لغه من باب ضرب و الانس بالضمَّ اسم منه و استأنست به و تأنَّست به إذا سكن القلب و لم ينفر و رجل (ناكر) و نكر فاعل من نكر الأمر من باب فرح أى انكره و (قمص) الفرس و غيره عند الرُّكوب قمصا من باب ضرب و قتل و هو أن يرفع يديه معا و يضعهما معا و (قنصه) يقنصه صاده فهو قانص و قنيص و قناص و (أقصد) السهم أصاب فقتل مكانه و فلانا طعنه فلم يخطئه و (الاوهاق) جمع وهق محرَّكه و يسكن و هو الحبل يرمى فى عنق الشخص يؤخذ به و يوثق و أصله للدَّواب و يقال فى طرفه النشوطه، و هى بالضمَّ ربطه دون العقده إذا مدَّت بأحد طرفيها انفتحت.

و (الضنك) بسكون النون الضَّيق و (ضجع) ضجعا و ضجوعا من باب منع وضع جنبه بالأرض كاضطجع و المضجع كمقعد موضع الضجع و (المرجع) كمنزَل مصدر من رجع رجوعا كالمرجعه و هما شاذان لأنَّ المصادر من فعل يفعل بالفتح

و كذلك الخلف بعقب السِّلَف (العقب) بكسر القاف و بسكونها للتخفيف يقال جائى عقبه و أصل الكلمه جاء زيد يطاءً عقب عمرو، و المعنى كلما رفع عمرو قدما وضع زيد قدمه مكانها، ثم كثر حتى قيل جاء عقبه ثم كثر حتى استعمل بمعنيين:

أحدهما المتابعه و الموالاه فاذا قيل جاء فى عقبه فالمعنى فى اثره قال ابن السِّكِّيت بنو فلان يسقى ابلهم عقب بنى فلان أى بعدهم، و قال ابن فارس فرس ذو عقب أى جرى بعد جرى، و ذكر تصارييف الكلمه ثم قال و الباب كله يرجع إلى اصل واحد و هو أن يجىء الشىء بعقب الشىء أى متأخرا عنه و منه قولهم خلف فلان بعقبى أى أقام بعدى و عقبى زيدا عقبا و عقوبا من باب قتل جئت بعده.

و المعنى الثانى إدراك جزء من المذكور معه يقال جاء فى عقب شهر رمضان إذا جاء و قد بقى منه بقيه و يقال إذا برأ المريض و قد بقى شىء من المرض هو فى عقب المرض.

إذا عرفت ذلك فمعنى قوله عليه السِّلَام (و كذلك الخلف بعقب السِّلَف) كذلك جاء الخلف متأخرا عن السِّلَف و بعدهم أو جاءوا و قد بقى منهم بقيه، و فى بعض النسخ يعقب السِّلَف بصيغه المضارع أى يجىء بعد السِّلَف و يتأخر عنهم أو مع بقاء بقيه منهم و (قلعه) قلعا من باب منع انتزعه من اصله و الاقلاع عن الأمر الكف عنه و (اخترمته) المتيه أخذته و القوم استأصلتهم و اقتطعتهم و (ارعوى) عن القبيح ارتدع و (الاجترام) اكتساب الجرم و الذنب و (احتذيت) به إذا اقتديت به فى اموره و اصله من حذوت النعل بالنعل قدرتها بها و قطعتها على مثالها و قدرها و (الأرسال) جمع رسل بفتحيتين مثل سبب و أسباب و هو القطيع من الابل و شبه به الناس ف قيل جاءوا أرسالا أى متتابعوا و (صير) الأمر بالكسر و يفتح مسيره و عاقبته كالصَّيُور و الصَّيُوره.

الاعراب

قوله عليه السِّلَام و أحاط بكم الاحصاء قال الشَّارح المعتزلى يمكن أن ينصب الاحصاء على أنه مصدر فيه اللام و العامل فيه غير لفظه، و يجوز أن ينصب بأنه مفعول به و يكون

ذلك على وجهين:

أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطا فكأنه جعل الاحصاء و العدّ كالحائط المدار عليهم لأنهم لا يعدونه و لا يخرجون عنه الثانى أن يكون من حاط يحوط بالواو بمعنى جمع فادخل الهمزة كأنه جعل الاحصاء يحوطهم و يجمعهم تقول ضربت زيدا و اضربتة أى جعلته ذا ضرب كأنه جعل الاحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الاولى أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثانى و يمكن فيه وجه آخر و هو أن يكون الاحصاء مفعولا له و يكون فى الكلام محذوف تقديره و أحاط بكم حفظته و ملائكته للاحصاء و دخول اللام فى المفعول له كثير انتهى.

و الأظهر هو الانتصاب بالمصدر، و مثله قوله عليه السّلام و أحصاكم عددا فأنه أيضا مصدر بغير لفظه الفعل على ما ذهب إليه الرّاجح من تجويز كون العدد مصدرا مستدلا بقوله تعالى سنين عددا و على هذا فيكون أصل كلامه أحصاكم و عدّكم عددا على حدّ قوله تعالى: لقد أحصيتهم و عدّهم عدّا.

و أما على مذهب المشهور و هو الحقّ من كون العدد كالعديد اسم مصدر فهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى: و فجرنا الأرض عيونا، و الأصل أحصا عددكم، و يمكن أن يكون حالا أى أحصاكم معدودا محصورا.

و جوّز هذا الوجه مع الوجه الأوّل صاحب الكشّاف فى قوله و أحاط بما لديهم و أحصى كلّ شىء عددا حيث قال: عددا حال أى و ضبط كلّ شىء معدودا محصورا أو مصدر فى معنى الاحصاء.

قوله و أعلقت المرء أوهاق المتيه بنصب المرء و الأوهاق على المفعوليه و الفاعل الضمير الرّاجع إلى الدّنيا و الباء فى قوله بعقب السّيلف بمعنى فى كما فى قوله بالبكاء الكثير بالاطلال، و اختراما و اجتراما منصوبان بنزع الخافض أى لا تكف عن اخترام و لا يرتدعون عن اجترام، و أرسالا منتصب على الحال.

ص: ٣٥١

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه مسوق للوصيّه بالتقوى والخشيه من الله و متضمّن للتّنفر عن الدّنيا بذكر معاييبها و مثالبها فأمر أوّلا بالتّقوى بقوله (أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال) أى ضربها لكم فى القرآن للتذكّره و الموعظه كما قال تعالى:

«وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» اى ليتذكّروا بتلك الأمثال و يتدبّروا فيها فيعتبروا، و الأمثال التى ضربها لهم فيه كثيره منها قوله تعالى بعد الآيه السّابقه.

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

فأنّه مثل ضربه سبحانه لعبده الأصنام و للمخلصين بتوحيده، و يعنى بقوله رجلا فيه شركاء أنّه يعبد آلهه مختلفه و أصناما، و هم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره و هذا ينهاه و يريد كلّ واحد منهم أن يفزّه بالخدمه ثم يكل كلّ منهم أمره إلى الآخر ويكل الآخر إلى آخر فيبقى هو خاليا من المنافع و هذا حال من يخدم جماعه مختلفه الآراء و الأهواء و هو مثل الكافر.

و أمّا مثل المؤمن الموحّد فرجل سلم أى خالص يخدم مالكا واحدا لا يشوب بخدمته خدمه غيره و لا يأمل سواه و من كان بهذه الصفه نال ثمره خدمته لا سيّما إذا كان المخدوم قادرا كريما حكيما.

و منها قوله تعالى فى سورة يونس:

«إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ»

«الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فَإِنَّ هَذَا مِثْلَ ضَرْبِهِ الَّذِي لِلتَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّوْبَةِ فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الْآيَةِ تَشْبِيهُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْمَاءِ فِيمَا يَكُونُ بِهِ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ ثُمَّ الْإِنْقِطَاعِ وَقِيلَ إِنَّ الْمَشَبَّهَ بِهِ النَّبَاتُ عَلَى مَا وَصَفَهُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِهِ ثُمَّ الْمَصِيرُ إِلَى الزَّوَالِ وَقِيلَ إِنَّ الْمَقْصُودَ تَشْبِيهُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِحَيَاةِ مَقْدَرِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ.

وَعَلَى أَىِّ تَقْدِيرٍ فَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِثْلَ الْمَاءِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ الْمَخْتَلِطِ بِسَبَبِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ حُسْنَهَا وَبَهْجَتَهَا وَتَزَيَّنَتْ فِي نَظَرِ أَهْلِهَا وَظَنَّ مَالِكُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِهَا بِاقْتِطَاعِهَا وَحَصَادِهَا أَتَاهَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ أَىِّ عَذَابِهِ وَبَلَاءِهِ مِنْ بَرْدٍ أَوْ بَرَدٍ فَصَارَتْ مَحْصُودَةً مَقْلُوعَةً يَابِسَةً كَأَنَّ لَمْ تَقُمْ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ بِالْأَمْسِ.

وَنَحْوُهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا».

وَنَحْوُهُمَا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي»

و منها قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ».

فإنه تعالى شبه الكلمة الطيبة أعنى شهادته أن لا إله إلا الله أو كل كلام أمر به الله بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت راسخ في الأرض و أغصانها في السماء، و أراد به المبالغة في الارتفاع تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها في كل سنة أشهر أو في كل سنة أو كل غدوه و عشيه.

و شبه الكلمة الخبيثة و هي كلمة الكفر و الشرك أو كل كلام في معصية الله بالشجرة الخبيثة اقتلعت جثتها من الأرض مالها من ثبات يعنى أن الكلمة الطيبة مثل الشجرة الطيبة ينتفع بها صاحبها عاجلا و آجلا، و الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها و لا يثبت له منها نفع و لا ثمر.

و فى تفسير أهل البيت عليهم السلام(١) أن الشجرة الطيبة رسول الله صلى الله عليه و آله و فرعها على عليه السلام و عنصر الشجرة فاطمه و ثمرتها أولادها و أغصانها و أوراقها شيعتنا ثم قال: إن الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقه و إن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقه، و على هذا فالمراد بقوله سبحانه: تؤتى أكلها كل حين ما يفتنى به الأئمة من آل محمد شيعتهم فى الحلال و الحرام.

و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله: كلمة خبيثة كشجرة خبيثة، إن هذا مثل بنى امية، و كيف كان فإن المقصود من هذه الأمثال المضروبه فى القرآن و نحوها مما هى فوق حدّ الاحصاء هو تنبيه الخلق و تذكيرهم

و إيقاظهم من نوم الغفلة و الجهالة و حثهم و ترغيبهم على ملازمه المعرفه و التقوى و الطاعه.

و لذلك قال عليه السّلام اوصيكم بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال، فإنّ فى التعبير بهذه اللفظه إشاره إلى أنّ ضربها للتقوى مما يجرى أن يتقيه الخلق، و كذلك المقصود بالأوصاف التى يذكرها بعد ذلك هو الجذب إليه (١) و الحثّ عليه أعنى قوله (و وقت لكم الآجال) أى عيّنها لكم و كتبها بقلم القضاء فى أمّ الكتاب كما قال تعالى:

«وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ».

فمن علم أنّ له أجلا إذا جاء لا يؤخر و أنّ له إيابا إلى ربّه الذى يؤاخذ بما قدّم و آخر فأجدر أن يخاف منه و يحذر (و ألبسكم الرّيشا و أرفع لكم المعاش) أى أنزل عليكم لباسا يوارى سواّتكم و ريشا و لباس التقوى (٢) و أوسع عيشكم و رزقكم من الطيبات لتطيعوه فى السر و الاعلان و لا تجاهره بالكفر و العدوان كمال قال:

«لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ».

(و أحاط بكم الاحصاء و أرصد لكم الجزاء) يعنى أنّه سبحانه محيط بكم عالم بعدد نفوسكم لا يشدّه منكم أحد، و هو تعالى أعدّ لكم جزاء أعمالكم (٣) «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمِنِذٍ آمِنُونَ وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (و آثركم بالنعم السّوابغ و الرّفد

ص: ٣٥٥

١- (١) أى التقوى.

٢- (٢) اقتباس من الآيه فى سورة الأعراف و هو قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواّتكم و ريشا و لباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكّرون منه.

٣- (٣) اقتباس من الآيه.

الروافع) أى أنه تعالى اختاركم بنعمه التامه الكامله «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» (١) و أعطاكم الصّيلات الجليله الرّفيعه العاليه (و أنذركم بالحجج البوالغ) «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّى عَنْ بَيِّنَةٍ» (٢) و «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً» (٣) (فأحصاكم عددا و وظّف لكم مددا) يعنى أنه أحصا عددكم و عيّن مدّه عمركم.

و إنّما أعاد عليه السيّلام ذكر هذين الوصفين مع اغناء قوله: و وقت لكم الآجال و أحاط بكم الاحصاء عنه، للتأكيد و المبالغه، لأنّ ذكر توقيت المدد و توظيف الآجال من أشدّ الجواذب إلى التّقوى، و كذلك المعرفة باحاطه علمه بجزئيات النفوس و عدم شذوذ شيء منها عنه رادعه لها عن المهالك و المعاطب.

فان قيل: أى نكته فى الاتيان بالتمييز أعنى عددا بعد لفظ الاحصاء مع أنّه لا ابهام فيه و لا خفاء بل هو مغن عنه؟ قلت: السّر فى ذلك كما فى قوله تعالى: و أحصى كلّ شيء عددا، و هو بيان أنّ علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه اجمالى بل على وجه تفصيلي، فإنّ الاحصاء قد يراد به الاحاطه الاجماليه كما قال تعالى: و إن تعدّوا نعمه الله لا تحصوها، أى لا تقدر و اعلى حصرها إجمالا فضلا عن التفصيل.

و ذلك لأنّ أصل الاحصاء أنّ الحاسب إذ بلغ عقدا معيّنا من عقود الأعداد كالعشره و المأه و الألف وضع حصاه ليحفظ بها كميّه ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه و قوله (فى قرار خبره و دار عبره) أراد به أنّه سبحانه عيّن لكم المدد فى مقرّ البلاء و الاختيار و دار الاتّعاظ و الاعتبار.

و هى الدّار التى (أنتم مختبرون فيها) بما أعطاكم الله فيها «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» و المفسد من المصلح حتّى يزيد فى إحسان المحسن و يؤاخذ بعصيان المسيء

ص: ٣٥٦

١- (١) اقتباس من الآيه.

٢- (٢) اقتباس من الآيه.

٣- (٣) اقتباس من الآيه فى سوره النساء.

(و محاسبون عليها) أى على نعيمها كلاً أو بعضاً على ما مضى تحقيقاً و تفصيلاً فى شرح كلامه الثمانين و مضى هناك أيضاً توضيح الاعتاظ بالدنيا و الاعتبار فيها فليراجع ثمّه.

ثم إنّه عليه السّلام لما وصّى بالتّقوى و أمر بلزومه بذكر بعض الجواذب إليه أكّده و علّله بقوله: (فإنّ الدّنيا رنق مشربها) و هو كناية من كدر لذاتها من حيث شوبها بالتعب و المصائب و الهموم و الأحزان (ردغ مشرعها) لأنّ مواردتها و لها و الشّروع فيها من مزالق الاقدام عن سواء الصّيراط إلى طرفى التفريط و الافراط، و ذلك لكثرة الشبهات و غلبه المشتبهات (يونق منظرها) لما فى ظاهرها من الحسن و البهجة و الرّدغ و النضره الموجهه لاعجاب الناظرين إليها و التذاذهم بها (و يوبق مخبرها) لما فى باطنها من السّم القاتل الباعث على و بوق المتناولين لها و هلاك المفتنين بها، و وقوعهم فى الخزى العظيم و العذاب الأليم.

و هى (غرور حائل) لأنّها تغرّ الخلق و تخذعهم بزخرفها و زبرجها فيتوهّمون دوامها و ثباتها ثمّ تنتقل عنهم و تتغيّر فى زمان يسير و مدّه قليله (و ضوء آفل) استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن فى عيون الغافلين من قولهم على فلان ضوء إذا كان حسن المنظر يعنى إنّها ذو حسن و ضياء إلّا أنّ حسنّها قليل لا يدوم و يغيب فلا يبقى (و ظلّ زائل) أى يستريح فيها أهلها و يستظلّون بها إلّا أنّها فى معرض الفناء و الزّوال (و سناد مائل) يستند إليها الغافلون و يعتمدون عليها مع أنّها لا ثبات لها و لا قرار.

(حتّى إذا أنس نافرهما و اطمئنّ ناكرها) أى إذا استأنس بها من كان باقتضاء عقله نافر عنها و سكن إليها من كان بمقتضى فطرته منكر لها (قمصت بأرجلها) كالذّابه القامصه الممتنعه عن ركوب الانسان المولّيه عنه.

و قمصها كناية عن امتناعها على الانسان حين حضور أجله كأنّها تدفعه برجليها مثل الذّابه الموصوفه، و الاتيان بصيغه الجمع مع أنّ الذّابه لها رجلان من باب التغليب و اعتبار اليدين و إنّما عبّر بالرجل دون اليد لكون القمص إلى الرّجل أنسب.

(و قنصت بأحبلها) كالقنص الذى يقنص الصيد و يصيده بشركه و حبائله و هو كناية عن تمكن العلايق الدنيويّه و حبائل محبتها و الهيآت الرذيلّه المكتسبه عنها فى عنقه بحيث لا- يتمكّن من الامتناع و التجنّب عنها كالصيّد الواقع فى الشّرك (و أقصدت بأسهمها) كالزّامى الذى يرمى بسهامه فيصيب الغرض و لا يخطئه و أسهمها كناية عن الأمراض و أسباب الموت.

(و أعلقت المرء أوهاق المتيّه) أى أعلقتة حبالتها يعنى ما تجذب بها إلى الموت من سائر أسبابه أيضا (قائده) بتلك الحبال (له إلى ضنك المضجع) و ضيق القبر (و وحشه المرجع) و هو إشاره إلى ما يجده أهل الدّنيا من الوحشه عند مفارقه الأموال و الأولاد و الأحبّه (و معاينه المحلّ) أى مشاهدته الموضع الذى يحلّ به بعد الموت و هو دار الآخره (و ثواب العمل) أى جزائه من خير أو شرّ لا الجزاء بالمعنى الأخصّ الذى هو عوض الطاعه.

(و كذلك الخلف بعقب السلف) أى هكذا حال الخلف بعد السّلف يفعل الدّنيا بهم مثل ما فعلت بأسلافهم، و كذلك هم فى الدّنيا يعملون مثل ما عمله آبائهم (فلا نفلع المنيه) منهم (اختراما و لا يرعوى الباقون اجتراما) يعنى لا يكفّ المتيّه عن إهلاكهم و استيصال نفوسهم و لا يرتدع الباقون منهم عن جرمهم و جرائمهم بل (يحتذون مثالا) و يقتدون بأمثالهم الماضين فى الأعمال و الأفعال (و يمضون) على ذلك (أرسالا) و متتابعا (إلى غايه الانتهاء و صيور الفناء) أى الى منتهى ما يسرون إليه بمطايا الأبدان و عاقبه ما يكون أمرهم عليه من الفناء و العرض على الملك الدّيان أقول: و نرجو من الله سبحانه عند ذلك الرّحمه و الغفران بالكرم و الامتنان.

الترجمه

وصيت میکنم شما را أى بندگان خدا بتقوى و پرهیزکاری خدا چنان خدائی که بیان فرمود از برای شما مثل ها، و معین کرد از برای شما أجل ها و بپوشانید شما را لباس های فاخر و وسعت داد بشما با طعام های طیب و طاهر، و احاطه کرد بشما احاطه کردنی و مهیا نمود از برای شما جزای عمل های شما را و برگزید

شما را بنعمت های تامه کامله و عطایای جلیله عالیّه، و ترساند شما را با حجت های واضحه بالغه و شمرد شما را شمردنی و تعیین نمود از برای شما مدتهای اعمار در مقرّ امتحان و اختبار و در سرای اعتبار.

شما امتحان شدگانید در دار فانی و حساب کرده شدگانید در آن بنعمت ها و زندگانی، پس بدرستی دنیا ناصاف است محلّ آبخوردن آن گل آلود است محلّ آب برداشتن آن تعجب می آورد در نظر جاهلان تماشاگاه آن و هلاک می سازد محلّ آزمایش آن در وقت التذاذ بلذات آن، و آن فریبده است تغییر یابنده، و صاحب حسن است فرو رونده، و سایه ای است زائل شونده و تکیه گاهی است میل نمایند.

تا زمانی که انس گیرد بأو نفرت کننده از او و خواطر جمع شود بأو انکار کننده او، بر جهد پاهای خود که بیندازد او را بر زمین مذلت، و شکار کند او را بدامهای خود تا گرفتار شود به مشقت و محنت، و برساند باو تیرهای مرگ و هلاکت در حالتی که کشنده باشد او را بضیق و تنگی خوابگاه و وحشت بازگشت و به مشاهده کردن جای جزا و ثواب کردار.

و همچنین است حال پس آیندگان بعد از پیش رفتگان و رحلت نمایندگان نه امساک می کند مرگ از استیصال نمودن، و نه باز می ایستند باقی ماندگان از جرم و گناه کردن، بلکه اقتدا می کنند بر مثال گذشتگان و می گذرند پیایی تا بغایت نهایت که عبارتست از موت و عاقبت امر که عبارتست از فنا و فوت.

الفصل الثالث

اشاره

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمتِ الامور، و تَقَضَّتِ الدَّهور، و أَزَفَ النَّشور، أَخْرَجَهُم مِّنْ ضُرَائِحِ الْقُبور، و أَوْكَارِ الطَّيُور، و أَوْجَرِ السَّيْبَاع، و مَطَارِحِ الْمَهَالِك، سَرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مَهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ، رَعِيلاً صُمُوتاً،

ص: ۳۵۹

قيامًا صفوفاً، ينفذهم البصر، و يسمعهم الدّاعى، عليهم لبوس الاستكانه، و ضرع الإستسلام و الدّله، قد ضلّت الحيل، و انقطع الأمل، و هوت الأفتنده كاظمه، و خشعت الأصوات مهينمه، و ألجم العرق، و عظم الشّفق، و أرعدت الأسماع لزبره الدّاعى إلى فصل الخطاب، و مقايضه الجزاء و نكال العقاب، و نوال الثّواب.

اللغه

(صرمت) النّخل قطعته و انصرم اللّيل و تصرّم ذهب و (قضّ) الشىء يقضّه قطعه و (أزف) شخوص فلان يأزف أزفا من باب تعب قرب و دنا و منه قوله: أزفت الآزفه، أى قربت القيامة و دنت، سمّيت بذلك لأنّ كلّ ما هو آت قريب و (نشر) الموتى نشورا من باب قعد حيّوا و نشرهم الله يتعدّى و لا يتعدّى، و قد يتعدّى بالهمزه يقال أنشرهم الله و قال تعالى: و إذا شاء أنشره، أى أحياه بعد إماتته.

و (الضّريح) الشّق فى وسط القبر فى جانب فعيل بمعنى مفعول و (اوجره) السّباع جمع و جار بالكسر و هو جحرها الذى تأوى إليه و (هطع) يهطع من باب منع أسرع مقبلا و أهطع فى عدوه أسرع و منه قوله تعالى: مهطعين إلى الدّاع، أى مسرعين إليه فى خوف.

و (الرّغيل) القطعه من الخيل و الجماعه من النّاس و (الصّيموت) جمع صامت كالصّيمت و الصّيمات مصدر بمعنى السّيكوت من صمت يصمت من باب قتل و (اللّبوس) بفتح اللّام ما يلبس قال تعالى: و علّمناه صنعه لبوس، يعنى الدّرع و (الاستكانه) الخضوع و (ضرع) له يضرع من باب منع ضراعه ذلّ و خضع، و ضرع ضرعا من باب تعب لغه و ضرع ضرعا و زان شرف ضعف، و تضرّع إلى الله ابتهل و (كظم) يكظم كظما من باب ضرب و سكت و رجل كظيم و مكظوم مكروب.

و (الهينمه) الصّوت الخفّي و (الجم العرق) بلغ الفم فصار كاللجام و (الشفق) الخوف و (ارعدت الاسماع) بالبناء على المجهول أخذتها الرّعدة و (الزّبره) من زبره زبرا من باب ضرب زجره و نهرة و (قايضته) به بالياء المثناه التّحتانيه عارضته عرضا بعرض و (نكل) به تنكيلا صنع به صنعا يحذر غيره، و النّكال اسم منه أو هو العقوبه و (النّوال) العطا.

الاعراب

سراعا، منتصب على الحال من مفعول أخرج و كذلك المنصوبات بعده، و لبوس الاستكانه مرفوع على الابتداء قدّم عليه خبره للتّوسع، و قوله إلى فصل الخطاب متعلّق بالدّاعى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الكلام قد ساقه عليه السيّلام لبيان ما يحلّ على النّاس بعد الموت و يلحق بهم من شدايد القيامة و أهوالها و أشار به إلى النّشر و المعاد فقال (حتّى إذا تصرّمت الامور و تقضت الدّهور) أى تعطلت امور النّاس بموتهم و انقضت الازمان و تقطعت (و أزف النّشور) أى دنى و قرب وقت احيائهم بعد إماتتهم أمر الله سبحانه بنفخ الصّور فنشروهم و حشرهم.

و (أخرجهم من ضرايح القبور) ان كانوا مدفونين فيها (و أو كار الطيور) ان كانوا أكيل طير (و أوجره السيّباع) ان كانوا فريسه سيع (و مطارح المهالك) ان قتلوا فى معركة حرب و نحو ذلك و بالجملة ينشروهم الله و يأتى بهم جميعا أينما كانوا (سراعا إلى أمره) و قضائه غير لابتين (مهطعين الى معاده) غير مماكسين كما قال تعالى فى سورة ق «يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ» أى يسرعون إلى أمره بلا مكث و تأخير، و فى سورة القمر:

«يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ خُشْعاً أُنْصَارُهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُّتَشَتِّرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا

«

(رعيلا صموتا قياما صفوفا) أى جماعه ساكتين قائمين صافين لا يقدرّون على الكلام ولا يرخّص لهم فى القعود كما قال تعالى فى سورة النبأ «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ» أى بنو آدم على أحد التّفاسير «وَالْمَلَائِكَةُ صِفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا» و فيها أيضا «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا».

روى فى المجمع عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه سئل عن هذه الآية فقال: يحشر عشره أصناف من امتى أشتاتا قد ميّزهم الله من المسلمين و بدّل صورهم فبعضهم على صورة القرده، و بعضهم على صورة الخنازير، و بعضهم منكوسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يسحبون عليها، و بعضهم عمى يتردّدون، و بعضهم صمّ بكم لا يعقلون، و بعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعبا يتقدّروهم أهل الجمع، و بعضهم مقطّعه أيديهم و أرجلهم، و بعضهم مصلّبون على جذوع من النّار، و بعضهم أشدّ ننتنا من الجيف، و بعضهم يلبسون جبابا سابغه من قطران لازقه بجلودهم.

فأما الذين على صورة القرده فالقتاه من النّاس، و أما الذين على صورة الخنازير فأهل السيّحت، و أما المنكوسون على رؤوسهم فأكله الرّبا، و العمى الجائرون فى الحكم، و الصمّ البكم المعجبون بأعمالهم، و الذين يمضغون ألسنتهم العلماء و القضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، و المقطّعه أيديهم و أرجلهم الذين يؤذون الجيران، و المصلّبون على جذوع من نار فالسّعاه بالنّاس إلى السلطان، و الذين أشدّ ننتنا من الجيف فالذين يتمتّعون بالشّهوات و اللذات و يمنعون حقّ الله فى أموالهم، و الذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر و الخيلاء.

(ينفذهم البصر) بصر الجبار تعالى أى لا يخفى أحد منهم مع كثرتهم عن ادراكه سبحانه و لا يعزب عن علمه كما قال فى سورة الحاقة: «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ»

«خَافِيَهُ» (و يسمعهم الدّاعى) يعنى أنّهم مع هذه الكثره أيضا يشملهم و يحيط بهم عموم دعاء الدّاعى إلى فصل الخطاب و يسمع آخرهم كما يسمع أولهم نداء المنادى إلى الموقف و الحساب، و إليه الاشاره بقوله تعالى فى سورة ق.

«يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ».

قال الطبرسى: و إنّما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلايق كلّهم على حدّ واحد فلا يخفى على أحد قريب و لا بعيد فكأنّهم نودوا من مكان يقرب منهم (عليهم لبوس) الخضوع و الخشوع و (الاستكانه و ضرع) التذلل و (الاستسلام و الذله) من هول هذا اليوم و فزعه كما قال سبحانه فى سورة طه:

«وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا».

قال الطبرسى أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد من قهره و المراد خضع أرباب الوجوه و استسلموا الحكم للحى الذى لم يمت و لا- يموت، و إنّما اسند الفعل إلى الوجوه لأنّ أثر الدّلّ يظهر عليها، و قيل المراد بالوجوه الرؤساء و القاده و الملوك أى يذلّون و ينسلخون عن ملكهم و عزّهم، و فى سورة المعارج:

«يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ».

أى يخرجون من القبور مسرعين كأنّهم يسعون إلى علم نصب لهم خاضعه أبصارهم لا يستطيعون النّظر من هول ذلك اليوم و تغشيهم المذلّه (قد ضلّت الحيل) أى الحيل الدّنيويّه فلا يستطيعون الخلاص ممّا هم فيه بالحيله و التدبير كما كانوا يخلصون من بعض آلام الدّنيا بها (و انقطع الأمل) أى أملهم فى الدّنيا لامتناع عودهم إليها و انقطاع طمعهم عنها (و هوت الأفتده كاضمه) أى خلت من الفرح و السرور بل و من كلّ شىء حال كونها ساكته أو مكروبه و محزونه و هو مأخوذ من قوله تعالى

«مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ لَا يَزِنُ إِلَّا إِلَهُهُمْ طَرَفُهُمْ وَ أَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ».

قال الطبرسى: مهطعين أى مسرعين و قيل يريد دائمى النظر إلى ما يرون لا يطرفون مقنعى رؤوسهم أى رافعى رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدّه رفع الرأس و ذلك من هول يوم القيامة و قال مورج: معناه ناكسى رؤوسهم بلغه قريش لا- ير إليهم طرفهم أى لا- يرجع إليهم أعينهم و لا يطبقونها و لا يغمضونها و إنّما هو نظر دائم و أفندتهم هواء أى قلوبهم خاليه من كلّ شىء و قيل خاليه من كلّ سرور و طمع فى الخير لشدّه ما يرون من الأهوال كالهواء الذى بين السماء و الأرض و قيل معناه و أفندتهم زائله عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم لا تخرج و لا تعود إلى أماكنها بمنزله الشىء الذاهب فى جهات مختلفه المتردّد فى الهواء و قيل معناه خاليه عن عقولهم (و خشعت الأصوات مهيمنه) أى حال كونها ذات هيمنه و خفاء قال:

«وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا».

قال فى مجمع البيان: أى خضعت الأصوات بالسكون لعظمه الرحمن، و الهمس هو صوت الاقدام أى لا تسمع من صوت الاقدام أى لا تسمع من صوت أقدامهم إلا صوتا خفيا كما يسمع من أخفاف الابل عند سيرها و قيل الهمس إخفاء الكلام و قيل معناه إنّ الأصوات العاليه بالأمر و النهى فى الدنيا ينخفض و يذلّ أصحابها فلا يسمع منهم إلا الهمس (و الجم العرق) أى بلغ أفواههم، قال الشّارح المعتزلى: و فى الحديث أنّ العرق ليجرى منهم حتى أنّ منهم من يبلغ ركبتيه، و منهم من يبلغ صدره، و منهم من يلجمه و هم أعظمهم مشقه.

أقول: و عن الارشاد عن الصادق عليه السلام فى حديث إنّ الغنى ليقف للحساب و يسيل منه العرق حتى لو شرب منه أربعون بعيرا لصدر، و يأتى لهذا مزيد تفصيل فى شرح المختار الماء و التاسع و الثمانين إنشاء الله (و عظم الشفق) و فى بعض الروايات أنّ شعر رأس الناس و بدنهم يبيض من شدّه الخوف و الاشفاق بعد ما

كان أسود(١) (و ارعدت الاسماع لزبره الدّاعى إلى فصل الخطاب) أى أخذتها الرّعدة و الاضطراب من زجر الدّاعى و نهرة و هيبه صوته قال الطبرسى فى تفسير قوله «وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ».

قيل إنّ يناد المناد من صخره بيت المقدس أيتها العظام البالية و الأوصال المنقطعه و اللحوم المتمزقه قومى لفصل القضاء و ما أعدّ الله لكم من الجزاء و قيل إنّ المنادى هو إسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب (و مقايضه الجزاء) مبادلتها و معاوضتها (و نكال العقاب) إن كسبت يداه فى الدنيا سيئه (و نوال الثّواب) إن اقتترف فيها حسنه.

«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»

تنبيه و تحقيق

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه كبعض الخطب الآتية نصّ صريح فى ثبوت المعاد الجسمانى و عليه قد دلّت الآيات القرآنيه مما ذكرناها و ما لم يذكر، و السنن

ص: ٣٦٥

١- (١) روى فى الكافى باسناده عن يزيد الكناسى عن أبى جعفر عليه السلام قال: إنّ فتيه من أولاد ملوك بنى اسرائيل كانوا متعبدين و كانت العباده فى أولاد ملوك بنى اسرائيل و أنهم خرجوا يسرون فى البلاد ليعتبروا فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سقى عليه السافى ليس منه الا رسمه فقالوا لو دعونا الله الساعه فينشر لنا صاحب هذا القبر فسايلنا كيف و جد طعم الموت فدعوا الله تعالى قال فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس و اللحيه ينفذ رأسه من التراب فزعاشا خصا بصره الى السماء، فقال لهم: ما يوقفكم على قبرى فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت فقال لهم: لقد سكنت فى قبرى تسعه و تسعون سنه ما ذهب عني ألم الموت و كربه و لا- خرج مراره طعم الموت من حلقى. فقال «لواظ» له: متّ يوم متّ و أنت على ما نرى أبيض الرأس و اللحيه؟ قال: لا، و لكن لما سمعت الصيجه اخرج اجتمعت تربه عظامى الى روحى فبقيت فيه فخرجت فزعا شاخصا بصرى مهطعا إلى صوت الداعى فايضّ لذلك رأسى و لحيتى، منه.

التَّبَوِيهِ المتواتره بل هو ضرورى الدين و عليه اتفاق المسلمين و مع ذلك كَلَّه لايعباء بخلاف الحكماء و منعهم منه بناء على امتناع اعاده المعدوم من حيث امتناع عود أسبابه بعينها من الوقت و الدَّورهِ الفلكيه المعينه و غيرهما و ربَّما قال بعض الحكماء أى حكماء الاسلام بجواز عود المثل و ربَّما قلَّمد بعضهم ظاهر الشَّرِيعه فى أمر المعاد الجسمانى، و إثبات السَّعاده و الشقاوه البدنيه مع الرُّوحانيه.

قال الصِّيدر الشِّيرازى فى شرح الهدايه للمبيدى: و اعلم أَنَّهُ قد زعمت الفلاسفه الطبيعّيون و اوساخ الدَّهريه الذين لا اعتداد بأقوالهم و آرائهم فى المَلَّه و لا- فى الفلسفه انكار المعاد مطلقا للانسان زعما منهم أَنَّهُ متكوّن من مزج و امتزاج لهذا الهيكل المحسوس بما له من القوى و الأعراض و ذلك يفنى بالموت و لا يبقى فيه إلَّا الموادّ العنصريه و لا اعاده للمعدوم فمهما فسد لا يرجى له عايده فحكموا بأنَّه إذا مات مات و نيل سعادته أو شقاوته قد فات كما حكى الله عنهم فى كتابه المجيد:

«ما هِيَ إِلَّا- حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا» مثل العشب و المرعى فيصير غثاء أهوى فلهذا السَّبَب أنكروا التَّبَوِيهِ المنذرهِ بالبعث و فوايدها و أصرّوا صريحا على منع نشر موايدها، و فى هذا تكذيب العقل على ما يراه المحقّقون من أهل الفلسفه و الشَّرْع على ما قرّره المحقّقون من أهل المَلَّه.

و اتَّفَقَ المحقّقون من الفلاسفه و المَلِّين على ثبوت المعاد و حقيته لكنَّهم اختلفوا فى كيفيته.

فذهب جمهور المسلمين على أَنَّهُ جسمانى فقط، لأنَّ الرُّوح عندهم جسم سار فى البدن سريان الزَّيْت فى الزَّيْتون و ماء الورد فى الورد و النَّار فى الفحم.

و ذهب جمهور الفلاسفه إلى أَنَّهُ روحانى فقط، لأنَّ البدن ينعدم بصوره و أعراضه فلا يعاد و النَّفس جوهر مجرّد باق لا سبيل إليه للفساد.

و ما تزيّن به كثير من علماء الاسلام كأصحابنا الاماميّه و الشَّيخ الغزالى

و الكعبى و الحلبى و الرّاغب الاصفهانى هو القول بالمعادين: الرّوحانى و الجسمانى جميعا ذهابا إلى أن النّفس جوهر مجرّد يعود إلى البدن، و هذا رأى كثير من الصّوّفيّه و الكراميّة و به يقول جمهور النّصارى و التّناسخيّه.

قال الامام الرّازى إلّا- أنّ الفرق أنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردها إلى البدن لا- فى هذا العالم بل فى الآخرة، و التّناسخيّه بقدّمها و ردها إليه فى هذا العالم و ينكرون الآخرة و الجنّه و النّار.

أقول: و ممّن قال بالمعادين الشّيخ الرّئيس أبو على بن سينا قال فى محكّى كلامه من الشفا: يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشّرع و لا سبيل إلى إثباته إلّا من طريق الشّريعه و تصديق خبر النّبوّ و هو الذى للبدن عند البعث و خيرات البدن و شروره معلومه لا تحتاج أن تعلم، و قد بسطت الشّريعه الحقّه التى أتاها بها سيّدنا و مولينا محمّد صلّى الله عليه و آله حال السّعاده و الشّقاوه اللتين بحسب البدن.

و منه ما هو مدرّك بالعقل و القياس البرهانى و قد صدّقه النّبوّ و هو السّّعاده و الشّقاوه البالغتان الثابتتان بالمقائيس اللتان للأنفس و إن كانت الأوهام منّا تقصر عن تصوّرها الآن، لما نوضح من العلل و الحكماء الالهيّون رغبتهم فى اصابه هذه السّعاده أعظم من رغبتهم فى إصابه السّّعاده البدنيّه بل كأنّهم لا يلتفتون إلى تلك و ان اعطوها و لا يستعظمونها فى جنب هذه السّّعاده التى هى مقاربه الحقّ الأوّل انتهى كلامه.

و قال المحقّق الشّيرازى أيضا فى شرح الهدايه: اعلم أنّ إعادته النّفس إلى بدن مثل بدنّها الذى كان لها فى الدّنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه فى القيامه كما نطقت به الشّريعه من نصوص التّنزيل و روايات كثيره متظافره لأصحاب العصمه و الهدايه غير قابله للتأويل كقوله تعالى:

«قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ»

«مَرَّهٖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ» أمر ممكن غير مستحيل فوجب التصديق بها لكونها من ضروريات الدين وإنكاره كفر مبين ولا استبعاد أيضا فيها بل الاستبعاد والتعجب من تعلق النفس إليه في أول الأمر أظهر من تعجب عوده إليه أن قال: ولا يضرنا أيضا كون البدن المعاد غير البدن الأول بحسب الشخص لاستحاله كون المعدوم بعينه معادا وما شهد من النصوص من كون أهل الجنة صردا مرداء، وكون ضرس الكافر مثل جبل أحد، وكذا ما روى من قوله يحشر بعض الناس يوم القيامة على صورته يحسن عندها القردة والخنازير، يعضد ذلك، وكذا قوله: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها.

فان قيل فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب بالذات والآلام الجسمانيه غير من صدرت منه الطاعات والخيرات و ارتكب المعاصي و الشرور.

قلنا: العبره في ذلك الجوهر المدرك و هو النفس و لو بواسطه الآلات و هى باقيه بعينها و كذا الماده و السنخ كالأجزاء الأصلية في البدن أو غيرها و لهذا يقال للشخص مع انتقاله من الصِّبَا إلى الشَّيْخُوخِيَه و التَّجَدُّدَات و الاستحالات الواقعه فيما بين أنه هو بعينه و إن تبدلت الصُّور و الهيآت و كثير من الأعضاء و الآلات و لا يقال لمن جنى فى الشَّبَاب و عوقب فى المشيب أنه عقاب بغير الجانى انتهى.

و أنت إذا أحطت خبرا بالأقوال فى المسأله فلا بأس بالاشاره إلى بعض شبه المنكرين مع إبطال شبههم حسبما اشير إليه فى الكتاب العزيز قال سبحانه:

«أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ»

«قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ».

روى أن أميه بن خلف أو العاص بن وائل السهمي أو أبي بن خلف وهو المروي عن الصادق عليه السلام أيضا جاء بعظم بال متفتت وقال: يا محمد أترعم أن الله يبعث هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم ويدخلك جهنم فنزلت الآية، وهو المراد بالإنسان في الآية وإن كان الحكم جاريا في حق كل من ينكر البعث والحشر إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على ما تقرّر في الاصول فالمعنى:

أو لم يعلم الإنسان أنا خلقناه من نطفه، ثم نقلناه من النطفه إلى العلقه، و من العلقه إلى المضغه، و من المضغه إلى العظام، و كسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر كامل العقل و الفهم، فإذا كمل عقله و فهمه صار متكلمًا مخاصمًا، فمن قدر على مثل هذا فكيف لا يقدر على الاعاده و الاحياء مع أنها أسهل من الانشاء و الابتداء؟ ثم أكد سبحانه الإنكار عليه فقال: و ضرب لنا مثلا، أي ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي وقتّه بيده، و نسى خلقه، أي ترك النظر في خلق نفسه مع أنه من أدلّ الدلائل على جواز البعث و إمكانه، لما ذكرناه من أنه مخلوق من نطفه متشابهه الأجزاء مع كونه مختلف الأعضاء إذ لو كان خلقه من أشياء مختلفه الصيور لأمكن أن يقال العظم خلق من جنس صلب و اللحم من جنس رخو و كذلك الحال في كل عضو، و لما كان خلقه من متشابهه الأجزاء مع اختلاف صورته كان ذلك دليلا على كمال الاختيار و القدره.

مضافا إلى القوه العاقله و الفاهمه و الناطقه التي أعطاها الله له و أبدعها فيه فقدر معها على المخاصمه و الاحتجاج مع أن تلك القوه لم تكن في النطفه أصلا و لم تكن من مقتضياتها و دلالة ذلك على الاختيار و الاقتدار أقوى.

ثم إن المنكرين للبعث منهم من لم يذكر فيه دليلا و لا شبهه و إنما اكتفى

بمجرد الاستبعاد و ادعى الضروره و البدايه فى استحاله المعاد و هم الأكثرون و يدلّ عليه ما حكاه تعالى عنهم فى غير موضع كما قال: و قالوا أ إذا ظللنا فى الأرض ء إنّا لفى خلق جديد، أ إذا متنا و كنا ترابا و عظاما ء إنّا لمبعثون، ء إنّك لمن المصدّقين أ إذا متنا و كنا ترابا و عظاما ء إنّا لمدينون إلى غير ذلك.

و مثلها ما حكاه هنا بقوله: قال من يحيى العظام و هى رميم، على طريق الاستبعاد، و هو المراد بالمثل الذى ضربه الانسان المذكور و لما كان استبعاده من جهة التفكّت و التفرق اختار العظم للذكر لبعده عن الحياه لعدم الاحساس فيه و وصفه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلا و التفكّت و قال: هى رميم، و قد دفع الله سبحانه بقوله: و نسى خلقه، إذ لو كان تدبّر فى خلقه و عرف قدره خالقه و اختياره و علمه لما استبعد ذلك.

و منهم من ذكر شبهه و إن كان مرجعها بالآخره إلى الاستبعاد أيضا و هى على وجهين:

أحدهما أنّه بعد العدم لا يبقى شىء فكيف يصحّ على المعدوم الحكم بالوجود و دفعها بقوله. قل يحيها الذى أنشأها أول مرّه، يعنى كما خلق الانسان و لم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده و إن لم يبق شيئا مذكورا.

و ثانيهما أنّ من تفرّق أجزاءه فى مشارق الأرض و مغاربها و صار بعضه فى أبدان السباع، و بعضه فى جدران الرّباع و بعضه فى ضرايح القبور و بعضه فى أو كار الطيور كيف يجمع.

و أبعد من ذلك أنّه قد يأكل الانسان سبع و يأكل السّبع طائر و يأكل الطائر إنسان آخر، و من المعلوم أنّ أجزاء المأكول يصير جزء بدن الآكل فاذا حشر الانسان و الحيوان على ما هو المذهب الحقّ فتلك الأجزاء المفروضة إمّا أن تعاد فى بدن الآكل أو فى بدن المأكول أو هما معا، فان اعيدت فى بدن الآكل لزم أن لا يعاد المأكول، و إن اعيد المأكول لزم أن لا يعاد الآكل و إن كان الثالث لزم المحال، لأنّ الجزء الواحد لا يكون فى موضعين.

فقال تعالى فى إبطال هذه الشّبهه: و هو بكلّ خلق عليم، و توضيحه أنّ فى

بدن الأكل أجزاء أصليته و أجزاء فضليته، و فى المأكل كذلك، فإذا أكل الانسان سبع صار الأصلى من أجزاء المأكل فضليا من أجزاء الأكل و الأجزاء الأصلية للأكل هى ما كان له قبل الاكل، و الله بكلّ خلق عليم، يعلم الأصلى من الفضلى فيجمع الأجزاء الأصلية للأكل و ينفخ فيها روحه، و يجمع الأجزاء الأصلية للمأكل فينفخ فيها روحه، و كذلك يجمع الأجزاء المتفرقة من البقاع و الأصقاع بحكمته الشّامله و قدرته الكامله.

ثمّ بالغ سبحانه فى إبطال إنكارهم بقوله: الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون، و وجه المبالغه هو أنّ الانسان مشتمل على جسم يحسّ به و حياه ساريه فيه و هى كحراره جاريه فيه، فان استبعدتم وجود حراره و حياه فيه فلا تستبعدوه فإنّ النار فى الشجر الأخضر الذى يقطر منه الماء أعجب و أغرب و أنتم تشهدونه حيث إنكم منه توقدون.

و إذا حققت ما ذكرناه و وضح لك صحّه المعاد الجسمانى وضح الشّمس فى رابعه النّهار:

ظهر لك فساد ما ربّما قيل أو يقال: من أنّ الآيات المشعره بالمعاد الجسمانى ليست أكثر و أظهر من الآيات المفيده للتّجسّم و التّشبه و الجبر و القدر و نحو ذلك و قد وجب تأويلها قطعا و صرفها عن ظواهرها.

قلنا دلّ هذه الآيات أيضا إلى بيان المعاد الرّوحانى و أحوال سعادته النّفس و شقاوتها بعد مفارقه الأبدان و الأجسام على وجه يفهمه العوام، فإنّ الأنبياء مبعوثون إلى كافّه الخلق للارشاد بقدر الاستعداد إلى سبيل الحقّ و تكميل النفوس بحسب القوّه النظرية و العمليه و تبقية النظام المفضى إلى صلاح الكلّ.

و ذلك بالترغيب و التّرهيب بالوعد و الوعيد و البشاره بما يعتقدونه لذّه و كمالا و الانذار عمّا تعدونه ألما و نقصانا و أكثرهم عوام تقصر عقولهم لا- يفهمون عالم الأشباح و المحسوسات عن ذات المبدأ الأوّل و الشّريعه تحاكيها بمثالاتها المأخوذه من المبادئ الجسمانيه و تحاكي الأفعال الالهيه بأفعال المباد المديته من الملوك و السلاطين القهارين و هكذا.

فوجب أن يخاطبهم الأنبياء في باب المعاد بما هو مثال للمعاد الحقيقي ترغيباً و ترهيباً للعوام و تتميماً للنظام و لهذا قيل إنّ الكلام مثل و أشباح للفلسفه.

وجه ظهور الفساد أنّ الدّهَاب إلى المجاز إنّما هو عند تعذّر إرادته الحقيقة و المصير إلى التأويل عند عدم إمكان الظاهر كما في آيات الجبر و القدر و التجسّم، و ما نحن فيه ليس من هذا القبيل إذ لا تعذّر ههنا سيّما على قول من يقول بكون البدن المعاد مثل الأوّل لا عينه.

و حمل كلام الشريعة و نصوص الكتاب على الأمثال و الأشباح و الاشارة إلى معاد النفس و الرعايه لمصلحه العامّة التوجب «توجب ظ» نسبه المتصدّعين للشرع إلى الكذب فيما يتعلّق بالتبليغ و القصد إلى تضليل أكثر الخلائق و التعصّب طول العمر لترويج الباطل و إخفاء الحقّ لأنهم لا يفهمون من الكلام إلّا ظاهره الذي لا حقيقه له على ما زعمه هذا القائل، و ما هذه إلّا فريه بينه و بهتان عظيم.

و بذلك كلّ ظهر أنّ ما حكاه في شرح البحراني من تأويل بعض الفضلاء كلام الامام عليه السّلام في هذا الفصل على ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحاني مما لا طائل تحته بل تطويل الكتاب بمثل تلك التأويلات الباردة الفاسده موجب لتفويت الوقت و تضيع القوّه القدسيّه.

عصمنا الله سبحانه من هفوات الجنان، و عثرات اللسان بحق محمّد و آله البرره الكرام عليه و عليهم السّلام إلى يوم البعث و القيام.

هدايه و ارشاد

في الاشارة إلى معنى الحشر على ما حقّقه صدر المتألّهيّن في كتابه المسمّى بمفاتيح الغيب و ايراد بعض الأخبار الوارده في ذلك و ما يناسب ذلك.

فاعلم أنّ الزّمان علّه التّغير و التعاقب و الاحتجاب بوجه، و المكان علّه التّفرّق و التّكثّر و الاغتياب بوجه، فهما سببان لاختفاء الموجودات و احتجاب بعضها عن بعض، فاذا ارتفعا في القيامه ارتفع الحجب بين الخلائق فيجتمع الخلائق كلّهم و الأوّلون و الآخرون قل إنّ الأوّلين و الآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم فهي يوم الجمع

ذلك يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن.

و بوجه آخر، ذلك يوم الفصل لأنّ الدّنيا دار مغالطه و اشتباه يتشابهك فيها الحقّ و الباطل و يتعانق فيها الوجود و العدم و الخير و الشرّ و النور و الظلمه و فى الآخره يتقابل المتخاصمان و يتفرّق المتخالفان، و يوم تقوم الساعه يومئذ يتفرّقون.

و فيها يتميّز التشابهان، ليميز الخبيث من الطيّب، و يفصل الخصمان، ليحقّ الحقّ و يبطل الباطل، ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حيّ عن بينه.

ولا- منافاه بين هذا الفصل و ذلك الجمع بل هذا يوجب ذلك، هذا يوم الفصل جمعناكم و الأولين، و الحشر أيضا بمعنى الجمع، و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا إذا عرفت ذلك فأقول قال سبحانه:

«وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ».

قال الطبرسىّ فى تفسير الصور: و هو قرن ينفخ فيه إسرافيل و وجه الحكمة فى ذلك أنها علامه جعلها الله ليعلم بها العقلا آخر أمرهم فى دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل و النزول و لا يتصوره النفوس بأحسن من هذه الطريقه، و قوله: فصعق من فى السموات و من فى الأرض، أى يموت من شدّه تلك الصّيحه التى تخرج من الصّور جميع من السموات و الأرض يقال: صعق فلان إذا مات بحال هائله شبيهه بالصيحه العظيمه.

و اختلف فى المستثنى بقول إلا- من شاء الله، و فى المجمع روى مرفوعا هم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت و فى روايه أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله سأل جبرئيل

عن هذه الآيه من ذا الذى لم يشاء الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش.

و قوله: ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون، أراد النفخه الثانيه و يسمى النفخه الاولى بنفخه الصعق، و الثانيه بنفخه البعث أى ثم نفخ فيه نفخه اخرى فاذا هم قائمون من قبورهم يقلبون أبصارهم فى الجوانب، و قال الطبرسى أى ينتظرون ما يفعل بهم و ما يؤمرون به.

و فى تفسير على بن إبراهيم القمى باسناده عن ثوير بن أبى فاخته عن على بن الحسين عليهما السلام قال:

سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء الله، ف قيل له فأخبرنى يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أما التّفخه الاولى فأنّ الله يأمر اسرافيل فيهبط إلى الأرض و معه الصّور و للصّور رأس واحد و طرفان و بين رأس كلّ طرف منهما إلى الآخر ما بين السماء و الأرض، فاذا رأت الملائكه إسرافيل و قد هبط إلى الدّنيا و معه الصّور قالوا: قد أذن الله فى موت أهل الأرض و فى موت أهل السّماء.

قال: فهبط إسرافيل بحظيره القدس و هو مستقبل الكعبه فاذا رآوه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله عزّ و جلّ فى موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخه فيخرج الصّوت من الطرف الذى يلى الأرض فلا يبقى فى الأرض ذو روح إلّا صعق و مات، و يخرج الصّوت من الطرف الذى يلى السّماوات، فلا يبقى فى السّماوات ذو روح إلّا صعق و مات إلّا إسرافيل.

قال: فيقول الله لاسرافيل: يا إسرافيل مت، فيموت إسرافيل فيمكثون فى ذلك ما شاء الله، ثم يأمر السّماوات فتمور و يأمر الجبال فتسير و هو قوله:

«يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا».

يعنى يبسط و يبدّل الأرض غير الأرض يعنى بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزه ليس عليها جبال و لا نبات كما دحاها أوّل مرّه و يعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّه

قال: فعند ذلك ينادى الجبار جلّ جلاله بصوت من قبله جوهرى (جهورى خ ل) يسمع أقطار السماوات و الأرضين: لمن الملك اليوم؟ فلا يجبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار عزّ و جلّ مجيباً لنفسه: لله الواحد القهار، و أنا قهرت الخلائق كلّهم و أمّتهم إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لى و لا وزير و أنا خلقت خلقى بيدي و أنا أمّتهم بمشيئتي و أنا أحياهم بقدرتي.

قال: فينفخ الجبار نفخه اخرى فى الصّور فيخرج الصّوت من أحد الطرفين الذى يلى السّماء فلا يبقى فى السّموات أحد إلا حيّ و قام كما كان، و يعود حمله العرش، و يحضر الجنّة و النّار و يحشر الخلائق للحساب.

قال الرّاوى: فرأيت علىّ بن الحسين يبكى عند ذلك بكاء شديداً.

فان قلت إذا فت الأجساد و انعدمت الأجسام فما الفائدة فى خطاب لمن الملك؟ قلنا: ما يصدر عن الحكيم العليم لا بدّ و أن يكون متضمّناً للحكمه و المصلحه و إن كانت مختفيه عندنا، و يمكن أن يكون فيه اللطف بالنّسبه إلى المكلّفين من حيث إنّ المخبر الصّادق إذا أخبرهم بوقوع ذلك الخطاب يوجب ذلك حقاره الدّنيا فى نظرهم و عدم اغترارهم بملكها و سلطنتها و يوجب زياده علمهم بقدره الله و عزّته و بتفوّده فى تدبير العالم، تعالى علواً كبيراً هذا.

و روى علىّ بن إبراهيم أيضاً عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: و أتى جبرئيل رسول الله و أخذ بيده و أخرج به إلى البقيع فأنتهى به إلى قبر فصوت بصاحبه فقال: قم باذن الله فخرج منه رجل أبيض الرّأس و اللّحيه يمسح التّراب عن وجهه و هو يقول: الحمد لله و الله أكبر، فقال جبرئيل: عد باذن الله تعالى، ثمّ انتهى به إلى قبر آخر فقال: قم باذن الله، فخرج منه رجل مسودّ الوجه و هو يقول: يا حسرتاه يا ثبوراه، ثمّ قال له جبرئيل: عد إلى ما كنت فيه باذن الله تعالى، فقال: يا محمّد هكذا يحشرون يوم القيامة، فالمؤمنون يقولون هذا القول و هؤلاء يقولون ما ترى.

و فى الأنوار النعمانية للسيد الجزائرى قال روى شيخنا الكلينى قدس الله روحه و تغمّده الله برحمته فى الصحيح عن يعقوب الأحمر قال: دخلنا على أبى عبد الله عليه السلام نعرّيه باسماعيل فترحم عليه ثم قال: إنّ الله تعالى نعى إلى نبيّه نفسه فقال: إنك ميت و إنهم ميتون، و كلّ نفس ذائقه الموت ثم أنشأ عليه السلام يحدث فقال:

إنه يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتّى لا يبقى أحد إلّا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل.

قال: فيجىء ملك الموت حتّى يقف بين يدى الله تعالى فيقول له، من بقى؟ و هو أعلم، فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل فيقال له قل لجبرئيل و ميكائيل فليموتا فتقول الملائكة عند ذلك يا ربّ رسوليك و أمينيك، فيقول تعالى: إنّى قضيت على كلّ نفس فيها الزّوج الموت.

ثمّ يجىء ملك الموت حتّى يقف بين يدى الله عزّ و جلّ فيقول له: من بقى؟ و هو أعلم، فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت و حملة العرش، فيقول: قل لحمله العرش فليموتوا، ثمّ يجىء كئيبا حزينا لا يرفع طرفه فيقول له من بقى؟ و هو أعلم، فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت، فيقول له: مت يا ملك الموت، فيموت.

ثمّ يأخذ الأرض بيمينه و السماوات بشماله فيقول: أين الذين كانوا يدعون معى شريكا؟ أين الذين يجعلون معى الها آخر؟ و فى الأنوار أيضا إنّ النّفخة الأولى هى اللّتى للهلاك تأتى النّاس بغته و هم فى أسواقهم و طلب معاشهم فاذا سمعوا صوت الصّور تقطعت قلوبهم و أكبادهم من شدّته فيموتوا دفعه واحده، فيبقى الجبّار جلّ جلاله فيأمر عاصفه فتقلع الجبال من أماكنها و تلقاها فى البحار و تفور مياه البحار و كلّما فى الأرض و تسطح الأرض كلّها للحساب فلا يبقى جبل و لا شجر و لا بحر و لا وهد و لا تلعه فتكون أرضا بيضاء حتّى أنّه روى لو وضعت بيضه فى المشرق رايت فى المغرب، فيبقى سبحانه على هذا الحال مقدار أربعين سنة.

فاذا أراد أن يبعث الخلق قال مولينا الصادق عليه السلام أمطر السماء على الأرض

أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال و نبت اللحوم و يأمر الله تعالى ريحا حتى تجمع التراب الذي كان لحما و اختلط بعضه ببعض و تفرّق في البرارى و البحار و فى بطون السّباع فتجمعه تلك الرياح فى القبر.

فعند ذلك يجيء إسرافيل و صوره معه و يأمره بالنفخه الثانيه، و ينفخ فيه النفخه الثانيه فاذا نفخ تركبت اللّحوم و الأعضاء و أعيدت الأرواح إلى أبدانها و انشقت القبور فخرج النّاس خائفين من تلك الصّيحة ينفضون التراب عن رؤوسهم، فيجىء إلى كلّ واحد ملكان عند خروجه من القبر يقبض كلّ واحد منهما عضدا منه فيقولان له:

أجب ربّ العزّه، فيتخيّر من لقائهما و يأخذه الخوف و الفزع حتى أنّه فى تلك الساعه يبيض شعر رأسه و بدنه بعد ما كان أسود.

و عند ذلك يكثر فى الأرض الزلزال حتى يخرج ما فيها من الأثقال و يشيب كلّ الأطفال و تضع كلّ ذات حمل حملها و ترى النّاس سكارى و ما هم بسكارى و لكن عذاب الله شديد.

و فى روضه الكافى باسناده عن ثوير بن أبى فاخته قال: سمعت على بن الحسين عليهما السّلام يحدث فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: حدّثنى أبى أنّه سمع أباه على بن أبى طالب عليه السّلام يحدث النّاس.

قال إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك و تعالى النّاس من حفرهم عزلاً مهلاجردا فى صعيد واحد يسوقهم النّور و يجمعهم الظلمه حتى يقفوا على عقبه المحشر، فيركب بعضهم بعضا و يزدحمون دونها فيمنعون من المضى فيشتدّ أنفاسهم و يكثر عرقهم و يضيق بهم أمورهم، و يشتدّ ضجيجهم و يرتفع أصواتهم.

قال عليه السّلام و هو أوّل هول من أهوال القيامة قال: فتشرف الجيّار تبارك و تعالى عليهم من فوق عرشه فى ظلال من الملائكه فيأمر ملكا من الملائكه فينادى فيهم: يا معشر الخلائق انصتوا و استمعوا مناد الجبار، قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم.

قال: فتكسر أصواتهم عند ذلك و يخشع أبصارهم و يضطرب فرايصهم و تفرع

قلوبهم و يرفعون رؤوسهم إلى ناحيه الصوت مهطعين إلى الداعى قال: فعند ذلك يقول الكافر: هذا يوم عسر.

قال: فيشرف الجبار عزّ ذكره عليهم فيقول: أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذى لا يجور اليوم أحكم بينكم بعدلى و قسطى لا يظلم اليوم عندى أحد، اليوم آخذ للضعيف من القوى بحقه و لصاحب المظلمه بالمظلمه بالقصاص من الحسنات و السيئات و ائيب على الهبات و لا يجوز هذه العقبه عندى ظالم و لا أحد عنده مظلمه إلا مظلمه يهبها لصاحبها و ائيبه عليها و آخذ له بها عند الحساب فتلازموا أيها الخلايق و اطلبوا بمظالمكم عند من ظلمكم بها فى الدنيا، و أنا شاهد لكم عليهم و كفى لى شهيدا.

قال: فيتعارفون و يتلازمون فلا يبقى لأحد له عند أحد مظلمه أو حق إلا لزمه بها.

قال: فيمكثون ما شاء الله فيشتدّ حالهم و يكثر عرقهم و يشتدّ غمهم و يرتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها.

قال: و يطلع الله عزّ و جلّ على جهدهم فينادى مناد من عند الله تبارك يسمع آخرهم كما يسمع أولهم: يا معشر الخلايق انصتوا الداعى الله تبارك و تعالى و اسمعوا إنّ الله تبارك و تعالى يقول: أنا الوهاب إن أحببتم أن تواهبوا فواهبوا و إن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم.

قال: فيفرحون بذلك لشده جهدهم و ضيق مسلكهم و تراحمهم.

قال عليه السلام فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلصوا مما هم فيه و يبقى بعضهم فيقول:

يا ربّ مظالمنا أعظم من أن نهبها.

قال عليه السلام فينادى مناد من تلقاء العرش أين رضوان خازن الجنان جنان الفردوس قال: فيأمر الله عزّ و جلّ أن يطلع من الفردوس قصر من فضّه بما فيه من الآنيه و الخدم قال: فيطلعه عليهم فى حفافه القصر الوصايف و الخدم.

قال فينادى مناد من عند الله تبارك و تعالى: يا معشر الخلايق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر، قال: فيرفعون رؤوسهم فكلهم يتمناه، قال: فينادى مناد

من عند الله يا معشر الخلائق هذا لكل من عفى عن مؤمن، قال: فيعفون كلهم إلا القليل.

قال: فيقول الله عزّ وجلّ لا يجوز إلى جنتي اليوم ظالم ولا يجوز إلى نارى اليوم ظالم، ولا أحد من المسلمين عنده مظلّمه حتّى يأخذها منه عند الحساب أيّها الخلائق استعدّوا للحساب.

قال: ثمّ يخلى سبيلهم فينطلقون إلى عقبه يلوذ بعضهم بعضا حتّى ينتهوا إلى العرصه و الجبار تبارك و تعالى على العرش قد نشرت الدواوين و نصبت الموازين احضر النبيون و الشهداء و هم الأئمه يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّهم قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ و دعاهم إلى سبيل الله.

قال: فقال له رجل من قريش: يابن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلّمه أى شىء يأخذ من الكافر و هو من أهل النّار؟ قال: فقال له علىّ بن الحسين عليهما السّلام: تطرح من المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذابا بقدر ما للمسلم قبله من مظلّمه.

قال: فقال له القرشىّ فاذا كانت المظلّمه لمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلّمته من المسلم؟ قال: يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فيزاد على حسنات المظلوم.

قال: فقال له القرشىّ: فان لم يكن للظالم حسنات، قال: للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فيزاد على سيئات الظالم.

الترجمه

تا آنکه چون بریده شود کارها و بسر آید روزگارها و نزدیک شود زنده شدن مردها، خارج می نماید ایشان را خدای تبارک و تعالی از میانه‌های قبرها و از آشیان های مرغ ها و ماواهای درنده ها و محل افتادن و هلاکشدن آنها، در حالتی که شتابان باشند بسوی امر پروردگار سرعت کننده باشند بمعاد آفریدگار جمع شوندگان ساکت شدگان ایستادگان صف کشیدگان.

نافذ می شود در ایشان نظر ربّ الارباب می شنوند ایشان را خواننده بسوی فصل خطاب، بر ایشانست لباس خضوع و فروتنی و زاری تسلیم و خواری بتحقیق که کم شده باشد در آن روز حیل ها و بریده شود آرزوها.

و خالی می شود قلبها از فرح و سرور در حالتی که ساکت باشند و ترسان باشد صوتها در حالتی که نهان باشند و رسیده شود عرق بدهان و بزرگ شود ترس از گناهان و مضطرب می باشد گوشها بجهت زجر و هیبت صوت ندا کننده بسوی حکم و خطاب فاصل در میان حق و باطل و به عوض دادن جزا به آن چه کرده اند از خیر و شر در دنیا، و گرفتار شدن حذرناک عذاب و عقاب و عطا کردن أصناف ثواب.

الفصل الرابع

اشاره

عباد مخلوقون اقتدارا، و مربوبون اقتسارا، و مقبوضون احتضارا، و مضمنون أجداثا، و كائنون رفاتا، و مبعوثون أفرادا، و مدینون جزاء، و ممیزون حسابا، قد أمهلوا فی طلب المخرج، و هدوا سیبل المنهج، و عمّروا مهل المستعتب، و كشفت عنهم سدّف الرّیب، و خلّوا لمضمار الجیاد، و رویّہ الارتیاد، و أناه المقتبس المرتاد، فی مدّه الأجل، و مضطرب المهل، فیا لها أمثالا صائبه، و مواعظ شافیه، لو صادفت قلوبا زاکیه، و أسماعا واعیه، و آراء عازمه، و ألبابا حازمه، فاتّقوا الله تقیه من سمع فخشع، و اقترب فاعترف، و وجل فعمل، و حاذر فبادر، و أیقن فأحسن، و عبّر

ص: ۳۸۰

فاعتبر، و حذر فازدجر، و أجاب فأناب، و راجع فتاب، و اقتدى فاحتذى، و أرى فرأى، فأسرع طالبا، و نجا هاربا، فأفاد ذخيره، و أطاب سريرته، و عمر معادا، و استظهر زادا، ليوم رحيله، و وجه سييله، و حال حاجته، و موطن فاقتته، و قدم أمامه لدار مقامه، فاتقوا الله عباد الله جهه ما خلقكم له، و احذروا منه كنه ما حذركم من نفسه، و استحقوا منه ما أعد لكم بالتنجيز لصدق ميعاده، و الحذر من هول معاده.

اللغة

(قسره) على الأمر قسرا من باب ضرب قهره و اقتسره كذلك و (حضره) الموت و احتضره اشرف عليه فهو فى النزاع و هو محضور و محتضر بالفتح.

قال الطريحي: و فى الحديث ذكر الاحتضار و هو السوق سَمِيَ به قيل لحضور الموت و الملائكة الموكلين به و إخوانه و أهله عنده، و فلان محتضر أى قريب من الموت و منه إذا احتضر الانسان وجه يعنى جهه القبلة و (الاجداث) جمع الجداث كآسباب و سبب و هو القبر و هذه لغه أهل تهامة و أمّا أهل نجد فيقولون جدف بالفاء و (الرفات) كالفئات بالضم لفظا و معنا و هو ما تناشر من كل شىء و (المنهج) كالنهج و المنهاج الطريق الواضح و (العتبى) بالضم الرضا و استعتبه أعطاه العتبى كأعتبه و طلب إليه العتبى من الأضداد.

قال الفيومى عتب عليه عتبا من بابى ضرب و قتل لآمه فى تسخط و أعتبنى الهمزه للسبب أى أزال الشكوى و العتاب و استعتب طلب الاعتاب و العتبى اسم من الاعتاب و (السدف) جمع سدفة، كغرفة و غرف و هى الظلمه و (ضمير) الفرس ضمورا من

باب قعد و ضمير ضمرا من باب قرب قل لحمه و هزل، و ضميرته و أضميرته أعدده للسباق و هو أن تعلفه قوتا بعد السمن أى يعلف حتى يسمن ثم يرد إلى قوته الأول ليخف لحمه و ذلك فى أربعين يوما، و المضمار الموضع الذى تضر فيه الخيل.

و (الزويه) الفكر و التدبر و هى كلمه جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفا و هى من رأت فى الأمر بالهمز أى نظرت فيه و (الارتياذ) الطلب و (تأنى) فى الأمر تمكث و لم يعجل و الاناه و زان حصاه اسم منه و (المقتبس) كالقابس هو طالب العلم و النار و (صاب) السيهم الغرض صوبا من باب قال و صابه يصيبه من باب باع كأصابه وصل الغرض و ما أخطاه، و فى المثل و فى الخواطى سهم صائب و (حزم) فلان رأيه حزما أتقنه و (الثقيه) كالتقوى اسم من اتقيت الله اتقاء و (اقترف) لأهله اقترافا اكتسب من مال حلال أو حرام و (حذر) الشئ و حاذره خافه.

و يحتمل أن يراد من حاذر كثره الخوف بناء على أن زياده المبنى تدلّ على زياده المعنى و (عبر) أى أرى العبر كثيرا بناء على أن التشديد دليل المبالغه و (زجره) زجرا منعه و نهاه كازدجر فأنزجر و ازدجر فازدجر يستعمل مطاوع ازدجر و هو غريب و (أفاد) المال استفاده و أعطاه و هو من الأضداد و (استظهرت) به استعنت و (المقام) بضم الميم مصدر كالأقامه يقال قام بالمكان أقامه و مقاما و (كنه) الشئ حقيقته و غايته و نهايته يقال عرفته كنه المعرفه.

و (نجز) الوعد نجزا من باب قتل تعجل و النجز مثل قفل اسم منه و يعدى بالهمزه و الحرف فيقال أنجزته و نجزت به إذا أعجلته و استنجز حاجته و تنجزها طلب قضاءها ممن وعده إيّاها.

الاعراب

عباد خبر مبتداء محذوف، و اقتدارا و اقتسارا منصوبان على التمييز، و احتضارا منصوب على الحال المؤكده من قبيل قوله ولى مدبرا فيؤول بالمشتق أى مقبوضون محتضرين، مثل قولهم اجتهد وحدك أى منفردا، و أجداثا مفعول فيه و هو و إن لم يكن من ظروف المكان المبهمة أعنى الجهات الست و ما أشبهها من عند ولدى

و نحوهما إلا أنه قد انتصب بفي مقدّره لما في الكلام من معنى الاستقرار كما قال الرّضّى.

و أما انتصاب نحو قعدت مقعده و جلست مكانه و نمت مبيته فلكونه متضمّنا لمصدر معناه الاستقرار في ظرف فمضمونه مشعر بكونه ظرفا لحدث بمعنى الاستقرار كما أنّ نفسه ظرف لمضمونه بخلاف نحو المضرب و المقتل فلا جرم لم ينصبه على الظرفيه إلاّ ما فيه معنى الاستقرار اه، و أفرادا منصوب على الحال كانتصاب فردا في قوله تعالى:

«وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا».

و جزاء مصدر على غير لفظ فعله و حسابا منصوب بنزع الخافض و ما قاله البحرانى من انه مصدر منصوب بغير فعله ليس بشيء و فى طلب المخرج فى للظرفيه المجازيه كما فى قولهم فى نفس المؤمنه مأث من الابل أى فى قتلها، فالسبب الذى هو القتل متضمّن للذيه تضمّن الظرف للمظروف، و هذه هى التى يقال إنّها للسببيه.

و مهل المستعجب بحذف الموصوف مفعول مطلق مجازى من غير المصادر أى امهلوا و عمروا مثل مهل المستعجب، و ما توهمه الشّارح البحرانى من أنّه مصدر فاسد، و قوله فى مدّه الأجل متعلق بقوله خلوا، و قوله فيا لها أمثالا صائبه منادى تفخيم و تعجّب، و انتصاب أمثالا على التميز من الضمير المبهم.

قال الرّضّى فى باب التميز من شرح الكافيه: و قد يكون الاسم فى نفسه تاما لا لشيء آخر أعنى لا يجوز إضافته فينصب عنه التميز و ذلك فى شيئين: أحدهما الضمير و هو الأكثر و ذلك فى الأغلب فيما فيه معنى المبالغه و التفخيم كمواضع التعجّب نحو يا له رجلا و يالها قصّه و يا لك ليلا إلى آخر ما قال، و ذخيره و سريره منصوبان على المفعول به.

و قوله: جهه ما خلقكم اه قال الشّارح المعتزلى نصب جهه بفعل مقدّر تقديره و اقصدوا جهه ما خلقكم له يعنى العباده فحذف الفعل و استغنى عنه بقوله

فَاتَّقُوا اللَّهَ لَأَنَّ التَّقْوَى مَلَاZَمَهُ لِقَصْدِ الْمَكْلَفِ الْعِبَادَةِ فَدَلَّتْ عَلَيْهِ وَاسْتَغْنَى بِهَا عَنْ إِظْهَارِهِ.

قِيلَ وَيَجُوزُ انْتِصَابُهَا عَلَى الظَّرْفِيَةِ أَى اجْعَلُوا تَقْوَاكُمْ فِى تِلْكَ الْجِهَةِ أَى نَظَرًا إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ لَا لِلرَّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ، وَ الْحَذَرِ بِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى التَّنْجِزِ.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل مسوق لشرح حال النَّاسِ والكشف عن أوصافهم و التَّنبية على ما خلقوا لأجله و ما يصير أمرهم إليه و استدرج ذلك بمواعظ شافيه و نصايح وافيّه، و المقصود بذلك كلّ تبتّهم عن نوم الغفلة و الجهالة و افاقتهم من سكر الحيره و الضّلاله.

فقوله (عباد مخلوقون اقتدارا) يعنى أنّ النَّاسَ الذين شرحنا حالهم و ذكرنا كيفيه حشرهم و معادهم هم عباد خلقهم الله سبحانه من قدرته التّامّه الكامله و حكمته الجامعه البالغه و ليس خلقهم لذواتهم و من اتّصف بذلك لا يجوز له العصيان لخالفه و بارئه.

(و مربوطون اقتسارا) أى مملوكون من قهر و غلبه و ربّاهم الله سبحانه من صغرهم إلى كبرهم لا عن اختيار منهم حتّى يكون لهم الخيره فى معصيه ربّهم و مالکهم (و مقبوضون احتضارا) أى مقبوضون بالموت محتضرين إلى حضره ذى العزّه فيجازيهم بالحسنه و السيئه (و مضّمّنون أجداثا) أى فى قبور هى دار الوحده و الوحشه (و كائنون رفاتا) و عظاما فتاتا أى أجزاء شتاتا (و مبعوثون افرادا) أى وحدانا لا مال لهم و لا ولد كما فسّر بذلك قوله تعالى:

«وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».

قال فى مجمع البيان: أى جئتمونا وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم وقيل واحدا واحدا عليه و قيل كل واحد منكم منفردا من شريكه فى الغنى و شقيقه كما خلقناكم أول مره أى خلقناكم فى بطون امهاتكم لا ناصر لكم ولا معين وقيل معناه ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تحشرون حفاتا عراتا عزلا، والعزل هم الغلف.

و روى إن عائشه قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمعت ذلك: واسوأته ينظر بعضهم إلى سوءه بعض من الرجال والنساء قال: صلى الله عليه وآله: لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه و يشغل بعضهم عن بعض.

و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم، معناه تركتم ما ملكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال خلف ظهوركم، والمراد تركتم الأموال فى الدنيا و حملتم من الذنوب الأحمال و استمتع غيركم بما خلفتم و حوسبتم عليه فى لها حسره (و مدينون جزاء) أى مجزيون بأعمالهم جزاء إن خيرا فخيروا و إن شرا فشروا.

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

(و مميزون حسابا) أى فى حساب يعنى بتمييز المؤمن من المجرم و التقى من الشقى و الجيد من الردى فى يوم الحساب و مقام المحاسبه كما قال سبحانه:

«وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ».

أى اعتزلوا من أهل الجنة و كونوا فرقه على حده.

نقل أنه إذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياما على أقدامهم حتى يلجمهم العرق فينادون يا ربنا حاسبنا و لو إلى النار فيبعث الله رياحا فتضرب بينهم و ينادى مناد: و امتازوا اليوم أيها المجرمون، فتميز بينهم فصار المجرمون إلى النار و من كان فى قلبه ايمان صار إلى الجنة.

(قد امهلوا فى طلب المخرج) يعنى أنّ الله سبحانه أمهلهم فى دار الدنيا لطلب نجاتهم و خلاصهم من الظلمات إلى النور و خروجهم من الضلاله إلى السداد و من الغواية إلى الرشاد (و هدوا سبيل المنهج) أى هداهم الله تعالى بما جعل لهم من العقول و بعث إليهم من الأنبياء و الرسل إلى المنهج القويم و الصراط المستقيم الموصل لسالكه إلى حظيره القدس و جنّه الفردوس.

(و عمروا مهل المستعتب) يعنى أعطاهم الله العمر و أمهلهم فى الدنيا مثل مهل من يطلب رضائه و اعتابه أى إزاله اللوم و الشكوى عنه و لما كان من يطلب إزاله اللوم عنه و يقصد رجوعه عن غيّه بمهل طويلا و يدارى شبّه عليه السلام مهله الله لخلقه مدّه أعمارهم ليرجعوا إلى طاعته و يعملوا صالحا بذلك فافهم جيّدا.

(و كشفت عنهم سدف الزيب) أى ازيلت عنهم ظلمات الشكوكات و الشبهات بما منحهم الله من العقول مؤيدا بالرسول (و خلّوا لمضمار الجياد) أى خلاهم الله و تركهم فى الدنيا ليضمروا أنفسهم و يستعدّوا السباق فى الآخرة كما يترك الجياد من الخيل فى المضمار و تضمّر ليحصل لها الاستعداد للمسابقه و يحاز بها قصب السبق و يؤخذ بها السبق.

و فى الاتيان بلفظه الجياد تنبيه على أن يكونوا من جياد مضمارهم و قد مرّ توضيح تشبيه الدنيا بالمضمار فى شرح الخطبه السابعه و العشرين فليراجع (و) كذلك خلّوا ل (رويه الارتياذ و أنه المقتبس المرتاد) أى للتّفكر فى طلب الحق و ليتأنوا أنه المتعلّم للعلوم الحقّه المحتاج فى تعلّمه إلى التأنى و المهله الطالب للأنوار الالهيه ليهتدى بها فى ظلمات الجهل و الغفله (فى مدّه الأجل) الذى عينه سبحانه لهم (و مضطرب المهل) الذى قدّر فى حقّهم.

ثمّ نبّه عليه السيّلام على كمال كلامه و فضل موعظته و عرّض على عدم القلوب الحامله لها بقوله (فيا لها أمثالا صائبه و مواعظ شافيه) أى أمثالا- مطابقه لممثلاتها متّصفه بالصواب خاليه عن الخطاء و مواعظ شافيه لأمراض الجهل مبرئه عن آلام الهوى (لو صادفت) تلك الأمثال و المواعظ (قلوبا) طاهره (زاكيه و أسماعا) حافظه

(واعيه) أى قلوبا مستعدّه لقبول الهدايه و أسماعا قابله لحفظ النصيحه (و آراء عازمه) قاصده على الرّشد و السّداد (و ألبابا حازمه) متقنه لما فيه الصّلاح و الرّشاد.

و عن معانى الأخبار: الحزم أن تنتظر فرصتك و تعاجل ما أمكنك.

و فى الحديث: الحزم بضاعه و التّوانى اضاعه و فيه: الظفر بالحزم و الحفر «الحزم ظ» بإجالة الرأى و الرأى بتحسين الأسرار.

قال بعض شراح الحديث أشار إلى أسباب الظفر القريب و المتوسّط و البعيد فالحزم أن تقدم العمل للحوادث الممكنه قبل وقوعها بما هو أبعد عن الغرور و أقرب إلى السّلامه، و هو السبب الأقرب للظفر بالمطالب و المتوسط هو إجاله الرأى و إعماله فى تحصيل الوجه الأحزم و هو سبب أقرب للحزم، و الأبعد هو اسرار ما يطلب و هو سبب أقرب للرأى الصّالح إذ قلّ ما يتم رأى و يظفر بمطلوب مع ظهور إرادته، هذا.

و فى روايه الحزم فى القلب و الرّحمه و الغلظ فى الكبد، و الحياء فى الرّيه.

ثمّ إنّّه عليه السّلام بعد التّنبيه على فضل موعظته و الاشاره إلى أسباب قبول الموعظه حتّى على التّقوى أيضا و رغب فيها لكونها الغرض الأصلى من هذه الخطبه فقال.

(فاتّقوا الله) تقيّه مثل (تقيّه من سمع) نداء الله (فخشع) قلبه لله (واقترف) الاثم و الشّقاء (فاعترف) بالتّقصير و الخطاء (و وجل) العقبى (فعمل) الحسنى (و حاذر) العقوبه (فبادر) المثوبه (و أيقن) أجله (فأحسن) عمله (و عبّر) بما فيه اتّعاظ و اعتبار (فاعتبر) و حصل له انابه و انزجار (و حذر) بالسّيخط و التّكال (فازدجر) و انزجر عن سوء الأعمال (و أجاب) دعوه الدّاع إذا دعاه (فأناب) إلى ربّه حين ناداه (و راجع) عقله و تفكر (فتاب) عمّا فرط و قصر (واقْتدى) بالأنبياء و المرسلين (فاحتذى) حذو عباد الله المتّقين (وارى) الآيات فى الآفاق و الأنفس (فرأى) الحقيقه بعيان الحس.

(فأسرع) إلى الخير (طالباً) راغباً (و نجى) من الشرّ (هارباً) راهباً

(فافاد ذخيره) لسلوك سبيل الرحمن (و أطاب سريريه) من الرجس و دنس الشيطان (و عمر معادا) بصالح الأعمال (و استظهر زادا) من التقى و مكارم الخصال (ليوم رحيله) من الدنيا (و وجه سبيله) إلى العقبى (و حال حاجته) فى الحشر و المعاد (و مواطن فاقته) يوم التياد (و قدم) التقوى (أمامه) ليكون عده (لدار) مقيله و (مقامه فاتقوا الله) سبحانه يا (عباد الله) و اقصدوا (جهه ما خلقكم له) من تحصيل العرفان و اليقين و تكميل الاخلاص فى الدين كما قال عز من قائل «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ».

(و احذروا منه كنه ما حذركم من نفسه) بقوله: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و قوله: «كَأَلَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

(و استحقوا منه) تعالى (ما أعدّ) ه (لكم) و هياه فى حقكم و يشير به بقوله «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ».

و استحقاق ذلك إما (بالتنجز لصدق ميعاده) أى بطلب انجاز وعده الصادق و التماس وفائه بالجزاء اللائق، و ذلك الطلب إنما هو بعد الاقبال بالطاعات و الاجتهاد فى إتيان الصالحات (و) إمّا با (الحذر من هول معاده) و هو إنما يكون بالارتداع من الخطيئات و الازدجار عن السيئات، و فّقنا الله سبحانه للاقبال و الابتهاال و للانتهاار و الانزجار و أنى لنا بذلك مع ما نحن عليه من الاغترار بالدنيا و لذاتها و الافتتان

كَأَنَّا نَرَى أَن لَّا نَشُورُ وَ أَنَّنَا سُدَى مَا لَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ بَصَائِرُ

أَلَا لَا وَ لَكُنَّا نَغَرُّ نَفُوسَنَا وَ تَشْغَلُنَا اللَّذَاتُ عَمَّا نَحَازِرُ

وَ كَيْفَ يَلِدُ الْعِيشُ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفِ عَدَلٍ حِينَ تَبْلَى السَّرَائِرُ

الترجمه

ایشان بندگانند مخلوق شده از روی قدرت فاعل مختار، و مملوک از روی قهر و جبر بی اختیار، و قبض کرده شده در حالتی که محضرنند و مرتحل بدار قرار، و نهاده شده اند در درون قبور و گردیده اند اجزاء متفرقه چون هباء منثور، و مبعوث شده اند در حالتی که منفردند از اهل و مال، و جزا داده شده اند جزا دادنی بحسب اعمال، و تمیز داده شده اند در مقام حساب ربّ الأرباب.

بتحقیق که مهلت داده شده اند در دنیا بجهه طلب خروج از ظلمت جهالت و راه نموده شده اند براه راست رشادت و معمر شده اند و مهلت داده شده همچو مهلت کسی که طلب کننده باشد رضا و ازاله ملامت حضرت عزّت را از خود بتوبه و انابت و زایل گردانیده شده است از ایشان ظلمات شک و گمان با بینه و برهان، و واگذاشته شده اند در دنیا از برای ریاضت دادن نفس اماره بواسطه حمل کردن بأسباب تقوی و أثقال طاعت چون ریاضت دادن و لاغر نمودن اسبهای خوب از برای سبقت در میدان مسابقت.

و همچنین واگذاشته شده اند از برای تفکر در طلب حق و از برای تائی کردن همچو تائی کردن طالب نور الهی بتحصیل سعادت و جوینده آن بکسب کمالات در مدت اجلّی که معین شده است بر ایشان و محل اضطراب مهلتی که مقدر شده است در حقّ ایشان، پس اُیقوم تعجب نمائید از این پندها از حیثیت مثلّهای موصوفه بدرستی و صواب و نصیحتهای شفا دهنده بأمراض نادانی و جهالت اگر برسد بقلوب متّصفه بجدودت و ذکاوت، و بگوشهای حفظ کننده نصیحت، و برآیهای صاحب عزم و علوّ همت، و بعقلهای صاحب حزم و بلند مرتبت.

پس پرهیزید از خدا همچو پرهیز نمودن کسی که شنید امر خدا را پس فروتنی نمود بخدا و کسب گناه کرد پس اعتراف بتقصیر نمود و ترسید از آخرت پس عمل شایسته نمود و حذر نمود از عقوبت پس بشتافت بسوی طاعت، و یقین کرد بأجل پس نیکو کرد عمل را و عبرت داده شد پس قبول عبرت نمود و ترسانیده شد از عذاب و سخط پس منزجر شد از معصیت و إجابت نمود دعوت را پس رجوع نمود بزبان معذرت، و مراجعه نمود به عقل خود پس توبه کرد از خطیئت و اقتدا نمود بأنبیاء و مرسلین پس تابع شد بسلف صالحین.

و نموده شد به وی آیات قدرت پس معرفت رساند بحقیقت پس سرعت کرد بسوی خیر در حالتی که طالب و راغب بود و نجات یافت از شر در حالتی که گریزان و هارب بود، پس کسب نمود ذخیره را از برای سلوک سبیل رحمان، و پاکیزه نمود باطن خود را از رجس و شرک شیطان، و معمور نمود معاد خود را بصالح اعمال، و پشت قوی کرد بتوشه برداشتن از تقوی و محاسن خصال از برای رحلت خود در دنیا و جهت راه خود به عقبی و برای حال احتیاج خود و موضع درویشی خود و فرستاد پیش از خود توشه طاعت از برای سرای اقامت.

پس پرهیزید از خدا ای بندگان خدا، و قصد نمائید جهت آنچه را که خلق نمود شما را از برای آن که عبارت است از تحصیل معرفت و عبادت با اخلاص نیت، و بترسید از خدا بنهایت آنچه ترسانید شما را از نفس خود و استحقاق پیدا کنید از او آن چیزی را که مهیا کرده است از برای شما با طلب وفا نمودن مر وعده صادق او را و با حذر نمودن از هول معاد او.

و معلوم است که این طلب وفا و این حذر متصور نمی شود مگر با اقبال بطاعات، و با ارتداع از سیئات، اللهم وفقنا بحق محمد سید السادات.

الفصل الخامس

اشاره

جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها، و أبصارا لتجلو عن عشاها، و أشلاء

ص: ۳۹۰

جامعه لأعضائها، ملائمه لأحنائها، فى تركيب صورها، و مدد عمرها، بأبدان قائمه بأرفاقها، و قلوب رائده لأرزاقها، فى مجللات نعمه، و موجبات مننه، و حواجز عافيته، و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم، و خلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم، و مستفسح خناقهم، أرهقتهم المنايا دون الآمال، و شذبهم عنها تخرم الآجال، لم يمهدوا فى سلامه الأبدان، و لم يعتبروا فى أنف الأوان، فهل ينتظر أهل بضاضه الشباب إلا حوانى الهرم، و أهل غضاره الصيحه إلا نوازل السيقم، و أهل مدّه البقاء إلا آونه الفناء مع قرب الزّيال، و أزوف الانتقال، و علز القلق، و ألم المضض، و غصص الجرض، و تلفت الإستغاثه بنصره الحفده و الأقرباء، و الأعزّه و القرناء، فهل دفعت الأقارب؟ أو نفعت النّواحب؟ و قد غودر فى محلّه الأموات رهينا، و فى ضيق المضجع وحيدا، قد هتكت الهوامّ جلده، و أبلت النّواهك جدّته، و عفت العواصف آثاره، و محى الحدثان معالمه، و صارت الأجساد شحبه بعد بضّتها، و العظام نخره بعد قوتها، و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها، موقعه بغيب أنبائها، لا تستزاد من صالح عملها، و لا تستعتب من سيّء زللها، أ و لستم أبناء القوم

و الآباء؟ و إخوانهم و الأقرباء؟ تحتذون أمثلتهم، و تركبون قدّتهم و تطاون جادّتهم، فالقلوب قاسيه عن حظّها، لاهيه عن رشدّها، سالكه فى غير مضمارها، كأنّ المعنّى سواها، و كأنّ الرّشد فى إحراز دنياها.

اللغة

(عنيتّه) عنيا من باب رمى قصدته و عناه الأمر أهمّه و (عشى) عشا من باب تعب ضعف بصره و أبصر نهارا و لم يبصر ليلا فهو أعشا و المرأه عشواء و (الأشلاء) جمع السّلو مثل أحمال و حمل و هو العضو و قال فى القاموس السّلو بالكسر العضو و الجسد من كلّ شىء.

و (الحنو) بالفتح و الكسر كلّ ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج و اللّحى و الضلع و من غيره كالقف و الحقف و كلّ عود معوج فى القتب و الرحل و السّرج و الحنو أيضا الجانب و عن النهايه ملائمته لا حنائها إى معاطفها و (الرّفق) التّفق يقال ارتفعت به اى انتفعت و قال فى القاموس: الرّفق بالكسر ما استعين به، و يروى بارماقها بدل بارفاقها و هو جمع الرmq بقيّه الرّوح.

و (مجلّلات النعم) ما تعم الخلق من جلال الشىء تجليلا أى عم، و منه السحاب المجلّل و هو الذى يجلّل الأرض بماء المطر أى يعمه و فى حديث الكافى و العيون الامام كالشّمس الطالعه المجلّله بنورها للعالم و (المستمتع) اسم مكان من استمتعت بكذا انتفعت به و (الخلاق) بالفتح النّصيب و (المستفسح) محلّ الفسحه و هى السّيعه (و الخناق) ككتاب الجبل الذى يخنق به يقال خنقه يخنقه خنيقا ككتف إذا عصر حلقة حتّى يموت فهو خانق و خناق، و ربّما يطلق الخناق على الحلق يقال اخذه بخناقه و مخنقه أى بحلقه.

و (أرهقت) الشّىء أدركته و أرهقت الرّجل أمرا يتعدّى إلى مفعولين أعجلته و كلفته حملة و (الأنف) بضّمتين أوّل الأمر و (بضض) الرّجل بالفتح و الكسر بضاضه

و بضوضه فهو بضّ أى رخص الجسد رقيق الجلد ممتلى و (الحوانى) جمع الحانيه و هى العله التى تحنى شطاط (١) الجسد و تمنعه عن الاستقامه و (الهرم) محركه أقصى الكبر و (الغضاره) طيب العيش و السّيعه و النّعمه و (الايونه) جمع أوان كأزمه و زمان و (العلز) بالتحريك خفّه و هلع يصيب المريض و الأسير و المحتضر و رجل علز أى هلع لا ينام و (المضض) محرّكه و جمع المصبيه (جرض) بريقه ابتلعه بالجهد على همّ و حزن و أجرضه الله بريقه أغصّه و (التلفت) و الالتفات بمعنى و هو الانصراف يقال التفت إلى التفاتا انصرف بوجهه نحوى و التلفت أكثر منه و (الحفده) الأعوان و الخدم، و قيل أولاد الأولاد.

و النساء (التّواحب) اللّاتى يرفعن أصواتهنّ بالبكاء من النّحب و هو شدّه البكاء و يروى التّوادب بدلها و (غادره) مغادره تركه و بقاءه و (هتك) السّتر و غيره جذبه فقطعه من موضعه و (الهامه) من الحيوان ماله سمّ يقتل كالحيّات و الجمع الهوام كدابه و دواب و ربّما يطلق على ما لا يقتل كالحشرات و (نهكته) الحمى نهكا من باب ضرب هزلته و جهدته و أؤسته (٢) و نهكه السّيلطان بالغ فى عقوبته و التّاهك و النهيك المبالغ فى الأشياء و (الجده) بكسر الجيم مصدر يقال جد يجد من باب ضرب يضرب جده إذا صار جديدا و هو ضدّ البلى و (عفت) بالتخفيف و يروى بالتشديد و (شحب) لونه من باب جمع و نصر و كرم شحوبا و شحوبه تغير من هزال أو جوع أو سفر و (تستعب) بالبناء على المفعول و (القده) بكسر القاف و الدّال المهمله الطريقه و (المعنى) بالتشديد و المعنى و المعناه و المعنيه بمعنى واحد.

الاعراب

لفظه عن فى قوله لتجلو عن عشاها إمّا زايده أو بمعنى بعد كما جوزّه الشّارح المعتزلى مستشهدا بقول الشّاعر لعجب حرب وائل عن حيال اى بعد حيال فيكون قد حذف المفعول و التّقدير لتجلو الاذى بعد عشاها، و الأظهر ما قاله الشارح

ص: ٣٩٣

١- (١) الشطاط كسحاب و كتاب القامه و حسن القوام.

٢- (٢) ضن ضنا من باب رضى مرض مرضا محامرا كلّما ظن ببرئه نكس.

البحراني من أن عن ليست بزايدة لأن الجلاء يستدعي مجلوا و المجلو عنه فذكر المجلو و أقامه مقام المجلو عنه فكانه عليه السلام قال لتجلو عن قواها عشاها، و في تركيب صورها متعلق بملائمه، و قوله: بأبدان متعلق بجعل و الباء للمصاحبه، و الباء في بأرفاقها للصله و على روايه بأرماقها إما للسببيه أو للاستعانه.

و قوله في مجللات نعمه متعلق بمقدّر حال من فاعل جعل أو من ضمير الخطاب في لكم أى جعل لكم الأسماع حالكونكم في مجللات نعمه، و من مستمتع خلاقهم بيان للعبر، و دون في قوله دون الآمال بمعنى عند، و جمله لم يمهّدوا في محلّ النصب على الحال من مفعول أرهقتهم.

فهل ينتظر اه استفهام انكارى توييخى من قبيل قوله سبحانه: أ تعبدون ما تنحتون، و كلمه إلا في المواقع الثلاثه أعنى قوله: إلا حوانى الهرم، و إلا- نوازل السقم، و إلا- آونه الفناء إن كانت للاستثناء فيتوجه عليه أن الاستثناء المفرغ غير جازي في الكلام الموجب، و إن كانت بمعنى غير كما يظهر من شرح البحراني ففيه أن إلا بمعنى غير لا يجوز حذف موصوفها كما يجوز حذف موصوف غير يقال جائنى غير زيد و لا يصح أن يقال جائنى إلا زيد كما صرح به ابن هشام وغيره، و بذلك فرّقوا بين إلا و كلمه غير.

و يمكن توجيهه بأن يقال إن إلا للاستثناء و إن جواز التفريغ هنا لاستقامه المعنى و حصول الفايده كما جوزه في قولهم قرأت إلا يوم كذا معللين بأنه لا يبعد أن يقرأ في جميع الأيام إلا اليوم المعين، فعلى هذا التوجيه يكون المراد بالكلام أنه ينتظر هؤلاء جميع اللذائذ الدنيويّه و الشهوات النفسانيه إلا حوانى الهرم و نوازل السقم فافهم.

و الباء في قوله بنصره الحفده، متعلق بالاستغاثه، و قوله فهل دفعت الأقارب استفهام انكارى إبطالى على حدّ قوله أفأصفاكم ربكم بالبنين، و قوله و قد غودر في محلّ النصب على الحال و العامل نفعت، و كذلك رهينا و وحيدا منتصبان على الحال و العامل غودر، و هكذا جمله قد هتكت و أبلت و عفت و محى اه، و قوله: و صارت عطف

على غودر، و جملة لا تستزاد و لا تستعتب في محلّ النّصب أيضا على الحالیه، و قوله أ و لستم استفهام تقريری.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ صدر هذا الفصل تذكير لعباد الله بضروب نعم الله سبحانه و مثته عليهم و تنبيه على الغايه من تلك النعم، و ذيله مسوغ لبيان حال السّلف ليعتبر به الخلف فقوله عليه السّلام (جعل لكم أسماعا لتعنى ما عناها و أبصارا لتجلو عن عشاها) إشاره إلى النعمتين العظيمتين اللتين أعطاهما الله سبحانه لخلقه مع الاشاره إلى ما هو الغرض منهما.

فالمقصود أنّه سبحانه خلق لانتفاعكم قوّه سامعه لتحفظ ما أهمّها و قوّه باصره لتجلو العشا عن الابصار، فعلى هذا يكون قوله و أبصارا اه من باب الاستخدام حيث اريد بالابصار القوّه و بضمير عشاها الراجع إليه العضو المحسوس المخلوق من الشّحم المركب من السّواد و البياض، فبتلك القوه حصل له الادراك و الابصار بعد ما لم يكن فى نفسه مبصرا مدركا فكانت جلاء عن عشاها.

و يوضح ذلك ما رواه فى البحار من المناقب لابن شهر آشوب مما أجاب الرضا عليه السّلام بحضره المأمون لضباع بن نصر الهندى و عمران الصّياهى عن مسائلهما قال عمران: العين نور مركبه أم الرّوح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السّلام: العين شحمه و هو البياض و السّواد و النّظر للرّوح دليله إنك تنظر فيه و ترى صورتك فى وسطه و الانسان لا يرى صورته إلّا فى ماء أو مرآه و ما اشبه ذلك.

قال ضباع إذا عميت العين كيف صارت الرّوح قائمه و النظر ذاهب؟ قال عليه السّلام كالشّمس طالعه يغشاها الظلام، قال: أين تذهب الرّوح؟ قال عليه السّلام، أين يذهب الضوء الطالع من الكوه فى البيت إذا سدّت الكوه، قال: أوضح لنا ذلك، قال عليه السّلام الرّوح مسكنها فى الدّماغ و شعاعها منبثّ فى الجسد بمنزله الشمس دارتها(1) فى السّماء

ص: ٣٩٥

١- (١) قال فى القاموس الدار المحلّ يجمع البناء و العرصه كالداره و فى المصباح الداره داره القمر و غيره سمّيت بذلك لاستدارتها منه.

و شعاعها منبسط على الأرض فاذا غابت الدّاره فلا شمس و إذا قطعت الرّاس(١) فلا روح.

فإنّ غرض السّائل أنّ المدرك هو العضو أم الرّوح تبصر الأشياء و هذا منظره، فاختار عليه السّلام الثّاني و علله بأنّ العضو مثل ساير الأجسام الصّقيه يرى فيها الوجه كالماء و المرآه فكما أنّها ليست مدركه لما ينطبع فيها فكذا العين و غيرها من المشاعر هذا.

و قد اشير إلى منافع السمع و البصر و بعض حكمهما في حديث المفضل المعروف عن الصادق عليه السّلام حيث قال:

انظر يا مفضل إلى هذه الحواس الخمس التي خصّ بها الانسان في خلقه و شرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرّأس كالمصابيح فوق المناره ليتمكّن من مطالعه الأشياء و لم تجعل في الأعضاء التي تحتهنّ كاليدّين و الرّجلين فتعرضها الآفات و يصيبها من مباشره العمل و الحرّكه ما يعلّلها و يؤثّر فيها و ينقص منها، و لا في الأعضاء التي وسط البدن كالבطن و الظهر فيعسر تقلّبها و اطلاعها نحو الأشياء.

فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرّأس أسنى المواضع للحواسّ و هو بمنزله الصّومعه لها، فجعل الحواسّ خمساً تلقى خمساً لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان و لم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعه.

و خلق السّمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب و كذلك ساير الحواسّ. ثمّ يرجع هذا متكافئاً فلو كان بصر و لم يكن الألوان لما كان للبصر معنى، و لو كان سمع و لم يكن أصوات لم يكن للسّمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضاً فجعل لكلّ حاسه محسوساً يعمل فيه و لكلّ محسوس حاسه تدركه.

ص: ٣٩٦

١- (١) الرّأس مذكور و تأنيث الفعل كانه لاشتماله على الاعضاء الكثيره ان لم يكن من تحريف النساخ، بحار.

و مع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطه بين الحواس و المحسوسات لا- يتمّ الحواسّ إلّا بها كمثّل الضياء و الهواء فإنّه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون، و لو لم يكن هواء يؤدّي الصّوت إلى السّمع لم يكن يدرك الصوت فهل يخفى على من صَحّ نظره و اعمل فكره أنّ مثل هذا الذى وصفت من تهيه الحواس و المحسوسات بعضها يلقي بعضا و تهيه أشياء اخر بها يتمّ الحواسّ لا يكون إلّا بعمد و تقدير من لطيف خبير؟ فكّر يا مفضل فيمن عدم البصر من النّاس و ما يناله من الخلل فى اموره فإنّه لا- يعرف موضع قدمه و لا يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان و بين المنظر الحسن و القبيح فلا يرى حفره إن هجم عليها و لا- عدوّا إن هوى إليه بسيف، و لا- يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئا من هذه الصّيناعات مثل الكتابه و التّجاره و الصّياغه حتّى أنّه لو لا نفاذ ذهنه لكان كالحجر الملقى.

و كذلك من عدم السّمع يختلّ فى امور كثيره فإنّه يفقد روح المخاطبه و المحاوره و يعدم لذّه الأصوات و اللحن الشّجيه المطربه، و تعظم المؤنه على النّاس فى محاورته حتّى تبرّموا به و لا يسمع شيئا من اخبار النّاس و أحاديثهم حتّى يكون كالغائب و هو شاهد و كالميت و هو حيّ.

و قوله (و أشلاء جامعه لأعضائها) الظاهر أنّ المراد بالشّلوا هنا العضو و ليس كناية عن الجسد كما زعمه البحرانى إذا لأبدان المذكوره بعد ذلك فيلزم التكرار مع أنّ اراده الجسد على تقدير صحتّها لا حاجه فيها إلى الكنايه لما قد عرفت من اشتراكه لغه بين الجسد و العضو.

فان قلت: إرادته العضو ينافيها قوله عليه السّلام جامعه لأعضائها، إذ الشّيء لا يجمع نفسه.

قلت: يمكن توجيهه بما وجّهه الشّارح المعتزلى من جعل المراد بالأشلاء الأعضاء الظاهره و بالأعضاء الأعضاء الباطنه و لا ريب أنّ الأعضاء الظاهره تجمع الأعضاء الباطنه (ملائمه لأحنائها فى تركيب صورها و مدد عمرها) أى جعل الأعضاء مناسبه

موافقه للجهاات و الجوااب الاء جعلاء فاء ملاءمه لها فى صورها التركيباء.

مألا جعل الاءاء فى الاءاء و الاءار أناب من كوناها فى الرأس، و كون العناء فى الرأس أوالى من كوناها فى الظهر أو البان و كالألك كون آاب الأنف فى أسفله أناب و أحسن من كونه فى أعلاه، و كون المأانه و المعاء فى أسافل البان ألق و هأا و قا مآر حكمه بعض ألك فى روااه المفضأل و ساعرف البعض فى الأابراه الآاء مضافا إلى الحسن و البهجه و الالاءام و المنااسبه المأرره فى هاءه الصوار المأعولة ألا ترى أن من لم يكن له أابب فوق عناه أو سقاأ الأشفار من طرف عناه كفاء يكون قابأ الصوره كراه المنظر، و هأا سااا الأأضاء، هأا كله لو كان الأنافى كلامه بمعنا الأابب و البهه، و لو جعلناه بمعنا العاضو المأعوج فىكون المراد أنه اعالى جعل الأأضاء المسأاقمه من البان ملاءمه للأأضاء المأعوجه فى صورها المراكبه فلاأا ىناسب المسأاقمه موضع المأعوجه و لاأا المأعوجه موضع المسأاقمه و لاأا ىصاام حسن الاسأاقماه للأعوجاا و لا الاعوجاا للأسأاقماه، اذ كل منهما فى موقعاها حسن و أحسن فآبارك الله أحسن الأالقاء.

و أمأ قوله عناه السلام: و مaa عمرها، فالظاهر أنه أراد به أن الله جعل مaa عمر كل من الأأضاء ملاءمه للأأر مقارناه له بأا لا ىفنى بعض الأأضاء قبل فناء الأأر فىكون الكلام مأمولا على الغالب فافهم.

و قوله عناه السلام (بأباان قائمه بأرفاقها و قلوب رائاه لأرزاها) أى قائمه بمصالها و منافعا أو أن قوامها باسأاعانه أرواها على الرأواه الاأرى السالفه فى بباا اللغة و قلوب طالبه لأرزاها أالبه لها إلبها.

و الضمرا فى أرزاها ىأماا رجوعه إلى الأباان و رجوعه إلى نفس القلوب، و على الأوال فالمراد بالرزق الرزق الأسمانى، و على الأانى فالمراد به الرزق الرأوانى أعنا العلوم الأقه و المعارف الشرعاه و العقائا الالهائاه المأوجه للساعاه فى الأارنا، و المأصله للأره فى الأأائنا، فان القلب هو الطالب الأالب لألك الأرزاق إلى نفسها كما أنه هو الطالب الأالب للأرزاق إلى البان و لو بأوسط الآلاا الباءائاه.

إذ هو العالم بالله، و هو المتقرب إلى الله، و هو المحصل لرضوان الله، و هو الساعي إلى الله، و هو المكاشف بما عند الله، و هو في الحقيقة سلطان مملكه البدن يستخدم الآلات و الجوارح يأمرها و ينهيها و يستعملها استعمال المالك لعبده و السلطان لرعيته، و تحقيق ذلك موقوف على شرح حال القلب و معرفه عجائب صفاته.

فأقول: إنَّ القلب كما حَقَّقه الغزالي يطلق على معنيين:

أحدهما اللحم الصِّنوبري الشَّكل المودع في الجانب الأيسر من الصِّدر، و هو لحم مخصوص و في باطنه تجويف و في ذلك التجويف دم أسود هو منبع الرُّوح و معدنه، و هو بهذا المعنى موجود للانسان و الحيوان و الحَيِّ و المَيِّت، و مرئى بحسِّ العيان و يدركه الحيوان بحاسِّه البصر كما يدركه الانسان و لا يتعلَّق به غرضنا في المقام.

الثَّاني هو جوهره لطيفه ربَّانيه نورانيه روحانيه لها تعلُّق بالقلب الجسماني الذي ذكرناه و هي حقيقة الانسان و بها تمامه و كماله و هو المدرك العالم العارف و هو المخاطب و المطالب، و له جنود و أعوان و أنصار فمن تلك الجنود ما يرى بالأبصار كالأعضاء الظاهره من اليد و الرِّجل و العين و الاذن و اللسان و نحوها، و ما لا يرى بالابصار كالحواس الباطنه و الشَّهوه و الغضب و نحوها، فجميعها خادمه للقلب منقاد له حكمه مسخَّره له و قد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا و لا عليه تمرّدا.

فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت و بالانطباق انطبقت و الرِّجل بالحركة تحرّكت و بالسَّكون امتثلت و اللسان بالكلام تكلم و بالسَّكوت أمسك، و كذا ساير الأعضاء.

و إنّما افتقر إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب و الزَّاد لسفره الذي يجب له سلوكه و لأجل مسيره خلق، و هو السَّفر إلى الله و قطع المنازل إلى لقائه و مركبه البدن و زاده المعرفه و الأسباب التي توصله إلى الزَّاد و تمكّنه من التَّروّد هو العمل الصالح.

فليس يمكن العبد أن يصل إلى الله ما لم يسكن البدن و لم يجاوز الدنيا، فإنّ المنزل الأدنى لا بدّ من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى، فالدنيا مزرعه الآخرة و هي منزل من منازل الهدى و إنّما سمّيت الدنيا لكونها أدنى المنزلتين فاضطرّ إلى أن يتزوّد من هذا العالم.

فالبدن مركبه الذى يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهّد البدن و حفظه و إنّما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء و يطلب له ما يناسبه من الرّزق و أن يدفع عنه ما ينافيه و يضارّه من أسباب الهلاك، فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن و هو الشّهوه، و ظاهر و هو الأعضاء الجالبه للغذا من اليد و نحوها.

فخلق فى القلب من الشّهوات ما كان محتاجا إليه و خلقت الأعضاء لكونها آله للشّهوه و افتقر لأجل دفع المضارّ و المهلكات أيضا إلى جندين: باطن و هو الغضب الذى به يدفع المهلكات و ينتقم من الأعداء و ظاهر و هو الجوارح التى بها يعمل بمقتضى الغضب من اليد و الرّجل و نحوهما.

ثمّ المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم يحصل له شهوه الغذاء فافتقر للمعرفه إلى جندين، باطن و هو إدراك السّمع و البصر و الشّم و اللمس و الدّوق، و ظاهر و هو العين و الأذن و الأنف و غيرها.

فجمله جنود القلب منحصره فى ثلاثه أصناف: صنف باعث و مستحثّ إمّا إلى جلب النّافع الموافق كالشّهوه، و إمّا إلى دفع الضار المنافى كالغضب، و قد يعبر عن هذا الباعث بالاراده، و الصّنف الثّانى هو المحرّك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد و يعبر عنه بالقدره و هي مبنوّه فى سائر الأعضاء لا سيّما العضلات منها و الأوتار، و الصّنف الثّالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس و هي قوّه البصر و السّمع و الشّم و الدّوق و اللمس المبنوّه فى الأعضاء المعينه و قوّه التخيل و التّحفظ و التفكير و نحوها المودعه فى تجاويف الدّماغ.

و هذه كلّها ممّا قد أنعم الله بها على سائر أصناف الحيوان سوى الآدمى إذ

للحيوان أيضا الشَّهوه والغضب و الحواس الظاهره و الباطنه فكلاهما شريكان فيها و إنّما اختصّ الانسان بما لأجله عظم شرفه و علا قدره و استأهل القرب.

و هو راجع إلى علم و إرادته أمّا العلم فهو العلم بالامور الدنيويّه و الاخرويّه و الحقائق العقليه و هذه امور وراء المحسوسات و لا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكليّه الضروريّه من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأنّ الشَّخص الواحد لا يتصوّر أن يكون في مكانين في حاله واحده، و هذا حكم منه على كلّ شخص و معلوم أنّه لم يدرك بالحسّ إلّا بعض الأشخاص فحكمه على الجميع زايد على ما أدركه الحسّ، و إذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر.

و أمّا الاراده فأنّه إذا أدرك بالعقل عاقبه الأمر وجهه المصلحه فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهه المصلحه و إلى تعاطى أسبابها و الاراده لها، و ذلك غير إرادته الشَّهوه و إرادته الحيوانات، بل ربّما يكون على ضدّ الشَّهوه.

ألا ترى أنّ الشَّهوه تنفر عن الفصد و الحجامه، و العقل يريدّها و يطلبها و يبذل لها المال، و الشَّهوه تميل حين المرض إلى لذايز الأَطعمه و العقل يردعها عنها، و لو خلق الله العقل العارف بعواقب الامور و لم يخلق هذا الباعث المحرّك للأعضاء على العمل بمقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق.

فاذا اختصّ قلب الانسان بعلم و اراده يمتاز بهما من سائر الحيوان، و من هذه الجمله ظهر أن خاصيّه الانسان العلم و الحكمه، و للعلم مراتب و درجات لا تحصى من حيث كثره المعلومات و قلّتها و شرف المعلوم و خسّيته، و من حيث إنّ حصوله قد يكون بالهام ربّانّي على سبيل المكاشفه كما للأنبيا و الأولياء و قد يكون بطريق الكسب و الاستدلال، و فى الكسب أيضا قد يكون سريع الحصول و قد يكون بطيء الحصول.

و فى هذا المقام تتباين منازل العلماء و الحكماء و الأولياء و الأنبياء، فدرجات الترقى غير محصوره إذ معلومات الله سبحانه غير متناهيه و مراقى هذه الدّرجات

هى منازل السَّائرين إلى الله و لا- حصر لتلك المنازل و إنما يعرف كلَّ سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه فيعرفه و يعرف ما خلقه من المنازل.

و أمّا ما بين يديه فلا- يحيط به علما كما لا- يعرف الجنين حال الطفل، و لا الطفل حال المميّز و لا المميّز حال المراهق، و لا المراهق حال العاقل و ما اكتسبه من العلوم النَّظريه، فكذا لا- يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه و أنبيائه من مزايا لطفه و رحمته «ما يفتح الله للنَّاس من رحمه فلا ممسك لها» و هذه الرُّحمة مبدوله بحكم الجود و الكرم من الله سبحانه غير مضمون بها على أحد و لكن إنما تظهر فى القلوب المتعرضه لنفحات الرُّحمة كما قال صلى الله عليه و آله و سلّم:

إنَّ لِرُبِّكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرّضوها، و التعرّض لها إنما هو بتطهير القلب و تزكيتة من الكدر و الخبث الحاصلين من الأخلاق المذمومه.

فظهر بذلك معنى تمام الانسان و كماله و خاصّته التى بها امتاز عن سائر أفراد الحيوان و تحقّق أنّ البدن مركب للقلب، و القلب محلّ للعلم، و العلم هو مقصود الانسان و أنّ العلم و المعرفة هو الذى خلق الانسان لأجله كما قال:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ».

أى ليعرفون كما ظهر لك معنى رزق البدن و زاد القلب، و اتّضح أنّ القلب هو الطالب الجالب للرّزق و الزاد لاصلاح المعاش و المعاد.

و قوله عليه السّلام (فى مجلّلات نعمه و موجبات مننه) العطف بمنزله التّفسير يعنى أنكم متنعمون بنعمه العامه الشّامله و آلائه التّيامه الكامله الموجهه لمُنّته سبحانه عليكم فالمراد بمجلّلات النّعم ما أنعم بها على جميع الموجودات و المخلوقات بمقتضى رحمته الرّحمانيه كما قال سبحانه: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى».

و بموجبات المنن أنّ تلك النّعم موجهه لمنه الله سبحانه عليهم فلا بدّ أن يقوم العبد بلوازم الشّكر و الامتنان، و لا يقابل بالطغيان و الكفران، و أعظم ما منّ الله به على عباده أن هداهم للاسلام و الايمان و أرشدهم إلى سلوك سبيل الجنان و بعث فيهم

رسولا يدلّهم على الهدى و ينجيهم من الردى كما قال تعالى:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

و قوله (و حواجز عافيته) قال الشّارح المعتزلى: أى فى عافيه تحجز و تمنع عنكم المضار.

أقول: و هو مبنى على كون الاضافه من قبيل إضافه الصّيفه إلى الموصوف، و الأظهر الأقوى أنّ الاضافه لاميّه، و المراد الموانع التى تمنع العافيه عن الزّوال و العدم، و تكون عائقه عن طريان المضارّ و الآلام و عروض الأوجاع و الأسقام على الأبدان و الأجسام، و على أى تقدير فالمراد بها نعمه الصّححه و السّلامه التى هى من أعظم نعم الله سبحانه، بل هى رأس كلّ نعمه و بها يدرك كلّ لذّه و بهجه.

ثمّ قال (و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم) و هذا أيضا من أعظم ما أنعم الله تعالى به على خلقه إذ فى إظهار مدّه العمر عليهم مفسد لا تحصي كما أنّ فى إخفائها منافع جاوزت حدّ الاستقصاء كما أشار إليها سادس الأئمه و صادق الامّه أبو عبد الله جعفر بن محمّد سلام الله عليهما و على آبائهما و أولادهما الطّيبين الطاهرين حيث قال فى حديث المفضّل: تأمل الآن يا مفضّل ما ستر عن الانسان علمه من مدّه حياته، فإنّه لو عرف مقدار عمره و كان قصيرا لم يتهنّأ بالعيش مع ترقّب الموت و توقّعه لوقت قد أعرفه، بل كان يكون بمنزله من قد فنى ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر و الوجل من فناء ماله و خوف الفقر على أنّ الذى يدخل على الانسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه من فناء المال لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك و من أيقن بفناء العمر استحکم عليه اليأس.

و إن كان طويل العمر ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء و انهمك فى اللذات و المعاصى و عمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب فى آخر عمره و هذا مذهب لا يرضاه

اللّٰه من عباده ولا يقبله ألا ترى لو أنّ عبدا لك عمل على أنّه يسخطك سنه و يرضيك يوما أو شهرا لم تقبل ذلك منه و لم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضمّر طاعتك و نصحك في كلّ الامور في كلّ الأوقات على تصرّف الحالات.

فان قلت: أو ليس قد يقيم الانسان على المعصيه حيناً ثمّ يتوب قبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلك شيء يكون من الانسان لغلبه الشهوات له و تركه و تركه مخالفتها من غير أن يقدره في نفسه و يبنى عليه أمره فيصفح الله عنه و يتفضّل عليه بالمغفره.

فأمّا من قدر أمره على أن يعصى ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلك فأمّا يحاول خديعا من لا يخادع^(١) أن يتسلّف التلذذ في العاجل و يعد و يمّن نفسه التّوبه في الآجل و لأنّه لا يفى بما يعد من ذلك، فإنّ النزوع من الترفّه و التلذذ و معاناه^(٢) التّوبه و لا سيما عند الكبر و ضعف البدن أمر صعب و لا يؤمن على الانسان مع مدافعه التّوبه أن يرهقه الموت فيخرج من الدّنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين و قد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتّى يحلّ الأجل و قد نفذ المال فيبقى الدّين قائما عليه.

فكان خير الأشياء للانسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقّب الموت فيترك المعاصي و يؤثر العمل الصّالح.

فان قلت: و ما هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته و صار يترقّب الموت في كلّ ساعه يقارف الفواحش و ينتهك المحارم.

قلنا: إنّ وجه التّديير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه، فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوى و لا ينصرف عن المساوى فأمّا ذلك من مرجه و من قساوه لا من خطأ في التّديير كما أنّ الطيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفا لقول الطيب لا يعمل بما أمره و لا ينتهى عمّا ينهاه عنه و لم ينتفع بصفته لم يكن

ص: ٤٠٤

١- (١) اى الله سبحانه م.

٢- (٢) اى مشقتها.

الاسائه فى ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه.

و لئن كان الانسان مع ترقبه الموت كل ساعه لا يمتنع عن المعاصى فانه لو وثق بطول البقاء كان اخرى أن يخرج إلى الكبار الفظيحه فترقب الموت على كل حال خير له من الثقه بالبقاء.

و إن كان صنف من الناس ينهاون عنه و لا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم و ينزعون عن المعاصى و يؤثرون العمل الصالح و يجودون بالأموال و العقائل النفيسه و الصدقه على الفقراء و المساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصله ليضيع أولئك حظهم.

و بالجملة فقد وضح، و اتضح كل الوضوح أن سترمدد الأعمار عن الخلق من جلايل النعم و أعظم ما من الله سبحانه به عليهم.

و مثله نعمه اخرى هى أيضا من أسبغ الآلاء و أسنى النعماء من حيث كونها موجهة للتجافى عن دار الغرور جاذبه إلى دار السرور باعته على السعادة الأبدية موقعه فى العناية السيرمدية (و) هى أنه سبحانه (خلف لكم عبرا) تعتبرون بها و أبقى آثارا تتذكرون منها (من آثار الماضين قبلكم) من الأهلين و الأقربين و الأولين و الآخرين و ممن كان أطول منكم أعمارا و أشد بطشا و أعمار ديارا (من مستمتع خلّاقهم و مستفسح خناقهم) أى الدنيا التى كانت محل استمتاعهم بخلاقهم و انتفاعهم بحظوظهم و انصباهم و محل الفسحه لأعناقهم من ضيق حبال الموت و دار امهالهم من انشاب مخالبا الفناء و الفت.

فأنتم فيها «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» (١) «أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (٢) (أرهقتهم المنايا دون الآمال و شذبهم عنها تخزم الآجال) أى اخترمتهم أيدي المنون (٣) من قرون بعد

ص: ٤٠٥

١- (١) أى كالخوض الذى خاضوه.

٢- (٢) اقتباس من الآية فى سورة التوبة.

٣- (٣) المنون المنيه لانها تقطع المدد قال الفراء المنون مؤنثه و تكون واحدا و جمعا.

قرون فحالت بينهم و بين الآمال و فرقتهم من الأولاد و الأموال:

تخرّمهم ريب المنون(١) فلم تكن لتنفعهم جئاتهم و الحداثق(٢)

و لا حملتهم حين ولّوا بجمعهم نجائبهم و الصّافنات السّوابق

و زاحوا(٣) عن الأموال صفرا و خلّفوا ذخايرهم بالرّغم منهم و فارقوا

(لم يمهّدوا فى سلامه الأبدان و لم يعتبروا فى انف الأوان) أى لم يهيئوا فى حال الصّحّحه و السّلامه ليوم المعاد و لم يعتبروا فى أوّل الأزمنه بالعبر النّافعه بل الكلّ مال عنها و حاد، فالشّباب للههم و الصّحه للسّقم و الوجود للعدم بذلك جرى فى اللوح القلم.

(فهل ينتظر أهل بضاضه الشّباب إلّا حوانى الههم، و أهل غضاره الصّحّحه إلّا نوازل السّقم، و أهل مدّه البقاء إلّا آونه الفناء) و العدم استفهام على سبيل الانكار و التّوبيخ عما ينتظر الشّبان النّاعمه الجسد الرّقيقه الجلد غير حوانى الههم التى تحنى ظهورهم و عما ينتظر أهل النعمه و الصّحّحه غير نوازل السّقم التى تنزل عليهم و عما ينتظر المعمرين بطول أعمارهم غير الفناء و العدم الذى يفنيهم.

و إنّما و بخّهم على ذلك لأنّ من كان مصير أمره إلى الههم و السّقم و الفناء و الزّوال ينبغى أن يأخذ العده و الذّخير له نفسه و ينتظر ما يصير أمره إليه و يراقبه و لا يشتغل بغيره.

فهؤلاء لما قصرّوا همهم فى غير ذلك و أوقعوا أنفسهم فى مطارح المهالك

ص: ٤٠٦

١- (١) ريب المنون حدثاته.

٢- (٢) اعلم أنّ هذا البيت و ساير الأبيات التى أنشدناها فى شرح هذا الفصل و هكذا بعض الفقرات التى أوردناها مأخوذه من مناجاه الامام زين العابدين علىّ بن الحسين (عليهما السلام) و ندبته التى رواها أبو عيينه الزهرى، و انما اقتبسنا كل ذلك من كلامه لأنّ كلام المعصوم يصدق بعضه بعضا، و الله الهادى الى سواء السبيل منه.

٣- (٣) أى زالوا.

و بَخْهِم عَلَيْهِ السَّلام بِذَلِكَ و أَكَّـدَ بِقَوْلِهِ (مَعَ قَرَبِ الزِّيَالِ) و ازوفه (و ازوف الانتقال) و قَرِبَهُ (و علز القلق) و هَلَعَهُ (و أَلَمَ المَضَضُ) و وَجَعَهُ (و غَصَصَ الجَرَضُ) و شَجَاهُ (و تَلَفَتِ الاسْتِغَاثَةُ بِنَصْرِهِ الحَفْدَةَ و الأَقْرَبَاءَ و الأَعَزَّةَ و القَرَنَاءَ) أَرَادَ أَنَّهُمْ فِي حَالِ سَكْرَاتِ المَوْتِ يَلْتَفِتُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ و أولادهم و يَقْلَبُونَ وُجُوهَهُمْ ذَاتَ الِیْمِینِ و ذَاتَ الشَّمالِ إِلَى أَحَبَّتِهِمْ و عَوَادِهِمْ یَسْتَغِیثُونَهُمْ و یَسْتَنْصِرُونَهُمْ فَلَا یَقْدِرُونَ عَلَى النِّصْرَةِ و الاِغَاثَةِ و یَسْتَعِیْنُونَهُمْ و یَسْتَنْجِدُونَهُمْ فَلَا یَسْتَطِیعُونَ الْاِنْجَادَ و الْاِعَانَةَ:

أَحَاطَتْ بِهِ آفَاتُهُ وَ هُمُومُهُ وَ أَبْلَسَ (١) لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَاذِرُ

فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كَرْبِهِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَ لَيْسَ لَهُ مِمَّا يَحَاضِرُ نَاصِرٌ

وَ قَدْ حَشَاتْ خَوْفِ الْمَنِيَةِ نَفْسَهُ تَرَدَّدَهَا دُونَ اللَّهَاهِ الْحَنَاجِرِ

(فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ) أَوْ انْتَفَعَ بِسُلْطَانِهِ أَوْ ذَبَّ الْمَوْتَ عَنْهُ جُنُودُهُ وَ أَعْوَانُهُ.

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمَتِيَّةَ إِذْ أَتَتْ مَبَادِرَهُ تَهْوَى إِلَيْهِ الذَّخَايِرُ (٢)

وَ لَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحَصُونِ الَّتِي بَنَى وَ حَفَّ بِهَا أَنْهَارُهَا وَ الدَّسَاكِرُ (٣)

وَ لَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَتِيَّةَ خَيْلُهُ وَ لَا طَمَعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ

(وَ قَدْ غَوَدَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا وَ فِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا) وَ التَّحَقُّقُ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِهِ وَ مَنْ وَارَثَهُ الْأَرْضُ مِنَ الْآفَةِ.

وَ أَضْحَوْا رَمِيمًا فِي التُّرَابِ وَ أَقْفَرَتْ (٤) مَجَالِسُ مِنْهُمْ عَطَلَتْ وَ مَقَاصِرُ (٥)

ص: ٤٠٧

١- (١) وَ الْاِبْلَاسُ الْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ مِنْهُ سَمِيَ ابْلِيسُ وَ الْاِبْلَاسُ اَيْضًا الْاِنْكَسَارُ وَ الْحُزْنُ وَ الْمَعَاذِرُ جَمْعُ الْمَعْذَرَةِ وَ جَشَاتْ نَفْسُهُ اِنْهَضَتْ وَ جَاشَتْ النَفْسُ اِرْتَفَعَتْ مِنْ حُزْنٍ أَوْ فُزِعَ وَ اللَّهَاتُ الْهَنَةُ الْمَطْبَقَةُ فِي أَعْلَى سَقْفِ الْفَمِ وَ الْحَنْجَرَةُ الْحَلْقُومُ مِنْهُ م.

٢- (٢) فاعل صرفت

٣- (٣) الدسكرة القرية و الصومعة و الارض المستوية و بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب و الملاهي و الجمع دساكر ق

٤- (٤) اى خلت

٥- (٥) لعلّه جمع المقصوره هي الدار الواسعه

و حلّوا بدار لا تراور بينهم و أنّى لسكان القبور التّراور

فما أن ترى إلّا جثى (١) قد ثووا بها (٢) مسنّمه (٣) تسفى عليه الأعاصر (٤)

(قد هتكت الهوام جلدته و ابلت النّواهك جدته) أى قطع هوام الأرض جلدته و صار طعمه للعقارب و الحيات و الحشرات الموزيات و اخلقت مبالغات الدّهر التى أجهدته و أضنته و هزلته جدته و نضره شبابه، فصار خلقا باليا بعد ما كان جديد اغضيفا طريا بمصائب الدّهر و نوائبه و أوصابه و أتعابه (و عفت) الرّياح (العواصف آثاره و محى) النوائب و (الحدثان معالمه) فلم يبق فى وجه الارض منه خبر و لا عن قبره عين و لا أثر، حيث فقدته العيون و توالى عليه السّينون (و صارت الأجساد شحبه) متغيره هزله (بعد بضّتها) و نعومتها و امتلائها (و العظام نخره) باليه متفتته (بعد قوتها) و شدّتها (و الأرواح مرتهنه) مقبوضه (بثقل أعمالها) و أحمالها كما قال تعالى:

«كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ».

أى محبوس بعمله حتّى يعامل بما يستحقّه و يجازى بما عمله إن عمل طاعة ائيب و إن عمل معصيه عوقب، و فى سورة المدّثر «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ» قال الطبرسى: أى مرهونه بعملها محبوسه به مطالبه بما كسبته من طاعة أو معصيه، فالزّهن أخذ الشّىء بأمر على أن لا يرد إلّا بالخروج منه فكذلك هؤلاء الضّلال قد اخذوا برهن لافكاك له، و الكسب هو كلّ ما يجتلب به نفع أو يدفع به

ص: ٤٠٨

١- (١) جمع جثوه أى تربه مجموعه، لغه

٢- (٢) أى أقاموا

٣- (٣) أى مرتفعه و منه قبر مسنّم

٤- (٤) هى ریح تثير الغبار يرتفع الى السماء كأنه عمود.

ضرر و يدخل فيه الفعل و الا يفعل.

ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال: إلا أصحاب اليمين، و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم قال الباقر عليه السلام: نحن و شيعتنا أصحاب اليمين، و قوله (موقته بغيب أنبائها) أى متيقنه بالأخبار الغيبية التى أخبر بها الرّسل و أنبأ بها الكتب من أخبار القيامة من البرزخ و البعث و الحساب و الكتاب و الجنّة و النار و ساير ما كانت غايبه عنه مخفيه له حتّى رآها بحسّ العين فحصل له اليقين بعد ما كانت منها فى ريب و ظنّ، كما قال تعالى:

«وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَ مَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ».

و قال سبحانه حكاية عن الكفار و المجرمين:

«قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَ كُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَ كُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ».

أى كنّا نكذب يوم الجزاء حتّى جاءنا العلم اليقين بأنّ عايّناه، و قال سبحانه فى حقّ المتّقين:

«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ».

قال الطبرسى و إنّما خصّهم بالأيقان بالآخرة و إن كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها و جحدتهم ايّاها فى نحو ما حكى عنهم فى قوله «وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا».

فكان في تخصيصهم بذلك مدح عظيم (لا تستراد من صالح عملها و لا تستعتب من سيئ زللها) أى لا يطلب منها زياده في العمل الصالح و لا يطلب منها التوبه من العمل القبيح كما كان يطلب ذلك منها في الدنيا و ذلك لأنّ التكليف و العمل إنّما هو في الدنيا و الآخره دار الجزاء لا تكليف فيها كما قال تعالى في سورة الجاثيه:

«فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ».

أى لا يخرجون من النار و لا يطلب منهم الاعتاب و الاعتذار لما قلناه من أنّ التكليف قد زال، و في سورة الزوم:

«فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرُتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ».

و كما أنّهم لا يطلب منهم التوبه و المعذره فكذلك لا ينفعهم الاعتذار و الانابه كما قال سبحانه:

«فَإِنْ يَصْضِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ».

أى إن يطلبوا إزاله اللوم و العقوبه و يسألوا رضا الله عنهم فليس لهم طريق إلى الاعتاب و لا لهم نجاه من العقاب.

بلى أوردته(١) بعد عزّ و منعه موارد سوء ما لهم مصادر

فلما رأى أن لا نجاه و أنّه هو الموت لا ينجيه منه الموازر(٢)

تندّم لو يغنيه طول ندامه عليه و أبكته الذنوب الكبائر

وَ «قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

(أ و لستم أبناء القوم) الذين وصفنا حالهم و شرحنا مالهم (و الآباء و إخوانهم و الأقرباء) و أمثالهم.

ص: ٤١٠

١- (١) أى أوردته الدنيا

٢- (٢) الموازر: الناصر

فهم فى بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال(١) دواثر(٢)

خلت دورهم منهم و أقوت عراضهم و ساقتهم نحو المنايا المقادر

و خلّوا عن الدّنيا و ما جمعوا لها و ضمّنهم تحت التراب الحفاير(٣)

فلکم اليوم بالقوم اعتبار، و سوف تحلّون مثلهم دار البوار، فالبدار البدار و الحذار الحذار من الدّنيا و مكايدها و ما نصبت لكم من مصايدها، و تجلّى لكم من زينتها و استشرف لكم من فتنها

و فى دون ما عاينت من فجعاتها إلى رفضها داع و بالزّهد أمر

فجدّ و لا تغفل فعيشك زائلو أنت إلى دار المتيه صائر

فهل يحرص عليها لبيب، أو يسرّ بلدّتها أريب، و هو على ثقه من فنائها و غير طامع فى بقائها، أم كيف تنام عين من يخشى البيات أو تسكن نفس من يتوقّع الممات أم كيف (تحتذون أمثلتهم و تركبون قدتهم و تطئون جادّتهم) تفعلون مثل أفعالهم و تقتفون آثارهم و تسلكون مسالكهم و تقولون: «إنّا وجدنا آبائنا على أمّه و إنّا على آثارهم مقتدون» (فالقلوب قاسيه عن حظّها) جافيه عن إدراك نصيبها الذى ينبغى لها إدراكه (لاهيّه عن رشدّها) غافله عن طلب هدايتها (سالكه فى غير مضمارها) الذى يلزم عليها سلوكه.

يعنى أنّ اللازم على القلوب تحصيل المعارف اليقيتيّه و العقائد الحقّه و التفكّر فى آثار الجبروت و القدره و الاتعاظ بالحكم و الموعظه الحسنه فهى لقسوتها و جفاوتها بكثرة الدّنوب التى اقترفتها لم يبق لها قابليّه و استعداد لادراك حظّها و نصيبها الذى ذكرناه و غفلت عن الاهتداء بالأنوار الالهيه و سلكت فى غير جادّه الشريعه (كأنّ المعنى) و المقصود بالأحكام الشرعيّه و التكاليف الالهيه (سواها و كأنّ الرّشد) الذى امرت به (فى إحراز دنياها).

ص: ٤١١

١- (١) جمع باليه

٢- (٢) من الدثور و هو الدروس

٣- (٣) لعلّه جمع الحفر و هو القبر

فيا عاقلا راحلا و لبيا جاهلا و متيقظا غافلا ما هذه الحيره و السبيل واضح و المشير ناصح، و الصواب لائح، عقلت فاغفلت و أعرفت فأنكرت، و علمت فامهلت «فاهملت ظ» هذا هو الداء الذى عزّ دواؤه، و المرض الذى لا- يرجى شفاؤه، إلى كم ذا التشاغل بالتجair و الأرباح إلى كم ذا التهور بالسرور و الأفراح، و حتام التغير بالسلامه فى مراكب النياح، كيف تنهنا بحياتك و هى مطيتك إلى مماتك أم كيف تسيع طعامك و أنت منتظر حمامك(١)

و لم تتزود للرحيل و قد دناو أنت على حال و شيكا مسافر(٢)

تخزب ما يبقى و تعمر فانياو لا ذاك موفور و لا ذاك عامر

و هل لك إن وافاك حتفك بغتهو لم تكتسب خير لدى الله عاذر

أ ترضى بأن تفنى الحياه و تنقصيو دينك منقوص و مالك وافر

فيا ويح نفسى كم أسوف توبتيو عمرى فان و الردى(٣) لى ناظر

و كل الذى أسلفت فى الصحف مثبتىجازى عليه عادل الحكم قاهر

مليك عزيز لا يردّ قضاؤهليم حكيم نافذ الأمر قادر

عنى كل ذى عزّ بعزه وجههفكل عزيز للمهيم(٤) صاغر

لقد خشعت و استسلمت و تضاءلتلغزه ذى العرش الملوكة الجبابر

فبك إلهنا نستجير يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا غيرك، و من نرجو بغفران ذنوبنا سواك، و أنت المتفضل المنان القائم الديان العائد علينا بالاحسان بعد الاسائه منا و العصيان، يا ذا العزه و السلطان و القوه و البرهان أجرنا من عذابك الأليم و اجعلنا من سكان دار النعيم يا أرحم الراحمين.

ص: ٤١٢

١- (١) الحمام: الموت

٢- (٢) الوشيك: السريع

٣- (٣) الردى: الهلاك

٤- (٤) المهيم: القائم على خلقه بأعمالهم و آجالهم و أرزاقهم أو الشاهد و الرقيب و الحافظ و الصاغر الذليل و تضائلت أى صارت ضيلا أى حقيرا ذليلا، منه

لما كان صدر هذا الفصل متضمناً للاشاره إلى بعض الحكم و المصالح فيما جعله الله سبحانه للانسان من الأعضاء و الجوارح و كان توضيح ذلك موقوفا على التشريح أحببت أن اورد هنا شطرا يسيرا من ذلك مما صدر عن مصدر الولايه إذ تشريح جميع الأعضاء على ما حققه الحكماء و الأطباء مما يوجب الطول و يخرج عن الغرض و فيما نورده هدايه للمسترشد و كفايه للطالب.

فأقول: روى فى البحار من العلل و الخصال عن محمد بن إبراهيم الطالقانى عن الحسن ابن عليّ العدوى عن عباد بن صهيب بن عباد بن صهيب عن أبيه عن جدّه عن الزبيع صاحب المنصور قال:

حضر أبو عبد الله عليه السّلام مجلس المنصور يوما و عنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب فجعل أبو عبد الله عليه السّلام ينصت لقرائته، فلما فرغ الهندى قال له يا أبا عبد الله أ تريد ممّا معى شيئا؟ قال عليه السّلام: لا، فإنّ معى ما هو خير ممّا معك قال: و ما هو؟ قال عليه السّلام:

ادوى الحارّ بالبارد و البارد بالحارّ و الرّطب باليابس و اليابس بالرّطب، و اورد الأمر كلّ إلى الله عزّ و جلّ و أستعمل ما قاله رسول الله صلّى الله عليه و آله: و اعلم أنّ المعدة (١) بيت الداء و الحميه هى الدواء و اعود البدن ما اعتاد، فقال الهندى: و هل الطبّ إلّا هذا.

فقال الصّيادق عليه السّلام: أ فترانى من كتب الطبّ أخذت؟ قال: نعم قال عليه السّلام: لا و الله ما أخذت إلّا عن الله سبحانه فأخبرنى أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟ قال الهندى:

لا- بل أنا، قال الصّيادق عليه السّلام: فأسألك شيئا؟ قال: سل، قال الصّادق عليه السّلام: أخبرنى يا هندى لم كان فى الرّأس شئون (٢) قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم جعل الشّعر عليه من فوق؟ قال: لا أعلم.

ص: ٤١٣

١- (١) المعدة بالكسر و الفتح موضع الطعام.

٢- (٢) الشّان واحد الشّئون و هى مواصل قبائل الرّأس و ملتقاها و منها يخرج الدموع، صحاح

قال عليه السّلام: فلم خلت الجبهه من الشّعر؟ قال: لا أعلم قال عليه السّلام: فلم كان لها التّخطيط و أسارير؟(١) قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم كان الحاجبان من فوق العينين؟ قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم جعل العينان كاللوزتين؟ قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم جعل الأنف بينهما؟ قال: لا أعلم.

قال عليه السّلام: فلم كان ثقب الأنف فى أسفله؟ قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم جعلت الشّفه و الشّارب من فوق الفم، قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم أحدّ السن(٢) و عرض الضرس و النّاب؟ قال: لا أعلم قال عليه السّلام: فلم جعلت اللّحيه للرّجال؟ قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم خلت الكفان من الشّعر؟ قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم خلا الظفر و الشعر من الحياه؟ قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم كان القلب كحبّ الصنوبر؟ قال: لا أعلم.

قال عليه السّلام: فلم كانت الرّيه قطعتين و جعل حركتها فى موضعها؟ قال: لا أعلم قال عليه السّلام: فلم كانت الكبد حدباء(٣) قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم كانت الكليه كحبّ اللّوبيا؟ قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم جعل طيّ الركبه إلى خلف؟ قال: لا أعلم، قال:

فلم آن حضرت(٤) القدم؟ قال: لا أعلم، فقال الصّادق عليه السّلام: لكنّى أعلم، قال: فأجب.

فقال الصّادق عليه السّلام: كان فى الرّأس شئون لأين المجوّف إذا كان بلا فصل أسرع إليه الصّداق فاذا جعل ذا فصول كان الصّداق منه أبعد، و جعل الشعر من فوقه ليوصل بوصول(٥) الادهان إلى الدماغ و يخرج بأطرافه البخار منه و يرد الحرّ و البرد

ص: ٤١٤

-
- ١- (١) الاسارير خطوط الجبهه جمع الاسرار و هى جمع السرير صحاح.
 - ٢- (٢) المفهوم من الاخبار اختصاص السن بالمقادير الحداد و الضرس بالمآخير العراض و المفهوم من كلام أهل اللغه ترادفهما.
 - ٣- (٣) حدب الانسان من باب تعب إذا خرج ظهره و ارتفع عن الاستواء فالرجل أحذب و المرأه حدباء فيومى
 - ٤- (٤) رجل محضر القدمين اذا كانت قدمه تمسّ الأرض من مقدمها و عقبها و تحوى أخمصها مع دقه فيه صحاح.
 - ٥- (٥) أى بسبب وصول الشعر الى الدماغ تصل اليه الادهان او هو جمع الوصل الى مثابته و اصوله و لا- يبعد ان يكون فى الاصل باصوله فصحف بقرينه مقابله أطرافه، بحار.

الواردين عليه و خلت الجبهه من الشَّعر لأنها مصبَّ النور إلى العينين و جعل فيها التخطيط و الأسارير ليحبس العرق الوارد من الرُّأس عن العين قدر ما يميطة(١) الانسان من نفسه كالأنهار فى الأرض التى تحبس المياه.

و جعل الحاجبان من فوق العينين ليوردا من الثَّور عليهما قدر الكفايه ألا ترى يا هندی إنّ من غلبه الثَّور جعل يده بين عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه، و جعل الأنف فيما بينهما ليقسم الثَّور قسمين إلى كلّ عين سواء و كانت العين كاللوزة ليجرى فيها الميل بالدواء و يخرج منها الداء، و لو كانت مَرَبعة أو مدوّره ما جرى فيها الميل و ما وصل إليها دواء و لا خرج منها داء.

و جعل ثقب الانف فى أسفله لينزل منه الأوداء المنحدره من الدِّماغ و يصعد فيها الأرييح(٢) إلى المشام و لو كان فى أعلاه لما ينزل داء و لا وجد رائحه، و جعل الشَّارب و الشَّفه فوق الفم لحبس ما ينزل من الدِّماغ عن الفم لئلاّ يتنَّص على الانسان طعامه و شرابه فيميطة(٣) عن نفسه و جعلت اللّحية للرَّجل ليستغنى بها عن الكشف(٤) فى المنظر(٥) و يعلم بها الذكر و الأنثى.

و جعل السنَّ حادا لأنَّ به يقع العضّ و جعل الضرس عريضا لأنَّ به يقع الطحن و المضغ و كان الناب(٦) طويلا ليشدّ الأضراس و الأسنان كالاسطوانه، فى البناء، و خلا الكفَّان من الشعر لأنَّ بهما يقع اللمس فلو كان بهما شعر مادرى

ص: ٤١٥

-
- ١- (١) اى يزيله و ينحيّه
 - ٢- (٢) جمع أرياح و هو جمع الريح.
 - ٣- (٣) اى يحتاج الى ازاله ما ينزل من الدماغ عند الاكل و الشرب عن نفسه م
 - ٤- (٤) عن كشف العوره
 - ٥- (٥) متعلّق بقوله يستغنى.
 - ٦- (٦) لعلّ وجه كونه سندا من بين ساير الاسنان أنه لطوله يمنع وقوع الاسنان بعضها على بعض فى بعض الاحوال كما أنّ الاسطوانه يمنع السقف من السقوط، بجار

الانسان ما يقابله(١) و يلمسه، و خلا- الشعر و الظفر من الحياه لأنّ طولهما سمح يقبح و قصهما حسن فلو كان فيهما حياه لآلم الانسان لقصّهما.

و كان القلب كحبّ الصنوبر لأنّه منكس فجعل رأسه رقيقا ليدخل في الرّيه فيتروح عنه ببردها لئلا يشيط (٢) الدماغ بحرّه، و جعلت الرّيه قطعتين ليدخل مصاعظها(٣) فتروح عنه بحركتها، و كانت الكبد حذاء ليثقل المعده و تقع جميعه عليها فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار.

و جعلت الكليه كحبّ اللوبيان لأنّ عليها مصبّ المنى نقطه(٤) بعد نقطه فلو كانت مرّبعه أو مدوّره لاحتبست النقطه الاولى الثانيه فلا- يلتدّ بخروجها الحيّ إذ المنى ينزل من فقار الظهر الى الكليه فهي كالمدّوده تنقبض و تنبسط ترميه أوّلا- فأوّلا- إلى المشانه كالبنده من القوس.

و جعل طيّ الرّكبه إلى خلف لأنّ الانسان يمشى إلى ما بين يديه(٥) فتعدل الحركات و لولا ذلك لسقط في المشى، و جعلت القدم متحضره لأنّ الشّء إذا وقع على الأرض جميعه نقل(٦) ثقل حجر الرّحى و إذا كان على حرفه دفعه الصّبي

ص: ٤١٦

١- (١) كأنه كان يعامله فصحف مع أنّ اكثر ما يلمس يكون مقابلا بحار

٢- (٢) أى يحترق منه

٣- (٣) أى بين قطعتى الرّيه

٤- (٤) استعيرت النقطه هنا للشّء القليل و القطره بحار

٥- (٥) أى يميل في المشى الى قدامه و لو كان طى الرّكبه من القدام لانتهى ايضا من هذا الجانب فيسقط بحار

٦- (٦) و ذلك لامتناع الخلاء لانه اذا لم يكن بين السطحين هواء أصلا لم يمكن رفع احدهما عن الآخر فيرتفعان معا. و لو كان بينهما هواء قليل يرتفع لكن بعسر لتوقفه على تخلل هذا الهواء و دخول الهواء من خارج أيضا فحضر القدم يوجب وجود هواء كثير تحت القدم فاذا رفع القدم يدخل تحت ما لصق بالارض من قدام القدم و عقبه الهواء من الأطراف بسرعه و بسهولة فلا يعسر رفعه، بحار

و إذا وقع على وجهه صعب ثقله على الرجل.

فقال الهندي: من أين لك هذا العلم؟ فقال عليه السلام: أخذته عن آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الأجساد والأرواح، فقال الهندي: صدقت وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك أعلم من أهل زمانك.

الترجمه

گردانید حق سبحانه و تعالی از برای شما گوشها را تا این که حفظ نمایند و نگه بدارند آنچه که مهم باشد ایشان را و ضروری، و آفرید چشمها را تا این که روشنی بخشند از شب کوری، و خلق فرمود اعضاء ظاهره که جمع کننده اعضاء باطنه بودند در حالتی که مناسب و موافق بودند با اطراف و جوانب متناهیة خود در ترکیب صورتهای آنها و مدتهای عمرهای آنها با بدنهایی که قائمند بمنافع خود و با قلبهایی که طالبند مرزقهای خود را در حالتی که شما در توی نعمت های کامله می باشید و اسباب منتهای شامله و موانع صحت بدن از امراض و محن.

و مقدر فرمود از برای شما عمرها که پوشانید آنها را از شما و باقی گذاشت از برای شما عبرتها از آثار گذشتگان پیش از شما از محل لذت یافتن ایشان با نصیب خودشان و از مکان گشاده بودن ریسمان مرگ از گردن ایشان.

شتاب نمود ایشان را مرگ ها بی رسیدن بآرزوها، و متفرق ساخت ایشان را از آرزوها بریده شدن أجلها در حالتی که مهیا نساختند از عمل های شایسته در سلامتی بدنهای، و عبرت نگرفتند از عبرت های نافعه در اول زمانها.

پس آیا انتظار می کشند اهل قوت و امتلاء جوانی مگر قد خم کنندهای پیری و ناتوانی را، و اهل خوشی صحت و تن درستی مگر نازل شوندهای بیماری را، و اهل مدت بقا مگر زمانهای فنا و نابودی را با وجود نزدیکی مفارقت و قرب

انتقال بسوی آخرت و با وجود جزع اضطراب و درد مصیبت و بسیار بگلو ماندن آب دهان از اندوه و محنت و با وجود این طرف و آن طرف نگریستن برای فریاد رس خواستن بیاری دادن اعوان و خویشان و اولاد و عزیزان.

پس آیا دفع نمود مرگ را از او خویشان، یا نفع بخشید گریه کنندگان و حال آنکه ترک کرده شد در محله مردگان محبوس گناه و در تنگی خوابگاه بی یار و همراه بتحقیق که پاره نمود حشرات الأرض پوست تن او را و کهنه نمود لاغر کنندگان تازگی بدن او را، و مندرس نمود بادهای سخت جهنده اثرهای او را و محو نمود حوادث روزگار علامتهای او را، و بگردید بدنهای متغیر و لاغر بعد از تازگی و قوت، و استخوانها پوسیده و متفرق بعد از توانائی و شدت.

و روحها گرد کرده شد بیار گران گناهان در حالتی که یقین کننده باشند باخبر غایبه از ایشان، طلب نمی شود از آنها زیاده کردن از اعمال صالحه، و طلب نمی شود از ایشان راضی کردن حق از اعمال باطله، آیا نیستید شما پسران قوم خود و پدران ایشان، و برادران قوم خود و خویشان ایشان، اندازه می گیرید در کارها بر مثلهای آنها، و سوار می شوید بر طریقه ایشان در اقوال و افعال، و سلوک می کنید در راههای ایشان بهمه حال.

پس قلبها سختند از قبول بهره سودمند خود، غافلند از طلب هدایت خود سالکند در غیر میدان با منفعت خود، گویا که مخاطب و مقصود بأوامر و نواهی غیر از آن دلهاست، و گویا که رشادت و مصلحت آنها در حفظ متاع دنیاست.

هذا آخر الجزء الخامس من هذه الطبعه الجديده الثمينه القيمه، تم تصحيحه و تهذيبه و ترتيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجي» عفى عنه و عن والديه و وقع الفراغ في العشر الاول من شهر رجب الاصب ١٣٧٩ و يليه ان شاء الله الجزء السادس و اوله: «الفصل السادس» من المختار الثاني و الثمانين، و الحمد لله رب العالمين

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البيت عليهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفاً ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱. JAVA

۲. ANDROID

۳. EPUB

۴. CHM

۵. PDF

۶. HTML

۷. CHM

۸. GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱. ANDROID

۲. IOS

۳. WINDOWS PHONE

۴. WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتاهای خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

